

الباب الاول في مواعظ الملوك	٦
الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والسلاطين	٢٩
الباب الثالث فيما جاء في الولادة والقضاة وما في ذلك من الغرر والخطر	٣٩
الباب الرابع في بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليه السلام ووجه طلبه الملك وسؤاله أن لا يتوقى لاحد من بعده	٤٣
الباب الخامس في فضل الولادة والقضاة اذا عدلوا	٤٤
الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غائب وخاسر غير راجع	٤٦
الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض	٤٧
الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره	٤٨
الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية	٤٩
الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع بهم انهم انظام الملك والدول	٥٠
الباب الحادي عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولايات لدونها	٥١
الباب الثاني عشر في التنصيص على الخصال التي زعم الملوك أنهم أزالوا دولتهم وهدمت سلطاتهم	٥٤
الباب الثالث عشر في الصفات الراتبية التي زعم الحكماء أنه لا تدوم معها مملكة	٥٦
الباب الرابع عشر في الخصال المحجوبة في السلطان	٥٨
الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان	٥٩
الباب السادس عشر في ملال أمور السلطان	٥٩
الباب السابع عشر في خير السلطان وشر السلطان	٦٠
الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن	٦١
الباب التاسع عشر في خصال جامعة لأمم السلطان	٦١
الباب العاشر في العشرين في الخصال التي هي أركان السلطان	٦٢
الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم	٦٣
الباب الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب	٦٤
الباب الثالث والعشرون في العقل والدهاء والخبث	٦٥
الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم	٦٩
الباب الخامس والعشرون في المجلساء وآدابهم	٧٢
الباب السادس والعشرون في بيان معرفة الخصال التي هي جمال السلطان	٧٤
الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة	٧٨
فصل في النصيحة	٨٠

- ٨١ الباب الثامن والعشرون في الحلم
- ٨٧ الباب التاسع والعشرون فيما يسكن القصب
- ٨٨ الباب الثلاثون في الجود والسقاء
- ٩٥ الباب الحادي والثلاثون في بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما
- ٩٦ الباب الثاني والثلاثون في الصبر
- ٩٧ فصل في أقسام الصبر
- ١٠٣ الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر
- ١٠٥ الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن بسائر الخصال وزعيم المزيمن
- النعمان والاكلام من ذي الجلال
- ١٠٧ فصل في الشكر على الجوارح
- ١٠٧ فصل في الكلام على الزيادة
- ١١١ الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي يصلح عليها الأمير والمأمور ويستريح اليها الرئيس والمرؤس مستخرج من القرآن العظيم
- ١١٢ الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وثقاء الصدور
- وراحة القلوب وطبقة النفوس
- ١١٣ الباب السابع والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها كلها الملوك عند الشدائد ومعقل
- السلطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال
- ١١٤ الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصال الموجبة لدم الرعية للسلطان
- ١١٤ الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والجار
- ١١٥ الباب العاشر والرابعين فيما يعبر على الرعية اذا جاز السلطان
- ١١٦ الباب الحادي والاربعون في كتمانكوايولي عليكم
- ١١٦ الباب الثاني والاربعون في بيان الخصلة التي تصلح بها الرعية
- ١١٨ الباب الثالث والاربعون فيما يملك السلطان من الرعية
- ١١٩ الباب الرابع والاربعون في التحذير من حجة السلطان
- ١٢٠ الباب الخامس والاربعون في حجة السلطان
- ١٢٢ الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجند
- ١٢٣ الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استحياء الخراج
- ١٢٤ الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال
- ١٢٦ فصل يتضمن مبلغ ما كان يستخرج لقرعون يوسف من أموال مصر
- ١٢٩ الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في الاتفاق من بيت المال وسيرة العمال
- ١٣٣ الباب العاشر والخمسين في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة
- العمال

الباب الحادى والخمسون فى أحكام أهل الذمة	١٣٥
فصل فى تقضى الذمى العهد	١٣٧
فصل فى تقدير الجزية	١٣٨
الباب الثانى والخمسون فى بيان الصفات المستبعدة فى الولاية	١٣٨
الباب الثالث والخمسون فى بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على العمال	١٤١
الباب الرابع والخمسون فى هدايا العمال والرشا على الشفاعات	١٤٣
الباب الخامس والخمسون فى معرفة حسن الخلق	١٤٤
فصل فى الفرق بين المداخنة والمداواة	١٤٩
الباب السادس والخمسون فى الظلم وشؤمه وسوء عاقبته	١٥٠
الباب السابع والخمسون فى تحريم السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤتى اليه أمرهما من الافعال الرديئة والعواقب الذميمة	١٥٤
الباب الثامن والخمسون فى القصاص وحكمته	١٥٧
الباب التاسع والخمسون فى الفرج بعد الشدة	١٦٠
الباب الستون فى بيان الخصلة التى هى أم الخصال ويفجوع الفضائل ومن فقد هالم يكمل فيه خصلة وهى الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس	١٧١
الباب الحادى والستون فى ذكر الحروب وتدابيرها وحيلها وأحكامها	١٧٣
الباب الثانى والستون فى القضاء والقدر والتوكل والطلب	١٨١
الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك العجم وحكاياتهم	١٨٥
فصل من نوادر بزرجهر الخ	١٩١
فصل ومن حكم شافى السندى الخ	١٩٣
فصل قال غيره لا ينبغي للملك أن يكون له أيام معلومة يظهر فيها الخ	١٩٤
فصل من نوادر كلام العرب	١٩٤
الباب الرابع والستون مشتمل على حكم منثورة	١٩٦

سراج الملوك للإمام العالم العلامة الثبت الثقة
الجنة القهامة العارف بالله أبي بكر محمد بن
محمد بن الوليد القهري الطرطوشي
المالكي نفعنا الله به
آمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الاعيان والالامار ومكور النهار على الليل والليل على النهار العالم بالخصيات وما تنطوي عليه الارضون والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستخف بالليل وسار به بالنهار الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير خالق الخلق يقدره واحكمهم بعلمه وخصصهم بعشيتته ودبرهم بحكمته لم يكن له في خلقهم معين ولا في تدبيرهم مشير وظهير وكيف يستعين من لم يزل بمن لم يكن أو يستظهر من تقدر عن الذل بمن دخل تحت ذل التكوين ثم كاشفهم معرفته وجعل علم العالمين بهجزهم عن ادراكه ادراكا لهم ومعرفه العارفين بتقصيرهم عن شكره شكرالهم كما جعل اقرار المقرين بوقوف عقولهم عن الاطاعة بحقيقته آيما بالهم لا يلزمه لم ولا يجاوزه اين ولا يلاصقه حيث ولا يحد ما ولا يعده كم ولا يحصر متى ولا يحيط به كيف ولا يناله أي ولا يظله فوق ولا يثقله تحت ولا يقابله حد ولا يراجه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده امام ولم يظهره قبل ولم يعينه بعد ولم يجمعه كل ولم يوجد له كان ولم يفقده ليس وصفه لاصفقه وكونه لا أمده ولا تخالطه الاشكال والصور ولا تغيره الايام والغير ولا يتجاوز عليه الماسة والمقاربة وتستحيل عليه المحاذاة والمقابلة ان قلت لم كان فقد سبق العلل ذاته ومن كان معلولا كان له غيره عمله يساوقه في الوجود وهو قبل جميع الاعيان بلاعلة فقدرة الله في الاشياء بلا مزاج وصفه فيها بلا علاج وعمله كل شيء صنعه ولاعله اصنعه فان قلت أين هو فقد سبق المكان وجوده فمن أين الالين لم يشتر وجوده الى أين هو بعد خلق المكان غنى بنفسه كما كان قبل خلق المكان وكيف يحل في ما منه بدا أو يعود اليه ما هو أنشأ وان قلت ما هو فلا مائة لوجوده وما موضوعة للسؤال عن الجنس والقديم تعالى لا جنس له لان

الجنس مخصوص بمعنى داخل تحت الماتية وان قلت ثم هو فهو أحد في ذاته منفرد
بصماته وان قلت متى كان قد سبق الوقت كونه وان قلت كيف هو فن كيف الكيف لا يقال
له كيف ومن جازت عليه الكيفية جاز عليه التعت وان قلت لم قالها والواو شاقه بل الأرم
الكل الحدث كما قال بعض الاشياخ لان القدم له فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذي
بالاداة اجتماعه فقواها تمسكه والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت والذي يقيم غيره فالضرورة
تمه والذي الوهم بطرقه فالتصوير يرتقي اليه ومن أوامحل أدركه أين فمن كان له جنس
طلبه كيف وجوده اثباته ومعرفة توحيده وتوحيد تميزه من خلقه ما تصور في الاوهام
فهو بخلافه لا تخالفا للعيون ولا تخالفا للظنون ولا تصور الادهام ولا تخالفا للافهام
ولا يقدر قدره الا نام ولا يحويه مكان ولا يقارنه زمان ولا يحصره امد ولا يسعه ولد
ولا يجتمع معه عدد قربه كرامته وبعده اهامته علوه من غير توكل وبجته من غير تنقل هو
الاول والاخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذي ليس كمثل شيء وهو السميع البصير
وأشبهه بالربوبية والوحدانية وبما شهد به لنفسه من الاسماء الحسنى والصفات العلى
والنعت الاوفى أله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وأمن بالله ولائكم وكتمه
ورسله لا تفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون وأشهد أن محمدا عبده المصطفى وأمينه
المرضى أرسله الى كافة الورى بشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه
وعلى أهل بيته الطاهرين وأصحابه المتخفين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين (أما بعد)
فاني نظرت في سير الامم الماضية والملوك الخالية وما وضعوه من السياسات في تدبير الدول
والتزموه من القوانين في حفظ التحل فوجدت ذلك نوعين أحكاما وسياسات فاما الاحكام
المستقلة على ما اعتقدوه من الحلال والحرام واليسوع والاحكام والانسكحة والطلاق
والاجارات ونحوها والرسوم الموضوعة لها والحدود والقائمة على من خالف شيئا منها فأمر
اصطلموا عليه بعقولهم ليس على شيء منه مردان ولا أنزل الله به من سلطان ولا أخذوه عن
تدبير ولا اتعوا فيه رسولا وانما هي صادرة عن خزنة النيران وسنة نبوت الاصنام وعبدة
الانداد والاثوان وليس يعجز احد من خلق الله ان يصنع من تلقاء نفسه أمثالا واشباهها وأما
السياسات التي وضعوها في التزام تلك الاحكام والذب عنها والحماية لها وتعظيم من عظمها
واهانته من استهان بها وخالقها فقد ساروا في ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب
عليها والتمسوا النصفة فيما بينهم على ما توجبته تلك الاحكام وكذلك في تدبير الحروب وامن السبل
وحفظ الاموال وصون الاعراض والحرم كل ذلك فقد ساروا فيه بسيرة جميلة لا يتافى
العقول شيء منه لو كانت الاصول صحيحة والقواعد واجبة فكانوا في حسن سيرتهم يحفظ
تلك الاصول القاسدة كن زخرف كنيفا أو بنى على صت قصر امنيفا

ولوليس المحارث باب خز * لقال الناس بالك من حار

لجمعت محاسن ما نظروا عليه سيرهم خاصة من ملوك الطوائف وحكام الدول فوجدت
ذلك في ستمن الامم وهم العرب والفرس والروم والهند والسند والهند فاما
ملوك الصين وحكامهم فلم يصل الى ارض العرب من سياساتهم شيء كثير بل بعد المشقة وطول
المسافة وأمان عداها ولا من الامم فلم يكونوا أهل حكم بارعة وقرائح نافذة واذهان

ثاقبة انما صدر عنهم الشيء اليسير من الحكمة فقطعت ما ألقيت في كتبهم من الحكمة
 البالغة والسير المستحسنة والكلمة الطيبة والطريقة المألوفة والتوقيع الجليل والاثر
 النليل الى ما رويتموه من سير الانبياء عليهم السلام وآثار الاولياء وبراعة العلماء
 وحكمة الحكماء ونوادير الخلفاء وما انطوى عليه القرآن العزيز الذي هو بحر العلوم
 وينبوع الحكم ومعدن السياسات ومغاص الجواهر المكنونات ان اختصر فلصحة الدالة
 وشارة خفية وان اطلال فالفاظ بارعة وآيات مبهمة هو الهادي من الضلالة والحلوي
 نحاس الدنيا وقضائل الآخرة (وربته) ترتيباً ثانياً وترجيحاً تراجم بارعة حاوية
 لمقاصدها ناطقة بحكمها ومضمونها يلج الاذن من غير اذن ويتولج التامور من غير استئذان
 الفاظها قروا بسلطانها ليس الفاظها الى السمع بأمر من معانيها الى القلب فان نظم الكتاب
 بحمد الله وعونه واحسانه غاية في بابه غريباً في فنونه واسباه خفيف المحمل كثير الفائدة
 لم يسبق الى مثله اقلام العلماء ولا جالت في قلمه افكار الفضلاء ولا حوته خزائن الملوك
 والوزراء فلا يسمع به ملك الاستكبر ولا وزير الاستعصبة ولا رئيس الاستخصنة
 واستوسده عصم قل من عمل به من الملوك وأهل الرياسة وجن قل من قصص به من أولى الامر
 والسياسة وجمال من تحلى به من أهل الآداب والمحاضرة وعنوان من فاض به من أهل
 المجالسة والمذاكرة (ومعينة سراج الملوك) يستغنى به الحكيم بدراسة عن مباحث الحكماء
 والملوك عن مشاوراة الوزراء (واعلموا) وفقكم الله ان احق من أهديت اليه الحكم وأوصلت
 اليه التصامح وحلت اليه العلوم من آتاء الله سلطاناً فتفتق في الخلق حكمه وجاز عليهم قوله
 (ولما رأيت) الاجل المأمون تاج الخلافة عز الاسلام نغرا لانام نظام الدين خالصة أمير
 المؤمنين أباعده الله محمد الاموى ادام الله اعزاز الدين نصره وأتقنى العالمين بالحق
 أمره بما أودع كافة الخلق شكره وكفاهم فيه محذوره وضره فقد فضل الله تعالى به على
 المسلمين فسبط فيهم بيده وقشر في مصالح أحوالهم كلمته وعرف بالخاص والعام بينه وبركته
 وتقلد امور الرعية وسار فيهم على أحسن قضية منصرف بالصواب راغباً في الثواب طالبا
 سبيل العدل ومناهج الانصاف والفضل ورغب ان اخصه بهذا الكتاب وبما طلف الله تعالى
 يوم تجسد كل نفس ما علمت من خير محضرا وما علمت من سوء تودلوان بينهما وبينه أمد ابديا
 ولتذكر فضائله ومحاسنه ما بقي الدهر كما قيل

الناس يمدون على قدرهم * لكنني اهدى على قدرى

يهدون ما يقى وأهدى الذى * يسقى على الايام والدمر

فان العلم حصنة الملوك والامراء ومعقل السلاطين والوزراء لانه ينفعهم من الظلم ويردهم
 الى الحلم ويصدهم عن الاذية ويعطفهم على الرعية فمن حثهم ان يعرفوا حقه ويكرموا
 جلته لا يستبطنوا أهله (وهذه) أبواب هذا الكتاب وعدتها أربعة وستون بابا الباب الاول
 في مواضع الملوك الباب الثانى في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والسلاطين الباب
 الثالث فيما جاء في الولاية والقضاء وما في ذلك من الغرر وانظر الباب الرابع في معرفة ملك
 سليمان بن داود وجه طلبه للملك وسؤاله أن لا يؤتاه أحد من بعده الباب الخامس في فضل

الولاة والقضاة اذا عدلوا الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غائب وغير غير
 رابع الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض الباب الثامن في منافع
 السلطان ومضاره الباب التاسع في معرفة منزلة السلطان من الرعية الباب العاشر في معرفة
 خصال وود الشرع بما فيها نظام الملك والدول الباب الحادي عشر في معرفة الخصال التي هي
 قواعد السلطان ولايات لدونها الباب الثاني عشر في معرفة الخصال التي زعم المولود انها
 ازالته دولتهم وهدمت سلطاتهم الباب الثالث عشر في معرفة الصفات الرتبة التي زعم
 الحكماء انها لا تدوم معها ملكة الباب الرابع عشر في انصال المحروقة في السلطان وقد
 اتفقت الحكماء والعلماء عليها الباب الخامس عشر في معرفة الخصال التي يعزها السلطان
 الباب السادس عشر في معرفة الخصال التي هي ملاك امور السلطان الباب السابع عشر
 في معرفة خيرا السلطان وشر السلطان الباب الثامن عشر في معرفة منزلة السلطان من القرآن
 الباب التاسع عشر في معرفة اتصال جامعة لاهر السلطان الباب العشرون في معرفة الخصال
 التي هي اركان السلطان الباب الحادي والعشرون في بيان حجة السلطان الى العلم الباب
 الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل بن زياد
 في العلم الباب الثالث والعشرون في معرفة العقل والهاء والمكر الباب الرابع والعشرون
 في الوزراء وأوصافهم الباب الخامس والعشرون في الجلساء وأدابهم الباب السادس
 والعشرون في معرفة الخصال التي هي جمال السلطان الباب السابع والعشرون في المشاورة
 والنصيحة الباب الثامن والعشرون في الحلم ومحاسنه ومحمود عواقبه الباب التاسع
 والعشرون فيما يمكن به الغضب الباب الثلاثون في الجود والسخاء الباب الحادي والثلاثون
 في معرفة النعم والجل وما يتعلق بها الباب الثاني والثلاثون في معرفة الصبر وجبل عواقبه
 الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر ومحاسنه الباب الرابع والثلاثون في بيان
 الخصلة التي هي رهن لاسرائصال وزعيم بلزيم من الاموال والنعماء من ذي الجلال
 وهي الشكر الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي يصلح عليها الامير والمأمور وتسهل
 حجة الخلائق أجعين الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان
 وشفاء الصدور وراحة القلوب وطيبة النفوس الباب السابع والثلاثون في معرفة الخصلة
 التي هي ملجأ المولود عند الشدة ومقفل السلاطين عند اضطراب الممالك الباب الثامن
 والثلاثون في بيان الخصلة الموجبة لزم الرعية للسلطان الباب التاسع والثلاثون في مثل
 السلطان العادل والجائر الباب الاربعون فيما يجب على الرعية اذا جاز السلطان الباب
 الحادي والاربعون في كتمان كرواوي عليك الباب الثاني والاربعون في بيان الخصلة
 التي بها تصلح الرعية الباب الثالث والاربعون فيما يملك السلطان من الرعية الباب الرابع
 والاربعون في التصديق من حجة السلطان الباب الخامس والاربعون في حجة السلطان
 الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجند الباب السابع والاربعون في سيرة
 السلطان في استحياء الخراج الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في الاتفاق من بيت
 المال الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال الباب الحسون في سيرة

السلطان في تدوين الدواوين وفرض الاوقاف وسيرة العمال الباب الحادي والخمسون
في احكام اهل النعمة الباب الثاني والخمسون في بيان الصفات المستبعدة في الولاية الباب
الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهود التي تؤخذ على العمال الباب الرابع والخمسون
في هداية العمال والرشاعى الشفاعات الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق
الباب السادس والخمسون في النظم وشؤمه وسوء عاقبته الباب السابع والخمسون في السعاية
والنميمة وقصصهما وما يؤول اليه امرهما من الافعال الرديئة والعواقب القبيحة الباب الثامن
والخمسون في المقاص وحكمته الباب التاسع والخمسون في القرح بعد الثقة الباب الستون
في الشجاعة وقراتها الباب الحادي والستون في الحروب وتدابيرها الباب الثاني والستون
في القضاء والقدر واحكامهما الباب الثالث والستون وهو جامع من اخبار ملوك العجم
وسكاياتهم الباب الرابع والستون يشغل على حكم مشورة وهو آخر الكتاب وكمل الابواب
(الباب الاول في مواعظ الملوك)

لقد دخلت من كان خلفه من الله الدنيا اعلم ايها الرجل وكذا ذلك الرجل ان عقول الملوك وان
كانت كآراء الانبياء مشغوفة بكثرة الاشغال فيستحي من الموعظة ما يتولى على تلك الافكار
ويتغلغل في حكام تلك الامرار فيرفع تلك الاستار ويكشف تلك الاكنة والافتال ويصل
ذلك المبدأ والزان قال الله تعالى قل محتاج الدنيا قليل فوصف الله تعالى جميع الدنيا بانها متاع
قليل برأيت تعلم انك ما اوتيت من ذلك القليل الا قليلا ثم ذلك القليل ان تمتعته ولم تعص
الله فيه فهو له ولعلب قال الله تعالى انما الحياة الدنيا لهو ولعب ثم قال وان الدار الاخرة
لهي الخوان لو كانوا يعلمون فلا تبغ ايها العاقل لعبا قليلا يبقى بجملة الابد حياة لا تبغى
وشباب لا يبلى كما قال الفضيل رحمه الله لو كانت الدنيا ذهابا تبغى وكانت الاخرة خروفا تبغى
لوجب ان تمسك خروفا تبغى على ذهب تبغى فكيف وقد اخترنا خروفا تبغى على ذهب تبغى تأمل
بعضك هل آتاك الله من الدنيا ما اتى سليمان بن داود عليه السلام حيث آتاه الله جميع الدنيا
والانس والجن والطير والوحش والريح تجري بأمره ريحا حيث اصاب ثم زاده الله ما هو
اعظم منها فقال تعالى هذا عطاؤنا فامتنأ وامسك بغير حساب فوالله ما عداها نعمة
كما عدا عطاؤها ولا حباها رفعة ومنزلة كما حبا عطاؤها بل قال عند ذلك هذا من فضل ربي ليباركني
أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر أن يقول لله رب في معرض المنة هذا عطاؤنا
فامتنأ وامسك بغير حساب ثم خاف سليمان عليه السلام أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم
هذا وقد قال لك ولست أراهل الدنيا فوريك لتسألهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال وان كان
من قال حبش من خردل آتينها وكفى بشا حاسين تأمل بعضك ما روى عن النبي عليه السلام انه
قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وألق سمك الى ما نزل به
جبريل عليه السلام من عند الله تعالى على محمد عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لك عسى
ما شئت فأتك ميتا وأحسب من شئت فأتك مفارقا وعسى ما شئت فأتك مجزى به فاقطر
ما شئت عليه هذه الكلمات من تصرم العمر وفراق الاحبة والجزاء على الاعمال فلو لم
ينزل من السماء غير ما كانت كافية لقطر فقهك الى ما رواه الحسين أن النبي عليه السلام مر

بغزل قوم قد ارتحلوا عنه وإذا طلا مطروح فقال اترن هذا هن على أهله فقالوا من هو انه
 عليهم القوة قال فوالذي تسمى بسده لادنيا أهون على الله من هذا على أهله فجعل الدنيا أهون
 على الله من الحقيقة المطروحة وقال أبو هريرة قال لي النبي عليه السلام ألا أريك الدنيا جها
 بما فيها قلت بلى قال فأخذ يدي وأقربني إلى واد من أودية المدينة فإذا هن فيها رؤس الناس
 وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تخرص على الدنيا
 تخرصكم وتأمل أمالككم ثم هي اليوم تساقط جادا بلا عظم ثم هي صائرة رماد ارمدا وهذه
 العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قد فوهن في بطونهم فاصبحت
 والناس يتكلمون بها وهذه الخرق البالية ريشهم ولباسهم ثم أصبحت والرياح تصفحها وهذه
 العظام عظام دوابهم التي كانوا يتجشعون عليها أطراف البلاد فمن كل باب يكاء على الدنيا قليل
 قال فابرحنا حتى اشتد بك وبنا (وقال ابن عمر) أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض جسدي
 فقال يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل واعد نفسك في الموتى يا أيها
 الرجل إن كنت لا تدري متى يفجؤك الأجل فلا تغتر بطول الأمل فإنه يقضى القلب
 ويفسد العمل وقد عبر الله أقواما مثلهم في الأجل فقست منهم القلوب وطال منهم الأمل
 فقال تعالى إليهم الذين آمنوا أن تنشع قلوبهم وذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين
 أولوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون
 أحسفت ذلك بالأيام اذ حسنت • ولم تنصف سويا بأني به القدر
 وسألتك الليالي فأعتررت بها • وعند صفوا الليالي يحدث السكر
 يا أيها الرجل ألقى إلى سمعك وأرعى لبك

فان كنت لا تدري متى الموت فاعلم • بأنك لا تبقى إلى آخر الدهر

ابن آدم أين آدم أبو الأولين والآخرين أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع العالمين أين
 ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين النبيين والمرسلين أين عيسى روح الله وكلته
 رأس الزاهدين وأمام السائحين أين محمد خاتم النبيين وحبيب رب العالمين وسيد الأولين
 والآخرين أين أصحاب الأبرار المنتخبون أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون
 الخالية أين الذين نصب على مقارقتهم التيجان أين الذين اغتروا بالاجناد والسلطان أين
 أصحاب السطوة والولاء أين الذين خفقت على رؤسهم الآلوية والرايات أين الذين قادوا
 الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والديار أين الذين أعطوا النصر في مواطن
 الحرب والمواقف أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين عمعوا في الذات
 والمآرب أين الذين أسروا على الخلائق كبرا وعسما أين الذين زاحوا في الحلل بكرة وعشيا
 أين الذين استلوا الملابس الفاخرة أين الذين ملكوا ما بين الخافقين فزاعزا أين الذين
 فرشوا القصور فزاورا أين الذين تضعفت لهم الأرض هيبة وهزا أين الذين استقلوا
 العباد قهرا ولزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفأنهم واقفون في الامم وأبادهم
 مبيد الزم وأخرجهم من سعة القصور وأسكنهم في ضللك القبور تحت الجنادل والفصوص
 فأصبحوا لآثر الأمساكنهم فعاث الدود في أجسادهم واتخذهم قبلا في أبدانهم فسالت

العبود على الحدود وامتلأت تلك الافواه بالدود ونساقطت الاعضاء وتمزقت الجلود
وتناثرت العوم وتقطعت البطون فلم يتقهم ما جعوا ولا غنى عنهم ما كسبوا اسلك
الاحياء والاولياء وهجرنا الاخوان والاصفياء ونسبنا القرىءاء والبعداء فامسيت ولوفقت
لانشد قولنا في سكان الثرى ودهان الترب والبلدا

مقيم بالجنون وهين دمس * وأهلى راحمون بكل واد
كان لم أكن لهم حنيا * ولا كانوا الاصب في السواد
فجوجوا للسلام فان أيتهم * فأوموا بالسلام على بعداد
فان طال المدى وصفا خليل * سوانا ذكر واصفوا لوداد
وذلك أقل ما لمن حبيب * وآخرو الى يوم التناد
فلوانا بموقفكم وقفنا * سقينا الترب من مهب القواد

(وقال) مكرم بن يوسف العباد أوصى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل ان تقف على المدائن
والخسوف وأبلغهم عن حرفين لانا كلوا الاطبا ولا تشكمو الا بالحق ولما دخل يزيد
الرقني على عمر بن عبد العزيز قال عني يا يزيد قال يا أمير المؤمنين اعلم انك أول خليفة تموت
فيكاهر وقال زدي يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بك وبين آدم الا أبميت فيكاهر وقال
زدي يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا يا أيها الرجل لا تغفلن
عن ذكر ما يقنن من خوف الفناء وتقضي المسابذ هاب الذات وانقضاء الشهوات وبقاء
التباعد وانقضاء حاسرات وان الدنيا دار من لاداره ومال من لاماله ولها يجمع من
لا عقله وعليها يعادي من لا علمه وعليها يصعد من لا فقهه من صح فيها سقم ومن سلم فيها
هرم ومن اقتر فيها حزن ومن استغنى فيها قنن حلالها حساب وحرمانها عقاب ومتشابهها
عتاب من ساعاها فانتسه ومن قعد عنها أنته ومن نظر اليها أعنته ومن بصرها بصرت
لا خير هاديوم ولا شر هائيق ولا فيها مخلوق بقاء يا أيها الرجل لا تخضع من كاخضع من قبلك
فان الذي أصبحت فيه من النعم انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل
ما صار اليك فلو بقيت الدنيا للعالم لم تصر للعاهل ولو بقيت للاول لم تنتقل الى الآخر
يا أيها الرجل لو كانت الدنيا كاهذا هبة وقضة ثم سلت عليك بالخلافة وألقت اليك مقاليدها
واللذ كبدها ثم كنت طريقه للموت ما كان ينبغي لك ان تهنا بعيش لا تحرف فيما يزول ولا تغناه
فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال الاول قدوت غلى وكيف عيلا وكما قال الشاعر

ولقد سمعت الدار عن أخبارهم * قنبت عجا ولم تبدي

حتى مررت على الكيف فقال لي * أموالهم وفوا لهم عندي

ولقد أصاب ابن السمك لما قاله الرشيد يا ابن السمك عني ويده شربة من ماء فقال يا أمير
المؤمنين أرايت لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تقديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين
فأوجس عنك خروجهما أكنت تقديها بملكك قال نعم قال فلا خير في ملك لا يساوي شربه
ولا بولة أيها الشاب لا تغرب شبابك فان أكثر من يموت الشباب والليل عليه ان أقل الناس
الشيوخ يا أيها الشاب كم من جعل في التنوير وأبوه يرى وكم من طغل في التراب وجده يحيي

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا سقف قد أسلم عظمي قال يا أمير المؤمنين ان كان الله عليك فن ترجو قال أحسنت فزدني قال ان كان الله معك فن تخاف قال أحسنت فزدني قال أحسب ان الله قد غفر ذنب المذنبين اليس قد فاتهم ثواب المحسنين قال حسبي حسبي وبكي أربعين صباحا وقال الحسن قدم مصدعة يعني عم القرظدي على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه يقرأ فن يعمل مثقال ذرة خيرا به ومن يعمل مثقال ذرة شرا به فقال حسبي حسبي لا ابالى ان لا أسمع آية غيرها وقال سليمان بن عبد الملك لحشد الطويل عظمي فقال ان كنت اذا عصيت الله طنت انه يرالك فلقد اجترأت على رب عظيم وان كنت تظن انه لا يرالك فلقد كفرت برب عظيم وكتب علي بن الحسين رضي الله عنه الى سليمان انما مثل الدنيا كمثل الحية لمسا لين ويقتل معها فاعرض عنها وعايها بيمينك منها فقله ما يصيبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراغها وكن اسرما تكون فيها أحد وما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان فيها الى سرور أخص منها الى مكروه وقال ابو العنابه

هي الدار دار الاذى والتذاه ودار القناء ودار الغير
ولولتها بجذاقيرها * لمت ولم تقض منها وطر
أيا من يؤمل طول الحياة * وطول الحياة عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب * فلا خير في العيش بعد الكبر

ولما بلغ مراده من الدنيا افضل ما سمت اليه نفسه ورتت اليه همته رفضها وبذها وقال هذا سرور لولاه غرور ونعيم لولاه عديم وملك لولاه هلك وغناه لولاه فناء وحسب لولاه ذميم ومحو لولاه مفقود وغنى لولاه مقي وارتفاع لولاه اتضاع وعلاء لولاه بلاء وحسن لولاه زن وهويوم لو نوله بغد يا أيها الرجل لاتكن كالتفل يرسل الطيب ما فيه ويمسك الحثالة واعلم ان من تساقله لا يقبل الحق وان كثرت ذرائع قال الله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريككم آياته لعلمكم تغفلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او أشد قسوة وذلك ان كثرة الذنوب مانعة من قبول الحق القلوب وولوج المواقف فيها قال الله تعالى كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أي غطاها وغشها فلا تقبل خيرا ولا تصي لموعظة جاء في التفسير اذا اذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء ثم اذا اذنب نكتت نكتة سوداء حتى يسود القلب وقال حذيفة القلب كالكف فاذا اذنب العبد انقبض وقبض اصبعاه ثم اذا اذنب انقبض وقبض اصبعاه أخرى ثم كذلك في الثالث والرابع حتى ينقبض الكف كله ثم يطبع الله عليه فذلك هو الران وقال بكر بن عبد الله اذا اذنب العبد صار في قلبه كوخن الابرة ثم كلما اذنب صار فيه كوخن الابرة ثم كلما اذنب صار فيه كوخن الابرة حتى يعود القلب كالتفل وقال الحسن هو القلب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن شبرمة اذا كان البدن مقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم ينفعه الموعظة وفيه قيل

ولا أرى أثر الذكر في خلدي * والحبل في الحفرة الصمالة أثر
اذا قسا القلب لم تنفع موعظة * كالارض ان سجت لم ينفع المطر

ويرى ان ابا العتاهية مر به كان الوراق واذا كآب فيه يتعن النهر
 لن ترجع النفس عن غيها • ما لم يكن منها الهازج

فقال لمن هذا فقيل لابي نواس قال وددت انه لي بنصف شعري قال الاصمعي ان النعمان الذي
 هراهر والنفس الا كبر الذي في النورتي أشرف على النورتي وما قاجبه ما أوفى من الملائك
 والسعة ونفوذ الامر واقبال الوحيه ففعل لاصحابه هل اوفى اسد مثل ما أوفيت فقال
 لحكيم من حكايا اصحابه اهذا الذي أوفيت شي لم يزل ولا يزال ام شي كان لمن كان قبلك زال عنه
 وصار اليك قال بل شي كان لمن قبلي زال عنه وصار لي • وسيزول عني قال فسرويت بشي
 تذهب عنك لذته وتبقى تبعته قال فاين المهرب قال اما ان تقيم وتعمل بطاعة الله او تلبس
 اصباحا وتطيق يجيبك وتبعد بك نفسه وتفرق من الناس حتى ياتيك أهلك قال فاذا كان ذلك
 فإلى قال حياة لا موت فيها وشباب لا هرم فيه وصحة لا سقم فيها وملك جديد لا يلى قال قاي
 خير فيما مضى والله لا تطلب عيشا لا يزول أبدا وملك جديدا فاقطع من ملكه ولبس الاصباح
 وسافر في الارض وتبعه الحكيم وجعل لا يعبد ان الله حتى ماتا وفيه يقول عدي بن زيد

وتبين رب النورتي اذ فكر يوما واللهدي تذكر
 سره • ما له وكثرة ما يبتك والجر معرضا والسدير
 فارعوى قلبه وقد قال ما غبطة حق الى الممات يصير
 أين كسرى كسرى الملوك انوشه • وان أم ابن قبيلة سابور
 وبشوا الاصفرا الكرام ما لوك السر ووم لم يبق منهم مذكور
 لم يهبه ريب القنون فباد الشملك عنه فبابه مهجور

وفيه يقول الاسود بن يعقرب

ولقد علمت سوى الذي انباتني • ان السبل سبل ذي الاهداد
 ماذا أو مل بعد آل محرق • تركوا منازلهم وبعث اباد
 أرض النورتي والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد
 نزلوا بانقرة تسيل عليهم • ماء القرات يجي من أطواد
 أرض يجبرها لطيب مقبلها • كعب بن مالك وابن أم دواد
 جوت الرياح على محل ديارهم • فكأنهم كانوا على معباد
 فأرى التعيم وكل ما يلهم • يوما يصير الى بلى وتضاد

(وقال) وهب بن منبه أصيب على غمدان وهو قصر سيف بن ذي يزن بأرض صنعاء اليمن وكان
 من الملوك الاجلاء مكتوبا بالانعام المسند قترجم بالعريية واذا هي آيات جليلة وموعظة عظيمة
 بأنواعي قلل الاجبال تحرسهم • غلب الرجال فلم تنفعهم القتل
 واستزلوا بعد عز من معاقلمهم • فاسكنوا اخرايا بش ما نزلوا
 فاداهم صارخ من بعد ما دفنوا • أين الاسرة والتيجان والحال
 أين الوحيه التي كانت محجبة • من دونها تضرب الاساور والكلال
 فأفصح القبر عنهم حين سألهم • تلك الوجوه عليها الدود يقتل

قد طال ما أكلوا وما شربوا • فأصبحوا بعد ذلك الأكل قد أكلوا
 قال شيخنا فرى على القاضي أبي الوليد البابي وأما مع بعض الشعراء
 ويحك يا أسماء ما شافى • أضلقتني والله ما شافى
 الموت مني فأعلى فارل • قريبى لحدى وأكفانى
 قد كنت ذاهلاً فلا والى • أعطاني العيش وأغفاني
 ما قررت العين به ساعة • الا تذكرت فاشجاني
 على باني صائر للبلى • وفاقد أهلى وجيرانى
 وتارك مالى على حاله • نهب الشيطان ابن شيطان
 لامرأة ابني أول زوج ابنتي • ياليت من غنى وخسران
 يسعدنى مالى وأشقى به • قوم ذوو غل وشنان
 ان أحسنوا كان لهم أجره • وخف من ذلك ميزانى

• ومن استبصر من أبناء الملوكة فرأى عيب الدنيا وقناعتها وقصها ووزلها ابراهيم بن آدم بن منصور من أبناء الملوكة ملوك خراسان من كورة بلخ ولما زهد في الدنيا زهد عن ثمانين سريراً قال ابراهيم بن بشار سألت ابراهيم بن آدم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا قال غير هذا أولى بك قالت يرحمك الله لعل الله يتقنى به يوم ماتم سأله ثانية فقال ويحك اشتغل بالله تعالى ثم سأله ثالثة فقلت ان رأيت يرحمك الله أن تخبرني لعل الله أن يتقنى فقال كن أبى من ملوك خراسان وكان من المياسير وكان قد جيب الى السيد فينا أنا راكب فرسا وكلبى معي وأثرت أن بنا أو نعلب فحركت فرسى فسمعت نداء من وراءى يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر بمنعوى سرقة فلم أرا أحداً فقلت في نفسى لعل الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت نداء أقوى من الاقرب ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت فمشعر لا أنظر بمنعوى سرقة فلم أرا شيئاً فقلت لعل الله ايليس ثم حركت فرسى فسمعت من قروبى عرجى يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيات لى التذير من رب العالمين والله لا تصيب ربي ما عصمتى بعد يومى هذا فتوجهت الى أهلى وخلقت فرسى وجئت الى بعض رعاة أبى فأخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابى فلم أقل أرض قلنى وأرض تضعنى حتى صرت الى العراق فعملت بها أياماً فلم يصف لي شئ من الحلال فسأت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فأنصرفت الى مدينة يقال لها المنصورية وهى المصيبة فعملت بها أياماً فلم يصف لي شئ من الحلال فسأت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل كثير قال فينا أنا فاعد على باب الضر اذا جئنى رجل فاصحكنى أنظر له بستاناً فتوجهت معه فكنت في البستان أياماً كثيرة فاذا أنا بخادم قد أطل ومعه أصحابه ولوحلت أن البستان لخادم ما قدره فقعدت في مجلسه ثم قال يا بطور فأجبته قال فاذهب فأتنا بك برمان تغدر عليه وأطيبه فأتيت برمان فآخذت الخادم برمانه فكسر ما فوجدها حاضرة فقال يا بطور ما هذا أنت منذ كذا وكذا فى بستاننا كل من فاكهتنا وورماننا لا تعرف الخلو من الحامض قلت والله ما أكلت من فاكهتنا شياً وما أعرف الخلو من الحامض قال نعم الخادم أصحابه

وقال الاتحيون من هذا ثم قال لي لو كنت ابراهيم بن ادهم ما زاد علي هذا فلما كان من الغد
حدث الناس في المسجد بالصفة فجاء الناس عنقا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس انخسفت
والناس داخلون وانهارت منهم وكان ابراهيم بن ادهم يأكل من عمل يدمثل الحصاد وحفظ
الدياراتين والعمل في الطين وكان يوما يحفظ كرامته به جندى فقال اعطنا من هذا العنب فقال
ما امر به صاحبه فاخذ يضربه بالسوط فطأ رأسه وقال اضرب رأسا طامعا عصى الله فأنجى
الرجل ومضى وقال سهل بن ابراهيم صعبت ابراهيم بن ادهم فرضت فاتفق على ثقته فاشتهت
شهوة فباع جواره وأفق نفسه على فلما تاملت قلت يا ابراهيم أين الجارية فقال بعناه فقلت فعلام
أركب قال يا أخى على عنقى قال غملى ثلاث سنابل رجه الله وأشدوا شعرا

أيها المرء ان ذنبك بجر * طافح موجه فلا تأمنها
وسيل البعة فيها مبعين * وهو أخذ الكفاف والقوت منها

* وبلغنى أن بالهند يوما خرج الناس فيه الى البرية فلا يبقى في البلد بشر من طين لاشيخ كبير
ولامولود صغير وهذا اليوم يكون بعد اقراض مائة سنة من يوم منتهى فاذا اجتمع الخلق في
صعيد واحد نادى منادى الملك لا يصعدن هذا الحجر طر هذا المنصور الامن حضر في الجمع
الاول الذي قد خلا من مائة سنة فرج عليه الشيوخ الهوم الذي قد ذهب قوته وعي بصره وبنى
شبابه ونهى العجوز تحلم بيق منها الاربعها وقد أخنى الدهر عليها فاصعدان على الحجر الذي
هناك يقول الشيخ حضرت الجمع الاول منذ مائة سنة وأنا طفل صغير وكان الملك فلانا وصف
الجهوش الماضية والام الحالية وكيف طعنهم اليلى وصاروا تحت أطباق الثرى ويقوم
خطيبهم فيبذل الناس ويدكرهم صرعة الموت وحسرة القوت فيسبك القوم ويشربون من
الخطاوي يكتفون الصدقات ويخرجون عن التبعات ويصلون على ذلك مذقة وقال وهب بن
منبه صعب رجل بعض الرهبان سبعة أيام ليستفيد منه شيأ فوجدته غولا عنه به كراهه تعالى
والفكر لا يقرم التفت اليه في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا رأس
كل خطيئة والزهد في الدنيا رأس كل خير والتوفيق نتاج كل خير فاحذر رأس كل خطيئة
وارغب في رأس كل خير وتضرع الي ربك أن يهب لك نتاج كل خير قال فكيف أعرف ذلك
قال كان جدى رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة أسماء فسمها بالماء الملح يغرو ولا يروى
ويضرو ولا ينفع وبسحاب المسيف يغرو ولا يتقع وبظل الغمام يغرو ويضدل وبزهر الربيع
يخضر ثم يصفر قراء هشما وباحلام النائم يرى السرو وفي منامه فاذا استيقظ لم يكن في يده الا
الحسرة وبالعسل المشوب بالسلم الذعاف يغرو ويقتل فتدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة
ثم زدت حرفا واحدا فسميتها بالقول التي تهلمن أجابها وتتركن أعرض عنها فأتيت جدى
في التلم وقال يا بنى أشهد الخلق وأنا منك هي والله القول التي تهلمن أجابها وتتركن
أعرض عنها قلت فباي شيء يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعين والعين
بالتفكير ثم وقف الراهب وقال خذ هاما فلا أر الخلق الامتجدا فجعل دون قول فكان ذلك
آخر العهد به قلت وقد وصف الله تعالى الدنيا وأهلها بصفة أعظم من هذه الصفة فقال سبحانه
اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم ومكاثرة في الاموال والاولاد كمثل

غبت أعجب الكفار بانه ثم بهج قترامصقرا ثم يكون خطا ما وفي الاخرة عذاب شديد
والكفار هم هذا الزرع كان الزرع يكون في أول بناة أخضر ناعما اهتزت الارض به بعد يسها
فخامت في العيون كالمخ ما يكون ثم بهج قترامصقرا أي يكبر ويستوى فيجف ويحترق ويتكسر
أعلاه ويستقل بسنبله ثم يداس فيكون خطا ما أي تنسأ متكسرا متقطعا وهذا مثل ضربه الله
لبني آدم اذ كانوا أطفالا أول الولادة وفي حال الطفولة كاحسن من أي يعجبون الا بام يقشون
ذوي الاحلام والنهي ثم يكبرون فيصرون شيونا منكسة رؤسهم مقوسة ظهورهم قد ذهب
حسنهم ونعمتهم وفي شبابهم ورجالهم وذوت عضادتهم وفشارتهم واستولى عليهم الهرم
والشيب ثم يموتون فيصرون خطا ما في القبور كالتين في الحريق هذا بعد ما وصفا بها بخمس صفات
مذمومة لعب ولهو وزينة وقفا وركاثر وكان الصدرا الاول يسمى الدنيا خنزيرة ولو وجدوا
اسما أقبح منه لسجوها به وكانوا يسمونها أم ذفر والذفر التين وقال مالك بن انس بلغني أن ملكا
من ملوك بني اسرائيل ركب يوما في زى عظيم ففشرت له الناس ينظرون اليه أفواجا حتى مر
برجل يعمل شيا مكا عليه لم يلتفت اليه ولا رفع رأسه اليه فوقف الملك عليه وقال كل الناس
ينظرون الى الا أنت فقال الرجل اني رأيت ملكا مثلك وكان على هذه القرية فغاث هو ومساكين
فدفن الى جنبه في يوم واحد وكان يعرفهما في الدنيا باجسادهما ثم كان يعرفهما بآبائهما ثم نسفت
الريح قبريهما وكشفت عنهما فما خلطت عظماهما فلم أعرف الملك من المسكين فذلك أقبلت
على وعلى وتركت النظر اليك وروى أن داود عليه السلام يمشي في الجبال اذ وافي على
غار فاذا فيه رجل عظيم الخلق من بني آدم واذا عند رأسه حجر مكتوب بكاتب محفوف فيه أنا رسم
الملك ملكت ألف عام وقضت ألف مدينة وهزمت ألف جيش واقتربت ألف بكر من بنات الملوك
ثم صرت الى ما ترى فصار التراب فراشي والجارية وما دى فن رأيت فلا تقهره الدنيا كما غرتني وقال
وهب بن منبه خرج عيسى بن مريم عليه السلام ذات يوم مع جماعة من أصحابه فلما ارتفع النهار
مروا بزرع قد أمكن من القرية فقالوا يا بني الله اناجياع فابوحي الله العآن اثنان لهم في اقواتهم
فاذن لهم قفروا في الزرع يفركون ويأكلون فينأهم كذلك اذ جاء صاحب الزرع وهو يقول
زرعي وأرضي ورثته عن آباء ياذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه فبعث الله تعالى
جميع من ملك تلك الارض من لدن آدم الى ساعته فاذا عند كل سنبله أو ماشاء الله رجل أو
امرأة كلهم تادون زرعي وأرضي ورثته عن آباء يفرعون الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى
عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا رسول الله اني لم أعرفك زرعي وما لي لك
حلال فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم قد ورثوا هذه الارض وجرروها ثم
اوتوها واعنوا وأتت من تحل عنهم اوبهم لاحق ليس لك ارض ولا مال وقال أبو العاتية

وعظمت أجدان صحت • وفعلك أزمته نحت

وتكلمت عن أوجه • تبلى وعن صور سبت

وانت قبرك في القبور • ر وأنت حي لم تمت

• يا شامنا بمنيتي • ان النية لم تمت

ولربما اتقلب السما • تدخل بالقوم النعت

هو أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رأى طائفة رضي الله عنهم سجدوا بشو بها بكى حتى
 سقط له ثم قال

لكل اجتماع من خيلين فرقة • وإن الذي دون الممات قليل
 أرى علل الدنيا على كثرة • وصاحبها حتى الممات قليل
 وإن اقتضى واحد بعد واحد • دليل على أن لا يدوم خليل
 وقال

ألا أيها الموت الذي ليس تاركى • أرحنى فقد أنقبت كل خليل
 أرا لك يسيرا بالذين أحسهم • كأنك تعرف غمهم بدليل
 ولما قضى يده من تراها تغفل بقول بعض بني أمية
 أقول وقد فاضت دموعي حسرة • أرى الأرض تبقى والاخلأ تذهب
 أخلاي لو غير الحمام أصابكم • عتبت ولكن ما عدل الموت معتب
 وقال العنابي قتل للقرقدين والليل ملق • سودا كآفه على الآفاق
 ابقيا ما بقيت فاسري • بين تضيق كما يسهم القراق
 غرم من ظن أن غرقت المنايا • وعرا حاقلا في الاضاق
 كم مضيين متعابا اجتماع • ثم صاروا لغربة واقتراق
 لا يدوم البقاء للخلق لكن دوام البقاء للعلاق
 وأنشدني بعض الأدباء

أسعداني يا غناتي حلوان • وأرثيالي من ريب هذا الزمان
 ولعمري لو ذقت لسرق القبر • قة ابكا كما الذي أبكاني
 واعلم ان بقيقا ان نحسا • سوف ياتي بك فتفتقر فان
 ولما سافر الرشيد الى طوس وعرف في طريقه من حراسه فقال له الطبيب لا يبرك الا بجار النخل
 وكان نزولهم في قرية من هاتين الخليقتين فامر بقطع بجار أحسن الخليقتين فلبس مثل يديه أنشده
 بعض البلهاء هذه الايات لبعض الشعراء في هاتين الخليقتين فقال الرشيد لو سمعتهما ما أمرت
 بقطعهما ولما مات الاسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حر ككتابك كونك وقال بعض
 الحكماء من أصحابه مكان الملك أس انطق منه اليوم وهو اليوم أو عظم منه أمس فنظمه
 أبو العتاهية فقال

صكتني حوزة فنتك ثم أتى • ففقت تراب قبرك من ديا
 وكانت من حياتك على عظام • فانت اليوم أو عظمتك حيا
 ووجدتمك وباعلي قبر قهر نسين قهرنا قهرنا لناظرين عبرة (وقال عبد الله بن المعتز)
 نسبر الى الأجل في كل ساعة • وأيامنا تطوى ونحن مراحل
 ولم ارمش الموت حيا كأنه • اذ ما غنطشه الاماني باطل
 وما أقمم القبر في زمن العبا • فكيف به والشيب في الرأس شاعل
 ترحل من الدنيا براحمي التقى • فعمس موكبنا بعد قلائل

ولم يدخل أبو الدرداء الشام قال يا أهل الشام اسمعوا قول أخكم ناصح فاجتمعوا عليه فقال مالي
أراكم تبنون ما لا تسكنون وتصنعون ما لا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا أو أملاوا
بسيما وجعوا كثيرا فاصبح ألمهم فمروا وجعهم وورا همسا بينهم قبورهم وروى الخاقاني
قال وجدته مكتوبا في حجر ابن آدم لورا متيسير ما لي من أجلك لرحمتك في طول ما ترجو من أمك
ولرغبتي في الزيادة من عمك ولتصرت عن حرصك وحيلك وانما بقا لك غذا دمك لو قد زلت
بك قدمك وأسلك أهلك وحشك ونبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا تمت في
عمك زائد ولا لي أهلك عائد وقال مالك بن أنس يلقى ان امرأتين أتتا يحيى عليه السلام
فقال لهما روح الله ادع الله لئان يخرج لنا يا فاته هلك ونحن غائبتان عنه قال تعرفان قبره
فقالتا نعم فذهب معهما فأتيا قبره فالتا هذا هو فدعا الله فخرج لهما فاذا هو ليس به فدعا فخرج
دلالة على قبر آخر فدعا أن يخرج فخرج فاذا هو فزناؤه وسلبنا عليه ثم فالتا يحيى الله يا معلم الخير
ادع الله أن يبقيه معنا فقال وكيف أدعوه فلم يبق له رزق يعيش به ثم رده وانصرف وانشدني

بعض الأدباء وأسنى من فراق قوم • هم المصاحب والحصون
والمنز والمدن والروابي • والخير والامن والسكون
لم تغيبنا الليالي • حتى نوقعهم المتون
فكل جسر لنا قلوب • وكل ما لنا عيون

(وروى) ان النعمان بن المنذر خرج منسيدا ومعه عدي بن زيد فمروا بشجرة فقال عدي بن زيد
أيها الملك أتدري ما تقول هذه الشجرة قال لا قال انها تقول

من رأنا فليحدث نفسه • انموف على قرب سؤال
وصروف الدهر لا يبق لها • ولما تأتي به صم الجبال
وبركب قد فاضوا حولنا • بشرون الخير بالماء الزلال
همروا الدهر بعيش حسن • آتني دهرهم غير عيال
عصف الدهر بهم فاقترضوا • وكذلك الدهر حال بعد حال

قال ثم جاوزوا الشجرة فمروا بقبرة فقال له عدي أيها الملك أتدري ما تقول هذه القبرة قال لا قال

انها تقول أيها الركب المقبونا • على الارض الجفونا
كأنتم هكذا كنا • كما نحن نكونوا

فقال النعمان قد علمت أن الشجرة والقبرة لا يتكلمان وقد علمت انك انما أردت تعطيني خبرا قال الله
عني خيرا لما السبل الذي تدور به النجاة قال تدع عبادة الاوثان وتعبد الله وحده قال في هذه
النجاة قال نعم فترك عبادة الاوثان وتنصر ومنذ أخذ في العبادة والاحقاد (وقال) عبد الله بن
المعلم خرجنا من المدينة بمجاها فلما كنا بالروية تزلنا فوق بنا رجل عليه ثياب وثة ليس له منظر
وهيئة فقال من يبغ خادما من يبغ ساقيا فقلت دونك هذه القرية فاخذها فاطلق فلم يلبث
الا بيرا حتى أقبل وقد امتلأت أتوا به طينا فوضعهما كالسرور ايضا حلت ثم قال لكم خبر هذا
قلنا لا أو طعمناه قرصا باردا فآخذنا وحده الله تعالى وشكره ثم اعتزل وقعدنا كاهة كل جاثع
فادر كنى عليه الرأفة فقامت اليه بطعام طيب كثير فقلت له قد علمت أنه لم يبق منك القرص عروق

فذلك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال يا عبدا لله انما هي فورية جوع فما بالي باي شيء
 رددتها فخرجت عنه فقال لي رجل الى جني اتعرفه قلت لا قال انه من بني هاشم من ولد العباس
 ابن عبد المطلب كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها فتقدم فاعرفه له أثر ولا وقته على خبر
 فاجبت قوله ثم اجتمعت به وانسته وقلت له هل لك ان تعاد لي فان معي فضلا من راحتي فجزاني
 خيرا وقال لو اردت هذا المكان لي معدا ثم انس الى فجعل يحذني فقال انارجل من ولد العباس
 كنت اسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ واني امرت خادما لي ان تحسوف راشي من
 حري ومخدة يوردني ففعلت واني لست اذ ايقع وردة قد اغفلته الخادم فسمت اليها فاجتمعها
 ضرياءم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمقم من المخدة فاناني ات في منامي في صورة قطعة
 فنهزني وقال اتق من غشيتك ابصر من حيرتك ثم انشأ يقول

ياخذ انك ان توسد لنا * وسدت بعد الموت صم الجندل

فامهد لنفسك صالحا تسعديه * فلتسمن غدا اذا لم تقبل

فاتبعت فزعان فخرجت من سعاتي هاويا الى ربي (وقال) عبدا الواحد بن زيد كرتي ان في جواب
 الابله جارية مجنونه تنطق بالحكمة فلم ازل اطلبها حتى وجدتني في سراية شالسة على حجر وعليها
 جبة صوف وهي محاولة الرأس فلما نظرت الى قالت من غير ان اكلمها امر حبايك يا عبدا الواحد
 فقلت لها ارحب الله بك وعجبت من معرفتي ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي جاء بك ههنا
 فقلت بحثت لعلني فقات واجهباء لواء عظم ثم قالت يا عبدا الواحد اعلم ان العبد اذا كان
 في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد فظل حيرانا والهاقا كان له نصيب عند الله
 عاتبه وحيا في سره فقال عبيدي اردت ان ارفع قدرك عند ملائكتي وسجله عرشى واجعلك
 لالا ولباني واهل طاعتي في ارضي قلت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتني فورتك
 بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والقرب بعد الغنى عبيدي ارجع الى ما كنت
 عليه ارجع لك ما كنت تعرفه من نفسك ثم تركتني وولت عني وانصرفت عنها وقبلتي حسرة
 منها وانشدوا

انك في دار لها مسدة * يقبل فيها حمل العامل

أما ترى الموت محيطا بها * يقطع فيها أمل الآمل

تجمل الذئب بما تشتهي * وتامل التوبة من قابل

والموت يأتي بعدد اغفلة * ماذا جعل الخازم العاقل

ولما نزل سعد بن ابى وقاص الحيرة قيل له ههنا عجوز من بنات الملوكة يقال لها الحرة بنت
 النعمان بن المنذر وكانت من اجل قبائل العرب وكانت اذا خرجت الى بيعتها نشرت عليها ألف
 قطعة حرير وديباغ ومعها ألف وصيف ووصيفة فانزل اليها سعد فجات كالشن البالي
 فقالت يا سعد كالمولك هذا المصريفك يحمل البناء راحه ويطيعنا اهل مدة من المدد
 حتى صاح بنا صائح الدهر فشت شملنا والهدر ذواب وصراف فلورا تنافي ايامنا لا رعدت
 فرائسك فزعانما فقال لها سعد ما نتم ما تمنع به قالت سعة الدنيا سلعينا وكثرة الاموات اذا
 دعوا ثم انشأت تقول

وينا نوس الناس والامر أمرنا اذ نحن فيهم سوقه ليس تصف
 قبا لدينا لا يدوم بعينها * تقلب تارات بنا وتصرف
 ثم قالت يا سعد انه لم يكن اهل يتخير الا والاهم يعقبهم غير حتى يأتي امر الله على القرين
 فاكرمها سعد وامر بردها فلما ارادت القيام قالت يا سعد لا ازال الله عنك نعمة ولا جعل لك
 الى ثيب حاجة ولا ازال عن كريم نعمة ولا ازال عن عبد صالح نعمة الا جعل الله عيلا الى
 ردها عليه ولبعضهم

ثم قالت يا سعد انه لم يكن اهل بيت خير الا والدهم يعقبهم غير مستحقى يا ابا امرئ القيس
فاكرمها سعد وامر بردها فلما اودت القيام قالت يا سعد لا ازال الله عندك نعمة ولا جعل لك
الى ثلثم حاجة ولا ازال عن كريم نعمة ولا ازال عن عبد صالح نعمة الا جعل الله قهقري الى
ردعاعله ولبعضهم

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبور سكنه والبعث مخزجه
 واه بين جنات سنجسه * يوم القيامة اونا يستفجبه
 فكل شئ سوى التقوى به سمج * وما اقام عليه منه اسجه
 ترى الذي اتخذ الفساة وطنا * لهدر أن المنايا سوف ترزه

(وروى) ان عيسى عليه السلام كان مع ما سبب في سيجان فاصابها الجورع وقد اتفها الى قرية فقال عيسى لصاحبه اطلق فاطلب لنا طعام من هذه القرية وقام عيسى يصلي فجاء الرجل بثلاثة اربعة فاطبأ عليه انصراف عيسى فا كل رغيفا فانصرف عيسى فقال ابن الرغيف الثالث فقال ما كانا الا رغبين قال فقال ا على وجوههما حتى مارتا بلبا وترعى فندما عيسى عليه السلام طليا منها فذ كاه فا كلامه ثم قال عيسى عليه السلام للظبي قم يا ذن الله فاذا هو يشتد فقال الرجل سيجان الله فقال عيسى بالذي اراد هذه الآية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين قال فغضبا على وجوههما فزبهر عجاج عظيم فاخذ عيسى عليه السلام بيده فغشى به على الما حتى جاوز الماء فقال الرجل سيجان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي اراد هذه الآية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين فخر جاحتي أتيما قرية عظيمة خربة واذا قرب منها البع ثلاث من ذهب فقال الرجل هذا مال فقال عليه السلام أجل هذا مال واحد فني وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف فقال أنا صاحب الرغيف فقال عليه السلام هي لك كلها ففارقهما فاقام عليهما يس معه ما يحملها عليه فز به ثلاثة نفر فقتلوا واخذوا اللبن فقال اثنان منهم لواحد اطلق الى القرية فأتنا بطعام فذهب فقال احد الباقيين تعال فقتل هذا اذا جاء وقسم هذا ايضا قال الآخر نعم وقال الذي ذهب يشتري الطعام اجعل في الطعام سهما فاقتلها واخذ اللبن ففعل فلما جاء قتله وا كلام الطعام الذي جاء به مما فخر بهم عيسى عليه السلام وهم حولها منصورين فقال هكذا تفعل الدنيا باهاها (وقال عبد الملك) بن حمير رأيت في هذا القصر عجبا رأيت رأس الحسين على فوبين مصبوعين بين يدي ابن زياد ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدي المصعب بن الزبير ثم رأيت رأس المصعب بن الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان (وقال الاصمعي) لما تزحف الرشيد بجباله وتحترم فيها وزوقها وضع فيها باعاما كثيرا ارسل الى ابى النباهية وقال صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذا الدنيا فقال عن ما بدا لك سالما * في ظل شاهقة القصور يسى عليك بما اشتيت ادى الروح وفي البكور واذا النفوس تقعت * في ضيق حشرة الصدور

فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا في غرور

فبكى هرون فقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فاحسبه فقال هرون دعه فانه
راى ضلالتة وهى فكره أن يزيد داعى (ويروى) ان سليمان بن عبد الملك ابس أنخريابه ومس
أطبل طيه وقطر فى مرآته فأجهته نفسه وقال أنا الملك الشاب وخرج الى الجمعة وقال
لبشاريته كيف تزين فقالت

أنت نعم المتاع لو كنت تبق * غير أن لابقاء للانسان

ليس فيمليد التاملك عيب * عابه الناس غير أنك فاني

فاعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجد فركبته الحى فلم يزل صوته
يقص حتى ماسعه من حوله فمسلى ورجع بين اثنين يصحب رجله فلما صار على فراشه قال
للبشارية ما الذى قلت لى فى صحن الدار قالت ما رأيتك ولا قلت شيأ وأتى لى بالخروج الى صحن
الدار فقال انا لله وانا اليه راجعون فبعث الى نفسه ثم عهد عهده وأوصى وصيته فلم تدرو عليه
الجمعة الاخرى الا وهو فى قبره (ووجد) مكتوب على قصر سيف بن ذى رزن

من كان لا يطأ التراب برجله * وطئ التراب بناعم الخلد

من كان ينسك فى التراب وبينه * شبران كان بغاية البعد

لوبةئرت للناس أطباى القرى * لم يعرف المولى من العبد

(وقال الهيثم بن عدى) وجدوا غارافى جبل لبنان زمان الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى
على سرير من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالرؤية أناسبأ بن ثواس بن سببا
خدمت عيصون بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الديان الملك الاعكبر وعشت بعده همرا
طويلا ورأيت بها كثيرا ولم أرفقها رايأت أعجب من خافل عن الموت وهو يرى مصارع
آبائه ويقف على قبر أحبابه ويعلم انه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجل لا الهاء
سبيل لوفى عن سريرى ويقولونه وذلك حين يتغير الزمان وتتأمر الصبيان ويكثر الحدثنان
غن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا (ويروى) ان الاسكندر مر عيشة قدملكها
أملأه سبعة يادوا فقال هل بقى من نسل الاملاك الذين ملكوا هذه المدينة أحد قالوا رجل
يكون فى المقابر فدعا به وقاله مادعاك الى زوم المقابر قال أردت أن أعزل عظام الملوك من
عظام عبيدهم فوجدت ذلك سواء قال فهل لك أن تتبعنى فأحبي بك شرف آباءك ان كانت لك
همة قال ان همتى لعظيمة ان كانت ببقى عندك قال وما ببقيتك قال حياة لاموت فيها وشباب
لا هم قبه وغنى لا يتبعه فقر وسرور لا يصتره مكروه قال ما أقدر على هذا قال فانفذ
إلىك وخلقى أطلب بغيرتى عن هى فسله فقال الاسكندر هذا احكم من رأيت (ويروى)
فى الاسرائيليات ان عيسى بن مريم عليه السلام بينما هو فى بعض سياحته انتمر بجحمة فخره
فامر لها أن تسلكم فقالت ياروح الله أنا باوام بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة وولدت
ألف ذكر واقضت ألف بكر وهزمت ألف عسكر وقتل ألف جبار واقضت ألف مدينة
فى رأتى فلا يغتر بالدينا كما غترتى فما كانت الا كلم نائم فبكى عيسى عليه السلام (ووجد)
مكتوب على قصر عيص بعض الملوك وقد بادأه وأقترت سياحته

هذي منازل أقوام عهدتهم • يوفون بالعهد مذ كانوا بالذم
تبكي عليهم ديار كان يطربها • ترمي الجسد بين الحلم والكرم
(وقال) عبد الله بن أبي نوح نزل من العرب شعبا من شعب اليمن فتناخروا فيه واختلقوا
واستعدوا للقتال فإذا صائح يصيح بأهلها على رسلهم سلام القتال في فوائقه لقد ملكني
سبعون أعور كلهم اسمه عمرو

• (فصل) • أيها الرجل اعتبر بمن مضى من الملوكة والاقبال وخلص من الامم والاجيال
وكيف بسطت لهم الدنيا وأنست لهم الآجال وانفسح لهم في المني والآمال وأمدوا بالآلات
والعدد والاموال كيف طعنهم بكل كلة المنون واخذتهم بزخرفه الدهر الخون وأسكنوا
بعدمعة القصور بين الجنادل والصور وبماد العين أثرا والمث خيرا فاما اليوم فقد ذهب
صفوا الزمان وبقي كدره فالوت اليوم تحفة لكل مسلم كأن الخبر أصبح خاملا والشر أصبح
ناظرا وكأن النجى أصبح ضاحكا والرشيد بيا كيا وكأن العدل أصبح غائرا وأصبح الجور
عاليا وكأن العقل أصبح مدفونا والجهل منشورا وكأن اللوم أصبح باسقا والكرم
خائيا وكأن الوذا أصبح مقطوعا والبغضاء موصولة وكأن الكرامة قد سلبت من الصالحين
وتوحيها الاشرار وكأن الخب أصبح مستيقظا والوفاء نائما وكأن الكذب أصبح ممترا
والصدق ما حسلا وكأن الاشرار أصبحوا يسامون السماء وأصبح الاخيار يردون بطن
الارض أما ترى الدنيا تقبل اقبال الطالب وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملول وتفارق
فراق العيول تخبرها يسير وعيشها قصير واقبالها خديعة وادبارها الجيفة ولذا انها فانية
وتبعاتها باقية فاختتم فتوة الزمان وانتهز فرصة الامكان وخضع نفسك لنفسك وزود
من يملك لنفسك ولا تنافس أهل الدنيا في خفض عيشهم ولين رياشهم ولكن انظر الى سيرة
ظلمهم وسوء منقلبهم قال الشاعر

رب مفروص بعاشبه • عدته عين مفترسه
وكذلك الدهر مأتمه • أقرب الاشياء من عيره

وقد قال التائي

تنافس في الدنيا غرورا وانما • قصارى غناها أن نؤل الى الفقر
وانالى الدنيا كرسفينة • تظن وقوف الزمان بها يجري

ولبعض الشعراء

تروح لك الدنيا بغير الذي غدت • وتحدث من بعد الامور امور
وتجسرى الليالي باجتماع وفرقة • وتقطع فيها أنجم وتقوم
فمن ظن أن الدهر باق سروره • فذلك محال لا يدوم سرور
عفا الله عن صبر الهم واحدا • وأيقن ان الدوائر تدور

(وقال وهب بن منبه) قرأت في كتب بعض الابياء عليهم السلام أن المسيح اجتاز بجميعة هائلة
عظيمة شجرة فقال له اصحابه يا روح الله لو سألت الله تعالى أن يستطلق هذه الجمعة فغسي ثيابنا
بما رأته من الجباب ففعل فانطقها الله تعالى فقالت يا روح الله اني عشت ألف سنة

واستلذت الفذكر واتخذت الفدينة وهزمت ألف جيش وقتلت ألف جبار وصحبت
الدمر واختبرتة وامتنعت ثقلبه وانقلابه فلم أرشعاً أشد من طالع بل أمر صالح ولم أجد
لهما الدهر شيئاً أتقنع من الصدور ومسالمة أهله ولم أر هلاكاً أهله إلا في الحرس والطمع
ووجدت الذي الرضا بالقصيم (وقال محمد) بن أبي العتاهية أخبرني قاله أبي في مرضه الذي
توفي فيه رحمه الله

الهي لا تعذبني فاني * مقسراً بالذي قد كان مني
فاني حيلة الارباني * وطفولان صفوت وحسن ظني
وكم من زلة لي في البرايا * وأنت علي ذو فضل ومن
إذا فكرت في قدسي عليها * عضضت أنا ملي وقرعت سني
أجن بزهر الدنيا جنونا * وأقناع طول عسري بالقي
وبين يدي ميقات عظيم * ككأنني قد دعبت له كاني
ولو أني صدقت الله فيها * قلبت لأهلها ظهراً والجنت

(وقال ابن عباس) لما ورد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف قس بن
ساعدة قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال رجل لست أنساه بكاً ظلي على جبل أحر وهو يخطب
الناس ويقول أيها الناس اجتمعوا فإذا اجتمعتم فاصنعوا فإذا اجتمعتم ففعلوا فإذا
قادتكم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فأت وكل ما هوات أت إن في السماء نذيراً وإن
في الأرض لخبيراً ما هم موضع وسقف مرفوع ونجوم غور وبحر لا يغور أقسم قس قسم
حق لا كذب فيه ولا أثم لأن كان في الأرض رضا ليكون منيعاً أن قد دينا هو أحب
إليه من دينكم هذا الذي أتم عليه ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام
فما صرا أو تركوا على خالهم فناموا ثم قال أيكم يروى شعره فأنشدوه

في الذهابين الأتليين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مسواردا * للموت ليس لها مصدر
ورأيت قومي شحوها * تنضي الأماغر والأكاب
لا يرجع الماضي اليك ولا من الباقي غابر
سكنوا البيوت فوطنوا * إن البيوت هي المقابر
أيقنت أني لا محاة * لا حيث صار القوم صائر

ثم قال الرجل لقد رأيت منه عجايباً فتمت وادياً فإذا أنا بعين جارية نور وضة مدهامة وشجرة
عادية وإذا بقس بن ساعدة قاعد على أصل الشجرة وسيد قضيب وقد ورد على العين سبع
كثيراً فكلما ورد سبع على صاحبه ضربه بالعصا وقال تنح حتى يشرب الذي ورد قبلك فلما
رأيت ذلك خرفت ذعراً شديداً فالتفت إلى وقال لا تنح فالتفت فإذا بعين من ينهمر ماء مسجد
فقلت ما هذا إن القبران قال هما قبري أخوي كأنما بعد أن الله تعالى معي في هذا الموضع وأنا
أعبد الله ينهمر ما حتى ألحقهما فقلت له ألا تطوق يقومك فتكون في جبرتهم فقال لي شكلتك
أملك إلا ما علمت أن ولداً سمعيل تركت دين أبيهما واتبع الأصنام وعظمت الأنداد ثم تركني

وأقبل على القبرين وقال

خليلي هبا طالما قدر قلنا * أجد كما ما قضيان كرا كما
أرى النوم بين الجلد والعظم منك * كأن الذي يسقى العثار سقا كما
ألم تعلم أني بسبعان مفرد * ومالي فيه من خليل سوا كما
مقيم على قبريكما لست نازحا * طوال اللبالي أو يجيب صدا كما
أأبكيكما طول الحياة وما الذي * يرد على ذي غصة أن بكما
هكأنكما والموت أقرب غاية * بروحي في قبريكما قد أنا كما
سلام وتسليم وروح ورحمة * ومغفرة المولى على ساكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية * بلدت بنفسي أن تكون ندا كما

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن نفس بن ساعدة يبعث أمة وحده يعني أن
كل أمة أنت منها تبعث أمة وحدها لا يحاط لها غيرها ويبعث نفس أيضا وحده أمة ليس معه
أحد (ويروي) أن المهدي نام يوما فأنشد في نومه هذه الايات

كأنني بهذا القصر قد بادأه * وأوحش منه ركنه ومنازه
فلم يبق الا ذكره وحديشه * ينادي بليل معولات نواكله

فأثقت عليه عشرة عشرة حتى مات (وأشددني) القاضي أبو العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة
هذه الايات

بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان يعمر بالذات والطوب
طارت عقاب المنايا في جوانبه * فصاح من بعده بالويل والحرب
وأشددني أيضا

أيها الرافع البناء رويدا * إن تزدود المترون عنك المباني
ان هذا البناء يبق ويغنى * كل شيء أبقى من الانسان

(وقال الحكم بن عمرو) قال أبو جعفر المصور عند موته اللهم ان كنت تعلم أني ارتكبت
الامور العظام جوارفتني عليك فأنك تعلم أني قد أظعتك في أحب الاشياء اليك شهادة أن لا اله الا الله
فما منك لا مناع عليك * وهكذا سبب احرام من الخضراء أنه كان يوما فأنما قائما
أت في منامه فقال

كأنني بهذا القصر قد بادأه * وأوحش منه أهله ومنازه
وصار عمدا القصر من بعد بهجة * الى تربة تسقى عليه جناذه

فاستيقظ مرعوبا ثم نام فأنشد

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لا بد واقع
فهل كلن أعدده ومنجيم * أبا جعفر عنك المنية دفاع

فقال يا رب اتني بطهوري فقام واعتسل ولبي وتجهز للبعث ثم قال يا رب اتني في حرم الله
تعالى (وأشددني) القاضي أبو العباس الجرجاني بالبصرة

ان كنت تسعوا الى الدنيا وزينتها * فانظر الى ملك الاملاك فارون

زَمَّ الامور فاقطعه مقادتها * وحضر الناس بالتشديد واللين
حتى اذا ظن أن لا شيء غالبه * ومكنت قد ما هـ أى ~~تتوكل~~
راحت عليه المتأبى ورحمة تركت * ذا الملك والعز تحت الماء والطين

وأنت لى أبو محمد التميمي يقداد

لمن أبى لمن أسم المطايا * لمن استألف الشيء الجديدا
اذا ما صار اخوانى وفاتا * وصرت لفقدهم فردا وحيدا
أعين معشرا لهم شكول * وأشكلى قد اعتقروا النعودا

(ومن زهد في الدنيا) وأبصر عيوبهم من أبناء الملوك أبو عقاب علوان بن الحسن من بني الاغلب
وهو مالوك المغرب وكان ذا نسمة وملك وله فتوة ظاهرة فتأبى اليه ويرجع من ذلك رجوعا
خارقا فظراء فرفض المال والاهل وهجر البناء والوطن وبلغ من العبادت مبلغا أربى فيه على
الجهنميين وعرف بأجابه الدعوة وكان عالما بدينا قد صعب عتقه من أصحاب صنون وسمع
منهم ثم انقطع الى بعض السواحل فصحب رجلا يكنى أبا هريرة الادلسى منقطعاً متبلاً الى الله
تعالى فلم ير منه كبراً اجتهد في العمل فبينما أبو عقاب يتجهدى بعض الليالى وأبو هريرة نائم
اذ غلبه النوم فقال لنفسه يا نفس هذا عبد جليل القدر ينال الليل كله وأنا أسهر الليل كله
فلو أرحمت نفسي فوضع جنبه لم أرى في منامه شخصاً قتلاً عليه أم حسب الذين اجتروحوا
السيفات أن يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخر الآية فامتنع فزعاً وعلم أنه
المراءى فيقتطأ بأهرون وقال له سألتك باقعه هل أنت كبرية قط قال لا يا ابن أخي ولا صغيرة عن
تعمد والحمد لله فقال أبو عقاب لهذا تمام أنت ولا يصلح لمثل الا الكد والاجتهاد ثم دخل الى مكة
ولزم بيت الله الحرام وسجى مراراً وأبى على عباد المشرق وكان يعمل بالقربى على ظهره بقوة
ومات بمكة وهو ساجد في صلاة القرية بالمسجد الحرام سنة ست وتسعين ومائتين وقال له
رجل كان يصعبه يومئذ الى الحاجة فقال له بعد الجهدى حاجتك مقضية قال ان كان الشهوة
أخبرني بها قال نعم أشتبهى أن أكل رأياً قال فاشتريت له رأسين ولقنته في رفاق وجنته بهما
ثم سأله بعد أيام هل طلبك الرأسان قال لا ما هو الا أن قصمت ما فاذا هما محشوران دودا ليس
فيهما الا التلطم الا الدود فأتيت الرأس فآخبرته فأطرق متجيباً ثم قال ما ظننت أن في زماننا أحدا
يحمي عن الحرام هذه الحماية تلك الرأس كانت من غم اتهم بها بعض العمال ثم أعطاني رأسين
من غير تلك الغم فأتيت بهما أبا عقاب فأكلهما فآخبرته بما قال الرأس فبكي ثم قال يا رب
ما كان يستحق عبدك أبو عقاب مثل هذه الحماية ولكنك يارب فضل وكرمك فلك على يارب
أن لا أكل طعاماً من شهوة أشتبهى حتى ألقاك ان شاء الله تعالى وكانت له أخت متعبدة فللمات
لحقته بقرية بمكة وبكى عليه وكتب عليه هذه الايات

ليت شعري ما الذى عاقبتك * بعد دوم الصوم مع نفي الروس
مع عزوف النفس عن أوطارها * والتخلي عن حبيب وسكن
يا شقيق ليس في وجدى به * علة تمنعني أن أجن
وكما تبلى وجوه في القرى * فكذا يبلى طين الحزن

(وروى) ان رجلين تنازعا في ارض فانطق الله قلبه من بعد ان تلك الارض فقالت اني كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا اتمسته ثم مت وصرت رميا ألف سنة فاحد في خراف واتخذ في خراف ثم أخذ في وضري لبنا وأقام في هذا الجدار كذا وكذا سنة فلم يتنازعا في هذه الارض (ومن اعجب) ما روى في الاسرائيليات ان ابنة من بنات الملوك ترهت في الدنيا وتاب وتخرجت من ملكها ففقدت فلم يسمع لها خبر ولا علم لها أثر وكان هناك دير للمتعبدین فلقق بهم شاب يتعبد فابصر وامس منه من الاجتهاد والجد في العمل وملازمة الاوراد ومواصلة الاعمال ما فاق به جميع من في الدير واقام على ذلك ما شاء الله تعالى الى ان اتقضت ايامه ورواه حمامه فقضى الفتى نحبه فخرن له اهل الدير من الزهاد والعباد والمتقنين وأذروا عليه المومع ثم أخذوا في غسله واذا هو امرأة فقصورا عن امره واذا هي بنت الملك فزادهم ذلك اعجابا به وتعظيما له ونشأ وروى امره ما يحدون له من الكرامة ثم اجعوا امرهم ان لا يدفوها تحت الترى وان يحملوها فوق اكنفهم فحملوها وكفوها وجهوها وصلوا عليها ثم ابلوا يصحونهم على الاكف والسواعد كلما ضجر واحد با واحد يحمل مع من يحمل وكل من اتقطع في الدير لعبادة ربه جعل يحمل معهم الى ان بليت وتقطعت وصلها مع طول الزمان فدفنت حينئذ رجة الله عليها (وكان) في بلاد الروم مما يلي ارض الاندلس رجل نصراني قد بلغ في الخل من الدنيا مبلغا عظيما واعتزل الخلق والتم قلل الجبال والسياسة في الارض الى الغاية القصوى فورد على المستعين بن هود في بعض الامر فاكرمه ابن هود ثم اخذ يده وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخزائن امواله وما حوته من البضائع والحجرات واجملها لياقوت والجواهر ومانها وقوائم الاعلاق والجوارى والحشم والاجناد والكرام والسلاح فاقاموا في ذلك اياما لما اتقضت قال له كيف رايت ملكي قال قد رايت ملكا ولكنه يعرفك فيه خصلة ان انت قدرت عليها فقيمها نظام ملكك وان لم تقدر عليها فهذا الملك لاشئ قال وما تلك الخصلة قال تعدد تصنع غطاء عظيما صينا قويا وتكون مساحته قدوا البلد ثم تكبه على البلد حتى لا يجد ملك الموت مدخلا اليك فقال المستعين سبحان الله ويقدر البشر على هذا فقال العلي يا هذا اتقصر بامر تترك غذا ومشاكل من يقتصر بما يقى كز يقتصر بما يرا في النوم (ويروى) ان ملكا من الملوك بنى قصرا وقال انظر وامر عاب منه شيئا فأصططوه وأعطوه درهمين تأناه وجعل فقال ان في هذا القصر عيين قال وما هما قال عيون الملك ويحرب القصر قال صدقت ثم اقبل على نفسه وترك الدنيا (ومن عجائب) اخبار الخضر عليه السلام قالوا سئل الخضر عليه السلام عن اعجب شيء رايت في الدنيا في طول سياحتك وكثرة خلواتك وقطعت القفار والقلوات قال اعجب ما رايت في مدينة على مرت على وجه الارض احسن منها فسألت بعضهم في بيت هذه المدينة قالوا سبحان الله ما يدرك آياؤها ولا اجدادنا في بيت هذه المدينة وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها نحو امان خمسمائة عام وعبرت عليها بعد ذلك واذا هي خاوية على عروشها ولم اراها احد أسأله واذا رعا غنم قدوت منهم فقلت أين المدينة التي كانت ههنا قالوا سبحان الله ما يدرك آياؤها ولا اجدادنا انه قط كانت ههنا مدينة فغبت عنها نحو امان خمسمائة عام ثم انتهت اليها فاذا موضع تلك المدينة بجر واذا غواصون

يخرجون منه شبه الخلية فقلت لبعض القواصين منذ كم كان هذا البحر ههنا فقال سبحان الله ما رآنا ولا أجدنا الا ان هذا البحر منذ بعث الله الطوفان ثم غبت عنها نفوسنا من خمسة ايام ثم انتهت اليها واذا ذلك البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيصة ملتفة بالقصب والبرقي والسياع واذا اصيادون يصيدون السمك في زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذي كان ههنا فقال سبحان الله ما يدركنا ولا أجدنا انه ههنا قطع البحر فغبت عنها نفوسنا من خمسة ايام ثم أتيت الى ذلك المكان فاذا هو مدينة على حاله الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيصة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله ما يدرك احد الا ان هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان فغبت عنها نفوسنا من خمسة ايام ثم انتهت اليها فاذا على اسافلها وهي تدخن بخان شديد فلم ار احدا أسأله ثم رأيت رابعا فسألته اين المدينة التي كانت ههنا ومتى حدث هذا الغمان فقال سبحان الله ما يدركنا ولا أجدنا الا ان هذا الموضع كان هكذا منذ كان فهذا العجب شئ رأيته في سياحتي في الدنيا فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الارض ومن عليها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (قال الشاعر)

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقتت بها أسائل محبها * عن اهلها او ناطقا او مشفعا
فاجابني داعي الهوى في رومها * فارقت من تهوى فعز الملتقى

(ومن الشعر) المستحسن في هذه الايات قول القائل

رب ورفاه متوفى بالضى * ذات شجوة صحت في قنن
ذكرت إلقا ودعرا صالحا * فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكائي ربما أرتقا * وبكائها ربما أرتقي
فاذا تسعدني أسعدها * واذا اسعدها تسعدني
ولقد تشكرنا افهمها * ولقد اشكو فها تفهمني
غير أنني بالجوى أعرفها * وهي ايضا بالجوى تعرفني

(ونظري) رجل من العباد الى باب ملك من الملوك وقد شيد وأقننه وزقته فقال باب حديد وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد (ولما نقل) عبد الملك بن مروان رأى غسالا يلوى يده فوبا فقال وحدثني كنت غسالا لا اعيش الا بما اكسبه يوما فبما قبائح ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم يتنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتحن عندنا منهم فيه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن علم لا تشبع وقب لا يشبع وعين لا تدمع هل يتوقع أحدكم من الدنيا الا غنى مطلقا أو فقر مفسدا أو هزما مقندا أو البجال والرجال شر غائب يظفر أو الساعة والساعة أدهى وأمر (وقال) عيسى عليه السلام ارجعوا الى الدنيا من خدمتي فاعلموا اني قد خدمتكم فاستخدموا يا دنيا تترى على اوليائي ولا تحلوي لهم فقتلتهم (وقال) مؤرق الجلي يا ابن آدم في كل يوم يوتى برزقك وتحزن ويقتصر عزك وانت لا تحزن تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك لا بقليل تقنع

ولا بكثير تشبع (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم في حبيبته ايها الناس ان الايام تطوى والاعمار تقضى والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يترا كضان ترا كض البرد يقران كل بعيد ويخلفان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات وورغب في الباقيات الصالحات (وقال) بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبه مشربا ازداد عطشا وكالكاس من العسل في اسفله السم للذائق منه حلاوة عاجلة وله في اسفله الموت الذعاف وكالاحلام للثائم التي تفرحه في منامه فاذا استيقظ انقطع الفرح وكالبرق الذي يضي قفلا ويذهب وشيكا ويبقى رائسه في الظلام مقيما وكدودة الابرسم التي لا يرداد الابرسم على نفسه الفا الا ازدادت من الخروج بعدا (وفيه قال القائل)

كدود كدود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو راسحه

ومثال من يستعمل زهرة الدنيا ويعرض عن الادار الاخرة مثل رجلين لقطان من الارض حبي عنب فاما أحدهما فجعل يمس الحبة التذاذ اياها ثم يلعها وأما الآخر فزرع الحبة فلما كان بعد زمان التقيا فاما الذي زرع الحبة وجدها قد صارت كرمًا وكثرت ثمرته وفكر الآخر في صنعق الحبة فوجدها قد صارت عذرة وليس عنده منها شيء الا الحسرة على تقريطه والغبطة لصاحبه (وقال) وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى نبي من أنبياء بني اسرائيل ان أردت ان تسكن معي في حضرة القدس فكن في الدنيا وحيدا فريدًا ساهموا وحشيا بمنزلة الطير الوحداى الذي يظل في الارض القلاء ويأكل من رؤس النجر ويشرب من ماء العيون فاذا كان الليل أوى وحده ولم يأو مع الطير استنسا به (وبعضهم)

كم للسوائد من صروف عذاب * ونواب مرصولة بنو نواب

ولقد تقطع من شبابك واقضى * مالت أعلمه اليك يا ب

تبغى من الدنيا الكثير وانما * يكفيلك منها مثل زاد الراكب

(وقال مالك بن أنس) بلغني ان عيسى عليه السلام انتهى الى قرية قد خربت حصونها وحقت أنهارها وتشعت شجرها فنادى يا خراب أين أهلك فلم يجبه أحد ثم نادى يا خراب أين أهلك فلم يجبه أحد فنودى عيسى بن مريم بادوا وتضنتهم الارض وعادت أعمالهم فلا تد في أعناقهم الى يوم القيامة فبكى عيسى عليه السلام (قال مالك) سئلت امرأة من بقة قوم عادي قال لها هرعة أى عذاب الله رأيت أشد قالت كل عذاب الله شديد وسلام الله ورحته على ليله لا يريح فيها ولقد رأيت العبي تحملها الريح بين السعاه والارض (وقال) مجاهد كان طعام يحيى بن زكريا العشب وان كان ليكي من خشية الله تعالى ما لو كان القار على عينيه لا تحرقه ولقد كانت الدموع تتحزن مجرى في وجهه (ومر) بعض الملوك بسقراط الحكيم وهو نائم فركضه برجله وقال قم فقام غير ناع منه ولا ملقت اليه فقال له الملك ما تعرفني قال لا ولكن أرى فيك طبع الدواب فهمى ركض يا رجله ان غضب وقال أقول لى هذا وانت عيسى فقال لسقراط بل أنت عبد عبدى قال وكيف ذلك قال لان شهوتك قنم لك كنتك وأنا ملكت الشهوات فقال أنا الملك بن الاملاك السادة أعلمت من البلاد كذا ومن الاموال والرجال كذا قال أراك تنخر على بمالبس من نفسك وانما سليلك أن تنخر على بنفسك

ولكن تعال يطلع ثيابنا ونلبس جميعاً تو يا من ما في هذا النهر وتكلم اذ يقين الفاضل من
المفضول يا نصير الملك خجلاً • وهأنا أنا • كي لك أمراً أصابني طيش عقلي وببلل حرمي
وقطع نياط لي فلا يزال امرأة لي حتى يوارى التراب وذلك أني كنت يوسا بالعراق وأنا
أشرب ماء فقال لي صاحب لي وكان له عقل يا فلان لعل هذا الكوز الذي تشرب فيه الماء
قد كان انساناً تو يا من الدهر فمات فصار تراباً فاتفق للفخاري أن أخذ تراب القبر وشربه
خزفا وشوام بالنداء فانتظم كوزاً كثرى وصار آية يمتن ويستخدم بعد أن كان بشراً سوياً
يا كل ويشرب وينعم ويلذو يطرب فاذا الذي قاله من الحشرات فان الانسان اذا مات عاد
تراباً كما كان في الفناء الاولى ثم قد يتفق أن يحفر لحده ويحجج بالماء ترابه فيقتضيه منه آية
فتمتن في البيوت أولينة تقتبني في الجدار أو طين به سطح البيت أو يغرس في البلد فيوطأ
بالاقدام أو يجعل طينا على الجدار وقد يجوز أن يغرس عند قبره شجرة فيستعمل تراب
الانسان لشجرة وورقا وغرقة تسمى البهائم أوراقها ويا كل الانسان غرها فبقت منها الحية
وينشر منها عظمه أو نأ كل تلك الغرة الحشرات والبهائم فينجا كان يقتات صارقونا ومينا
كان يأكل صامداً كولا ثم يعود في بطن الانسان رجباً فيقذف في بيت الرخاضة أو يعرا
ينبذ بالعراء ويجوز اذا حفر قبره ان تسمى الرياح ترابه فتشرق اجزأؤه في بطون الاودية والتلول
والوهاد أليس في هذا ما اذهل العقول وطيش الخلوام ومنع اللذات وهان عنده مقارفة
الاهلين والمال والحق بقل الجبال والانس بالوحوش حتى يأتي أمر الله أليس في هذا
ما صغر الدنيا وما فيها أليس في هذا ما حقر الملك عنده من عظمه والمال عنده من جمعه أليس
في هذا ما زهد في اللذات وسلى عن الشهوات (وقال) كم من مستقبل يوم لا يستكمله
ومستقر غداً وليس من أجله انكم لو ابصرتم الاجل ومسيره لا بغضتم الامل وغروره (ولم)
ابى المأمون بن ذى النون وكان من ماولك الاندلس قصره وأتفق فيه بيوت الاموال جاء على
أكل بيتين في الارض وكان من بهائم الله أن صنع فيه بركة ماء كلها بجمرة وبني في وسطها
قبة وساق الماء من تحت الارض حتى علا على رأس القبة على تدبير قد أحكمه المهندسون
وكان الماء ينزل من أعلى القبة هو إليها محيطاً بها متصلاً ببعضه بعضاً فكانت القبة
في غلالة من ماء سكب لا يقر والمأمون فاعذ فيها فروى عنه أنه بينما هو قائم اذ سمع منشداً ينشد
هذين البيتين

أتنبى بناء الخالدين وانما • بقاؤك فيها لو عطلت قلبل

اتقد كان في ظل الاراك كناية • لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يلبث بعدها الا يسيراً حتى قضى شجبه (ووجد) • كتبوا على قصر قد بدأه • وأقمرت منازلها
لمنى منازل أقوام عهدتهم • في خضر عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فاقبلوا • الى القبور فلا عين ولا أثر
ولو قيل للذي صنى قصرك لما عدت هذا البيت

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض • على الماء مناته فروج الاصابع

(وروى) أن الحاج قال في خطبته أيها الناس ان ما بيني من الدنيا أشبه حمامة من الماء بالماء

ولما أعطيت ماضى من الدنيا بما متى هذه ما قبلته فكيف آسى على ما بقى منها (وروى) ان
النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة أخلاء فلما حضره
الموت قال لاحدهم قد كنت لى خليلا مكرما مؤثرا وقد حضرني من أمر الله تعالى ما ترى
فماذا عندك فيقول هذا أمر الله غلبني عليك لا أستطيع أن أنفخ كركبك ولكن ها أنا بين
يديك فخذني زاد يا فتى ثم يقول للثاني قد كنت عندى أثر الثلاثة وقد نزل بي من أمر الله
تعالى ما ترى فما عندك قال هذا أمر الله غلبني عليك ولا أستطيع أن أنفخ كركبك ولكن
سأقوم عليك في مرضك فإذا مت أتقنت غسلك وجردت كسوتك وسترت جسدك وعورتك
وقال للثالث قد نزل بي من أمر الله ما ترى وكنت أهون الثلاثة عل فماذا عندك قال الى
قربك وحليفك فى الدنيا والاخرة أدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج معك حين تخرج منه
ولا أقارئك أبدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاول ماله والثاني أهله والثالث عمله (ولما)
أتى ميون بن مهران الحسن البصرى قال له قد كنت أحب انما لطفنى فقر الحسن أترأيت
ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام
أبا حميد فقد وعظمت أحسن موعظة واجبا كل العجب للمكذب بالشاة الاخرى وهو يرى
الاولى واجبا كل العجب للشاة فى قدرة الله تعالى وهو يرى خلقه واجبا كل العجب للمكذب
بالنشور وهو يموت فى كل يوم وليلة واجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو
يسمى لدار القرور واجبا كل العجب للمضال القصور وانما خلق من نطفة ثم هو دجيفة وهو
بين ذلك لا يدري ما يفعل به (وروى) ان الله تعالى أوحى الى آدم عليه السلام بجمع الخلق كله فى
أربع واحدة فى واحدة لك واحدة بينى وبينك واحدة بينك وبين الناس فأما
التي فى قبعدنى لا تشركنى شيئا وأما التي لك فاعمل ما شئت فانى أجزيك به وأما التي بينى
وبينك فعملك الدعاء على الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فكن لهم كما تحب أن يكونوا لك
(وقال) سليمان بن داود عليهما السلام أوتينا ما أوفى الناس وما لم يزوجوا علما ما علم الناس وما لم
يعلموا فلم نجد شيئا أفضل من خشية الله تعالى فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب
والقصد فى الغنى والفقر (وكتب) معاوية الى عائشة رضى الله عنها ان اكتبى لى كتابا وصينى
فيه ولا تكفى على فكبت المسلم عليك أما بعد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكلمه الله الى الناس والسلام (ولما) ضرب ابن ملجم
عليه رضى الله عنه دخل منزله فاعتز به غشية ثم أفاق ودعا الحسن والحسين رضى الله عنهما
(فقال) أوصيكم بقوى الله والرغبة فى الاخرة والرهبة فى الدنيا ولا تأسف على شئ فاته كما
منها اعمال الخير وكونا للظالم خصما والمظلوم عوننا ثم دعا محمد اوقاله أما سمعت
ما أوصيت به اخويك قال بلى قال فانى أوصيك به عليك ببر اخويك ووقيرهما ومعرفة
فضلهما ولا تقطع امراد منهما ثم أقبل عليهما فقال أوصيكم به خيرا فانه أخوك وابن أيسك
وأنتما تعلمان ان أبانا كما كان يحبه فأحباه ثم قال يا بنى أوصيكم بقوى الله فى الغيب والشهادة
وكلمة الحق فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الصديق والعدو والعمل
فى النشاط والكسل والرضا عن الله فى الشدة والرخاء يا بنى ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده

النار خبير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاعدون النار عافية • يابني من أبصر عيب نفسه
 شغل عن عيب غيره ومن رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاتته ومن سلم عيب البغي قلبه ومن
 حفر لحيته بترافع فيها ومن هناك حجاب أخيه انكشفت عورات بيته ومن نسي خطيئته
 استغفم خطيئته غيره ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى به قله ذل ومن تكبر على الناس ذل
 ومن خاط الأتذال احتقر ومن جالس العلماء وقر ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن
 يصحب صاحب المايعم ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن لا يملك نفسه ندم ومن مزح
 استغنى به ومن أكثر من شيء عرف به ومن أكثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياته
 ومن قل حياته قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار • يابني الادب خير
 ميراث وحسن الخلق خير قرين • يابني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصحة الاعني ذكر
 الله تعالى والواحدة في ترك مجالسة السفهاء • يابني لاشرف أعلى من الاسلام ولا كرم أعلى
 من التقوى ولا معقل أحرز من الورع ولا شفيع أشجع من التوبة ولا لباس أجمل من
 العافية الحرص مفتاح التعب ومطية النصب التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم يئس
 الراد لانهاد العدو وان على العباد فطوبى لمن أخضرته عمله وعمله وجبهه وبغضه
 وأخذه وتركه وكلامه وصحته وقوله وقوله (وروي) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه
 لما طعن دعا بلين فشر به فخرج من طمته فقال الله أكبر فجعل جلساؤه يفتنون عليه فقال
 وددت أن أخرج منها ككفافا كما دخلت فيها لو أن لي اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت
 لا قد سبت به من هول المطلاع (قال) ابن عمر ولما حضرت الوفاة عمر غشي عليه فاخذت رأسه
 فوضعت في حجرى فقال ضع رأسي بالأرض لعل الله يرجي لمسح خديه بالتراب وقال ويل لعمر
 ويل لاهـ ان لم يغفر له قتل وحمل خفي والأرض الاسوايا ابتاه فقال ضع رأسي بالأرض
 لا أم لك كما أمرت فإذا قضيت فأمر عوا في حفرتي وانما هو خير تقدموني اليه أو شرفصونه
 عن رقبكم ثم بكى فقبل له ما يبكيك قال خبر السماء لا أدري الى جنة ينطلق بي أو الى نار (ولما)
 حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال اللهم ائتني فقصرت ونهيتني فذهبت وأنت
 على فأفضلت فان عفوت فقله نمت وان عاقبت فاعظمت ألا اني أشهد أن لا إله الا الله وحده
 لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ثم قضى رحمه الله (ولما) حضرت هشام بن عبد الملك
 الوفاة فطرا الى أهله ليكون حوله فقال جادلکم هشام بالدين واجدتمه بالبكا وزك لكم ما جمع
 وتركتم عليه ما جعل ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله (ورجل) على المأمون في مرضه
 الذي مات فيه فاذا هو قد أمر أن يقرض له جبل الذهب وييسط عليه الرماد وهو راقد عليه
 يتضرع ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من يزول ملكه (وروي) أن أبا بكر الصديق رضى الله
 عنه مر على طائر واقع على شجرة فقال طوبى ليطائر تطير فتقع على الشجر وتاكل من
 الثمر وليس عليك حساب ولا عقاب يا ليتني كنت منك والله لو ددت أني شجرة الى جنب طريق
 فر على بغير فأخذني فلا كنت ثم أزدردني ثم أخرجني بهرا ولم ألت بشرا (وقال) عاصم بن عبد الله
 أخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبنة من الأرض فقال يا ليتني كنت مثل هذه التينة يا ليتني
 لم تلدن في أمي يا ليتني كنت نسيا منسيا (وقال) ابن مسعود وددت أني طائر في منكب ريش

(وسمع) رجلا يقول يا ليتني كنت من أصحاب اليمين فقال ابن مسعود يا ليتني إذا مت لم أبث
 (وقال) عمران بن حصير لو ددت أني رما دفتسقي الرياح في يوم عاصف (وقال) أبو الدرداء
 يا ليتني كنت شجرة تعضد وتوكل عرقي ولم أكن بشرا (وروى) أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
 لما رجع من صفين فدخل أوائل الكوفة فإذا هو بقبور فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن
 الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهابا طائعا وعاش مجاهدا وأبذل في
 جبهه آخره الأول بضيع الله أجر من أحسن عملا ثم مضى فإذا قبور رجاء مضي وقب عليها
 فقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والحال المفقرة أنتم لنا سقى ونحن لكم نبيع
 وبكم مما قليل لا حقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وحمل
 الحساب وقبح بالكفاف ورضي عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الأزواج فقد
 تنكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الأموال فقد قسمت فهذا خبر ما عندنا فاجتنبوا
 عندهم ثم التفت إلى أصحابه وقال أما أنتم لو تكلموا قالوا وجدنا أن خبر الزاد التقوى

(الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الأمراء والسلاطين)

دخل الأحصف بن قيس على معاوية وعليه شملة ومدرعة صوف فلما مثل بين يديه اقمته عنه
 فأقبل عليه وقال له فقال الأحصف يا أمير المؤمنين أهل البصرة عند يسير وعظم كسير
 مع تنابغ المحول واتصال من الذحول فالكثير منهم اقتداطرق والمقل منها اقتدأ ملق وبلغ به
 الخرق فأن رأى أمير المؤمنين أن ينشئ الفقير ويبيع الكسير ويسهل العسير ويصنع عن
 الفحول ويدأى المحول ويامر بالعطاء ليكشف البلاء وتزول الآواء الأوان السيد من
 يضر ولا يهين ويدعو الجفلى ولا يدعو النقرى أن أحسن إليه شكر وإن أسمى إليه غفر
 ثم يكون من وراء الرعية عمادا يدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المضلات فقال معاوية
 ها هنا يا أبا جهم ثم قرأ ولتعرفنهم في لحن القول (وقال) سفيان الثوري لما حج المهدى قال
 لا بد لي من سفيان فوضعه إلى الرصد حول البيت فاختفى في الليل فلما مثل بين يديه ادناى ثم
 قال لا شيء لانا تبا فقهته تشر لي في أمرنا فما أمر تناس شيء صرنا إليه وما نهيتنا عن شيء انتهينا
 عنه فقلت لكم أنفق في سفرنا هذا قال لا أدري في أمنا وكلاك قلت فاعذرك غذا
 إذا وقت بين يدي الله تعالى فسالني ذلك لكن عجز عن الخطاب رضي الله عنه لما حج قال
 لفلانة كم أنفق في سفرنا هذا قال يا أمير المؤمنين غلبة عشرة دينار قال ويحك أبخشنا بيت
 مال المساكين (وقال) الزهري ما سمعت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك
 فقال يا أمير المؤمنين اسمع مني أربع كلمات فين صلاح دينك ومملكك وآخرتك ودنياك قال
 لا تعد أحدا عذوقا لتزيد الجاهل ولا تزدك من تقي سهل إذا كان المتخدر وعرا واعلم
 أن الأعمال جواء فاحذر العواقب والدمرات فاحذر على حذر (ولما دخل) ابن
 السعالة على هرون الرشيد قال له عطفني قال يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض خلاقه في عباده غيرك
 فلا ترض من نفسك إلا بما رضى الله به عنك فانك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أولى
 الناس بذلك يا أمير المؤمنين من طلب فكاك رقبته في مهلة من أجله كان خلقا أن يعق نفسه
 يا أمير المؤمنين من ذوقه الدنيا حلوا فها بركون منه إليها إذا فقهه إلا شجرة مرارتها بجا فيه عنها

يا أمير المؤمنين تأخذك الله أن تقدم إلى جنته عرضها السموات والأرض وقد دعيت إليها وليس
 لك فيها نصيب يا أمير المؤمنين انك تقوت وحدك وتحاسب وحدك وانك لا تقدم إلا على نادم
 مشغول ولا تخلف إلا مقتولاً مغروراً وانك وانما في دار سفر وجيران ظعن (ولما) حج سليمان
 ابن عبد الملك استخضر أباحزم فقال له تسلم يا أباحزم فقال قيم أنك لم قال في الخروج من هذا
 الأمر قال يسيران أنت فعلته قال وما ذلك قال لا تأخذ الأشياء إلا بحقها ولا تضعها إلا في أهلها
 قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله من الأمر ما قلده قال عظمي يا أباحزم قال يا أمير
 المؤمنين ان هذا الأمر لم يصل إليك إلا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك
 ثم قال يا أمير المؤمنين نزه ربك في عظمتك عن أن يرأسك نهبك أو يقدلك حيث أمرك يا أمير
 المؤمنين انما أنت سوق فماتت عنك حمل الملك من خير أو شر فاحترق نفسك أيها ما شئت قال
 فما لك لا تأتينا قال وما أصنع يا أميناك ان أدفنتي فمتني وان اقصبتني أوحقتني وليس عندي
 ما أخافك عليه ولا عندك ما أرجوك له قال فارفع الينا حوائجك قال قد رفعتها إلى من هو
 أقدر منك عليها فما أعطاني منها قبلت وما منعتني منها رزيت يقول الله تعالى نحن قسمنا بينهم
 معيشتهم في الحياة الدنيا فن ذا الذي يستطيع أن يتقص من كثير ما قسم الله أو يزيد في قليل
 ما قسم الله قال فبكي سليمان بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه أسأت إلى أمير المؤمنين قال
 أبو حزم اسكت فان الله تعالى أخذ ميثاق العلماء طيبينهم فلتاس ولا يكفونه ثم خرج من عنده فلما
 وصل إلى منزله بعث إليه بجمال فرقه وقال للرسول قل لهما يا أمير المؤمنين واقه ما رضاءك
 فكيف أَرْضاه لنفسي (وقال) الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد فينا انما تم ليلة اذ جمعت
 قرع الباب فقلت من هذا فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فاذا أنا به أمير المؤمنين
 فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أئمتك فقال ويحك قد حاك في نفسي شيء لا يحضره إلا عالم
 انظر لي رجلا أسأله قلت له ههنا سفيان بن عيينة قال امض بنا إليه فأتيناه فقرعت عليه
 الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت
 إلى أئمتك قال جئت لاجتناله فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم قال يا عباسي اقض
 دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عن صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا عبد الرزاق
 ابن همام قال امض بنا إليه نسأله فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب
 أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أئمتك فقال جئت لاجتناله
 فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم فقال يا عباسي اقض دينه ثم انصرفنا فقال
 ما أغنى عن صاحبك شيئا فانظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض قال امض
 بنا إليه فأتيناه واذ هو قائم يصلي في غرفة يتلو آية من كتاب الله ويرتددها فقرعت الباب فقال
 من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال مالي ولا أمير المؤمنين فقلت سبحان الله ما عليك طاعة
 فقال أوليس قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس للمؤمن ان يذل نفسه فقل ففتح
 الباب ثم ارتقى الغرفة فأطفا السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة فخلعنا فحول عليه
 يدينا فحبست كف الرشيد كني إليه فقال آوأم من كف ما بينهما انجحت غدا من عذاب
 الله تعالى قال فقلت في نفسي لي كلمته الليلة بكلام مني من قلب نقي فقال جئت لاجتناله يرحل

الله قال وفيه يست حلت على نفسك وجيئ من معك حملوا عليك حتى لو أنهم عند
 انكشاف الغطاء عنك وعندهم أن يحملوا عنك شقاص من ذنب ما فعلوا ولكن أشدهم حباً لك
 أشدهم هرباً منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن
 كعب القرظي ورجاه بن حيوة فقال لهم اني قد ابتليت بهذا البلا فأسبروا علي فعدا الخلافة
 بلاء وعدادتها أنت وأصحابك فنعمة فقال لسالم بن عبد الله ان أردت النجاة فعدا من عذاب
 الله فصح عن الحسن وليكن افطارك فيها الموت وقال لمحمد بن كعب ان أردت النجاة من
 عذاب الله فعدا فليكن كبير المسيل لك أبوا وسطهم عندك أخا وأصغرهم ولدا فبأهلك وأرحم
 أخاك وتحنن علي ولدا وقال له رجاء بن حيوة ان أردت النجاة من عذاب الله فعدا فأجاب للمسيل
 ما تحب لنفسك واسكروهم ما تكره لنفسك ثم متى شئت واتي لاقول لك هذا واتي
 لاخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الاقدام فهلم من رحمتك الله مثل هذا القوم من يأمرك
 بعمل هذا فبكي هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت أرفق بأمر المؤمنين فقال يا ابن ام
 الربيع قتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم افاق فقال زدني فقال يا امير المؤمنين بلغني
 ان عاملا لعمر بن عبد العزيز شكك بالبصرة فكتب اليه عمر بن عبد العزيز يا اخي اذ كرهر
 اهل النار في النار ومناوذا ابد فان ذلك يطردك الى ربك فاقوا وقفا وان تزل قدمك
 عن هذا السيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجا عندك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى
 قدم عليه فقال له عمر ما اقدمك قال خلعت قلبي بكابك لا وليت لك ولاية أبدا حتى أتني الله
 تعالى فبكاه هرون بكاء شديدا ثم قال زدني فقال يا امير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله
 عليه وسلم جاءه فقال يا رسول الله أمرني على امانة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم
 النبي قس قس فيها خبر من امانة لا تحصيها ان الامانة حسرة وبداية يوم القيامة فان استطعت
 ان لا تكون أديرا فافعل فبكي هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني رحمة الله قال يا حسن
 الوجه أنت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا
 الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتعيش وفي قلبك غش لرعيك فان النبي صلى الله
 عليه وسلم قال من اصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكي هرون بكاء شديدا ثم قال
 عليك دين قال نعم دين لم يحاسبني عليه قال ويل لي ان سألتني والويل لي ان فاقشني والويل لي
 ان لم يلهمني حتى قال انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا أمر في أن أصدق وعده
 وأطيع أمره فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد
 أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هذه آفة دينار خذها فانفقها على
 عيالك وتقربها على عبادك فقال سبحان الله انا أدلك على النجاة وتكافئني بعمل
 هذا سلمك الله ووفقتك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون اذ ادلتني على رجل
 فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم (وروي) ان امرأته من نسائه دخلت عليه
 فقالت لها يا هذا قدرتي ما ضمن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال ففقرت بنا فقال انما مثلني
 ومثلكم كمثل قوم كان لهم بهيعر يا كلون من كسبه فلما كبر فقره وفاقوا الله موتوا بأهلي
 جوعا ولا تدبجوا تضيقا فلما سمع الرشيد ذلك فقال ادخل فعسى أن يقبل المال قال فدخنا

فلما علم بنقضه قيل خرج وجلس على القراب على السطح فاجهر ون الرشيد فجلس الى جنبه
فجعل يكلمه فلا يجيبه فيينا كذلك اذ خرجت جارية موداة فقالت يا هذا قد اذمت الشيخ
منذ البقي فأنصرف برحمة الله فأنصرفنا (ووعظ) شبيب بن شبة المتصور فقال يا أمير المؤمنين
ان الله لم يجعل فوقك أحدا فلا تجعل فوقك شكر الله شكرا (ودخل) عمر بن عبيد على
المتصور فقرأ والعجز ولبال عشر حتى بلغ ان ربك لبا لمرسانك فعل مثل فعلهم فأتى الله
يا أمير المؤمنين فان يابك نيرانا تاج لا يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله وأنت مسؤول عما
اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم الا بفساد آخرتك أما والله لو علم
عمالك أنه لا يرزقك منهم الا العدل لتقرب به اليك من لا يريدك فقال له سلمان بن جهم
اسكت فقد غممت أمير المؤمنين فقال له عمرو بن بكابن أم جهم أما كفالك انك خربت
نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت أن تحول بينه وبين من ينفعه اتق الله يا أمير المؤمنين
فان هؤلاء قد اتخذوك سلبا الى شهوراتهم فانت كالماسك بالقرون وغيرك بحلب وان هؤلاء
لن يغفوا عنك من الله شيئا (وقال) الاوزاعي المتصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما
علمت انما كان يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة قياسية سالك بها ويردع بها المناهقين
فأنا جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة يديك اقدتها لا تغلقها فلوهم سم رعبا
فكيف من سقت دماء المسلمين وشقق أستارهم وانتهب أموالهم ان المقصود ما تقدم
من ذنبه وما تاخر دعائى القصاص من نفسه بخدشة خطبها اعرايا من غير تعمد فقال له
جبريل عليه السلام ان الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون رجبك يا أمير المؤمنين لو أن نوبا
من النار نشر على ما فى الارض لاجتته فكيف بمن يتجرعه ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على
جبل لذاب فكيف بمن يسلسل فيها ويرد فضلها على عنقه (ودخل) بعض العقلاء على سلطان
فقال له ان أحق الناس بالاحسان من أحسن الله اليه وأولاهم بالانصاف من بسط يده
بالقدرة فاستدم مأوى من النعم بتأديته ما عليك من الحق (روى) ان اعرايا قام بين يدي
هشام بن عبد الملك فقال أيتها الأميرات على الناس سنون ثلث أما الاولى فأكات اللحم
وأما الثانية فاذا ب الشحم وأما الثالثة فهاضت العظم وعندك فضول أموال فان كانت لله
فاقسمها بين عباده وان كانت لهم فلم تحصرها عليهم وان كانت لكم فتصدقوا فان الله يجزى
المصدقين فأمر هشام بحال تقسم بين الناس وأمر للاعرايا بحال فقال الكل المسلمين منك
مثل هذا قال لا يقوم بذلك بيت المال قال لا حاجة لى فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين
(وقال) رجل لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين اذكر اتى احمى هذا لا يشغل الله عنك كثرة من
يخاصم من الخلاق يوم تلقاه بلا نقصة من العمل ولا براقة من الذنوب بكاعمر بكاعمر بكاعمر
استردهما الكلام فجعل يردده وعمر يسكى ويتعب ثم قال ما حاجتك قال عامك باذرى بيان
أخذنى اثني عشر ألف درهم قال ألا تكتبوا له حتى يرد عليه ماله (ولما) دخل زياد على عمر
ابن عبد العزيز قال يا زياد ألا ترى ما ابتليت به من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال زياد
يا أمير المؤمنين والله لو ان شعرتك قطعت ما بلغت كه ما أنت فيه فاعمل لك نفسك فى الخروج

بما أنت فيه يا أمير المؤمنين كيف حال رجل له خصم له قال سئ الحال قال فان كان له
 خصمان الدان قال اسوأ الحاله قال فان كانوا ثلاثة قال لا يشته عيش قال فواقمه واحد
 من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خملك قال فبكي حتى غثيت أن لا أكون قلت لذلك
 (وقال) محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين انما الذي ناسوق فيها خرج الناس
 بجاربها وفيها لا خربتهم وخرجوا بما يضرهم فكلم من قوم غرهم مثل الذي أصحنا فيه حتى
 أتاهم الموت فخرجوا من الدنيا مصلين لم يأخذوا من الدنيا الا خرة فاقسم ما لهم من لا يجمعهم
 وصاروا الى من لا يعذرهم فانظر الى الذي تحب ان يكون معك فقدمه بين يديك حتى تخرج اليه
 وانظر الى الذي تكره ان يكون معك اذا قدمت فابتغ به البديل حيث يجوز البديل ولا تذهب
 الى سلعة قد بارت على غيرك ترجو جوارها عنك يا أمير المؤمنين افتح الابواب وسهل الجباب
 وانصر المظلوم (وحضر) رجل بين يدي بعض المالك فاعطاه السلطان فقال له الرجل انما
 أنت كالسماء اذا أرعدت وأبرقت فقد قرب خبرها فكن غيظه وأحسن اليه ولما احتاج
 التصور بن أبي عامر ملك الاندلس ان يأخذ أراضا خمسة ويعاوض عنها خيرا منها استخضر
 القضاة في قصره فأتوا بانه لا يجوز فغضب السلطان وأرسل اليهم رجلا من الوزراء مشهورا
 بالجدوة الجملة فقال لهم يقول لكم أمير المؤمنين يا منسجعة السوء يا مستغلي أموال الناس
 يا أكلي أموال البتاي ظلم يا شهداء الزور يا آخذى الرشا وملتقى المحسوم وملتقى الشرور
 وملبسي الامور وملتقى الروايات لاتباع الشهوات تبالكم ولا رأيكم فهو أعز الله
 واقب على فسوقكم قديما وخونكم لاما ناكم مفض عنه صابر عليه ثم احتاج الى دقة
 نظرهم في حاشية واحدة في دهره فلم تسفوا وراذله ما كان هذا ظنه بكم واثقه لبعاضكم
 وليكنفن سنوكم ولينا نحن الاسلام فيكم واغفر عليهم هذا وقوه فاجابه شيخ منهم
 ضعيف المنسة فقال تنوب الى الله عفا له أمير المؤمنين ونسأله الافالة ترد عليه فقيم القوم
 محمد بن ابراهيم بن حيويه وكان جلداسا رافقا قال للملك كم تنوب يا شيخ السوء فمن برأ من
 منابك ثم أقبل على الوزير فقال يا وزير برئ من المبلغ أنت وكلنا نسته البنا عن أمير المؤمنين
 فهو صفتكم معاشر خدمه فأنتم الذين تأكلون أموال الناس بالباطل وتستحلون ظلمهم
 بغير حق وتحققون معاشهم بالرشا والمصافعة وتغون في الارض بغير الحق وأما نحن فليست
 هذه صفاتنا ولا كرامة لا يقولها لنا الامم في الدانة فمن أعلام الهدى وسراج الظلمة
 يبايخصن الاسلام ويغرق بين الحلال والحرام وتنقض الاحكام وتاقيم القرائض وتثبت
 الحقوق وتحقق الدماء وتستحل القروج فهلا نعتب علينا سيدنا أمير المؤمنين بشئ لا ذنب
 فيه لنا وقال بالفيظ ما له نأيت لا بلا غار سالت بأهون من الخاشك وعرضت لنا بانكاره
 حتى فهمنا منك فأجبناك عنه بما يصلح الجواب عنه فكنتم ترين على السلطان ولا تنفسي
 سره وتستخفنا بما استقبلنا به فمن نعلم ان أمير المؤمنين لا يتحادي على هذا الرأي فينا ولا
 يعتد هذا المعتقد في صفاتنا وانما سراج بصيرته في اثارنا وتقريرنا فلو كنا عندك على
 هذه الحال التي وصفها عنا والعاذ بالله من ذلك لبطل عليه كل مامن وعقده من أول
 خلقاته الى هذا الوقت فثبت له كتاب من حرب ولا سلم ولا شراء ولا بيع ولا صدقة ولا حبس

ولا به ولا عتق ولا غير ذلك الا بشهادتنا هذا ما عندنا والسلام ثم قاموا منصرفين فلم يكادوا
يلفوا باب القصر الا والرسول تناديهم فادخلوا القصر قتلقاتهم الوزير ابا اعظام وورفوا
منازلهما واصعدوا اليهم محاسن من صاحبهم وقالوا لهم امير المؤمنين يهتذر اليكم من
فوط موحدة ويستجير الله من الشيطان الرجيم ونزعته التي جلته على الخلفاء عليكم ويعلمكم
انه نادى على ما كان منه اليكم وهو مستبصر في تعظيمكم وقضاء حقوقكم وقد امر لكل واحد
منكم ما ترون من صلة وكسوة عامة لرضاه عنكم فدعوا له وقبضوا ما امر لهم وانصرفوا
غالبين لمجسدهم سوء (ولما) نظر مالك بن دينار الى المهلب بن ابي صفرة يجر اذياه وينتصر في
آثواب خيلاته ناداه ان ارفع من يداك فقال له المهلب اوما تعرفني قال له مالك بلى اني اعرفك
اولك نقطة مذنة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة ويروي ان رجلا
قال لعبيد الله العمري هذا هرون الرشيد في الطواف قد اخطى له المسمى فقال له لاجر الله
عني خيرا كلفتني امرا كنت عنه غيبا ثم جاء اليه فقال له ياهرون فلما نظر اليه قال ليكن يا عم قال
كم ترى ههنا من خلق الله فقال لا يحصيهم الا الله عز وجل فقال اعلم ايها الرجل ان كل
واحد منهم يستل عن خاصة نفسه وانت واحد تستل عنهم كلهم فانظر كيف تكون قال فبكي
هرون وجلس وجعل يعطونه من دياره من ديار المدح ثم قال له فيما قال ان الرجل ليسرع في مال
نفسه فيسحق الجرع عليه فكيف فيمن اسرع في مال المسلمين فقال ان هرون كان يقول بعد
ذلك اني احب ان اجمع في كل عام وما يعني من ذلك الا عبيد الله العمري ويروي ان الحسن
ابن محمد بن الحسين رضى الله عنهم دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلاث من كن فيه
فقد استكمل الايمان فقال له عرايه اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وجنا على ركبته فقال
الحسن من اذا وضى لم يدخله رضاه في باطل ومن اذا غضب لم يخرج به غضبه عن الحق ومن اذا
قدر لم يتامل ما ليس له (ولما) ولي عمر بن عبد العزيز وفدت الوفود من كل بلد فوقف عليه الجاهلون
فقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن فقال له عمر لينطق من هو اسن منك فقال الغلام
اصح الله امير المؤمنين انما المرء يا صغيره قلبه ولسانه فاذا مضى الله عبد السان انفا وقلبا
حافظا فقبلا استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه ولو ان الامراء امير المؤمنين بالنس لكان
في الامة من هو احق بمجلسك هذا منك فقال صدقت قل ما يدالك فقال الغلام اصح الله امير
المؤمنين نحن وقد تمثنا لا وقد مررت وقد اتيناك لمن الله الذي من علينا بك ولم يقدمنا اليك
رغبة ولا رهبة اما الرغبة فقد اتيناك من بلادنا واما ال رهبة فقد امنا جوارك بعد ذلك فقال له عمر
عظني يا غلام فقال الغلام اصح الله امير المؤمنين ان ناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول
أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت بهم الاقدام فهو افي النار فلا يغرك حلم الله عنك
وطول أملك وكثرة ثناء الناس عليك فزلت بك قدمك قتلح بالقوم فلا جعلك الله منهم
وألحقك بالصالحى هذه الامة ثم سكنت فقال عمر الغلام عن سنه فاذا هو ابن احدى عشرة سنة
ثم سأل عنه فاذا هو من ولد الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهم فقتل عمر عند ذلك فقال
تعلم فليس المرء يولد عالما • وليس أخوه علم كن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده • صغير اذا التفت عليه المحافل

وفي مثل هذا قيل للعتابي وكان لا يبالى ما لبس مالك لا تجيد الملبوس فقال انما يرفع الرجل
ادبه وعقله لاجلته وحلته على الله امرأى ان ترضه هنته وجماله والله حتى يشرفه
أصغراه لسانه وقلبه وبما يوهه أكبراه هنته ولبسه ولما دخل ضميره بن ضمرة على المنذر بن
المنذر وهو ملك وكان ضمرة ذارأى وعقل احتقرته عينا لم يمامته فقال لان نسمع بالمعدي خير
من أن نراه فقال ضمرة أيت اللعن ان القوم ليسوا بجزور تجوز انما المرء بأصغره قلبه ولسانه
فاذا نطق نطق ببيان واذا قاتل قاتل بجحش والرجال لا تكال بالقفران ولا تؤزن بالقتبان
فأعجب المنذر بكلامه وروى ان روح بن زبابع وكان في طريق مكة في يوم شديد الحر
مع أصحابه فقلوا فاضرب لهم الخيام والظلال وقدم اليهم الطعام والشرب البود فيعافهم
كذلك اذا هم براع فدعا للطعام فأبى وقال اني صائم قال له روح في مثل هذا اليوم الحار قال
أفادع أيامي تذهب باطلا قال روح لقد ضننت بأياك يا رمي اذا جاد روح بن زبابع وروى
ان امرأيسا قام بين يدي سليمان بن عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحظه ان
ككهرهه فان وراهم ما تحب ان قبلته قال هات يا عرابي قال ساطلق لساني عما خربت به
اللسن ادا ملق اقه وخلق امانتك انك قد اكتبك رجال اسارا الاختيار لا تقسم
وايشعوا دنياك يدبهم ورضاك بسخط ربهم فتولوا في الله ولم يخافوا الله في ذلك فلا تصلح
دنياه بفساد آخرتك فاعظم الناس غنا يوم القيامة من باع آخرته بدينار غيره فقال له سليمان
اما انت فقد فحمت وارجو ان الله سبحانه على ما قلنا وقد جردت لسانك فهو سيفك فقال
أجل يا أمير المؤمنين وهولك لا طيلك وقال ابن أبي هريرة سيج الحجاج فنزل بعض المياه بين مكة
 والمدينة ودعا بالقداء وقال لحاجبه انظر من يتغذى معي واسأله عن بعض الامر فنظر نحو الجبل
واذا هو براع بين سختين قائم فضره برجله وقال له انت الامير فانا فقال له الحجاج اغسل يديك
وتقدمي فقال دعاني من هو خير منك فأجبه قال ومن هو قال الله تعالى دعاني الى السبام
فصمت قال في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم هو أشد من صمتا قال فافطر وصم غدا قال ان
ضمنت لي البقاء الى غدا قال ليس ذلك اني قال فكيف تسألني عاجلا باجل لا تقدر عليه قال لانه
طيب قال لم تطيبه أنت ولا الطبايح ولكن طيبه العافية ولما حج هرون الرشيد بعث الى مالك
ابن أنس بكنيس فيه خمسمائة دينار فلقاضى نسكه واقصرف ودخل المدينة بعث الى مالك بن
أنس ان أمير المؤمنين يحب ان تنتقل معه الى مدينة السلام فقال للرسول قل له ان الكيس
بجافه وقال الرسول عليه السلام والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال وهب بن منبه ان ملكا
كان يفتن الناس ويحلمهم على أكل لحم الخنزير فأتى برجل أفضل أهل زمانه فاعظم الناس
مكانه وهالههم أمره فزاد على أكل لحم الخنزير فلم يفعل فزاد له صاحب شرطة الملك فقال له أنا
أنتك يجدي تدبجه بما يجلي لك أكله فاذا دعا الملك بلحم خنزير أنتك به ففعل ثم أتى به الملك فدعا
بلحم الخنزير فأتى صاحب الشرطة بذلك الجسد فأمر به الملك ان يأكله فأبى ان يأكله فجعل
صاحب الشرطة يغمزه ان يأكله فأبى ان يأكله فأمر الملك صاحب الشرطة ان يقتله فلما ذهب
به قال ما منعك ان تأكل وهو اللحم الذي ذهبت به أنت فأظننت اني جئت بغيره قال لا قد علمت
انه هو ولكني خفت أن يفتن الناس في فان أكرهوا على أكل الخنزير فالوا قد أكله فلان فيسكن

في فأكون قننه لهم فقتل روحه الله وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب
 الاحبار كعب خوقنا قال اوليس فيكم كتاب الله وسنة رسوله قال بلى يا كعب واكن خوقنا قال
 يا امير المؤمنين اعمل عمل رجل لو واقبت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لاذريت عملهم مما ترى
 فتكسر حرقوا طرق مليبا ثم افاقهم قال يا كعب خوقنا فقال يا امير المؤمنين لو فتح من جهنم
 قدر مضرب نور بالشرق وجعل بالمغرب لعل دماغه حتى يسيل من حرقه فتكسر عروثم افاقهم فقال
 يا كعب زدنا فقال يا امير المؤمنين ان جهنم لتقرز قرعة يوم القيامة فلا يسق ملك مقرب ولا نبي
 مرسل الا نرحل على ركبتيه حتى يحضر ابراهيم خليل الرحمن على ركبتيه يقول يا رب لأما لك اليوم
 الاتسعي واستأذن أبودهمان على بعض الامر اعجبته ثم اذن له فلما دخل قال ان هذا الامر
 الذي اراد اليك قد كان في يد غيرك فامسوا والله حديثا فان خيرا فخير وان شرا فشر فحبب الى
 عباد الله الحسن البشر ولين الجانب ونهيل الجانب فان حب عباد الله موصول بحب الله
 وبغضهم موصول بغضه لانهم شهداء الله على خلقه (ولما) دخل محمد بن واسع سيد العباد في
 زمانه على بلال بن أبي رقة أمير البصرة وكان نوبه الى نصف ساقه فقال له بلال ما هذه الشهرة
 يا ابن واسع فقال له ابن واسع أتم شهر عرونا هكذا كل لباس من مضى وانما أتم طولتم ذبولكم
 فصارت الهيئة ينسكب دعا وشهر قواما انافلا دخلت على ملك مصر وهو الافضل بن أمير الجيوش
 فقلت سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلت رداجلا وأكرم اكراما
 جزيلا وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه فقلت ياها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد
 احلك محلا عاليا شامحا وأزلك منزلا شريفا بذنا وملكك طاعة من ملكك وأشركت في حكمه ولم
 يرخص ان يكون أمر احد فوق امر لك فلا ترض ان يكون احدا ولي بالشكر منك وان الله تعالى
 قد أزم الوري طاعتك فلا يكون أحد اطوع لله منك وان الله تعالى أمر عبادا بالشكر وليس
 الشكر باللسان واكنه بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعلوا آل داود شكرا واعلم ان هذا
 الملك الذي أصبحت فيه انما صار اليك بعوت من كان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار
 اليك فان الله فيما خولك من هذه الامة فان الله ما نك عن التغير والقطيع والقبيل قال الله
 تعالى فور لك لتسا لهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كل منقالت حبة من خردل
 اثنا بواكلى بناحسين واعلم أيها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بهذا افيرها سليمان بن
 داود عليهما السلام فحضره الانس والجن والشیاطين والطير والوحش والبهائم وحضره الريح
 تجري بأمره وخاضع حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك
 بغير حساب فوافقهم ما عهدناهم كما وعدتوها ولا حبه بها كرامة كما حسبوها بل خاف ان تكون
 استدارا من الله تعالى ومكرابه فقال هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكروا ام اكفر فافتح الباب
 وسهل الجباب وانصر المظلوم اعانك الله على ما قلنا وبعك كهفا الملهوف واما بالناسك
 ثم اتيت الجبل بان قلت قد دومت البلاد شرقا وغربا فاني اخترت مملكة تزوجت فيها وولدي غير
 هذه المملكة ثم انشدت شعرا

والناس اكبر من ان يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثارا احسان
 وكتب حكيم الى حكيم اتى سائلك عن ثلاثة اشياء ان احبت منها صرت لك ثليدا اي الناس

أولى بالرحمة ومضى أضبح أمورا للناس وبهم تلقى النعمة من الله تعالى فكتب إليه أن أولى الناس بالرحمة ثلاثة البر يكون في سلطان فابرو فهو الدهر من لما يرى ويسمع والعقل يكون في تدبير الجاهل فهو الدهر مغصوم والكريم يحتاج إلى التيم فهو الدهر خاضع له ذليل وتضيق أمورا للناس إذا كان الرأي عندهم لا يقبل منه والسلاح عندهم لا يستعمله والمال عند من لا ينفعه وتلقى النعمة من الله تعالى بكرة شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته فصار تليذا له إلى أن مات (وقال يحيى بن سعيد) حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فغلبا أشرفا على عقبه عسقا فطر سليمان إلى السراقات قد ضربت له فقال له يا عمر كيف ترى قال أرى ديني سار يرضه بيا كل بعضها به ضاوأنت المسؤول عنها الأخوة بيننا ما بينهما كذلك أظن غراب من سرادقات سليمان في عنقاه كسرة فصاح فقال سليمان ما يقول هذا الغراب قال عمر ما أدري ما يقول ولكن إن شئت أخبرتك بعلم قال أخبرني قال هذا غراب طار من سرادقاتك في عنقاه كسرة أنت هم ما أخذ وعنها مسؤول من أين دخلت ومن أين خرجت قال انك لتخبرنا بالعجائب قال أفلا أخبرك بأعجب من هذا قال بلى قال من عرف الله كيف عساه ومن عرف الشيطان كيف أطماعه ومن ايقن بالموت كيف يهنيه العيش قال لقد غشت علينا ما نحن فيه ثم ضرب فرسه وسار (وبروي) أن بلال بن أبي بردة خرج في جنازة وهو أمير على البصرة فنظر إلى جماعة وقفا فقال ما هذا قالوا مالك بن دينار يذكر الناس فقال لوصيف معه اذهب إلى مالك بن دينار فقل له يرتفع البناء إلى القبر فهاه الوصف فاذى الرسالة إلى مالك فصاح به مالك على الله حاجة فأجبت فيها فان تكن له حاجة فليجي إلى حاجة نفسه فلما دفنوا ميتهم قام بلال بمن معه إلى حلقة مالك فلما دنا منه نزل ونزل من معه ثم جالس إلى الحلقة حتى جلس فلما رأوا مالك بن دينار سكت فاطال السكوت فقال له بلال يا أبي يحيى ذكرنا فقال ما نيت شيئا فاذكر لي قال لقد شئنا قال ما هذا فنعم قدم علينا أمير من قبلنا على البصرة ففقدنا في هذه الليلة ثم اتينا برنجي فدفناه إلى جنبه فواقه ما أدري أيهما كان أكرم على الله سبحانه فقال بلال يا أبي يحيى أتدري ما الذي جرى لك علينا وما الذي استكننا عنك لأنك لما كل من دراهمنا شئنا أما واقه فلو أخذت من دراهمنا شئنا ما أجرت علينا هذه الجرأة فافاد هذا الحديث على ألا فاقوا دراهمهم (ودخل) ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما حديث يحدثك به أهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال حدثتني أن الله تبارك وتعالى إذا استرعى عبد عرسه كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات قال كذبوا يا أمير المؤمنين أي خليفة أقرب إلى الله أم خليفة ليس بغيري قال بل بغيري خليفة قال فافاد هذا قال يا أمير المؤمنين بما لا تشك فيه قال الله تعالى لنبية داود يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يصلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يا أمير المؤمنين فهذا وعبد الله لبي خليفة فما ظنك بخليفة غيري فقال الوليد إن الناس ليغروا عن ديننا (وروي) زياد عن مالك بن أنس قال بعثت إلى أبي جعفر وإلى ابن طاوس فدخلنا عليه فآذاهو جالس على فرش قد نضدت وبين يديه أطباق قد بسطت وبين يديه جلاوزة يأذيهم السيف يضر برون الاعناق وأما البنات أن أجلسنا فاطرق عناطو يلائم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس

وقال حدثنا عن أبيك قال نعم اني سمعت ابي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشرك الله في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فأمسك أبو جعفر ساقه قال مالك فضمنت ثيابي بخانة ان ينقضي بضعه فأمسك أبو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فأمسك عنه ثم قال ما يمنعك ان تناولتها قال اخشى ان تكتب به امصية فاكون شريك فيها فلما سمع ذلك قال قوم اعني قال ابن طاوس ذلك ما كنا نغني منذ اليوم قال مالك فلما زلت اعرف لابن طاوس فله من ذلك اليوم (وقال أحمد بن أبي الحواري) سمعت رجلا يحدث عن ابن السماعة قال بعث الى هرون فلما انتهت الى باب القصر أخذ حرسا بن بضعي فاجلاني في دهليز القصر فلما انتهت الى باب القاعة لقيت خديجانا فاخذاني من الحرسين فاجلاني في قاعة القصر فأتيت الى البهو الذي هو فيه قتلتي خديجانا فهاجلا في البهو فقال له ما هرون ارفقوا بالشئ فلما رقت بين يديه قلت له يا امير المؤمنين ما هم بي يوم منذ ولدتني أي أتعب نفسي من يومى هذا فأتاني الله في خلقه واحفظ محمد في أمته واصح نفسك في رعيته فانك مقام بين يدي الله تعالى انت فيه اذل من مقامى هذا بين يديك فأتاني الله واعلم ان من اخذ الله وسطواته على اهل العصية كتب وكبت قال فاضرب على فراشه حتى نزل الى مصلي بين يدي فراشه فقلت يا امير المؤمنين هذا ذل الصفة فكيف ولورأت ذل المعايضة قال فكذبت نفسه فخرج فقال ليحيى النصيبين اخرجه فقتلوا بكى امير المؤمنين ثم دخل مرة اخرى فقال عظمي واوجع قال يا امير المؤمنين ان الذي اكرمك بما اكرمك به لحقين ان تحب ما يحب وتبغض ما يبغض فوالله لقد احب الله دارا وابغضها وابغض دارا واحبها كما كآءا اردت خلاف ذلك واوردت سواء واعلم يا امير المؤمنين ان الذي في ذك لوني على من كان قبلك لم يصل اليك فكذلك لا يبق لك كما لم يبق لغيرك فأتاني الله في خلقه واحفظ وصية محمد صلى الله عليه وسلم في أمته ودخل هرون على بعض الناسك فسلم عليه فقال وعليك السلام ثم قال أيها الملك تحب الله قال نعم قال قمصيه قال نعم قال كذبت والله في حبك اياه انك لو احببته اذا ما عصيته ثم انشأ يقول

تعصى الالهوات تظهر رجه * هذا العمري في المقال بدبح

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان الحب لمن يحب مطيع

في كل يوم يتسليك بنعمة * منه وأنت لشكر ذال المنصع

(وروي زيد بن أسلم عن أبيه) قال قلت لجعفر بن سليمان بن عبد الله بن أبي طالب الهاشمي والى المدينة احذر ان ياتي رجل غدا ليس في الاسلام نسبة ولا أب ولا جد فيكون أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون أولى بنوح ولوط عليهما السلام من زوجيهما وكما كانت زوجة نوح ولوط أولى بفرعون من زوجته من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن أسرع به عمله لم يطغ به نسبه وقال بشر بن السري يثغا الجراح جالس في الحجر اذ دخل رجل من أهل اليمن فجعل يطوف فوكل به بعض من معه فقال اذ اخرج من طوافه فأتني به فلما سرغ من طوافه أتاه به فقال له عن أنت قال من أهل اليمن قال أفك علم بعمه دين يوسف قال نعم قال فاخبرني بعمه قال لقد تركته أيضا ضامينا طويلا عريضا قال ويك ليس عن هذا أسألك قال

فعمه قال عن سيرته وطعمته قال فأجور السرو وأخيت الطم وأعدى العدا على الله وأحكامه
قال فغضب الجحاح وقال ويلك أما علمت أنه أخى قال بلى قال فأفانت ما علمت أن الله ربى واه
لهو امنع في منك أكرم منك لآخيك قال أجل أرسل يا غلام (وقال الاصمعي) حدثني رجل من
أهل المدينة قال سمعت محمد بن إبراهيم يحدث قال شهدت أباجعمر بالمدينة وهو ينتظر فيما بين
رجل من قريش وأهل بيت من المهاجرين ليسوا القريش فقالوا لا يا جعفر اجعل بيننا وبينهم ابن
أبي ذئب قال أبو جعفر لا بن أبي ذئب ما تقول في بنى فلان قال أشار من أهل بيت أشار قالوا
سلي يا أمير المؤمنين عن الحسن بن يزيد وكان عامله على المدينة قال ما تقول في الحسن قال يأخذ
بالأحنة ويقضي بالهوى فقال الحسن واقبأ أمير المؤمنين لو سألتك عن نفسك لمالك بداهية
ونفك بشر قال ما تقول في قال اعصني يا أمير المؤمنين قال لا بد أن تقول قال انك لا تعدل في
الريجة ولا تقسم بالسوية فتغير وجه أبي جعفر فقام إبراهيم بن محمد بن علي صاحب الموصل
وقال طهرني بدعي يا أمير المؤمنين قال له ابن أبي ذئب اقلدني في فليس في دم رجل يشهد أن لا اله
الا الله طهور ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام فقال دعنا يا أمير المؤمنين مما نحن فيه بلغني انك
وزقت ابنك الحباب العراف يعني المهدي قال أما ان قلت ذلك أنه ليصوم اليوم البعيد ما بين
الطرفين قال ثم قام ابن أبي ذئب فخرج فقال أبو جعفر ما واقع ما هو بمستوثق العقل ولقد قال
بذات نفسه (ودخل أبو النصر) سالم مولى عمر بن عبد الله على عامل للخليفة فقال له يا أبا النصر
أنه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا تجد بدا من انقاذها فاذ أتري قال أبو النصر قد
أنا لك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فأجما اتبع كمت من اهل

«الباب الثالث فيما جاء في الولاية والقضاء وما في ذلك من الغرر والظن»

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله جاء في التفسير من اتباع الهوى ان يحضر الخصمان بين يديك فتود أن
يكون الحق للذي لائ منه خاصة وبهذه الخصلة سلب سليمان بن داود عليهما السلام ملكه قال
ابن عباس رضي الله عنهما كان الذي أصاب سليمان بن داود عليهما السلام ان ناسل من أهل
جوراة امرأته وكانت من أكرم نسائه عليه فحوا كوا اليه مع غيرهم فاحب أن يكون الحق لاهل
جوراة فيقضي لهم فعوتب حين لم يكن هو أفيهم واحدا ومن ذلك آية الملوكة التي أنزلها الله
تعالى في السلاطين لما اقتضته من السياسة العامة التي فيها بقاء الممالك وثبوت الدول قال الله
تعالى ولنصرن الله من نصره ان الله لقوى عزيز ثم سمي المنصورين وأوضح شرائط النصر
فقال تعالى الذين ان مكأهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمر وبال معروف ومنواعن
المتكبر فضعن الله تعالى النصر للملوكة وشرط عليهم شرائط كما ترى في تضعفت قواعدهم
وانتقص عليهم من اطراف ممالكهم وظهر عليهم عدواً وبأغ فتنة وأحاسن نعمة أو اضطربت
عليهم الامور أو رأوا أسباب الغير فلبوا الى الله تعالى ويستنجوا من سوء أقدار باصلاح
ما بينهم وينسب باقامة الميزان القسط الذي شرعه الله تعالى لعباده وركوب سبيل العدل والحق
الذي قامت به السموات والارض واظهروا شرائع الدين ونصر المظلوم والاخذ على يد الظالم
ويكف يد القوى عن الضعيف ومراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوي النقص

والمستضعفين وليعلموا انهم قد اخلوا بشئ من الشرائط الاربع التي شرطت في النصر (وروى)
 ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام الذي على الناس
 راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية على
 أهل بيت زوجها وولدها وهي مسؤولة عنهم وعبد الرascal راع على مال سيده وهو مسؤول عنه
 ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته بفعل النبي صلى الله عليه وسلم كل ناظر في حق غيره راعيا
 له والفظ مأخوذ من الرعاية والمرعاة فاذا تقدم لرعاية غيره من يأكله فهو الهالك كما قال الشاعر
 وراعي الشاة يصيح الذئب عنها * فكيف اذا الذئب لها رعا

(وروى مسلم) في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سامن امرئ على امر المسلمين ثم لم يجتهد
 لهم وينصم الا لم يدخل اليه معهم وقال معقل بن يسار سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
 سامن عبد يستربه الله رعية فلم يحطها بنصحه الا لم يجد راحة الجنة (وروى) عبد الرحمن بن سمرة
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتك من مسئلة
 وكنت الم او ان اعطيتك من غير مسئلة أعنت عليها (وروى) أبو هريرة رضي الله عنه ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قال انكم تخرجون على الامارة وستكون غداة يوم القيامة فمنعت المرضعة
 وبشت القاطمة وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت امرئ يا رسول الله قال انها امانة وانها
 حسرة لداره يوم القيامة الا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها (وروى البخاري) ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قال تجدون من خير الناس أشد الناس كراهية لهذا الامر حتى يقع فيه
 (وفي الحديث) من روى من أمر المسلمين شيئا لم يحطهم بنصحه كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده
 من النار • وروى ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فابى
 وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيوقف على
 جسر جهنم فيأمر الله سبحانه الجسر فينقض انتقاضه فيزول كل عظم منه عن مكانه ثم يأمر الله
 العظام فتجوع الى مكانها ثم يسأله فان كان لله تعالى طاعة اخذ بيده وأعطاه كفاين من رعيته
 وان كان لله عاصيا نقر به الجسر فيوى به في جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر سمعت من النبي
 صلى الله عليه وسلم ما لم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال سلمان اى واقعه يا عمر ومع
 السبعين سبعين خريفا وادى تلتهب التلها فقال عمر بيده على جبهته انا لله وانا اليه راجعون من
 يأخذها بما فيها قال سلمان من سلب الله آتاه والصق خذه بالارض (وروى) ان العباس رضي الله
 عنه قال امرني يا رسول الله فاصيب واستر يش فقال له يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم قم
 تخيمها خيم من اماره لا تخمسها الا احداثكم عن الامارة واهل سلامة واسطها اذمة وآخرها
 حسرة يوم القيامة (وروى) أبو داود وفي السنن جامع رجل فقال يا رسول الله ان أبى عريف على
 الماء وانى أسألك ان تجعل لى العرافة من به الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم العرافة في النار
 (وروى) الساجي عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا
 يوم القيامة الامام الجائر • وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت النبي صلى
 الله عليه وسلم يقول ليس من وال ولا فاض الا يؤتى به يوم القيامة حتى يقف بين يدي الله
 سبحانه على الصراط ثم تشر الملائكة سيرة فيقرؤها على رؤس الخلائق فان كان عادلا نجاه الله

بعده وان كان غير ذلك انتقض به الصراط انتفاضة صار بين كل عضو من أعضائه مسيرة مسنة
ثم ينخرق به الصراط فما يلي قعر جهنم لا يجز وجهه (وروى) معاذ بن جبل ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان القاضي يزل في حفرة أبعد من عدن في جهنم (وقالت) عائشة رضي الله
عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى في شدة
الحساب على ما قضى حتى يود أنه لم يقض بين اثنين في حفرة (وروى) الحسن البصري ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خذني فقال اقم في بيتك
(وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليودن اقوام يوم القيامة لو وقعوا من الغيا ولم يكونوا
أحرار على شيء لو كن من مختول في مال الله وماله رسول الله النار عدا (وفي) الحديث ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال صفات من امتي لاتنالها مشافعتي يوم القيامة امام ظالم غشوم وغالي
الدين مارقه منه (وقال) أبو هريرة رضي الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة إلا جبه يوم القيامة
مغاولا شجاعا عليه وأهلكه (وقال) طاوس سليمان بن عبد الملك هل تدري يا أمير المؤمنين
من أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشرك الله في ملكه بخاري حكمه فاستلقى سليمان على
سريره وهو يكي وما زال يكي حتى قام عنه جساؤه (وقال) حذيفة بن اليمان من اقرب الساعة
ان يكون امرأ غفيرة وقرة كذبة وامناء خونة وعلماء فسقة وعرفاظ ملطة (وقال) عبيد بن جبر
ما ازاد رجل من السلطان قربا الا ازاد من الله بعدا ولا كثرا تباعه الا كثرت طائفة ولا كثرت
ماله الا كثرت حسابه (وفي الحديث) عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان في النار
واحد في الجنة رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى بعلم فخافه في النار ورجل قضى
بالحق فهو في الجنة رواه يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم (وقال) ابن سيرين جاصبيان الى
عبيدة السلماني يخاضرون اليه ألواحهم فلم يتطرفها وقال هذا حكم ولا أتولى حكم أبدا (وتخبر)
غلامان الى ابن عمر فجعل يطار الى كتابهم وقال هذا حكم ولا بد من النظر فيه • والمصنفون
يرسلون في كتبهم حديثا مرفوعا رواه أبو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدم
الى القضاء فقد ذبح بغير سكين (وفي أخبار) القضاة ان قاضيا قدم الى بلد فجاءه رجل له عقل
ودين فقال له أي القاضى أبلغ قول النبي صلى الله عليه وسلم من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين
قال نعم قال فبلغ ان أمور الناس ضائعة في بلدنا فحثت بغيرها قال لا قال أفاكرهك السلطان
على ذلك قال لا قال فاشهد أني لأطالك بحاسا ولا أؤدى عندك شهادة أبدا (وروى) ان أبا بكر
الصديق رضي الله عنه قال في بعض خطبه ان الملك اذا ملك زهد الله في ماله ورغبه فيما يذخره
وأشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويحسب الكثير جذل الظاهر من الباطن فإذا
وجبت نفسه ونضب عمره وحسب ظله حسب الله فاشد حسابه وأقل عقوه (وذكر) السلطان
لاعرابي فقال واقه لئن عزوا في الدنيا بالجو راقد ذلوا في الآخرة بالعدل وقليل فان وضوا عن
كثير يباق واغايكون الندم حين لا يقع الندم (وقال) أبو بكر بن أبي هريرة حج قوم فأتوا صاحب
لهم يارض فلاذ فلم يجدوا ما فاتهم رجل فقالوا لثا على الماء قال املقوا الى ثلاثين عينا
انه لم يكن فيكم مصرا فا ولا مكسا ولا عريفا ولا يريدوا بوي ولا عرا فا نادى لكم على الماء فلقوا
له ثلاثين عينا فلقوا لهم على الماء ثم قالوا له عاونا على غله فقال املقوا الى ثلاثين عينا

كما تقدم كره خافوا له فاعلمهم على غسله ثم قالوا تقدم وصل عليه قال لاحق فحقه والى أربعا
 وثلاثين يوما كما تقدم صلى عليه ثم التقوا طم يحدوا أحدا وكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام
 (وقال) ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نيا
 أو قتله قتيلا وأمام ضلالة ومثل من المشكين (وقال) أبو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ست أيام أحقل يا أبا ذر ما أقول لك ثم لا تكسك في اليوم السابع قال أوصيك بقوى الله
 في أمر سرك وعلايتك فإذا أسأت فأحسن ولا تسألني أحد أو أن سقط سوطك ولا تؤويز أمانة
 ولا تؤويز بيتي ولا تقضين بين اثنين (وقال) أبو ذر أيضا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يا أبا ذر إنني أحب لك ما أحب لنفسى وإنى أراك ضعيفا لا تتأمرن على اثنين ولا تليق مال يقيم
 (وروى) أبو ذر أيضا قلت يا رسول الله ألا تستعملني فضرب يده على منكبي وقال لي يا أبا ذر
 إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه
 فيها (وروى) علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن
 وأنا حديث السن فقلت يا رسول الله إنك تبعثني إلى قوم شيوخ ذوى أسنان ولا علم لي
 بالقضاء فقال إن الله سبحانه هادئ قلبك ولسانك فإذا جلس الخصمان فلا تقض للأول حتى
 تسمع كلام الآخر فإنك إذا سمعت ذلك عرفت كيف تقضى (فان قال قائل) كيف تنهى أبا ذر
 عن القضاء وأمره بالقبض مع ما نهى عن التغرير وما روى بان من قدم القضاء فقد ضحى بغير
 شيء وفيه البعد عن حضرته والتميز بالمشاهدة وتعلم سننه وشرايع دينه والخلق بأخلاقه
 وشبهه وأجمعها أفضل المثل بين يديه والكون بحضرته ومشاهدته والصلاة خلفه أو القضاء في
 غيبته مع البعد عنه (قلنا) انما نهى أبا ذر ليعنى فيه بقصره عن رتبة القضاء بما كان ضده في على
 رضي الله عنه ثم قال في آخره الامن اخذها بحقها وأدى التي عليه فيها فاستدلنا بذلك على أن
 من استجبت فيه شروط القضاء وكان قويا على انقلبه لم يدخل تحت النهي ومما يعضدنا عن
 القضاء طلبه آية أنه لم يدع رواقه وقد وصف الله سبحانه المتسرع إلى الأمانة بالجهل فقال تعالى
 انما عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها
 الإنسان انه كان ظالما مجرورا لا يظلم نفسه جهولا بلعاقبة أمره والجهل على جهة هذا
 التأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم النضا ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف
 الحق فقطي به فهو في الجنة ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار في الحكم فهو في النار ورجل
 لم يعرف الحق ففرض للناس على جهل فهو في النار (قلت) فهذا الرجلان ضعيفان عن رتبة
 القضاء أحدهما بنفسه وظلمه والآخر بجهله وقد عابت جهلة بني اسرائيل طالوت فقالوا أئني
 يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال فعابوه بجهلهم الفقروا أنه
 ليس من سبط الملك فقال لهم خيم ان الله اصطفاه عليكم وزاده بطون في العلم والجسم فيمن
 شروط الولايات والممالك وانما اتفقوا على العلم الذي به يحكم وإلى القوة التي بها تنفذ الاحكام
 دون ما ظن بنو اسرائيل وأما قولك أي ما أفضل القضاء في غيبته أو الحضور بين يديه والكون
 في حضرته فالجواب ان أوامره عليه السلام فرض بعضه بتركه فعملنا بهذا انما باعث على ارضى الله عنه القضاء لانه
 مستحب بعد الهجرة لا يعصى بتركه فعملنا بهذا انما باعث على ارضى الله عنه القضاء لانه

أفضل من سكا بهضرة لانه يبلغ عنه الى الخلاق شر بعته التي بعته اقبه بها فهو خليفته
في ذلك يدل على هذا انه اوجب الجنة لمن قضى بالحق

(الباب الرابع في بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليهما السلام
ووجه طلبه الملك وسؤاله أن لا يؤتى لاحد من بعده) *

قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فطلب الملك ثم زاد على ذلك بان لا يؤتى مثله أحد بعده
وكان ظاهره يؤذن بالخل * والكلام على هذه الآية من وجوه (أحدها) انه انما سأل هذا بعد
أن سلبه الله تعالى ملكه ثم أعاده اليه فحين طلب الملك كان ملكا فكانه قال هذا الملك الذي
جددته لي هب لي على صفات لا أعصيك فيها فتسليني اياه وتعاقبني يدل عليه انه بدأ بالمعزة فقال
رب اغفر لي وهب لي ملكا أي ملكا لا أعصيك فيه فتواخذني والدليل على صحة هذا قوله تعالى
هذا عطاؤنا فاقبضوا ما منكم به من قبضه فاستجاب له ما سأل فقال تعال فاصطبر فاصطبر
عليك فيه * وقيل ان أعطيت أجرت وان أمسكت فلا تعة عليك فيه وهذا تخصيص لسليمان
ابن داود عليهما السلام ولم يخص به أحد من ولد آدم سواء لان الله تعالى قال للتلائق فوربك
لنسألهن أجرين ما كانوا يعلمون * وأما قوله لا ينبغي لاحد من بعدي فعنه لا سلبه في باقي عمره
فصير لغيري كما سلبته فيما مضى من عمرى وقيل لا تسلط على فيه شيئا من مثل الذي قد سلطت علي
وقيل انما سأل ذلك ليكون علما على المغفرة وقبول التوبة فاجيب الى ذلك فسلم أنه قد غفر له
وقيل انما سأل ذلك ليكون آية لنبوته وعلما على مجزه * وقال مقاتل كان سليمان بن داود ملكا
ولكنه أراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي تسخير الرياح والطير يدل عليه ما بعده وهو قوله تعالى
فسخرناه الريح الى أمم الآيات * وقيل ان سليمان كان ملكا في خلقه ولهذا ذهب لملكه هاب
خاتمه فقال لا ينبغي لاحد من بعدي يعني اجعل ملكي في نفسي لا في خاتمي حتى لا يملك أحد غيري
فان ابليس لما أخذ خاتم سليمان تحول ملك سليمان الى ابليس وتعد على كرسية يحكم فيه حتى
أنكرت بنو اسرائيل احكامه وكان قد أتى عليه شبهه (وقال) عمرو بن عثمان المكي انما أراد به
ملك النفس وقهر الهوى يدل عليه ما روى سلمان الشعبي قال بلغني ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال رأيت سليمان وما أتاه الله من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء فتشعقه تعالى حتى
قبضه الله تعالى * وزاد غيره انما أراد ملك النفس وقهرها فلا يقترب المملوك ولهذا اقم سؤال
المغفرة على طلب المملوك * وقال بعض الوعاظ انما أراد حتى أنتقم لا دم من ابليس وذريته
حيث كان سببا في اخراجه وذريته من الجنة (وروى) البزار في صحيحه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان عذرة تيمان الجن به - لئلا تقلت على البارحة ليقطع على صلاتي وان الله تعالى أمكنني
منه فصبرته * ولقد هممت ان اربطه الى ساريه من سوارى المسجد حتى يصبح فنظرون اليه
كلكم فذكرت قول سليمان هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرداه الله خاسئا (فان قيل) فما
معنى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني خفيظ عليم (قلت) يستفاد من
الآية ان من حصل بين يدي ملك لا يعرف قدره أو أمة لا يعرفون فضله فخاف على نفسه او اراد
ايرافضه جازله ان يفهم على مكانه وما يحسنه دفعا للشرع نفسه او اظهار الفضله فيجعل في
مكانة * وفيه فائدة أخرى وهو انه اذا رأى الامور في يد الخوذة والصوص ومن لا يؤد

الامامة وسلم من نفسه اداء الامامة مع الكفاية بانه ان فيه السلطان على امته وكفايته
 واهذا قال بعض العلماء من أصحاب الشافعي من كل فيه الاجتهاد وشروط القضاء بانه ان فيه
 السلطان على مكانه ويحيط به خطة القضاء وقال بعضهم بل يجب ذلك عليه اذا كان الامر في يدي
 من لا يقوم

(الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا)

قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا ان الله تعالى
 اقام السلطان في الارض يدفع القوي عن الضعيف وينصف المظلوم من الظالم لاهلك القوي
 الضعيف ولما انبأ الخلق بعضهم على بعض فلا ينظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار فتفسد الارض
 ومن عليها ثم علق الله تعالى على الخلق باقامة السلطان فقال تعالى ولكن الله وفضل على العالمين
 يعني في اقامة السلطان فيامن الناس به فيكون فضله على الظالم كفضله عن المظلوم وفضله على
 المظلوم كفضله على الظالم عنه (وروي) ابو هريرة ان النبي عليه السلام قال ثلاثة لا ترد دعوتهم
 الامام العادل والسائم حتى يسطروا دعوة المظلوم (وروي) ان النبي عليه السلام قال سبعة
 يظلمهم الله في يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد
 ورجلان تصالفا في الله اجتمعا عليه وتفترقا عليه ورجل دعاه امرأ ذوات منصب ورجل فقال
 اني انا لله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله
 خاليا ففاضت عيناه (وروي) كثير بن مرة قال قال النبي عليه السلام السلطان ظل الله في
 ارضه يا وى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جاز كان
 عليه الاصر وعلى الرعية الصبر (وروي) ابو هريرة يرفع له قال لعل الامام العادل في رعيته يوما
 افضل من عبادة العباد في اهل ما تحسنه وخمس سنة (وقال) قيس بن معدليوم من امام عادل
 خير من عبادة رجل في مئتين سنة (وروي) ان سعد بن ابراهيم واباسلة بن عبد الرحمن
 ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان قالوا لعبد بن سليمان بن زيد بن ثابت لقضاء
 يوم باطني افضل عند الله من ملائكة عرك ومنهضك صحة هذه الاقوال اذا وقفت على ما نالته
 الرعية من المصالح صلاح السلطان (واعلم) ارشدك الله ان الانسان اعز حواهر الدنيا واغلاها
 قدرا واشرفها منزلة وبالسلطان صلاح الانسان اذا فهو اعز اطلاق الدنيا واعزها بركة ولذلك
 خلق الله تعالى دارين دار الدنيا ودار الآخرة ثم لما كان السلطان ملاح الدارين فاخلق
 بشخص يم تقيه العباد والبلاد ويصلح بصلاحه الدنيا والاخرة فان يكون شرفه عند الله
 عظيما كما كان قدره في القول جسيما ومقامه عند الله كريما كما كان نفعه عبيما وعلى قدر
 عموم المنفعة شرف الاعمال وعلى قدر النعمة تكون المنفعة الا ترى ان الانبياء عليهم السلام
 اعم خلق الله نفعا فهم اجل خلق الله قدرا لانهم تعاطوا اصلاح الخلائق واخراجهم من
 الظلمات الى النور كذلك سلطان الله في الارض هو خلافة النبوة في اصلاح الخلائق ودعائهم
 الى فناء الرجي واقامة دينهم وتقويم اودهم وليس فوق السلطان العادل منزلة الا انبياء المرسل
 اوصال معقرب فاتخذ عظم قدر السلطان عندك حجة لله تعالى على نفسك وناصحه على قدر
 ما تفعلك وليس نفعه مقدورا على عماله من حطام الدنيا يحول بها ولكن صيانة جماعتك

فما بكسر القاء

وصيانة حريمك وحراسة مالك عن البغاة أعم فعمالك ان عقلت وليس الله سلطان الا وقد اخذ
عليه شرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان وكما أنه ليس فوق رتبة السلطان
العادل رتبة كذلك ليس دون رتبة السلطان الشرير الجائر رتبة لشرير لان شريرهم كان خير
الاوليعم وكان بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد وتقال الزلننى الى الله تعالى والقور
بيجة الماوى كذلك بالسلطان الجائر تنفسد البلاد والعباد وتقرق المعاصى والا ثام وتورث
دار البوار وذلك ان السلطان اذا عدل انتشر العدل في رعيته فأقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا
الحق فيما بينهم ولم يوافقوا في العدل فمات الباطل وذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين
الحق فأرسلت السماء غيثها واخرجت الارض بركاتها وفتح تجاراتهم وزكت زروعهم
وتناسلت انعامهم ودرت ارزاقهم ورخست اسعارهم واستلأت اوصيهم فواسى البخل
وأفضل الكريم وقضت الحقوق واعبرت المواعين وتهدأ فصول الاطعمة والتصف فهان
الحطام لكثرة وذل بعد عزه فتماسكت على الناس من رأتهم وانقضت عليهم أديانهم
وبهم ذائبين لك ان الوالى ماجور على ما يعطاه من اقامة العدل وما جور على ما يتعاطاه الناس
بسببه واذا جاز السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد فرقت أديانهم واضلعت من رأتهم
فقتت فيهم المعاصى وذهبت أماناتهم فضعت النفوس وقنطت القلوب فنفوا الحقوق
وتعاطوا الباطل وبخسوا المكيال والميزان وجوزوا الهرج وفرقت منهم البركة وأمسكت
السماء غيثها ولم تخرج الارض ريعها ونباتها ففصل في أيديهم الحطام فقتلوا وأمسكوا
الفضل الموجود وتأخروا عن المقنود فنفوا الزكوات المقرضة وبخلوا بالمواساة المستنونة
وقبضوا أيديهم عن المكارم وتنازعوا المقدار اللطيف وتجادوا والقدر الخسيس فقتت
فيهم الايمان الكاذبة وانقضت في البيع والشراء في المعاملة والمكر والحيلة في القضاء
والاقتضاء ولا يمنهم السرقة الا العار ومن الزنا الاحياء فظل أحدهم عاريا عن محاسن
دينه ومجردا عن جلباب مروءته وأكثرتهم قوت دينه وأعظم مسراتهم هذا الحطام
ومن عاش كذلك فبطلت الارض خيره من ظاهرها (قال) وهب بن منبه اذا هم الوالى بالجور
أو عمل به ادخل الله النقص في أهل مملكته في الاسواق والزرع والضرع وكل شئ واذا هم
بالتبذير والعدل أو عمل به ادخل الله البركة في أهل مملكته كذلك وقال عمرو بن عبد العزيز تهلك
العامة بعمل الخاصة ولا تهلك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة وفي هذا المعنى قال الله
سبحانه واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة (وقال) الوليد بن هشام ان الرعية لتفقد
بفساد الوالى وتصلح بصلاحه (وقال) سفيان الثوري لابي جعفر المنصور انى لا علم رجلان
صلح صلت الامة قال ومن هو قال أنت (وقال) ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير
في مملكته مستخفيا فترى على رجل له بقرة فراحت البقرة فحلبت له قدر حلاب ثلاثين بقرة فحبب
الملك لذلك وحسب نفسه باخذها فلما راح عليه من الفقد حلبت على النصف مما حلبت
بالامس فقال له الملك ما بال حلاله تنقص أرعت في غير مرعاها بالامس قال لا ولكن أظن
ملكاهم باخذها تنقص ليتها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الملك الله سبحانه
في نفسه ان لا ياخذها فراح من الفقد حلب ثلاثين بقرة فتاب الملك وعاهد ربه لا عدل

ما بقيت * من المشهور في أرض المغرب ان السلطان بلغه ان امرأته اها حديقته القصب
 الحلو وان حديقته اها حديقته القصب على أخذها منها ثم اناها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها
 عصرت قصبه فلم تبلغ نصف قدح فقال لها أين الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك الان يكون
 السلطان قد هزم على أخذها مني فارتفعت بركتها لقتاب السلطان وأخلص قلبه نيتة ان لا يأخذها
 ابدا ثم أمرها فعصرت قصبه القصب * وحدتي بعض الشيوخ من كان يروي الاخبار بمصر
 قال كان بصعيد مصر قنبلة تتحمل عشرة أرايب غراولم يكن في الزمان قنبلة تتحمل نصف ذلك
 ففحصها السلطان فلم تحمل في ذلك العام شيئا ولا غرة واحدة (قال) شيخنا رحمه الله قال لي شيخ من
 أشياخ الصعيد أعرف هذه القنبلة في القرية تبقي عشرة أرايب ستين رية وكان صاحبها
 يبيعها في سنين الغلاء كل رية بدينار (قال) الشيخ رضي الله عنه وشهدت انابا الاسكندرية
 والصعيد في خليج مطلق للرعية والسكك فيه يغلي الماء بكثرة وبصيده الاطفال بالخرق ثم يجره
 الوالي وضع الناس من صيده فذهب السكك حتى لا يكاد يرى فيه الا الواحدة في يومها هذا
 وهكذا تتعدي سائر الملوك وعزائمهم ومكتون ضمايرهم الى الرعية ان خير اغبر وان شر افتر
 (وروي) أصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا في زمان الطماح يتلاقون
 يتسألون من قتل البارحة ومن حلب ومن جلد ومن قطع وامثال ذلك وكان الوليد صاحب
 ضياع واعمال مصانع فكان الناس يتسألون في زمانه عن البنان والمصانع والضياع وشق
 الانهار وغرس الاشجار ولم يولي سليمان بن عبد الملك وكان صاحب فكاح وطعام فكان
 الناس يتحدون في الاطعمة الدقيقة ويتوسعون في الانسكة والسراري ويعمرون مجالسهم
 بذلك ولم يولي عمر بن عبد العزيز كان الناس يتسألون كم تحفظ من القرآن وكما ورد في
 كل ليلة وكما يحفظ فلان وفي يمينهم وكما تصوم من الشهر وامثال ذلك

• (الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغبون غير عابن وخاسر غير راجح) •

اعلموا اشرذكم الله ان السلطان خطر عظيم وبلية عامة وقد يطرده من الاكاث ويحوشه
 من الامور والفهل كما يجب على كل ذي اب ان يستعين بالله تعالى ويشكره على ما عهده
 لا تهتدأ فكره ولا سكن خواطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر قلبه الخلق في شغل عنه وهو
 مشغول بهم والرجل يضاف عدوا واحدا وهو يخاف ألف عدو والرجل يضيق بتدبير أهل
 بيته وانه ضيعته وتقدير معيشته وهو مدنوع لسياسة جميع أهل ملكته وكلماته
 فتقام حوائج ملكته ما تفتق آخر وكلام منها شعائر آخر وكلماته عدوا وأرضه أعداء
 الى سائر ما يانيه من اخلاق الناس ويقاسمه من خصوماته ونصب الولاة والقضاة ويبحث
 الجيوش ويسد الثغور واستحياء الاموال ودفع المظالم ثم من العجب العجيب ان له نفسا
 واحدة وانه يرزأ من الدنيا قوتها كما يرزأ آحاد الرعايا ثم يسأل غدا عن جميعهم ولا يسألون عنه
 فذاك وباللجب من رجل رضي ان يتال رعيته ويحاسب منها على آلاف آلاف وخيف وبأكل
 في معا واحد ويحاسب على آلاف آلاف معا ويستمتع بنفس واحد مدة ويحاسب على آلاف
 آلاف من الانفس وعلى هذا النمط في جميع أحواله يحصل انتقالهم ويرجع اسرارهم
 ويجهاد عدوهم ويسد ثغورهم ويدافع مناوهم ومناصبهم ويعصى ربه فيهم ويخالف

أمره ويركب فيه من أجلهم ويقوم برائيتهم على بصيرة بينهم ثم يجدهم له فالين وعنده غير راضين ولولا أن الله تعالى يحول بين المرء وقلبه لم يرض عاقلهم هذه منزلة ولا اختارها لبيب مرتبة وكل ما ذكرته في هذا الباب أحكمه النبي عليه السلام في كلمة فقال حالكم ولا مراعى لكم صفو أمرهم وعليهم كدره ومثال السلطان مع الرعية كالطباخ مع الأكلة العناء ولهم الهناء وله الحار ولهم القار طلب لقومه الراحة فحصل على التعب وطلب لهم التعميم فاختار الصراط المستقيم وعن هذا قالوا سيد القوم انقاهم وفي الحديث ساقى القوم آخرهم شربا • وكان بعض سلاطين المغرب يسير يوما بين يديه الوزراء إذ تقطروا إلى ساعة من النهار فقال لوزيره أجب إن أريت ثلاث طوائف طائفة لهم الدنيا والآخرة وطائفة لنا والآخرة وطائفة دنيا بلا آخرة قال وكيف ذلك أيها الملك فقال الذين لهم الدنيا والآخرة فهو ولا التجار يكسبون أقاتهم ويصلون صلاتهم ولا يؤذون أحدا وأما الذين لا دنيا ولا آخرة فهو لا الشرط والخدمة الذين بين أيدينا وأما الذين لهم دنيا بلا آخرة فأناءت وسائر السلاطين خفي على جميع الورى أن يمدوا السلطان بالمناصحت ويخضوع بالدعوات ويعينوه على سائر المعاولات ويذكروا له أعيننا نظرة وأيدينا طشة وجنتنا واقية والسنة ناطقة وقوادم تنهض وقوائم تنقله وهيئات منه السلامة وأنى له السلامة وعن هذا قال بعض السلاطين يوما لأصحابه اعلوا أن السلطان والجنة لا يجتمعان (قال) شيخنا رحمه الله وحدثني رجل أنه قد روى أن السلطان أنطلق أمر أنك وكان قد أراد أن يبعث أصحابه فأتى ذلك وراحت الرسل غير مرة فقال لي ناصح منهم خذ الأمر مقبلا فإنه لا حيلة لك فإن السلطان لا يخاف في الدنيا عارا ولا في الآخرة نارا فارقها (وروى) عن عبد الملك بن مروان أنه لما ولي الخلافة أخذ المصنف فوضعه في حجره ثم قال هذا فراق يبق وينك ولما حج هرون الرشيد لقيه عبد الله العمري في الطواف فقال له يا هرون قال أباك يا عم قال كم ترى هنا من الخلق قال لا يحصيهم إلا الله فقال أياها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت واحد تسأل عنهم فكاهم فأنظر كيف تكون فيكي هرون وجلس فجعلوا يعطونه منديلا منديلا لم يجمع ثم قال له والله أن الرجل ليسرع في مال نفسه فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرع في مال المسلمين • ويقال إن هرون كان يقول واقه أنا أحب أن أجمع كل سنة وما يجتمعني إلا رجل من ولد عمر يعني ما أكره وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى من أحق من السلطان ومن أجهل من عصافى ومن أعز من اعتزى أيا راعى السوء ففت اليك غنما ما ناصحا فأكلت اللحم وشرت اللبن واتمتعت بالدهن ولبست الصوف وتركتها نظاما فمقتنع ولم تأو المصافة ولم تحبب الكسير اليوم انتقم لها منك

• (الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الأرض) •

اعلموا ارشدكم الله أن في وجود السلطان في الأرض حكمة لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد جزيلة لأن الله سبحانه جيل الخلق على حب الانتصاف وعدم الانصاف ومثلهم بالسلطان مثل الحيتان في البحر يزدرد الكبير الصغير حتى لم يكن لهم سلطان فأهمل ينظم لهم أمر ولم يستقم لهم معاش ولم ينزأ بالحياة ولهذا قال بعض القدماء لو رفع السلطان من الأرض ما كان لله في أهل الأرض من حاجة ومن الحكم التي في إقامة السلطان أنه من حجج الله تعالى على وجوده

سبحانه من علاماته على توحيد لانه كالا يمكن استقامة أمور العالم واعتداله بغير مدبر منفرد
بتدبيره كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه وما قسمه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه
وعالم آفته وحكيم دبره وكلا لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم الهان العالم والعالم بأسره
في سلطان الله تعالى كالبدا الواحد في يد سلطان الأرض ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله
عنه امر الله جل جلاله لا يصلح احدهما بالتفرد ولا يصلح الآخر بالمشاركة وهما الملك والرأى
فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الرأى بالتفرد به ومثال السلطان القاهر لرعيته والرعية
بالسلطان مثاليته فيه سراج منير وحوله فتاه من انطلق يعالجون صنائعهم فيحتاجهم كذلك
طفئ السراج فقبضوا أيديهم للوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه ففتروا الحيوان الشرير
وخشخش الهام الخسيس فذبت العقرب من مكنتها وقسقت القنبرة من بهرها وخرجت
الحية من معبئها وجاء اللص بجملته وهاج البرغوث مع حنانه قطع المنافع واستطارت
فيهم المضار كذلك اذا كان قاهر الرعيته كانت المنفعة به عامة وكانت الدماء في أهلها محقونة
والحرم في حدوده من مصونة والأسواق عامرة والأموال محروسة والحيوان الفاضل ظاهر
والمرافق جارية والحيوان الشرير من أهل السوق والدعاة خامل واذا اختل أمر
السلطان دخل الفساد على الجميع ولو جعل ظلم الناس حولا في كفة كان هرج ساعا أعظم
وأرجح من ظلم السلطان حولا وكيف لا وفي زوال السلطان أضعف شوكة سوق أهل الشر
ومكعب الاجناد وفتاق أهل العبارة والسوق واللصوص والمناهب وقال الفضيل جورستين
سنة خير من هرج سنة ولا تنى زوال السلطان الا جاهل مغرورا فاسق تنى كل محدور فحقيق
على كل رعية ان ترغب الى الله تعالى في اصلاح السلطان وان تبذل له نصحه ونصحه يصلح
دعائها فان في صلاحه صلاح العباد والبلاد وفي فساد فساد العباد والبلاد وكان العلماء
يقولون اذا استقامت لكم أمور السلطان فاكثروا حمد الله تعالى وشكروه وان جاءكم منه
ما تكرهون وجهوه الى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه باتمامكم واقبوا عهد السلطان
لا تنشأوا الأمور عليه وكثرة ما يكابدهم من ضبط جوانب المملكة واستتلاف الاعداء وارضاء
الاولياء وقلة الناصح وكثرة التدليس والطمع وفي كذب التاج هموم الناس صغار وهموم
الملوك كبار والباب الملوك مشغولة بكل شيء والباب السوق مشغولة بامر شيء والجاهل
منهم يعذر نفسه مع ما هو عليه من الراحة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو عليه من المؤنة ومن
هناك يعز الله سلطانه ويرشده وينصره وعن هذا قالت حكيماء الجهم لا تستوطنن الا بلدا فيه سلطان
قاهر وقاض عادل وسوق قائمة وطبيب عالم ونهر جار

(الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره)

(قال) حكيماء العرب والجهم مثل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث الذي هو سقي الله
تعالى وبركاته السماء وحياة الأرض ومن عليها وقد ينادي به المسافر ويسد اعلى البنيان
وتكون فيه الصواعق وتدرسه وله فتلك الناس والدواب والنباتات ويعوج له البحر
فتستدليه على أهله ولا يمنع ذلك انطلق اذا نظروا الى آثار رحمة الله تعالى في الأرض التي
أحيا والنبات الذي أخرج والرفق الذي بسط والرحمة التي نشر أن يعظموا رحمة ربهم

ويشكرونها ويلقوا ذكر خواص الازية التي دخلت على خواص المخلق (ومثاله) أيضا مثل
الرياح التي يرسلها الله تعالى نشر ابرين يدى رحمة فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاها الثمرات
ورواحا للبلاد ويتنشقون منها ويتقلبون فيها وتجري بها مياههم وتقديها نيرانهم
وتسرع بها في البحر اقلاصهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم ويخلص
الى أنفسهم فيشكروها الشاكرون وقد يتأذى بها كثير من الناس ولا يزالها ذلك عن منزلتها
من قوام عبادته وتعام نعمته (ومثاله) أيضا مثال الشتاء والصف الذي جعل الله حرهما
وبردهما صلاحا للثرى والتسول وتاجا للعب والتمر يجمعهما البرد باذن الله ويخرجهما الحر
باذن الله فينضج على اعتدال الى غير ذلك من منافعهما وقد يكون الاذى في حرهما وبردهما
ومعهمهما وزهرهما وهما مع ذلك لا يفسدان الى الصلاح والخير وقد غمر صلاحهما اذيتهما
ومثاله أيضا مثل الليل الذي جعله الله تعالى سكا وباسا ونوما وراحة وسباتا وقد يستوحش
له أخو الفقر ويسارع فيه أهل النعارة والفساد والصوص وتعدو فيه السباع وتشتد
فيه الهوام وذوات الحمة والسموم القاتلة ثم لا ينسى العباد نعم الله تعالى عليهم به ولا يراى صغير
ضربه بكبير نفعه (ومثاله) أيضا مثال النهار الذي جعله الله ضياء ونورا ونشورا واكتسابا
واتقاربا وقد تكون فيه الحروب والفارات والتعب والنصب والشغوص والنقصون
تقتصر الخلق منه الى الليل ثم لا ينسى العباد نعم الله عليهم فيه وهكذا كل جسيم من أمور
الدنيا يكون ضرره خاصا ونفعه عاما فهو نعمة عامة وكل شئ يكون نفعه عاما فهو بلاء عام
ولو كانت نعم الدنيا صفوا من غير كدر وميسور هان غير معصور لكأن الدنيا هي الجنة التي
لا تعب فيها ولا نصب (وقد قال الشاعر)

لاترج شيئا خلاصا نفعه • فالنيت لا يخلو من العيب

• (الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية) •

اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذا صفت الروح من الكدر
سرت الى الجوارح سليمة وسرت في جميع أجزاء الجسد فأمن الجسد من الغير فاستقامت
الجوارح والحواس واتظم أمر الجسد وان تكذبت الروح أو فسدت مزاجها تلبس بالجسد
الجسد تقسرى الى الحواس والجوارح كدرة وهي مخرفة عن الاعتدال فاخذ بكل
عضو وحاسة يقسطه من الفساد فخرضت الجوارح وتعلت قعطل نظام الجسد وجرو
الى الفساد والهلاك (ومثال) السلطان أيضا مثال النار ومثال الخلق مثال الخشب فما كان
منها معتدلا لم يمتحج الى النار وما كان منها متاودا احتاج الى النار ليقام أوده فيحصل عوجه
فان أفرطت النار احترق الخشب قبل ان يستقيم أوده وان قصرت النار لم يكن الخشب لقبول
الاعتدال فيبقى متاودا واذا كانت النار معتدلة اعتدل الخشب كذلك السلطان في أطواره
ان أفرطت أهلك الخلق وان فرط لم يستقيموا وان اعتدل اعتدلو (ومثاله) أيضا مثال عين خراة
في أرض خراة فان سلام مشربه وعذب طعمه وسلت من الكدر والفساد وأصافه
اختلج في الارض فالبغته صافيا صرفا ثم شر به عروق الاشجار فاعتذت به كذلك فغلظت
سوقها وفرغت أغصانها وامتدت أفنانها ثم أخرجت أوراقها وأبرزت أزهارها ثم قدفت

ثم أوحى بها على أتم طبيعتها كبرا وطعسا ولونا وزائحة فتقوت بها العباد وأكث
 حظونها بها ثم والحشرات وسقط عليها الطير فأحرز كل منها قوته واستقام النظام وان
 كان في حاشي الأرض ما يدق من النبات والنقع ويكدى عن الزكاة والربيع أو كان فيها
 من الشجر ما يبر زجمله ويقل ويضعه على كل ذلك الغاية من نفسه وأطلع ما في ثواء ولم يغادر
 ممكنا الاوقاف وان كان في العين كدر أو فساد أو ملح شربتها الاشجار كذلك ففسد من راجعها
 وأضر الجزء الفاسد بالطيب فرق سوقها وضعت أغصانها وتغيرت أوراقها وقلت
 أزهارها وتغيرت وأدخل الفساد على جميع ذلك فجاءت الفترة وهي تزدد ردي مطعما
 كاسف لونها فدخل ذلك من النقص على جميع الحيوان مثل ما دخل عليهم في الاولى ولهذا
 قال الرسول صلى الله عليه وسلم ان الحشرات تقوت في أجسامها من الاذى بن آدم يعني اذا
 كثرت المعاصي في الأرض حيث السحاب غيائها وضعت الأرض نباتها فهلك الهوام
 والحشرات والهواب

• (الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع بها في نظام الملك والدول) •

وهي ثلاثة العيون وترك القنطرة والمشاورة وان لا يستعمل على الاعمال والولايات راغب فيها
 ولا طالب لها ولما علم الله تعالى ما فيها من اتظام أمر الملة واستقامة الامر نص عليها الله
 سبحانه ورسوله • اعلم ان هذه الخصال من أساس الممالك وقول من يعمل بها من الملوك اثنتان
 زلتان السماء وواحدة قالها الرسول صلى الله عليه وسلم اما الالهية فقال الله تعالى فيلزمه
 من الله ثلثتهم ولو كنت قطعا غليظا القلب لانقضوا من حولك فاصف عنهم واستغفر لهم وشاورهم
 في الامر والى الآية اشارتان • احدهما ان القنطرة تنظر الاحصاء والجلساء وتفرق
 الجوع والجشم وانما الملك ملك بجلسته وأصحابه وحشمه واتباعه وأخلق بخصه تنظر
 الاولياء وتطبع الاعداء فممن بكل سلطان رفضها والاسترازة من سوء مقبها ولتكن كما
 قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين • وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
 كان جالسا مع أصحابه فجاوبه رجل فقال أياكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الايض المكي فقال
 الرجل يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قدأ • بيتك دل الاثر على انه ما سائر
 بشرف المجلس ولا فاتهم برزى ولا مقعد وقد يبلغ بالدين ما لا يبلغ بالغلظة ألا ترى أن الرياح تهون
 أصواتها في تدخل لها الشجر وتنعطف الافئدة والأغصان وفي القرمط تنكسر الأغصان والماء
 يلينه في أصول الشجر يقطعها من أصلها واذا كانت الحبة مع صعوبتها وأصعبها وتغيرها في بصرها
 ترقى بالكلام حتى تستعطف فتخرج قال انسان أخرى ان يستمال بطن القول وحسن المنطق
 فاذا أردت ان تقدم من ربي البك فكافته بكل كلمة سوء قالها كلمة بجملة وحسن ثناء عليه
 • والاشارة الثانية انه قال وشاورهم في الامر فاذا قبل لنا كيف يشاورهم وهو نعيم وامامهم
 وواجب عليهم مشاورته وان لا يفصلوا أمر ادونه قلنا هذا أدب الله تعالى بنبيه عليه
 السلام به وصلة ما دية تسائر الملوك والامراء والولاة لما علم الله تعالى ما في المشاورة من حسن
 الادب مع الجليس وصاحبه في الامور فان تقوموا بالجلساء والنصحاء والوزراء تصلح عليه
 وتقبل اليه وتخضع عنوة بين يديه شرعة لثبته عليه السلام ولاوى الامر من أهل ملته صلى

الله عليه وسلم ألا ترى أن النبي عليه السلام كان في غزوة فامرهم بالتزول فقال له سعد يا رسول الله ان كان هذا باهر لك فمع وطاعة وان كان غير ذلك فليس يغزل فسمع منه النبي عليه السلام وقال ارتحلوا ومن أتبع ما وصف به الرجل ملوكا كانوا أو سوقه الاستبداد بالرأى وترك المشاورة وسعد بالمشاورة ما بان شاء الله تعالى وانحصر الثالث عمار بن الجدار ومسلم وغيرهما ان رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال النبي عليه السلام انانا لنعمل على عملنا من اراده والسرفه ان الولايات امانات وقصر في ارواح الخلائق وأموالهم والقصر الى الامانة دليل على الخيانة وانما يجتنبها من يريد أكلها واذا اتفقنا على موضع الامانات كان كاستعطاء القتب على الغنم ومن هذه الخصلة تفسد قلوب الرعايا على ملوكها لانه اذا احتضت حقوقهم وأكلت أموالهم فسدت نياتهم واطلقوا ألسنتهم بالاعمال التي تشكي رذ كروا سائر الملوك بالعدل والاحسان فكانوا كالبيت السائر الذي انشدناه
وداعى الشايعي القتب عنها • فكيف اذا الرعايا لها ذناب
فاذا نحن أهل الامانات وفسد أهل الولايات كان الامر كما قال الاول
بالبحر يصلح ما يمشى تقبوه • فكيف بالبحر ان حلت به الغير
(وقال آخر)

ذنب تراه مصليا • فاذا مروى • وركع
يدعو وجل دعائه • ما للقرينة ما تنفع
بجل بها اذا الصلا • ان القواد قد انصدع

• ومن اشراط الساعة التسدي للامانة وخطبة الولاية (وروي) عن النبي عليه السلام انه قال من اشراط الساعة ان تكون الزكاة مغرما والامانة مغنما حينئذ يدعو عليه الضعيف وأهل الصلاح ويقعده بالمراد الشرير ويظهر عليه القوى ويقبح ثأوه عند الجماعة ويقتوا الراحة منه ويظفرون من يصلح لها سواء

• (الباب الحادي عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولاياتها دونها)

فأقول الخصال وأحقها الرعاية العدل الذي هو قوام الملك ودوام الدول وأساس كل ملكة سواء كانت نبوية أو صلاحية • أعلم أن ذلك الله ان الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه ان ليس كل النفوس تفصل على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتداء ذي القربى فلو توسع الخلق العدل ما قرن الله به الاحسان فمن لم يصلح حتى يراى على العدل كيف يصلح اذا لم يبلغ به العدل والعدل ميزان الله في الارض الذي به يتوخذ للضعيف من القوى وللحق من البطل وليس موضع الميزان بين الرعية فقط بل بين السلطان والرعية أيضا فمن أزال ميزان الله الذي وضعه من القيام بالقسط فقد تعرض لحظ الله تعالى • وأعلم أيها الوالي ان الملك بمنزلة رجل فرأى أنه أنت وقلبه وزيرك ويداه أعوانك ورجلاه رعيته وروحه عدلك وما بقا جسده ملا روح ولذا أريدت ذروة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة أنفس كبير وصغير ووسط فأجعل كبيرهم أباً ووسطهم أمّاً وصغيرهم ابناً فبرأباك وأكرم أمك وارحم ابنتك فأنت واصل بنك الى بركه وكرامته ورجته وأعلم ان عدل الملك

يوجب الاتباع عليه وجوبه يوجب الاقتراق عنه عدل الملك حياة وعيته وفي مشور
 الحكيم سلطان جاز أربعين عاما خسر من رعية مهلة ساعة واحدة من النهار اذا عدل
 السلطان فيما قرب منه صلح له ما بهد عنه فضل المولى في الاعطاء وشرفها في العفو وعزها
 في العدل هذه السلطان ثلاثة مشاورة النعماء وثبات في الاعوان واقامة سوق العدل
 افضل الازمنة اربعة ائمة العدل ثم العدل ينقسم قسمين قسم الهي يتبع به الرسل والانبياء
 عليهم السلام عن الله تعالى والثاني ما يشبه العدل وهو السياسة الاصلاحية التي حرم عليها
 الكبير وشأ عليها الصغير وبهذا ينبغي سلطان أو تستقيم رعية في حال ايمان أو كفر بلا
 عدل قائم ولا ترتيب للامور ثابت فذلك لا يجوز ولا يمكن وقد ذكرنا في أول الكتاب ان
 سليمان بن داود سلب ملكه حين جلس لخصمان بين يديه وكان لاحدهما خاصة بسليمان فقال
 في نفسه وددت أن يكون الحق خاصتي فاقضى له فسلبه الله تعالى ملكه وقعد الشيطان على
 كرسيه فاجعل العدل رأس سياستك فتسقط عنك جميع الآفات المفسدة للسياسة وتقوم
 لك جميع الشرائط التي تقوم بها المملكة قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه امام عادل
 خير من مطروايل وأسد مطوم خير من سلطان ظلوم وسطان ظلوم خير من قننة تدوم
 وقال ابن مسعود اذا كان الامام عادلا فله الاجر وعليك الشكر وان كان جاثرا فعليه الوزر
 وعليك السهر وقال سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يعرزان الملك واتفق حكماء
 العرب والعجم على هذه الكلمات فقالوا الملك بناء والجند أساسه فإذا قوى الأساس دام البناء
 وان ضعف الأساس انهار البناء فلا سلطان الايمان ولا جند الايمان ولا مال الايمان
 ولا جباية الايمان ولا حجارة الايمان فصار العدل أساسا للسلطان اساسات فاما العدل
 التبري فأن يجمع السلطان الى نفسه حكم العلم الذين هم حفاظه ورعاؤه وفقهائهم ورواهم الادلاء
 على الله تعالى والقائمون بأمر الله والحفاظون لحسود الله والناسخون لعباد الله وروى أبو
 هريرة ان النبي عليه السلام قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا
 لمن يا رسول الله قال الله ولكاتبه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فاتخذوا الملك العلم متعازا
 والصالحين دافعا فقدر دور المملكة بين نصاب العلماء ودعوات الصلحاء وأخلق ذلك بدورين
 هاتين النصيحتين ان تقوم عدله وبطول أمده وكيف لا وقد قسم الله في سلطانه
 واصطفاهم بخالص معرفته فقال جل من قائل ثم هذا الله أنه لا اله الا هو والملائكة
 وأولو العلم قائما بالقسط فبدأ بنفسه وثبى بلائكته وثلب باولي العلم وهم ورثة الانبياء عليهم
 السلام الموقفون عن الله تعالى لان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ففى
 تعظيمهم وتقديرهم امتثال لامر الله تعالى وتعظيم لمن أنى الله عليه ويجب ترفيع مجالسهم
 وتبليغ مواضعهم عن سواهم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين آمنوا العلم
 درجات وفيه استمالة قلوب الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبة فواجب
 على السلطان أن لا يتطعم امرأته ولا يفصل حكما لا يمشرونهم لانه في ملك الله يحكم وفي
 شريعته يحرف وأقل الواجبات على السلطان ان ينزل نفسه مع الله منزلة ولا يمتدحه اليه
 اذا خالف واليه أمره ومارجه من الاحكام عزه وعاقبه ولم يأمن سطوته واذا امتثل أو أمره

وأزدر من زواجه حل منه محل الرضا فواجب على غضب على واليه إذا خالفه ثم لا يحلف
 سطوة ربه عليه إذا خالفه فهذا طريق إقامة العدل الثمري والساسة الإسلامية
 الجاهلية لوجوه المصلحة الآخذة لازمة التدبير السالمة من العيوب المهيئة لاستقامة الدنيا
 والدين وكأن الملك الحازم لا يتم حزمه إلا بشاورة الوزراء والأشبار كذلك لا يتم عدله
 إلا باستفتاء العلماء الأبرار وقد وقع المأمون في قصة متظلم من عمرو بن مسعدة يا عمرو امر
 نعمتك بالعدل فإن الجور يهدمها وفي إساءة العدل قوة القلب وطية النفس وزوم اليقين
 وأمان من العدو ولما استأذن الهرمزان على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يجد عند حاجبا
 ولا بوابا فقبض له هوى المسجد فأتى المسجد فوجد منسقا متوسدا كوما من الحصار وورثه
 بين يديه فقال له عدلت فأمنت فمت وقال الحسن رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد جمع
 الحصار في مسجد النبي عليه السلام عند رأسه وقد وضع أحد يديه رداؤه عليه وهو يومئذ
 أمير المؤمنين ما عنده أحد من الناس وورثه بين يديه وكتب عامل حصن إلى عمر بن عبد
 العزيز أن مدينته حصن قد تممت واحتاجت إلى إصلاح فكتب إليه عمر حينها بالعدل ونق
 طرقها من الجور والسلام وقالت الحكيم من حرم العدل فلا خير فيه ولا للناس في سلطانه وقال
 يحيى بن أكرم ما شئت المأمون في بستان والشمس عن يساري والمأمون في الظل فلما رجنا وقعت
 الشمس أبضا على فقال لي المأمون تحول مكافى وتحول مكافئ حتى تكون في الظل كما كنت
 وأقصد الشمس كما وقفتي فإن أول العدل أن يعدل الرجل على بطائه ثم الذين يلونهم حتى يبلغ
 العدل الطبقة السفلى فعزم على قصول وكان يقال ليس شيء أبعد من يقاصد الغاصب وقيل
 للأسكندر ولما كثرت من الساعى يكثر نفسك ويحياذ كرك فقال الخليلي الذكر الأفعال الجميلة
 والسيرة الحميدة ولا يحسن من يغلب الرجال أن تغلب النساء وقال الحكميم من اتخذ العدل
 سنة كان له أحسن جنة ومن استشرحه العدل استكمل زينة الفضل وقال أبو حنيفة
 ابن عدي الله بن مسعود أن الامام العادل يسكت الاصوات عن الله وأن الامام الجائر لا يكثر
 منه الشكاية إلى الله تعالى وقال الحكميم لا يزال السلطان مهمل حتى يغطي إلى أركان العمارة
 ومباني الشريعة فحينئذ يرجع الله منه وقالوا لا تظلم الضعفاء فتكون من ثام الأقوياء وقال
 بعض الحكماء أمير بلا عدل كقيم بلا مطر وعالم بلا ودع كارض بلا نبات وشاب بلا قوبة
 كشجر بلا ثمر وغني بلا مضاء كقفيل بلا مفتاح وقصير بلا صبر كسراج بلا ضوء وامرأة بلا
 حياء كطعام بلا ملح وقال كسرى اتفقت ملوك العجم على أربع خصال أن الطعام لا يؤكل
 إلا على شهوة والمرأة لا تنظر إلا إلى زوجها والملك لا يصلحه إلا الطاعة والرعية لا يصلحها
 إلا العدل وأحق الناس بأجبار نفسه على العدل الملوكة الذين بعد لهم يعدل من دونهم
 والذين إذا قالوا أو فعلوا كان نافذا غير مردود وقالت الحكماء من ما شئت بالانصاف وأما زعيم
 لك بالتفريقه والظلم ادعى شيء إلى تغيير نعمة أو تفجيل نعمة وقال الحكميم شر الزاد إلى المعاد
 الذنب بعد الذنب وشر من هذا العدوان على العباد ومضى أراد السلطان حسن الصيت
 وجعل الذر كرفلهم سوق العدل وإن أحب الزنى عند الله وشره المثرة عند من يليهم سوق
 العدل وإن أحبهم جميعا فليقم سوق العدل والذي يخلطه ذر الملوكة على غابر الدهور عدل

واضح واجز وفاضح هذا بوجبة الرحمة وهذا بوجبة المعنة
 (فصل) في ما لم يقسم الثاني من العدل وهو السياسة الاصطلاحية وإن كان أصلها على
 الجور فيقوم بها أمر الدنيا وكأنها لنا كل مراتب الانصاف على نحو ما كانت عليه مألوفة
 الطوائف في أيام القرس وسكانوا كفارا يعبدون التيران ويتبعون هواجس الشيطان
 فواضعوا بينهم سننا واسسوا لهم أحكاما وأقاموا لهم مراتب في النصفة بين الرعايا واستقياء
 الخراجات وتوظيف المكوس على التجارات كل ذلك بقولهم على وجود ما أنزل الله به من
 سلطان ولا نصب عليها من برهان يبدأ ملجأت الشريعة من عند الله تعالى على لسان نبيه
 صاحب الميزة محمد صلى الله عليه وسلم فقاموا قرنته في نصابه ومنها ما سمته وأبطلت حكمه
 فعادت الحكمة البالغة إلى الله تعالى والحكم بما أنزل الله بطل ما سواه وكان ملكهم
 محقوظا برعايتهم للقوانين المألوفة بينهم فاقطع بذلك جبل الهمل فكانوا يقيمون بها واجب
 الحقوق ويتعاطون بها ما لهم وعليهم ومن هذا كان يقال إن السلطان الكافر الحافظ
 لشروط السياسة الاصطلاحية أقوى وأقوى من السلطان المؤمن العدل في نفسه المضيع
 للسياسة النبوية العبدية والجور المرتب على من العدل المهمل إذ لا شيء أصح لأمر
 السلطان من ترتيب الأمور ولا شيء أفسده من إهمالها وأعلم أن درهما يؤخذ من الرعية
 على وجه الإهمال والخرق وإن كان عدلا فاسد لما فيها من عشرة تؤخذ من سياسة على زمام
 معروف ورغم ما لوف وإن كان جورا فلا يقوم السلطان لاهل الإيمان ولا لاهل الكفران
 إلا بإقامة العدل النبوي وأما ينسب العدل من الترتيب الاصطلاحى وقال ابن المقفع الملوكة
 ثلاثة ملك ديني وملك حرم وملك هوى فاما ملك الدين فانه إذا قام لاهل المملكة دينهم كانوا
 راضين وكان الساخط فيه بمنزلة الراضى واما ملك الحزم فيقوم به الأمر ولا يسلم من الطعن
 والسخط ولين يضر طعن الدليل مع حزم القوى واما ملك الهوى فلهب ساعة ودمار دهر ولقد
 بلغنا أن ملكا من ملوك الهند نزل به صمم فاصبح ميتا وجسمه قايما ومرايا مظلومين وأنه لا يسمع
 استغاثتهم فامر مناديه أن لا يلبس أحدا في ملكه نوبا أحرار المظلوم وقال لمن منعت سمى
 لم أسمع بصري فكان كل من ظلم ليس نوبا أحرار وقت تحت قصره فيكشف عن ظلامته قال
 شيخنا وأخبرني أبو العباس الجبازي وكان ممن دخل المدين بسيرة بحبيبة غريبة للملكها
 في سياستهم وذلك أن اليميت الذي يكون فيه الملك ناقصا موصولا بسلسلة وطرف السلسلة
 في خارج الطريق وعليها أمناء السلطان وحفظة فيأتي المظلوم فيحرك السلسلة فيسمع الملك
 صوت الناقوس فيأمر بإدخال المظلوم فكل من سلك السلسلة تمسكه تلك الحفظة حتى تدخله
 على السلطان

• (الباب الثاني عشر في التخصيص على الخصال التي زعم الملوكة أنها

أزالت دولتهم وهدمت سلطانهم) •

أيها الملك أحرص كل الحرص أن تكون خبيرا بأمور عمالتك فإن المني يفرق من خبرتك به قبل
 أن تصيبه عقوبتك والحسن يستبشر بملكه قبل أن ياتيه نوابك قال أبو جعفر المنصور
 ما زال امرئ أمة مستقبلا حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين فكانت همهم من عظيم شأن

الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وايشار الذات والنسول في معاصي الله وسخطه جهلا
 منهم باستدراج الله تعالى وامثال كره فسلهم الله العز وقل عنهم النعمة قال صيد الله بن
 مروان ومروان هذا هو المعروف بجر وان الجمار وهو آخو ملوك بني أمية قتل في أرض مصر في
 كورة بوسيل ما زال السكاوير بيت الى أرض الذوية فبين اتبعني من أصحابي فسمع ملك النوبة
 يجري بجمافي فقع على الأرض ولم يقعد على فراش اقربته فقلت له الاتقعد على ثيابنا حال
 لا قلت ولم قال لا في ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لامر الله سبحانه اذ دفعه ثم قال لم تسرون
 النجر وهي محرمة عليكم ولم تطون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم ولم تستعملون الذهب
 والفضة وتلبسون الديساج والحريز وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك فقل انصارنا
 واتصرونا يقوم من الاعاجيم دخولاد فناء ولنا عبيد واتباع فعلوا ذلك على كره منا فاطرق ملبا
 بقلب كفيه ويسكت في الأرض ثم قال ليس كاذرت بل انتم قوم استحلتم ما حرم الله وظلمتم
 فيما ملكتم فسلبكم الله العز بنؤبكم والله فيكم تسمية لم تبلغ غايتها واخاف ان يجعل بكم العذاب
 وانتم يلد في صبيبي معكم وانما الضيافة ثلاثة ايام فتزودوا ما احببتم اليه وارفقوا عن يدي
 فتزودنا وارفقنا ومثل يزجرهم ما بال ملك آل ساسان صار الى ما صار اليه بعدما كان فيه من
 قوة السلطان وشدة الأركان فقل ذلك لانهم قلدوا كبار الاعمال صفار الرجال وعن هذا قالت
 الحكماء موت ألف من العيلة أقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة وفي الامثال ان زوال
 الدول باصطناع السفل وقال الشافعي رضي الله عنه اعظم الناس لنفسه التيم اذا ارتفع جفا
 افاره وانسكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل ومثل بعض الملوك
 بعد زوال ما ~~ملكه~~ ما الذي سلبك ملكك قال اصطادنا من بطر وطفي ورفع عمل اليوم لغد
 وقتل بعض الملوك بعد ان سلبو املكمهم ما الذي سلب عزمك وهدم ملككم فقال شغلنا ذاتنا
 عن التفرغ لمهماتنا وقتنا بكفائتنا فآثروا امران قوم علينا وظلم علاننا وعيتنا فانفسدت
 نيائهم لنا وغنوا الراسقنا وجعل على أهل خواجنا قتل دخلنا وبطل عطاء عبيدنا فزال
 الطاعة منهم لنا وقصدنا بدونا فقل ناصرنا وكان أعظم ما زال به ملكنا استتار الاخبار عنا
 وقالت الحكماء أسرع اتصال في هدم السلطان وأعظمها وأسرعها في افساده وتفريق الجمع
 عنه اظهار المحاباة لقوم دون قوم والميل الى قبيلة دون قبيلة فبني أعلن يحب قبيلة فقد برئ من
 قبائل وقد عاقبل المحاباة ففسدة وقال مهيوذ المربدان من زوال السلطان تقرب من رضى
 ان يباعد ومباعد من يبغي ان يخرى وحيتنذحان وان انقدر وقبل لك بعد ذهاب ملكه
 ما الذي اذهب ملككم قال ثقى بدولتي واستبدادى بعرفتي واعتلى استشارتي وابجاني
 شدتي واضاعنى الحيلة وقت حاجتي والثاني عند الهيلة ولما أحبط عمروان الجعدى وهو
 آخو ملوك بني أمية قال له فاه على دولة ما نصرت وكف ما نظرت ونعمة ما شكرت فقال له
 خادमे نسل وكان من أولاد اشراف الروم من أغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكبر
 والخطي حتى يظهر اصابه مثل هذا ومثل بعض العلماء الذي اذهب ملك بني مروان قال
 تصاد الا كفا وانقطاع الاخبار وذلك ان زيد بن عمر كان يحب أن يضع من نصر بن سيار
 وكان لا يمد بالرجال ولا يرفع الى السلطان ما يورد عليه من أخبار خراسان فلما رأى ذلك نصر

أرى خلل الزمان وميض نار • فيوشك ان يكون لها ضرام
وان النار بالعودين تذكو • وان الحرب أولها الكلام
فقلت تجاهل باليت شعري • أياضا أمية أم نيام
وكان العباسيون يؤسسون دولتهم ولا تصل اخبارهم الى بني أمية حتى استعجل أمرهم وضعف
أمر بني أمية وسئل مروان بن محمد الجعدي وهو آخر ملوك بني أمية ما الذي أضف ملكك
بعد قوة السلطان وثبات الأركان فقال الاستبداد برأيي لما كثرت على كتب نصر بن سيار
أن أمدد بالأموال والريال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار من الأموال بما يظهر من
فساد الدولة قبل وهيات ان يقتضض على خراسان فاقبضت دولتهم من خراسان

• (الباب الثالث عشر في الصفات الرتبة التي زعم الحكماء انه لا تداءم معها الملكة) •

ومن أعجب العجائب دوام الملك مع الكبر والاهجاب اعلموا ان الكبر والاهجاب يسلبان
القضائل ويكسبان الرذائل لان الكبر يكون بالمرتلة والعجب يكون بالفضيلة والتكبر
يجل نفسه عن رتبة المتعلمين والمهيب يستكبر فضله عن استزادة المتأدبين وحسبك من رذيلة
تمنع من سماع النصح وقبول التاديب والكبر يكسب المقت ويمنع من المسئلة وكل كبر
ذكره الله في القرآن فحرون بالشرك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس انما لك عن
الشرك بالله والكبر فان الله سبحانه بغضب منهما وقال ادشيرين يا بك ما الكبر الا فضل الحق لم
يدرم احبه اين يذهب به فصرفه الى الكبر وقال الاخنف بن قيس ما تكبر احد الا من ذلة
يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تنهى الكبر وتناقض منه قال الشاعر

فكي كان عذب الروح لامن خصامة • ولكن كبرا ان يقال به كبر

ونظرا فلا طعن الى رجل جاهل محجب بنفسه فقال وددت اني مثلك في ظنك وان أعدائي مثلك
في الحقيقة قالت الحكماء قديوم الملك مع معظم النقائص قرب فقير ساد قومه ورب أحق
ساد قيلته منهم الاقرع بن حابس الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الاحق المطاع
قالوا ولا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب السيادة واعظم من ذلك ان الله تعالى
حرم الجنة على المتكبرين فقال سبحانه وتعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض ولا نسادا فقرن الكبر بالقساد ومنعنا من دخول الجنة وقال جل وعز سا صرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول
داؤه في يعني اني أتكبر عليه واعلم ان الكبر يوجب المقت ومن مقتبه رجاله ليستقيم حاله
ومن أبغضته بطائفة كان كمن غص بالماء ومن كرهه الجماعة تطاولت عليه الاعداء واما الاهجاب
فيحمله على الاستبداد وترك مشورات الرجال ومن الصفات التي لا تقوم معها الملكة
الكذب والنسدر والتلبث والجلور والسحق وقالت حكماء العرب والعجم ست خصال
لا تغتفر من السلطان الكذب والخلف والحسد والحدة والبخل والجبن فانه اذا كان
كذابا لم يوثق بوعده ولا بوعيد مفترج خيره ولم يحفظ نهره ولا بهائم السلطان لا يرهب وقال
الحكماء تنويع البلاد وفساد العباد مقر وان باطل الوعد والوعيد من الملوك والكذب اعظم

الاخلاق واغلب شيء على صاحبه وأحرى أن لا ينزع عنه لضرارته وقيل لأحرارى لم تكذب
قال لوتعزنت به مازركته وهو فزع من التعرض وضرب من الدائم وأصله استعذاب المني وهو
أضغان فكر الحنى ومن يلبته أنه يحمل على صاحبه ذنب غيره فإذا سمعت كذبة طامحة نسبت
إليه قال الشاعر

حسب الكذب من المما • فبعض ما يحكى عليه
وإذا سمعت بكذبة • من غيره نسبت إليه
• (وقال غيره) •

في حيلة فممن يتم وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو • لخلق في قلبه
وقال الله تعالى انما يشتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واما الحسن فانه اذا كان
حسودا لم يشرف أحدا وإذا ضاعت الاشراف هلكت الاتباع ولا يصلح الناس الا على
اشرافهم قال الشاعر

لا تصلح الناس فوضى لاسراة لهم • ولا سراة اذا جهالهم سادوا
واما البخل فاذا كان خفيلا لم ينصحه أحد ولا تصلح الولاية الا بالنصحة وليس للملك ان يبخل لان
يوت الاموال في يديه واما الجبن فاذا كان جبانا اجتأ عليه عدوه وضاعت نفوره وإذا كان
حديدا غصروا بالقسوة من ورائه هلكت رعيته وليس للملك ان يغضب لان القسوة من وراءه
ساجدة ولما دخل اسقف نجران على مصعب بن الزبير ضرب وجهه بالفضيب فادماه فقال الاسقف
ان شاء الامير أخبرني بما أنزل الله على عيسى عليه السلام قال قل قال لا تقضب بعدها قال هات
قال لا ينبغي للامام ان يكون سقيا ومنه يلقي الحلم ولا جأ ومنه يلقي العدل وقال الاوزاعي
يهلك السلطان بالاعجاب والاعجاب فاما الاعجاب فقد نذرناه واما الاحجاب فهو أروى
الخلال في خدم السلطان وأسرعها خرابا لا يقول فانه اذا احبب السلطان فسكاته قد مات لان
الحبيبة موت حكمي فتعجب بطائفة بارواح الخلاق وحريمهم وأموالهم لان الظلم قد أمّن ان
لا يصل المظالم الى السلطان ومعظم ما رأينا في أعمارنا وسعنا عن بعضنا من دخول القساة على
المالوك من هيجتهم عن مباشرة الأمور ولا تزال الرعية ذاملا لسلطان واحد ما وصلوا الى سلطانهم
فاذا احبب فهاك سلاطين كثيرة يأبى الملك المغرور اخصيت عن الرعية بالخطاب والابواب
وجعلت دونهم بروجا شديدة وحفائر بالجوار والماء والطين مانعة وباب الله مفتوح للسائلين
ليس هناك لاجاب ولا أبواب قال الله تعالى الا من شاء ان يتخذ الى ربه ميلا وقال معاوية
ليس بينك والملك السلطان رعيته وأعطاكه الا الحزم والتواني وكأله امر ان شدة في غير افراط ولين
في غير امتنان وسئل برز جهم أي المالوك أحرم قال من ملك جسده هزله وقهر قلبه هواه
وأعرب عن ضميره فعله ولم يتصدعه رضاء عن خلقه ولا غضبه عن كبده وقال بعض الحكماء
قوال الدول في اصطناع السفل ومن طال عدوانه زال سلطانه وقالوا من لم يستظهر بالقسوة
لم يثقف بالحنطة وقال يحيى بن خالد أحسن ما وجدت في طراز الحكم من البلاغة البخل
والجهل مع التواضع خير من السخاء والعلم مع الكبر في الهاجسة غطت على سبتين وبأهلها

(الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة في السلطان) •

وقد اتفقت العامة والحكام عليها فقالوا أيها الملك ان قصرتك فحوتك عن عدوك فقلنا بالاخلاق
 الجميلة التي ليس لعدوك مثلها فانهم الكفاية من القارة الشعواء وقال معاوية لصعصعة بن
 صوحان صفني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان عالما برعيته عادلا في قضيته عاريا
 من الكبر قبل ولا للعدو سهل العجاب مصون الباب مخبرا بالصواب وفيما بالاضيق غير
 محاب للقوى ولا ينجاف للقريب وقالوا المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة
 والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والصدق توجب الثقة والامانة توجب
 الطمينة والعدل توجب اجتماع القلوب والجور يوجب القرقة وحسن الخلق يوجب
 المودة وسوء الخلق يوجب المباينة والايضا ط يوجب الموانسة والاقتباس يوجب الوحدة
 والكبر يوجب الفت والتواضع يوجب الحق والجود يوجب الجدد والجل يوجب المذمة
 والتواني يوجب التضييع والجسد يوجب رجا الاعمال والهوى يوجب الحمرة والحزم
 يوجب السرور والتغريير يوجب الندامة والحذر يوجب العذر واصابة التدبير يوجب
 بقاء النعمة وبالتالي تسهل المطالب وبلين كفا المعاشرة تدوم المودة ويحفظ الجانب
 تأثر النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستانة توجب التباعد ويكره الصمت
 تكون الهيبة وعدل المنطق يوجب الجلالة وبالنسبة تكفر المواصله وبالافضال يعظم
 القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال الموث يوجب السوء وبالعلم عن السفيه
 تكفر انصار له وبالفق والتؤدة تسحق اسم الكرم ويترك لما لا ينعينك بتملك الفضل واعلم
 ان السياسة تكسوا أهلها المحبة والقطاظة تخلع عن صاحبها ثوب القبول ومن صغر الهمة
 الحسد للصديق على النعمة والنظر في العواقب شجاعة ومن لم يعلم ندم ومن صبر غم ومن سكت
 سلم ومن خاف حذر ومن اعتبر بصبر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل
 ومع الجملة الندامة ومع التاني السلامة زارع البر يحصد السرور صاحب العاقل مغبوط
 صديق الجاهل قتب اذا جهلت فاسال واذا قلت فارجع واذا اسأت فاندم واذا نمت
 فاقنع واذا افضلت فاكتم واذا منعت فاجل واذا اعطيت فاجزل واذا غضبت فاحلم من
 بدأك غيره فقد شغل بك شره المروءات كلها تبس للعقل الرأى تبس للتجربة العقل أصله
 الثبوت وغمرته السلامة والتوفيق أصله العقل وغمرته النج والتوفيق والاجتهاد زوجان
 فالاجتهاد سبب والتوفيق نتيجة الاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
 والاعمال كلها تبس للمقدور واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب من التوراة من
 قنع شبع ومن الزجر ومن سكت سلم ومن الانجيل من اعتزل نجبا ومن القرآن ومن اعتصم
 بالله فقد هدى الى صراط مستقيم العلم شرف والصبر ظفر والمعرفة كثر والجهل سقم والايام
 دول والدمر غير والمرء منسوب الى فعله وما أخذ به من اصطناع المعروف يكسب الحمد
 أكرموا الجليس يعرفونادىكم أنفسكم من نفوسكم وثق بكم اياكم والاخلاق الدنيئة فانها تضييع
 الشرف وتهدم المجد نهمته الجاهل أهون من جريته رأس العشرة يحمل انقائها واجعت

سبحانك العرب والعجم على أربع كلمات لا تحمل بطنك ما لا تطيق ولا تعمل عملا لا يتقن ولا تقدر
باهرة ولا تنق بحال وإن كثرت

• (الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان) •

وهي الطاعة قال ملك فارس لمويذان موبد ما شئ واحد يعز به السلطان قال الطاعة قال فما
ملاك الطاعة قال التودد الى الخاصة والعدل على العامة قال صدقت الامانة معقل
الطاعة والطاعة زينة الملك وكان يقال طاعة السلطان على أربعة أوجه على الرغبة
والرهبة والمحبة والحيطة ولما دخل سعد العشرة على بعض ملوك حبر قال له يا سعد ما صلاح
الملك قال معدة شائعة وهيبة وازمة ورعية طائعة فان في المعدلة حياة الافام وفي الهيبة نفي
الظلام وفي طاعة الرعية اتالف والالتزام طاعة الائمة فرض على الرعية كما أن طاعة السلطان
مقرونة بطاعة الله اتقوا الله يحقه والسلطان بطاعته من اجل الله اجلال السلطان
عادلا كان أو جائرا الطاعة تؤلف شمل الدين وتنظم أمور المسلمين مصيان الائمة بهم أو كان
الله أولى الناس بطاعة السلطان ومناعتهم أهل الدين والنعم وآراءت اذ لا يقوم الدين الا
بالسلطان ولا تكون النعم والحرم محفوفة الا به الطاعة ملاك الدين الطاعة ما قاعد السلامة
وارفع منازل السعادة الطريقة المتلى والعروة الوثقى قوام الامنة وقيام السنة بطاعة الائمة
الطاعة عصمة من كل فتنة ونجاة من كل شبهة طاعة الائمة عصمة لمن جأ إليها وحوز لمن دخل
فيها وليس للرعية ان تعترض على الائمة في تدبيرها وان سوت لها أنفسها بل عليها الاتقياد
وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة تقوم الحدود وفوضى الفرائض وتحقق الدماء وتأمين السبل
الامانة عصمة للعباد وحياة للبلاد أوجب الله لمن خصه بفضلها وجهه اعباها الطاعة
فقرن بطاعة وطاعة رسول الله فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى
الامر منكم طاعة الائمة هدى لمن استضاف بنورها وموئل لمن حافظ عليها الخارج من
الطاعة منقطع العصمة يرى من النعمة مبدل بالكفر النعمة طاعة الائمة جبل الله المتين
ودينه التوحيب وجنته الواقية وكفايته العالية اياكم وان الخروج عن أنس الطاعة الى وحشة
المعصية ولا تسروا غش الائمة عليكم بالاخلاص والنصيحة ما شئ قوم الى سلطان لبذلوه
الا اذ لهم الله قبل ان يموتوا الطاعة مقرونة بالمحبة طاعة المحبة أفضل من طاعة الهيبة للرعية
على السلطان الاستصلاص لهم والتعهد لامورهم وحسن السيرة فيهم والعدل عليهم
والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة والشكر والمحبة بالرعية من الحاجة
الى الراعى ما ليس بالراعى من الحاجة اليهم لولا الرعاة هلكت الرعية ولولا المسم هلكت
السوائم

• (الباب السادس عشر في ملاك أمور السلطان) •

قال سليمان بن داود عليهم السلام والرحمة والعدل بحرزان الملك وقال زياد ملاك السلطان
ثلاثة أشياء الشدة على المذنب والجزالة للمحسن وصدق القول ولما غزا ساور ذو الاكاف
ملك الروم وأخرب بلاده وقتل جنده وافنى بطارقه قال له ملاك الروم انك قد قتلت وأخربت
فانت بئى ما الامر الذى تشبه به حتى قويت على ما أرى وبلغت فى السياسة ما لم يبلغه ملك فان

كان مما يطع الأحرار على أدب الملك الخراج وصرت كـ بعض الرعية في الطاعة لك فقال له
 سابوراني لم تدف في السياسة على غمان خصال لم أهزل في أمر ولا نهني ولم أخلف في وعد ولا
 وعد ووليت أهل الكفاية وأثبت على العناء لأعلى الهوى وصرت للأدب والالغضب
 وأدعت قلوب الرعية المحبطين غير حرة والهيبق من غير ضغينة وعمت بالقوت ومنعت
 الفضول كذا عن له وأدى إليه الخراج وكتب الوليد إلى الخراج أن يكتب له بغيره فكتب
 إليه أني أظن رأيي وأنت هوأي وأدبت السيد المطاع في قومه ووليت الحرب
 الحازم في الأمر وقلدت الخراج الموفى لأمانته وقبعت لكل خصم من قضى قضايا عطية
 حقا من تقضى ولطيف عنياتي وصرف السيف إلى البطر والمسيء تخاف المذهب مولة
 العقاب وعلمك الحسن يحفظ من الثواب وقال أبو عبيدة إذا كان الملك محصنا السر به عيدا
 من أن يعرف ما في نفسه مخبر الوزراء مهيبا في أقص العامة مكافئا بحسن البلا لا يخافه
 البرى ولا يأنه المجرم كان خليفة لبقاء ملكه

(الباب السابع عشر في خير السلطان وشر السلطان)

أفضل المولود من كان شكره بين الرعايا لكل واحد منهم فيه قد غله ليس احدا حق به من احد
 لا يطمع القوت في حقيقه ولا يأس من الضعيف من عدله كان النبي صلى الله عليه وسلم تأخذ بيده
 الامه من اما المدينة فتطوق به على سلك المدينة حتى تقضى حاجتها وفي حكم الهند افضل
 السلطان من امنه البرى وخافه المجرم وشر السلطان من خافه البرى وامنه المجرم وقال عمر
 له خيرة المولود الكوفة يا مغيرة قليأمنك الارار ولتفعل القبيار وفي حكم الهند ايضا
 المال ما لا يتق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البرى وشر البلاد
 ما ليس فيه خيب ولا امن وخير السلطان من اشبه التسريح وحوة الجيف لامن اشبه الجيفة
 وحولها التسريح وهذا المعنى قالوا سلطان يخافه الرعية خير الرعية من سلطان يخافها وفي
 الاشمال العامة رجوت خيرك من رجوت وكان يقال شر خصال المولود الجبن عن الاعداء
 والقسوة على الضعفاء والجمل عند الاعطاء وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاثة من
 القوافر جارية لا اثم ان راى حسنة سترها وان راى سيئة اذا دعاها واهرا فان دخلت عليها
 التقت وان عمت عنها لم تأمنها وسلطان ان احسنت لم يحمدك وان اسأت قتلك وقال رجل
 لبعض العلماء لى اضل واذا علم فقال اذا ملكك امراء ان اطعهم اذلولك وان عصيهم قتولك
 وقال ابو حازم سليمان بن عبيد الملك السلطان سوق ما تفتق عنده اتى به وفي كتاب ابن المقفع
 الناس على دين الملك الا القليل فان يكن للبر والمروءة عنده تفاق فيك سيد ذلك الفجور والذم
 في آفاق الارض وتجمع زياد جلا لا يذم الزمان فقال لو كان يذرى ما الزمان لعاقبته ان الزمان
 هو السلطان وقال معاوية لابن الكواصفى الزمان فقال انت الزمان ان تصلح يصلح وان
 تفسد يفسد فامثل السائر في كل زمان وعلى كل لسان الناس على دين الملك وقال بعض الحكماء
 ان احق الناس ان يحذر العدو والقاهر والمديق الغادر والسلطان الجائر وقال ابن جرير
 آدم العيب محبة السلطان السي الخلق وقال بعض الحكماء اذا ابتليت بصحبة سلطان
 لا يريد صلاح رعيته فقد خربت بين امرين ليس بينهما خيار اما المليل مع الوالى على الرعية فهو

٩١
هلاك الدين. واما المبلع مع الرعية على الوالي فهو هلاك الدنيا فلاحية تلك الموت او الهرب
منه وقالوا الملك العادل كاتر الصافي فتقع به الاشرار والاختيار ولا يضر احدا. والملك
السوء مثل الحية يسرع الهيار والحيوان ويحماها الناس

(الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يرى بالسلطان ما لا يرى بالقدر ان معناه اى
يدفع وقال كعب بن جندب الاسلام والاطمان والناس مثل السطاط والعمود والاطمان
والاوتاد قاله السطاط الاسلام والعمود السلطان والاطمان والاطمان الناس لا يصح بعضهم
الا بعض وقال ارد شيرازيه يابى ان الملك والدين اخوان لا يخفى لاحدهما عن الآخر فالدين
اس والملك حارس وما لم يكن له اس فهو مهذوم وما لم يكن له حارس فضايع يابى اجعل
حديثك مع اهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وبشرك لاهل الدين وبشرك لمن عنامناك
ولتكن من اهل العقل وكان يقال الدين والسلطان وامان

(الباب التاسع عشر في خصال جامعة لاهل السلطان)

قالوا غفر الملك بعدد قوه على حسب عهده في رعيته ونكوبه في حروبه على حسب جوره في
عساكره واصلاح الرعية انفع من كثرة الجنود وقالوا تلج الملك عفافه وحسنه انصافه
وسلاحه كفاته وماله رعيته وقالت حكماء الهند لا تفر مع نفى ولا تصح مع نعم ولا بناء مع كبر
ولا شرف مع سوء أدب ولا بر مع شح ولا جناب مع حرص ولا ولا يحكم مع عدم فقه
ولا سود مع استقام ولا ثبات مع تهاون وجهاته ووزارة ولماولى أبو بكر رضى الله عنه
خطب فقال أيها الناس انه لا أحد أقوى عندى من المظلوم حتى أخذه بجمقه ولا أعز من
الظالم حتى أخذ الحق منه وقيل للاسكندر بن ملط مائت قال يا سائمة الاعدام والاحسان الى
الاصدقاء وقال بزرجمهر سوسوا اسرار الناس بمحض المودة والعلمة بالرغبة والرغبة
والسلفة بالخافة وقال المويذان السياسة التي بها اصلاح الملك الرق بالرعية وأخذ الحق منهم
في غير مشقة وسد القروج وأمن السبل وان يصف المظلوم من الظالم ولا يعمل القوى على
الضعيف وقالوا الوالى من الرعية كالروح من الجسد لا حياة له الا به وبعد الوالى من اصلاح
الرعية مع افساد نفسه كبد الجسد مع البقاء بعد ذهاب الرأس والى الخلق خلق أن يعود
نفسه الصبر على من خالف رأيه من ذوى النصيحة والتجرب على اراء قولهم ولا ينبغي أن يحسد
الاعلى حسن التدبير ولا أن يكذب لأن أحد الاقرب على استكراهه ولا أن يغضب
لأن الغضب والقدره لقلح الشر والتدامة ولا أن يضل لأنه أقل الناس خوفا من الفقر ولا أن
يحقد لأن قدره جل عن المجازاة ولا ينبغي للوالى أن يستعمل سيفه فيما يكتفى فيه بالسوط
ولا سوطه فيما يكتفى فيه بالجس ولا حبه فيما يكتفى فيه بالجفاء والوعيد وقال معاوية الى
لا أضع سبني حيث يكتفى سوطي ولا سوطي حيث يكتفى لساني ولأن بيني وبين الناس
شعرة ما تقطعت اذا مدها خلتها واذا خلوها مدتها ونحو هذا قول الشعبي كان معاوية
كأجل العطب والجمل العطب هو الخاذق بالناس لا يضع يده الا حيث يصبر عنه ويغني له أن يعلم
رعيته أنه لا يصاب خيره الا بالمعونة على الخير ولا يغني له أن يدع نفسه لطيف أمور الرعية

اشكاله في نظره في جسيما فان الطيف موقعا في قطع به وقد آتى الله ملك الدنيا سليمان بن داود عليه السلام ثم تقعد الطير فقال ما لي لا أرى الهدى لان التهاون بالسيرة اساس الوقوع في الكبر وقد قال الشاعر

لا تفقرن شيئا • كم جرثر اشيب

وقالوا امل الاشياء كلها شيئا واحدا ولا تدع مباشرة جسيم امره فليعسم موضع ان عقل عنه تقام ولا يلزم نفسه مباشرة الصغير ابدأ فيضيع الكبير وقال زياد لحاجبه وليتك بما بقي وعزتك من اربع المؤذن للصلاة وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد ففنه قد وصارخ اليسل للبردهاء وصاحب البريد قال تهاون بالبريد ساعة يخرب عمل سنة وكان أبو العباس السفاح يقول لاهل البيت حتى لا يتفق الابن السنة ولا كثرة من الخاصة ما أمثهم على العانة ولا غدت سبني حتى يسله الحق ولا عطين حتى لا أرى للعطية موضعا وقال أردشير لما كسل ملكه وأراد اعداءه انه لم يحكم كما حكم على العقول كالعبور ولم يحكموا بحكم كالخبرة وليس شيء أجمع للعقل من خوف وحاجة يتأمل بها صفات حاله وكان حمزة يقول ان هذا الامر لا يصلح له الا الذين في غير صف والقوة في غير صف وقال الاصمعي قال لي الرشيد هل تعرف كلمات جاءت للكلام الاخلاقية بل حفظها ويسهل حفظها تكون لا فراضا اتفاقا ولقاصدا وفقا تفرح المستهم وتوضع المستهم قلت نعم يا أمير المؤمنين دخل أكنم بن صبي حكيم العرب على بعض ملوكها فقال له اني سألقنك عن أشياء لا تزال بصدري محتلمة وما تزال الشكر عليها راحة فأبى اني بما عندك فيها فقال آيت الله سالت خيرا واستقيأت بصيرا والجواب يشفعه الصواب فسل عما دلك قال ما السوء فقال اصطناع المعروف عند العشرة واحتمال الجيرة قال فما الشرف قال كف الاذى وقل الندى قال فما الجدة قال حال العز قال شدة العزم وكثرة العدد قال فما السعادة قال بطل النائل وحب السائل قال فما القنى قال الرضا بما يكتفى وقلة القنى قال فما الرأي قال لب تعينه تجربة قال له الملك أوردت زناد بصيرتي وأذ كيت فارصيرتي فاحتكم قال لكل كلمة جمعة قال هي لك قال الاصمعي فقال لي الرشيد ولك بكل كلمة بدرة فانصرفت بثمانين انا وكان قس بن ساعدة يقد على قبصر فيكرمه فقال له يوما ما أفضل العقل قال معرفة الرجل بنفسه قال ما أفضل العلم قال وقوف الرجل عند علمه قال فما أفضل المروءة قال استبقاء الرجل ما وجهه قال فما أفضل المال قال ما قضى به الحق

• (الباب المسمى عشرين في الخصال التي هي أركان السلطان) •

قال أبو جعفر المتصور ما كان أحوجني أن يكون علي بابي أربعة لا يكون علي بابي أعف منهم قبل من هم يا أمير المؤمنين قال هم اركان الملك لا يصلح الملك الا بهم كما أن السرير لا يصلح الا بأربع قوائم فان نقص قائمة واحدة عاب ذلك أحدهم فاض لا تاخذ في الله لومة لائم والاخر صاحب شرطة نصف الضعيف من القوى والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية فاني غني عن ظلمهم ثم عرض علي أصعبه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه قال من هو يا أمير المؤمنين قال صاحب بردي يكتب بخبره ولا على الصحة وقال عمر بن الخطاب

رضي الله عنه لا يصلح الوالي الا بأربع خصال ان تقتضوا احدهم يصلح له امر ولا نهى قوة على جمع المال من أبوابه ووضعه في حقه وثقته لا يجبرون فيما ولا من فيه

• (الباب الحادى والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم) •

قال ابن المقفع اذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا ينجيك ذلك فان زوال الكرامة بزوالهما ولكن ينجيك ان أكرموك لأدب أو علم أو دين • اعلم أن الله أن أكثر الناس حاجة الى التقى أكثرهم عيالا واتباعا وحشما وأصحابا واخلق مستدثون من السلطان ما له من الثلاثى السنية والطرائق العلية مقترون اليه فى الاحكام وقطع التشاور وفصل الخصام فهو أخرج خلق الله الى معرفة العلوم وجمع الحكم ونخص بلا علم كبد بلا أهل وأنضل ما فى السلطان خصوصاً الى الناس وما محبة العلم والتعلية والشوق الى استقاءه والتعظيم لملته فان ذلك دليل على قوة الانسانية فيه وبعدم من البهية ومضاهاة للعالم العلوى وهو من أوكدهما يتسبب به الى الرعية وإذا كان الملك خالياً من العلوم ركب هواه وأضر برعيته كالذابة بلا من ترفى غير طريق وقد تلف ما قربه • واعلم أن زهر القضاة اقل وحسن المناقب وبها الخاسن وما ضا ذلك من قيم المئالب وغش الرذائل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما أوتيته من علو الميزة وشرف الخطوة فيكون حسنك أحسن كما يكون قبحك أقبح وليس أحسن أهل الدرجات السنية والمراتب العلية أحوج الى مجالسة العلماء ومحبة الفقهاء ودراسة كتب العلوم والحكم ومطالعة دواوين العلماء ومجامع الفقهاء وسرا الحكماء من السلطان وإنما كان كذلك من وجهين أحدهما انه قد نصب نفسه لممارسة أخلاق الناس ونحل خصوماتهم وتعاطى حكوماتهم وكل ذلك يحتاج الى علم بارع ونظر ثاقب وبصيرة بالعلم قوية ودراسة طويلة فكيف يكون حاله لو لم يمتد لهذه الامور عذتها ولم يقدم لها أهبتها والثانى أن من سواه من الناس لا يعدمون من شكر عليهم وبعارضهم وبذلك هم مساوونهم ويخالفهم في مذاهبهم فيكون ذلك مما يعينهم على رياضة أنفسهم وتعلمهم مرادهم ومناظرة الكفاء ومعاشرة النظراء فليجيب العقول وتهذيب النفوس وتدريبها أخذ الاحكام بخلاف السلطان فان ارتفاع درجته يقطع عنه جميع ذلك اذ لا يلتقاء ولا يجالس له الامم لظهوره مجل لشأنه وسائر لساويه ومادح له بما ليس فيه وانما جوابه لهم صدق الامير وعلى قدر المرتبة يكون علو السقطة كما ان على قدر ارتفاع المائط يكون صوت الوجبة

• (فصل) • يا أيها الملك ليس أحد فوق أن يؤمر به تقوى الله ولا أحد دون أن يؤمر به تقوى الله ولا أحد أجل قدراً من أن يقبل أمر الله ولا أرفع خطراً من أن يعلم حكم الله ولا أعلى • أنا من أن يصف بصفات الله ومن صفات الله العلم الذى وصف به سبحانه نفسه وروح بهته فقال تعالى وسع كرسى البهوات والارض والكرسى هو العلم والكرامى هم العلماء وإذا كان العلم فضيلة فرغبة الملوك وذوى الاخطار والانداد والاشراف والشيوخ فيه أولى لان الخطأ فيهم أقبح والابتداء بالفضيلة فضيلة (حكى) أن ابراهيم بن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون فى الفقه فقال يا عم ما عندك فيما يقول هؤلاء فقال يا أمير المؤمنين شغلونا فى الصغر

واشتغلنا بالكبر فقال المأمون لم لا تعلم اليوم فقال أو يحسن بحلى طلب العلم فقال نعم والله
 لأن توبه طالبا العلم خير من أن تعيش قائما بالجهل قال والى متى يحسن العلم قال ما حسنت بك
 الحياة • يرى أن بعض الحكماء رأى شخصا يطلب العلم ويحب التقريبه ويستحي فقال يا هذا
 أنت ستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنت في أوله ولان الصغرا عذر وان لم يكن في
 الجهل علمه وفي منور الحكم جهل السباب معذور وعلمه محذور فاما الكبير فالجهل به
 أقبح ونقصه عليه أفضح لان علو السن اذا لم يكسبه فضلا ولم يقده علما كان الصغرا أفضل منه
 لان الامم فيه أقوى وحسبك نقبصة في رجل يكون الصغرا مساوية في الجهل أفضل منه
 وكذا ذكر نمن حاجة الشيخ الى العلم حاجة السلمان اليه أكثر ودواجه الى اكتسابه أشد
 لان من عده انما لنفسه نفسه الواحد فيقرب عليه تحصيل ما يقومها به والمالك منتصب
 لسياسة أهل ملكته وتعليمهم وتقويم أودهم فهو الى العلم أحوج قال الشاعر

أذالم يكن من مزالسين مترجما • عن الفضل في الانسان سميت طفلا
 وما تنفع الاعوام حين تصددا • ولم تستقد في حق علما ولا عقلا
 يرى الدهر من سوء التصرف ما تلا • الى كل ذي جهل كان به جهلا

وقال بعض الحكماء كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤكده عقل مضلة وكيف يستكشف
 ملك أود ومغزاة عليه عن طلب العلم وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام الى مجمع البحرين
 في أقصى المغرب على بحر الظلمات الى لقاء الخضر ليتعلم منه فلما نظره قال هل أتبعك على أن
 تعلمي ما علمت رشد اهذا وهوني الله وكايه وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوة من
 جميع خلقه قد أوصاه ربه وعلمه كيف يستزل ما في خزائنه فقال وقل رب زدني علما فلو كان في
 خزائنه أشرف من العلم لنبيه علمه وهذا آدم عليه السلام لما نزلت الملائكة لتسبيحها
 وتقدس اسم الرب اغتر آدم بالعلم فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فلما جهزوا أمرهم
 بالسجود له وأخلق بخصلة تستدعي السجود لحاملها أن يتنافس فيها كل ذي لب ودهذا فصل
 الخطاب لمن تدبره ولا تصين لك هذا • ويرى في بعض الاخبار مثل الذي يتعلم العلم في الصغر
 كالوشم على الصخر والذي يتعلم في الكبر كالنقش على الماء فقد جمع الاخف وجلا يقول الله في
 الصخر كالنقش في الحجر فقال الكبير أكبر عقلا وليكنه أشغل قلبا فقصص عن المعنى وبه عن الله •
 وقد كانت أصحاب النبي عليه السلام يسلمون شيئا وكهولا وأحدا • وكانوا يتعلمون العلم
 والقرآن والسنن وهم يصحوا العلم وأطواد الحكم والنقمة غير أن العلم في الصغر أرفع أصولا
 وأسبق فروعا وليس اذالم يحضر يفوته كله • قال رجل لابي هريرة رضي الله عنه اني أريد ان أتعلم
 العلم وأخاف أن أضيعه فقال أبو هريرة كفي بتركك له تضيعا وبعض الخير خير من كل الشر وانما
 مثل الجاهل تحت غيب الجهل مثل الحال تحت حمل ثقيل فانه كلما أعيا نفسه قلدا قليلا يوشك أن
 ينقصه كله فيستريح منه وان هو لم يطرح القليل حتى يطرح الكثير فأوشك أن يصرعه كله
 وكذلك الجاهل اذا تعلم قليلا قليلا يوشك أن يأتي على بقيته وان لم يتعلم في الكبر لما فاته في الصغر
 فأوشك أن يموت تحت غيب الجهل

• (الباب الثاني والعشرون في وصية على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) •

رضي الله عنه الكبير بن زياد في العلم وأهله قال كيد بن زياد الضبي خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الجبانة فلما أصررت نفس الصعداء ثم قال يا كيد بن زياد ان القلوب اوعية تخبرها او عاها الخير اسخف على ما قولك التام ثلاثة معالم رباني ومن علم على سبيل نجاة وهج رعاغ أباغ كل ناعق يبلون مع كل ربح لم يستغفر وأبورا العلم ولم يبلوا منه إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرر من وقت تقوس المال والميز كوعلى الاتفاق والمال تنقصه النفقة والعلم حاكم والمال يحكم عليه وعبدة العالمين يدان الله به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوة بعد وفاته مات تزان الاموال وهم أحياء والعلم باقون ما بقي الدهر انما ضامهم منقودة وأمثالهم في القلوب موجودة هان ههنا وأشار يده إلى صدره لعلماء جاوا أصبت له حله بلى قد أصبت له لقائغرامون عليه يستعمل آله الذين لذيذا فيستظهر بحسب الله تعالى على كتابه أو كما قال وبنعمته على عباده أو متفاد الازل الحق لا يسيرة في اخباته يتصدق الشك في قلبه بأول عارض من شبهة الا اذا ولا ذاك أو هو موما بالذات سريع الاقياد الشهورات أم آخر شانه جمع المال والادخار لبسان رعاة الدين أقرب شها بهم الانعام الساعة اللهم فكذلك عوت العلم عوت حامليه ولكن لن يتخلوا الارض من قائم لله سبحانه بحجة لثلا تطل حج الله وبناته ومن أولئك وأب أولئك أولئك الاقلون عندنا الاكثرون عند الله قدوا تحزن المحكم في قلوبهم حتى يزعموا في قلوب أشباههم ويودعوه في صدور نظرائهم هجم بهم العلم على حقيقة الامر قبل نشر واروح اليقين فاستلوا ما استوحشه المقرون واستأنوا بما استوحش منه الجاهلون صعبوا الدنيا بأجساد وأسهما متعلقة بالمثل الاعلى أولئك خلقاء الله في بلاده ودعاه إلى دينه آمشوقا إلى رؤيتهم

• (الباب الثالث والعشرون في العقل والدهاء والتجرب) •

قد كرت في كتاب الاسرار حقيقة العقل وأقسامه وحملها وأحكامه بما لا مزيد عليه وقد كرت
ههنا منافع ومداركه وأبواب ما تحوز من القول فيه انه الاستشهاد بالشاهد على الغائب فمن
كان في طوقه ان يستدل بما شاهد على ما غاب عنه كان معه عقل ويسمى عاقلًا عند المؤمنين
وبه يتوجه التكليف عليه وذلك ان من نظر الى فسر قد كل بيانه وحسنت أركانه وجعلت
فيه من الآلات ما يكتفي به ساكنه وما شرف عليه انسان فرأى يوتام مقطوعة وأبواب منسوبة
وقر شامقروشة وزراني بمنونة وموائمه وضوعة وهجافه مرفوعة وأرائك منسوبة وهجلا
مشدودة وطسوتا وأباريق ويوت ماء وميازيب تصب الماء وتحتها بالبلع لفيض الماء
الى سائر ما يستعد العقل للاستفاج ثم شكر كل هذا القصر بما حواه صنعة قادر صانع عالم حي
وأوفق لنفسه وتر كب على صورته بلا صانع فيه مقتضى عقله بالضرورة والاحتمال وبوجه من غير
صانع وانه مقتضى الى صانع صنعه وهذا علم بحجم على القول لا يقتصر الى نظر واستدلال
وانما كثرت لك هذه الامثلة لان ما في الانسان من الاعضاء واطيف الصنعة والنجائب أكرما
في القصر بأضعاف مضاعفة فاذا انظر الى ما في نفسه نرى فيه ما من النجائب والتركيب ومنفعة
كل عضو وتخصيصه ما يجلب نفعه أو يدفع ضرر قائم نظره في عضو واحد مثلا وهو في فري في

أوله استنبه القاص نصلح القطع وفي آخره طواحين مخرسة تصلح الطين وشديقين كأنهما
 ثقال ارجي عنان ان ينزق الطعام الى خارج ولنا ما يرد ما انقلب من الطعام اليه على
 الطواحين ثم بلى ذلك بلعوم لادرواده بعد الطين علم بانى تأمل ان هذه الخلقة ما انقلعت
 ينقسمها انما بل هي معتقرة الى قصد قاصد وجعل جاعل وعلى هذا النمط لو ذهبت ان كرم منعة
 كل عضو لو قفت على العجب ولكن تركناه كراهية التناول وعلى هذا المعنى به الكتاب المهيمن
 فقال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وهذه العبرة تستقل العقول بالبيات الصانع وتستغنى
 عن النظر في الجواهر والاعراض فالعلم المفيد لا يثبت الصانع في الشاهد مثل البناء والتجار
 والخطاط وأشباههم بعد النظر في صناعتهم على اضطرار والعلم المثلث للصانع سبحانه عند
 النظر في حدوث العالم علم استدلال اعتبارا لقضايا الشاهد لا فرق في العقول بين صنعة
 وصنعة في اقتضاء صانع وانما كان العلم في الشاهد ضروريا لا ان الانسان لم يزل يرى البناء بين
 والخطاط بينه والتجار بينهم الخشب ولم تر العقلاء القديم سبحانه يخلق ويصنع وانما استفادوه
 من النظر في الشاهد فان قيل فأي العين أقوى في النجوم وأثبت في العقول العلم بالصانع النظر
 في السرير واقتضاء التجار أم العلم بالله عند النظر في السموات والارض وما بينهما فالجواب ان
 هذا يستلزم تعميلا وتدقيقا وليس هذا الكتاب موضوعا لذلك فينشد تعلم ان معه عقلا
 غريزيا ونسجه عاقلا ونوحه التكليف عليه وهو العقل التكميلي واذا ثبت هذا فاعلم ان الله
 تعالى خلق الخلق على أربعة انحاء ملائكة وأدميين وشياطين وبهائم فاما الملائكة فعقول
 بلا شهوات ولا هوى يقارنه وأما البهائم فشعوات بلا عقول وأما الشياطين والجن فتركب
 الله فيها العقول والشهوات والهوى وهكذا ركب في بنى آدم العقل والهوى والشهوة فغلبت
 شهوات الشياطين وهواهم عقولهم فقلعوا أوقانهم بالاخلاق المذمومة بالكبر والعجب
 والفتن والفخر والدعوى والحسد والاذية وسائر الاخلاق المهلكة وأما البهائم فتقصت
 اوقانها في شهوات البطن والفرج واما الأدميون فركب فيهم عقول الملائكة واخلاق
 الشياطين وشهوات البهائم فن غلب عقله هواهم منهم فكانه من عالم الملائكة كالانبياء والرسل
 والاولياء والاصفياء وقليل ما هم وامان كان عقله مغلوبا بهواه وشهوته فان كان ذلك من
 المباحات من الطعام واللباس والمراكب والنساء والحيل المسومة والانعام والحرف فأكل
 وتمتع به وان كسبه من حله فهذا من عالم البهائم وانما الحقداء بعالم البهائم لانه لا تمكليف على
 البهائم وكذلك هذه المباحات لا تخرج في الاستمتاع بها بعد ان يكون كسبه من حله وان كان
 الغالب عليه اخلاق الشياطين من الكبر والعجب والحسد والغش الى سائر الاخلاق المذمومة
 فهذا من عالم الشياطين وان اجتمع في الشخص افراط الشهوات واتباع الهوى والاشلاق
 المذمومة فيكون آدميا في صورته شيطانيا في خلقه بهيمة في شهواته فلا يصلح له عصبة وان ثبت
 هذا فاعلم ان هذا العقل الغريزي اطول وقدة من العين واسوج الى الشخص من السيف
 (فصل) في قوام العقل المكتسب وهو نتيجة العقل الغريزي فهو ثغابة المعرفة وامانة الفكر
 وليس له حظ في نفسه لانه ينفرد استعماله ويتقص ان اهدل وغناه يكون باحد وجهين
 اما ان يقارنه من مبداء الشهود كما وحسن فطنة كالذي قال الاصمعي قلت لفلان حدث من

اولاد العرب كان يحسدني وامتنعني الله بفصاحته وملاحته يسر لي ان يكون لك مائة الف درهم وانك احق قال لا والله قلت ولم قال اخاف ان يجني على حتى جناية تذهب بمالي ويقي على حتى فاستخرج هذا الصبي بخرطذ كانه ما يدق على من هوا كبر منه سنا وقيل لبعض الصبيان المكاب قال فكأنني عيسى بن مريم وقد قاتلت الحكمة آية العقل سرعة القهم وغايته اصابة الوهم وليس للذكاء غاية ولا لجودة القريحة نهاية الا ترى ان اياس بن معاوية الذي يضرب المنكب كانه قال لا يسه وهو طفل وكان ابوہ يؤثر اخاه عليه يا أبت تعلم ما مثلي ومثل أخي معك انا كفرخ الحمام أقبح ما يكون اصغرا ما يكون وكلما كبر ازداد ملاحه وحسنا قبحه العسلى ويفضله المربعات ويستحسنه المولود ومثل أخي مثل الخنثى ألمع ما يكون أصغر ما يكون وكلما كبر قبح وصار الى القهقري انما يصلح لجل الزبل والتراب والوجه الثاني ما يصلح لذوى الحسنة وصحة الروية لطول ممارسة الامور وكثرة التجارب ومروءة الفير على اسماعهم وتقلب الايام وتصرف الحوادث وتنازع الدول قد مررت على عيونهم وجوه الغير وتعدت لاسماعهم أنواع الاخبار واران العبر قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تاذبا وتقلب الايام عطفة وقالوا التجربة مرآة العقل والفرقة الجهل ولذلك حدث اراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوفاة وينابيع الاخبار لا يطيش لهم سقم ولا يسقط لهم وهم وعليكم باراء الشيوخ فانهم ان علموا ذكاء الطبع فقد افادتهم الايام حكمة وتجربة وقد قال الشاعر

المتران العقل زين لاهله • ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر

اذا طال عمر المرء في غير آفة • افادته الايام في كرها عتلا

غير ان للعقل آفات كما قال بعض الحكماء فكيف يرجو العاقل الصبا والهوى والشهوة قد اكتماه والهوى ابعد من ان يتقدمه حيلة الخازم المحتال وهو اغض مسل كما في الجنان من الروح في الجنان واملكت النفس من النفس والمال للثني ولهذا قيل كم من عقل اسير عند وهوى امير فمن احب ان يكون حرافة لهوى والاصار صيدا كما قال علي بن الجهم

انفس حرة وفن عبيد • ان رقى الهوى لرق شديد

واختلف الناس في العقل المكتسب اذا تناهى وزاد في الانسان هل يكون فضيلة ام لا فقال معظم العقلاء انه فضيلة اذا كان مجموعا واحدا والافاضائل ولا شك ان كثرة الفضائل فضيلة اما الشيء المحدود فتكون الزيادة فيه نقصا من الهدوء كالتهور في الشجاعة والتبذير في الكرم فاما الزيادة في العقل المكتسب فزيادة علم بالامور وحسن اصابة بالظنون ومعرفته ما يمكن بما قد كان وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الناس اعقل الناس وقال عليه السلام العقل حيث كان القاموف وقال القاسم بن محمد لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حقه في اغلب الخصال عليه ولما مات بعض الخلفاء عشتد الروم واجتمع ملوكها وقالوا الا يستغل المسلمون بعضهم ببعض فيمكننا الفرقة منهم والوثبة عليهم وضربوا في ذلك مشاورات وتراجعا رايهم بالنظرات واجمعوا على انه فرصة الدهر وفرقة الضر وكان وجل منهم من ذوى الراي والمعرفة فباعهم فقلوا ومن الحزم عرض الراي عليه فلما اخبروه بما اجمعوا

عليه قال لا اري ذلوا صوابا فصاروه من علم ذلك فقال خدا اشركتم ان شاء الله فلما اصبوا
غدا وعليه الوعد وقالوا لقد وعدتنا قال نعم قاهر يا حدة اركبني عظيم قد اعد ههنا حرس بينهما
والب كل واحد على الآخر فتواثبا وتهما رشا حتى مالت دعاؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت
عنده واربى منه على الكلبين ذئبا عنده قد اعد له ليا ابصر اه تركا ما كانا عليه وتلفت قلوبهما
ووثبا جميعا الى الذئب فلما منه ما احبا ثم اقبل الرجل على أهل الجمع فقال لهم مثلكم مع المسلمين
مثل هذا لا تبع الكلاب لا يزال الهرج والقتال بينهم ما لم يظهر لهم عدو ومن غيرهم فاذا
ظهر لهم عدو ومن غيرهم تركوا العدوة بينهم وتأنقوا على العدو وفاسسوا قلوبهم وتفرقوا
عن رأيهم وأما المذموم في هذا الباب فصرف العقل الى الدعا والمكر قال الشعبي ودعاة
العرب سنة معاوية بن ابي سفيان وهرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزيد بن امية
ونعس بن سعد بن عباد وعبدة بن عبد الله بن ديل بن ورفاء وقال الاممى كان معاوية يقول أنا الاناة
وهرو والبدية وزيد الصغار والكار والمغيرة للامر العظيم قال قبيصة بن جابر ما رأيت اعطى
يلزىل مال غير سلطان من طلبة بن عبيد الله ولا رأيت أثقل حبل ولا أطول اناقة من معاوية
ولا رأيت أغرب قريال ولا أبذلهم حين يحتفون من عمرو بن العاص ولا اشبه سرا بعلانية
من زياد وكان المغيرة كان في مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها الا بالمكر والخروج من
ابوابها كلها (وقال) أبو الدرداء قال النبي عليه السلام يا عمر ازدد عقلا تزد من ربك قريبا
قلت بلى واهى ومن لى بالعقل قال اجتنب محارم الله وأدفر انقض الله تكن عاقلا ثم تنقل
صالح الاعمال تزد في الدنيا عقلا وتزد من ربك قريبا وعليه عزاء (ويروى) ان لى بن ابي طالب
رضي الله عنه شعر

ان المكارم اخلاق مطهرة * فالعقل اولها والدين قاتها
والعلم طلتها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشعها
والنفس تعلم ان لا اصدقها * ولست اوشد الاحسين اعصيا
والعين تعلم في عيني محدثها * ان كان من حزبها اومن اعادها

وقال بعض الحكماء العاقل من عقله في ارشاد ومن رأيه في امداد فقول له سيد وفعله جيد
والجاهل من جهله في اغواء فقول له سقيم وفعله ذميم فاما من صرف فضل عقله الى الدعا
والمكر والشكر والحيل والتدبيرة كاطحاج وزيد واشباهم فاذموم وقد قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لست بالخب والخب لا يخدعني وقال المغيرة كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه افضل من أن يخدع وأفضل من أن يخدع والموصوف بالدعا والمكر مذموم
وصاحبه محذور يخاف عوائله وتحذر عواقب حياته وقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله
عنه بأبوموسى الاشعري ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زيادا عن موجهة وأخيانة يا أمير
المؤمنين قال لا من واحدة منهما ولكن كرهت ان أحمل الناس على فضل عقلك وكتب زيادا الى
معاوية رضي الله عنه ان العراق في شمالى ويمينى فارغة فوالى الحجازا فكفل أهله فبلغ ذلك ابن
عمر فقال اللهم اكفه فطمع في أصبعه بعد أيام فمات فخص وان كثر غيب عن الدعا والمكر فاما

نرغب في الحيلة ونرضى بها والانساع في الحيلة مما قوامى به العقلاء قديما وحديثا وليس
شي من أمور الدنيا الطالب الرفعة وباني الوسيلة وممر قادى أمر كان دق أو جمل خير من
الحيلة وأضعف الحيلة أن تقع من كثرة الشدة وقالت الحكام ملاك العقل الحيلة والتأني
للسبب الضعيف والقوى من الأمور (وروى) ان رجلا وقف لكسرى فقال أنا أصنع
ما تهجز الخلائق عنه قال ما هو قال يشد برجلي سبل طرفه برقبه القبل وبرجلي الاخرى كذلك
ويشد طرفه برقبه القبل ثم يساق القبل بالضرب والرجل فلا تزح ثم طلب ان يفعل ذلك
باربع من القبلة فرت بعدتهم فقصوه شطرن فقال كسرى من لم يكن أكبر ما فيه عقله هلك
يا كبر ما فيه فقطمه بعض الشعراء فقال

من لم يكن أكبر عقله * أهلكه أكبر ما فيه

(ومضت) استأذنا أبا الوليد يحيى ان رجلا استأذن على هرون الرشيد وقال انى أصنع ما تهجز
الخلائق عنه قال الرشيد هات فانخرج اثوبه فصب فيها ابرعة ثم وضع واحدة في الارض وقام
على قدميه وجعل يرمى ابرة ابرة من فمته فتقع كل ابرة في عين الابرعة الموضوعة حتى فرغ دسته
فامر الرشيد بضربه مائة سوط ثم أمره بما تمديار فسل عن جسمه بين الكرامة والهوان
فقال وصلت بطردة ذكائه وأدبته كي لا يصرف فرط ذكائه في الفضول ومن زعم أن العقل
المكسب اذا استلحى لا يكون فضيلة قال لان الفضائل هي متوسطة بين فضيلتين ناقصتين فما
جاوزا التوسط خرج عن حدة الفضيلة كالكرم الذى هو متوسط بين الجذل والتبذير والشجاعة
وسط بين الجهور والخبين (وقالت الحكام فلا سكندر) أيها الملك عليك بالاعتدال في كل الأمور
فان الزيادة عيب والنقصان هجز (وفي الحديث) ان النبي عليه السلام قال خير الامور واساطها
(وقال) علي بن أبي طالب رضى الله عنه خيرا الامور والوسط اليه يرجع العالى ومنه يلحق التالى
فالاولان زيادة العقل تقضى بصاحبه الى الدماء والمكر وذلك مذموم (قلنا) هذا كله باطل
بما قدمناه لنصرة القول الاول وهو منقوض بالعقل الغريزي وبالهجوم وبساتر الفضائل وأما
قواهم انه يقضى بصاحبه الى الدماء والمكر قلنا الدماء والمكر كب معان أخر غير العقل
ليست من لوازم العقل فان شاء تدهى ومكر وان شاء كف عما يقول في كل شر يكسبه العاقل
ما ختمه وليس عقله أوقعه فيه بل انما أوقعه فيه عقله وكان يترجمه لما فرغ من كتاب
أمثاله ونسق كل باب على حياته يقول ليس الحب من حقه هذه الامثال فصار عالما انما
الحب من حفظها ولم يصير عالما وأنا أقول ليس الحب من قرأ كتابي هذا وصار مهذبا كاملا
انما الحب من قرأه ولم يصير مهذبا كاملا

• (الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجلساء وأدائهم) •

قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لى وزيراً من أهلى فلو كان السلطان يستغنى
عن الوزير لما كان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران ثم ذكر حكمة الوزراء فقال اشدد
به أزرى وأشركه فى أمرى دلت الآية على ان موضع الوزارة أن تشدد قواعد المملكة وأن
يقضى اليه السلطان بمجره ويجره اذا استكملت فيه الخلال المحمودة ثم قال كي تسجل كثيرا
وتذكر كثيرا دلت هذه الكلمة على ان بصيرة العلماء والمصلحين وأهل الخبرة والمعرفة

تتقدم إلى الدنيا وأموال الآخرة وكان أن أصبح الناس يحتاج إلى السلاح وأقره الخليل إلى
السوط وأخذ الشغار إلى المسن كذلك يحتاج أجل المملوك وأعظمهم وأعلمهم إلى الوزير
(وروي أبو سعيد الخدري) قال ما بعث الله نبيا ولا استخلف خليفة الا كانت له بطاقتان بطانة
فأمر بالمدح والوف وتقضه حليته وبطانة تأمره بالشر وتقضه عليه والمعصوم من عصمه الله
تعالى وإنما اشتقت الوزارة من الوزير وهو الثقيل يريد أنه يعمل من أمر الملك وأعبائها
وأثقها مثل الأوزار أسعد المملوك من له وزير صدق أن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وقال
وهب بن منبه قال موسى عليه السلام لفرعون آمن ولك الجنة ولك الملك قال حتى أشاور
هامان فشاورة في ذلك فقال بينما أنت المتعب إذ صرت تعبد فاقف واستكبر وكان من أمره
ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحاج يزيد بن أبي مسلم لا يألوه خيالا ولبس القراء شر
قرين لشر خدين وأشرف منازل الأتقيين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة الوزير عون على
الأمور وشريك في التدبير وظهير على السياسة ومقرع عند التنازلة الوزير مع الملك بمنزلة
سمعه وبصره ولسانه وقلبه وفي الأمثال نعم الظهير الوزير (واعلم) أن أول ما يستفيد الملك من
الوزراء أمران علم ما كان يحمله ويقوى عنده علم ما كان يعمل فيزول شكه وأول ما يظهره
السلطان بقوة تميزه وجوده عقله في استنخاب الوزراء واستقادة الجلساء ومحادثة العقلاء
فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وما يجعل في الخلق ذكره ويجعل في العقول قدره وترسخ
في النفوس عظمتهم والمرء موسوم بقرينه وكان يقال حلية المملوك وزيره وزناؤهم وفي
كتاب كليله ومنه لا يصلح السلطان إلا بالوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة والمودة
والنصيحة إلا بالسر والصفاء وأعظم الأشياء ضررا على الناس عامة وعلى الولاة خاصة
أن يعرفوا مصالح الوزراء والأعوان فتكون أحوالهم غير ذي جدوى وقضاء ويحسد الملك
أن يولي الوزارة غير التجربين كي لا تضيع الأمور كما يحسد أن يتقلب بغير طبيب بسير ما مون
(قال شريح بن عبيد) لم يكن في بني إسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم إذا رآه غضبان كتب له
ثلاث صحائف في كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب
الملك تأوله بحقيقة حتى يسكن غضبه (وقال اودشير) يحق على الملك أن الطغما يكون قنطرا أعظم
ما يكون خطرا ولا يذهب حسن أثر في الرعية خوفاها ولا يستغنى بتدبير الموم عن تدبيره
وأن يكون جذره للملاقين أكثر من جذره للمتباعدين وإن تبقى بطانة السوء أشد من اتقائه
العامة ولا يطمعن في اصلاح العامة إلا بالخاصة (وقال اودشير) لكل ملك بطانة حتى يجمع
بذلك جميع المملكة فإذا أقام الملك بطانة على حال الصواب أقام كل امرئ منهم بطانة على مثل
ذلك حتى يجمع على اصلاح عامة الرعية ومثال الملك الخبير والوزير السوء الذي يجمع الناس
خبره ولا يجمعهم من الدومنه كالماء الصافي فيه القحاح فلا يستطيع المرء دخوله وإن كان صاحبها
وكان إلى الماء محتاجا ومثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير
كمثل السفيرين المرضى والأطباء فإن كتب السفير بطل التدبير وكان السفير إذا أراد أن
يقبل أحده من المرضى وصف للطبيب تقيض دأبه فإذا ساء الطيب على صفة السفير هلك
العليل كذلك الوزير ينقل إلى الملك العاليس في الرجل فيقتله الملك فن ههنا شرط أن يكون الوزير

صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في الاخلاق بصيرا في امور الرعية وتكون بطانة الوزير من أهل الامانة والبصيرة ويحذر الملك أن يولي الوزارة لتيماق القليم اذا ارتفع جفا آثاره وانكسر معارفه واستغف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل ولما أراد سليمان بن عبد الملك أن يستكتب كاتب الحاج يزيد بن ابي مسلم قال له عمر بن عبد العزيز يا أسألك بالله يا أمير المؤمنين أن لا تحيي ذكر الحاج باستكباتك اياه فقال يا أبا حفص اني لم أجده عنده خيانة دينار ولا درهم قال عمر أما وجدك من هو اعف منه في الدينار والدرهم قال ومن هو قال ابلد من مامن دينار ولا درهم وقد أهلك هذا الخلق (ودخل) رجلا له عقل وأدب على بعض الخلقاء فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقر به فقال

يا ملك طاعته في الوري • وجبه مقترض واجب

ان الذي شرفت من أجله • يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى الذي فاستله يا أمير المؤمنين عن ذلك فقال له فلم يجبه بهدا من أن يقول هو صادق فاعترف بالاسلام • لا يعرف وزير الملك ماله وما عليه حتى يرأى من صاحبه الواتق به ما رايه العاشق الغيور من المعشوقة المهمومة (وكان) بعض الملوك قد كتب ثلاث رقايع وقال لوزيره اذا رأيته غضبا فادفع الى رقعة فكان في الواحدة انك لست به وانك مستقوت وتعود الى التراب فيما كل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض برحمتك من في السماء وفي الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك • اذا كان الوزير يساوي الملك في الرأي والهيبه والطاعة فليصرعه الملك فان لم يفعل فليعلم انه المصروع (وفي الامثال) اذا سكنت الدهمه خاف الوزراء • ولما كانت امور المملكة عائنة الى الوزراء وافزعة الملوك في اكف الوزراء سبق فهم من العقلاء المنزل السائر فقالوا لا تقرب عود الامير اذا غشك الوزير واذا أحببك الوزير فلا تخش الامير وبقل الخرق عملاوة الامراء ومعاذاة الوزراء ورب أمر كرهه الامير فتم بالوزير وكهم من أمر أراداه الامير فشاء عنه الوزير وانما السلطان كالدار والوزير بابها فمن أنى الدار من بابها وج من أنماها من غير بابها الزعج (وقال أنوار شروان) لا يتم للملك أمره حتى يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له مجلس مأمون الغيب وخادم ناصح الجيب وموقع الوزارة من المملكة كوقع المرأة من النظر فكان من لم ينظر الى المرأة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعرف محاسن دولته وعيوبها وكاتب الملك مستقر اسراره ولسانه الناطق عنه في آفاق مملكته والخصوص بقره ولزومه دون نظرائه ظهير الامير وزيره وزينه حاجبه ولسانه كاتبه ورسوله عينه الكتابة قوام الاخلافة وقرينة الرئاسة وعمود المملكة • الكاتب على الملك ثلاثة أشياء يرفع الجلباب عنه ويثمن الوشاة عليه ويشقى سره اليه (وقد قالت الحكماء) لا يطعم من ذوالكبر في الثناء ولا الخبز في كفرة الصديق ولا السبي الادب في الشرف ولا التصريح في البر ولا الحرص في قلة الذنوب ولا الملك المهتاون الضعيف الوزراء في بشاه الملك وكان المرأة لا تترك وجهك الا بصفا جوهرها وجوده مقلها ونقاها من الصدا كذلك الامير لا يكمل أمره الا ببجوده عقل الوزير ووصفه فهمه وصفاته نفسه وقفا قلبه (ومن شروط الوزير) أن يكون مكين الرحمة

للتلق رعايهم لياسر رجته ما يجرحه السلطان بغفلته (ومن شروطه) أن يكون نقي الجيب
 ناصح القلب لا يقبل دقيقة ولا يكتم نصيحة • وقال بعض المولود لوزيره لا تكونن الي ما تسرى
 به أسرع جبادت من انذارى فيما يخاف على نفسه • وقال بعض المولود اعط من أئالك بما تنكره
 كما تعطى من أئالك بما تنصب فان من أئدك من بشر (ومن شروطه) أن يكون معتدلا كليل تمامة
 لاسر ولا ظر وموقع الوزير من الملك موقع الملك من العامة وكان السلطان اذا صلح صسلت
 الرعية واذا فسدت فسدتوا كذلك الوزراء اذا فسدوا فسدت الملك واذا صلحوا صلح الملك (وكان)
 يقال آفة العقل الهوى وآفة الامير مصافة الوزير • وقال المعتد رب الله لوزيره على بن عيسى اتق
 آفة يعطى عليك ولا تعصه فيسلفى عليك • وقال المأمون لمحمد بن يزيد ادايك أن تعصى الله
 فيما تقرب به الى فيسلفى عليك (واعلم) انه ليس للوزير أن يكتم السلطان نصيحة وان اعتقلها
 وموقع الوزير من الملك كوقع العيين من الانسان والسيد بن قاته اذا صلح تبصمها
 وبسطها صلح التدبير واذا فسدت دخل النقص على الجسد ولا تصلح الوزارة أن تكون في غير
 أهلها كما يصلح الملك أن يكون في غير أهلها وشر الوزراء من كان الانسار ارضاه وزراء وبطانة
 ودخله امرأ ومث امرأ انبها وكان ملكا فقال تياق بنغى الملك أن يكون ستة أشياء وزير
 يشق برأيه ويقضى اليه بأسراره وحسن يلجأ اليه اذا فرغ وسيف اذا نازل الاقران لم يهتبه
 وذخيرة خفية المحل اذا نابه نأية كانت معه وامرأ اذا دخلت عليه أذهبت همه وطباخ
 اذا لم يشته الطعام طبخه ما يشتهي

• (الباب الخامس والعشرون في الخساة وآدابهم) •

قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال حصانه باو يلقا المتقى لم أخذ
 فلانا خلبا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاني وكان الشيطان للانسان خذولا • وينبغي للملك
 أن يجالس أهل العقل والادب وذوى الراى والحسب وذوى التجارب والعبر فجالسة
 العقلاء لصاح العقل ومادته ولذلك حدث آراء الشيوخ فقال القدماء المشايخ أشجار الوفاة
 وينابيع الاخبار لا يبايش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وقالوا عليك بأراء المشايخ فانهم ان
 فقدوا ذكاء الطبع فقد هربت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم آثارا الفير وقالوا
 رأى الشيخ خير من مشهد الغلام (وقال عبد الملك) بلماثة جنيتوى ثلاثا لا تنظر فى فاني أعرف
 بنفسى مشكم ولا تكذبونى فانه لا رأى لكذب ولا تغتابوا عندى أحدا فيفسد قالى عليكم
 (وقال بعض الحكماء) كفى بالتجارب ناديا وبقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرأة العقل
 والفرة غلة الجهل • وقد قال هرم بن قطبة وهو أحد حكماء العرب حين تناظر اليه عامر بن
 الطفيل ومعلقمة بن علابة عليكم بالحديث السن الحديد النظر (وقال كثير من حكماء العرب)
 عليكم عتاوره الشباب فانهم ينجون رأيا لم يعطوا طول القدم ولا استوت عليه رطابة الهرم
 والمذهب الاول اصدق على العقول • وقال عبد العزيز بن زرارة لمعاوية عليك بحالسة الالباء
 اعداء كانوا واصدقافان العقل يقع على العقل (وقال ابن عباس) بحالسة العقلاء تزيد في
 الشرف • وقال سفيان بن عيينة ان الرجل عن كان قبلكم لياقى الرجل العاقل فيكون طافلا
 أيا ما وقال مالك بن أنس مرسليان بن داود عليهم السلام بقصر بارض مصر فوجد فيه مكتوبا

عدونا من قري اصطخره • الى القصر فعلنا
 نحن يسأل عن القصر • غنينا وجدناه
 يقاس المرء بالمرء • اذا ما هو ماشاه
 وفي الشيء على الشيء • علامات واسماه
 فلا تعصبأنا الجهل • واياك واياه
 فكلم من جاهل أردي • حلما حين آخاه

قال ووجدنا عليه نصرا واقفا قد عاه فقال من بي هذا القصر قال لا ادري قال كم لك منذ وقعت
 عليه قال تسعمائة سنة (وفي الامثال) يظن بالمرء ما يظن بجماله (ولما) حج عبيد الله بن جعفر نزل
 مكة ليلا فلما أصبح قال يا أهل مكة عرفنا أخباركم من أسراركم في ليلة واحدة قالوا كيف ذلك
 قال نزلنا ومعنا أخبارنا وأشرافنا نزل أخبارنا على أخباركم وأشرافنا على أسراركم فعرفناكم
 • واعلم أنه ليس الشأن على النار بادل من صاحب على صاحب • وقال الا واذى صاحب
 للصاحب كل رقعة في الثوب ان لم تكن في مثله شاتته • وقال ملك بن مسمع للاحنف بن قيس يا أبا
 بصر ما اشتاق الى غائب اذا حضر • ولا أتفجع بحاضر اذا غبت فاخذته ابراهيم بن العباس
 الكاتب فتعلمه فقال

وأنت هوى النفس من يمتهم • وأنت الحبيب وانت المطاع

وما بك ان بعد واحدة • وما معهم ان بعدت اجتماع

• وقال عبيد الله بن طاهر المال غادورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كوزوافرة
 • وقال الاممجي تناظر رجلا واعرابي حاسر فقال لاحدهما مناظره منك في الدين فريض
 والاسقام منك أدب وبجاستك زين وعرفتك عز ومذاكرتك تلقم للعقول وشعذ
 واخاؤك شرف ونخرة • وقال السهماني غنى غناؤي بين يدي المأمون

واني لمشتاق الى ظل صاحب • يروق ويصفقون كدورت عليه

عذيري من الانسان لان جفونه • صفالي ولان صرت طوع عيديه

فطرب المأمون وقال ويحك يا محارق خدمتي نصف الخلافة واعطني هذا الانسان • وقالت
 الحكماء التنظري عواقب الامور تلقح العقول وقالوا العاقل لا تنقطع صداقة والاحمق
 لا تدوم مودته فالتحذ من بصحاء أصحابك مرأة طبائعهك ونفعا لك كاتخذ لو جهك المرأة الجلوقة
 فانك الى صلاح طبائعهك أحوج منك الى تحسين مودته • وقال المأمون للحسن بن سهل
 نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملوءة بالاسبعة قال وما السبع يا أمير المؤمنين قال خبز
 الخنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والقراش الوطني
 والنظر الى الحسن من كل شيء قال فإني أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت
 وهي أولاهن • وقال هشام بن عبد الملك قد قضيت الوطرن كل شيء فإني كنت الحلو والحامض
 حتى لا أجدهم ساطعا • وثمعت الرائحة حتى لا أجدها رائحة وأتيت النساء حتى ما أبالي
 مرأة أتيت أم حاطة فلو جددت شيئا أأمن جليس يسقط بيني وبينه مودة التحفظ • وقال
 عبد الملك بن مروان قد قضيت الوطرن كل شيء الا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر على

العلالي الخمر * وقال عبد الملك من قرب السفلة وأذناهم وباعد ذوي العتل وأقصاهم
استحق الخذلان ومن منع المال من الجسد ورثه من لا يحمده ومن الكلام الشريف قول
الحكام ما أخرج من القدرة إلى دين يحجزه وسياه يكتفه وعقل بعده * إلى تجربة طويته وعبر
مخوفة وإلى اعراق تسرى إليه واعلاق تسهل الأمور عليه وإلى جليس رقيق ورائد
شقيق وإلى عين تنظر العواقب وعقل يحاف الغير ومن لم يعرف يوم ظفر الأيام لم يهترس من
سلوان الدهر ولم يتحفظ من قلبات الزلل ولم يتعاطمه ذنب وان عظم ولا تنام وان سيج وإذا
رأيت من جليسك امرأ تمكره أو خلة لا تحبها أو صدرت منه كلمة عوراء أو خفوة غبراء فلا
تقطع حبها ولا تصرم وده ولكن داو كنه واستر عورته فابقه وأبرأ من عله قال الله تعالى فان
حصولك قتل اني برى سماعة لولم يامر بقطعهم وانما أمر بالبراءة ممن عملهم السوء قال الشاعر
إذا راب عن مفصل فقطعه * بقيت وما بي للنهوض من مفصل
ولكن أدأوبه فان صح سرتي * وان هو أعبا كان فيسه فحامل

* وأقرب رجل إلى بعض الحكماء فشكا اليه صديقه وعزم على قطعه والانتقام منه فقال له
الحكيم أعظم ما أقول لك فأكلك أم بكت من فورة الغضب ما شغلك عنه فقال اني لما تقول
واع فقال أسر وركب دونه كان أطول أم غمك بذنبه قال بل سر وري قال أغضبتك عندك
أكرام سبانه قال بل حسنة قال فاصفح صالح أيامك عن ذنبه وهب لسرورك بوجهه واطرح
مؤنة الغضب والانتقام منه ولعلك لا تنال ما أملت فتطول مصاحبة الغضب وأنت حائر
إلى ما تحب

* (الباب السادس والعشرون في بيان معرفة الخصال التي هي جمال السلطان) *

قد ذكرنا الخصال التي تجرى من المملكة بحجى الاساس من البنيان ونذكر الان الخصال
التي تجرى من المملكة بحجى التاج والعلية وحسن الهيئة والكمال فاكلها وقاعدتها
العفو قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما نزلت هذه الآية على
النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما هذا قال لا أدري حتى أسأل العالم فذهب جبريل ثم عاد
فقال يا محمد وبيك يقرؤك السلام ويا مراك أنت تصل من قطعك وتعطى من حرمتك وتعفو عن
ظلمك واعلموا الرشد ثم قال ان الله تعالى أمر بالعفو وذنب اليه وذ كفضيلته وحث عليه
ووه فبه نفس فقال سبحانه والكافلين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
فاوجب الله تعالى محبة للعافين وأثنى عليهم بالاحسان فقال ول من سب و غفر ان ذلت ان عزم
الامور وعزائم الامور من فات المطففين من الرسل قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم
من الرسل وقال سبحانه واما ما غضبوا هم يغفرون وقال سبحانه وليعفوا وليصفحوا ألا
تحبون أن يصفح الله لكم فاصفحوا عن الجناة والظالمين
والخاطئين كما يحبون أن يصف الله بهم وقال فيمن انتصر ولم يعف ولم ينصر بعد ظلمه فاولئذ
ما عليهم من سبيل فرفع الحرج عن المنتصر والمنتقم ولم يوجب له فضيلة ثم كشف الغطاء
وأزاح العذر وصرح بتفضيل العافين على المنتصرين والواهيين حقوقهم على المنتقمين فقال

سبحانه وان عاقبتهم فعاقبوا بجل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خيرا للصابرين وهذا نص لا يحتمل التأويل وتحقيق القول في ذلك ان الاتصاف بالعدل والعفو فضل وفضل الله أحب البنان عليه لانه ان عدل علينا فاقا خذنا بعضه ملكا وان عفا عنا برحمته فخلصنا ولو كان العدل يسع الخلائق لما قرره الله بالاحسان فلما علم ان العدل استقصاء وما نقشة وذلك مما تضيق عنده النفوس وتخرج له الصدور وناط الاحسان بالعدل فقال ان الله يامر بالعدل والاحسان وايضا فان الاتصاف بالعدل والعفو من الله واحسان وايضا فالاتصاف بمسئمة والعفو عنه قال الله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والدليل على ان الاتصاف بمسئمة قوة تعالى وبر امسية مسئمة مثالا غير انهم انما هيبت مسئمة لما كانت تقيبه مسئمة لانه لا يجوز الاتصاف وهو كقول عمرو بن كلثوم التغلبي

الا لا يجهل أحد علينا * فضيل فوق جهل الجاهلينا

فسمى الجزاء على الجهل جهلا وان لم يكن في الحقيقة جهلا وعن هذا روت عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستمر من مظلة ظلمها قط غير انه اذا انتهك شيء من محارم الله فلا يقوم لغضبه شيء (وروي) انه قال ينادي مناد يوم القيامة من كان له على الله أبو فليقم فلا يقوم الامن عفا في الدنيا فان عفوتم أجمعها الطالب كان أجبر على الله وان لم تعف كان حقا قبل من ظلمك ولان يكون أجبر في ضمان الله تعالى أو ثقت من ان يكون قبل محلق وأيضا فان لم تعف نلت حقا بالزيادة عليه وان عفوتم كان حسنة أسديتها لاختك والله تعالى يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وشفع الاحنف بن قيس في مجرم من الى السلطان فقال له ان كان مجرما فالعفو يسعه وان كان بريئا فالعدل يسعه (وقيل) لبعض الكتاب بين يدي أمير المؤمنين بلغ أمير المؤمنين عنك أمر فقال لا بأبي فضيل له ولم لا تباي قال ان صدق الناقل وسعني عفو وان كذب الناقل وسعني عدله * ولما دخل عيشة بن حصن على عمر بن الخطاب قال يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر وهم بان يوقع به فقال ابن أخيه يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فواقه ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان عمر واقفا عند كتاب الله تعالى (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ارجوا من في الارض يرحمكم من في السماء وقال ارحم ترحم وكان يقال أولى الناس بالسلطان احقهم بالرفقة وفي الانجيل افلح أهل الرحمة لانهم سيجون (وقال) سليمان بن داود عليه السلام لقد أبغض الله المتسرعين الى اراقة الدماء فاليهم انتهت القسوة والغلظة والتبا عمن الرحمة ولما تمكن داود من قتل جالوت اتى عليه وهو يومئذ عدوه وطالبه وقال يارب أعظم دمي في عين أعدائي كما عظمت في عيني دم عدوي وكذلك خلصني من جميع الهوم * وقالت حكاء الهند لا سود مع انتقام ولا ينام مع عرافة نفس ويجب (وقالت) الحكماء ليس الافراط في شيء أجود منه في العفو ولا هو في شيء أفجع منه في العقوبة وكذلك التصبر مذموم في العفو محمود في العقوبة * واعلم أنك ان تخلف في العفو في ألف قضية خبر من أن تخلف في العقوبة في قضية واحدة (وقال) معاوية اني لا ارفع نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفوي وجهل أصعب من حلي وعورة لاواريم استري (وقال) المأمون

ليس على شيء الموت ولوددت أن أهل الجرائم هلكوا رأيت في العقوف ذهب الخوف عنهم فخلص
 لي قلوبهم * وقال رجل للمنصور يا أمير المؤمنين إن الانتقام اتصاف والتجاوز فضل والتجاوز
 قد جاوز حد النصف ونحن نعيد أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه يا وكس النصيين وأن لا يرفع
 إلى أعلى الدرابيتين فاعف عنا يصف الله عنك فعنا عنهم واتشدوا

وإذ ابني باغ عليك يجهله * فاقته بالمعروف لا بالمتكر

وقال بعضهم لاسلم بن قتيبة لما عفا عنه واقه ما أدري أي الأمير أي يوميك أشرف أيوم
 ظفرت أم يوم صفوت وقال الشاعر

ما زلت في العقول الذنوب واط * لا لك جان بصرمه علق

حق نغنى العفة أنهم * عنك أسوا في القيد والخلق

ورفع إلى أنس وروان العامة تؤنب الملك في معاودة الصفح عن المذنبين مع متابعتهم في الذنوب
 فوقع المذنبون مرضى وقعن أطباء وليس معاودة الداء إلا بهم بمناصنا من معاودة العلاج لهم
 (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله عاقرن شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم ومن عفو إلى قدرة
 (وقال) رجل لعبد الملك بن مروان لما ظفر بالمهلب ما رأيت أحدا يا أمير المؤمنين ظم ظمك
 ولا تصر نصرك ولا عفا عفوك (وقال) بعض التابعين المعاقب مستدع لعداؤه أولياء المذنب
 والعاقب مستدع لشكرهم أو مكافأهم أيام قدرتهم ولأن يثنى عليك باتساع الصدر خير من
 أن تنسب إلى ضيقه وأقالة العثر موجهة أقالة عثرتك من ريك وعفوك عن الناس
 موصول بعفو الله عنك وعقابك موصول بعقاب الله تعالى لك والله يصيب العاقبين (وقال)
 المنصور عقوبة الأحرار التعريض وعقوبة الأشرار التصريح * وقال المأمون لما رأيت
 المذنب جلبت عن الجسارة بالعقاب جعلت العقاب قبيحا عفوا مضى من الضرب للرقاب
 * وقال الاحتل لاتزال العرب بينة الفضل ما لم تعد العفو ضيا والبذل سرفا وفي الحكمة إذا
 اتقمت فقد انتصفت وإذا عفوت فقد تفضلت (وقال) بعض الحكماء أقبل العذر وإن
 كان مصنوعا الآن يكون بمن أرجبت المروءة قطيعته أو يكون في قبولك عذره تشجيعه
 على المكروه أو موعنه على الشرفان قبولك العذر فيه اشتراك في المتكر (ولما دخل) القليل
 دمنشق حشر الناس لرؤيته وصعده معاوية إلى عتبة له متعلعا فيناهو كذلك اذ نظرت في بعض
 الخمر في قصرهم رجلا مع بعض حرمه فأتى الخمر ودق الباب فلم يكن من قهقهة بدفوقعت عينه على
 الرجل فقال يا هذا في قصرى ونحت جناحى تهتك حرى وأنت في قبضتى ما حملك على ذلك
 فهبت الرجل وقال حلك أو قعتى قال له معاوية فان عفوت عنك تسترعا لى قال نعم فغنى سيده
 وهذا من الدماء العظيمة والحلم الواسع أن يطلب السر من الجاني وهو عروض قول الشاعر
 إذا مر ضنا أئنا كنم نودكم * وتذنبون فتأنيكم فتستد

(وإني موسى الهادي) رجل قد جنى فجعل يقرع بظفوه ويتهده فقال اعتذارى مما تقرب عني
 به وعليك وإفراى عباد كره ذنب ولكنى أقول

فإن كنت ترجو في العقوبة راحة * فلا تزدن عند المعافاة في الاجر

فأمر بإطلاقه (وقال المهلب) لاشئ أبقي الملك من العقوفان الملك إذا وثقت رعيته منه

بحسن العقول يوحشها الذنب وان عظم وان خشيت منه العقوبة أوحشها الذنب وان صغر
حتى يضطر ذلك الى المعصية • ومن الحكمة البالغة في مثل هذا قول ساويرس وقد جمع أولاده
فقال يا بني ان أعجزكم ان تملوا غلوب الرعية حيافا لموها خروفا وليس ذلك بان تعمل العقوبة
على من لا يستحقها ولكن تهيئها لمن يستحقها • وفي هذا المعنى قال الله تعالى فسر بهم من
خلعهم وهذا معنى لا يحتل عما أوجبناه وهو معنى قول ساويرس ولا يخالف ما قررنا من حسن
العقوب بل هذا محمول على الواجب المسحق أو على ما في تركه اغراء بركون أماله فههنا يكون
العقوب مفسدة فيما أوجبه المعاقب اذا أقت على مذهب عقوبة فلا تكن كالشقي التلذذ بعذابه
لأنك وإياه اخوان لأب وأم آدم وحواء لم تفضل بهجولك وتوفك بل بما نضلك الله به تطول عليك
فاذا كررت في مقامه وكان في مقامك ولاتأمن قلب الدهر فتقوم مقامه بين يدي من لا يرحم
ولا يترقى العواقب واحذر التفریط والتقصير وأقم نفسك مذنباً أقيم العقوبة وليكن
عقابك مقدراً كما كان عطاؤك مقدراً وليكن عقابك لا تقويم لئلا انتقام ولترجوا للهوى
وعن هذا قال بزرجه لا ينبغي للملوك أن يكرموا احداً هوان من ليس للهوان اهلا ولا ان
يهينوا احداً باكرام من ليس للكرامة اهلا • لا تكن على الاسماء أقوى منك على الاحسان
ولا على البخل اسرع منك الى البخل قال الشاعر

صفوح عن الاجرام حتى كانه • من العقول يعرف من الناس مجرماً

فليس يبالي أن يكون • الاذى • اذا ما الاذى بالكره يفضر مسلماً

(وقال سليمان بن داود) علم ما السلام التسليل والعقوبة امنية الملك الشرير وعلى مثله بيعت
الملك اغثير حريم • وقال معاوية لا ينبغي للملك ان يظهر منه غضب أو رضا الا لثواب أو عقاب
وقال اريشرفضل الملك على السوقه انما هو بقدرته على اقتناء الخادم واستفادة المكاييم
فكلما استكثرتم ما بات فضيلته واستصفاقه لموضع من الولاية عليهم وكلما قصص منهم ما قرب
من السوقه (وقال الماسون) اني لاجد لعقوى لذة أعظم من لذة الانتقام واعلم انه اذا عاقب
الملك أو هان على ظن بغير يقين ادخل على نفسه من قبح الخطا في الرأي أعظم مما ادخل على
صاحبه من العقوبة • وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الغالب بالشر مغلوب وما ظفر من
ظفر بالاثم (وقيل) لا تفلطون أى شئ من افعال الناس يشبه أفعال الله تعالى فقال الاحسان
الى الناس وقال الحكيم الحظ فدام السفيه والعقور كذا العقل • وقال الحكيم السد الذي
لا يشين حسن الظفر بفتح الانتقام وخير مناقب الملوك العقور • وكان يحيى بن معاذ يقول
سبحان من أذل العبد بالذنب وأذل الذنب بالعقور الهى ان عقوبت خير راحم وان عذبت فغير
ظالم الهى ان كنت لا ترضى الا عن أهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون وان كان لا يرجو
الا أهل وفائك فمن يستغيث المستغيثون وقال الشاعر

وان الله ذو حلم ولكن • لعز الحلم ينتقم الحليم

(وروى ان الجاهل) أخذ القطري بن النجاعة فقال لا تملك قال ولم قال لخروج أخيك على قال
فان سمى كتاب امر المؤمنين ان لا تأخذني بذنب أخى قال هاته قال ان سمى أو كد منه قال الله
تعالى ولا تزروا زورا وزرا أخرى فتجيب من جوابه وخطى سبيله • ولم يوفق عقيل بن أبي طالب على

معاوية اهل الجاهلية قدسهم فلما اراد الاصراف رأى في الطريق جارية ياربين ألف درهم
 فرجع الى معاوية فاشبهه قال وما تصنع بها قال تلذذت غلاما فان غضبتي يضرب مفرقك
 بالسيف فالمرءيم فابتاعها فولدت له مسلم بن عقيل ثم قدم مسلم الشام فابتاع منه معاوية
 ضيعة فبلغ الحسين بن علي ان تغرب فكتب الى معاوية اني لا اجيز بيع مسلم فارسل معاوية الى مسلم
 فقال هذا كتاب الحسين يا هرير رد المال فقال مسلم امدون ان اضرب مفرقك بالسيف فلا
 فخصم معاوية وقال والله لقد شهدني أبو ليلى ذلك قبل ان يشتري أمك وسوغه المال فقال
 الحسين ظل معاوية حل وجودا

• (الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة) •

وهذا الباب مما بعده الحكيم من أساس المملكة وقواعد السلطنة ويقترب اليه الرئيس
 والمرؤس ولهذا كرمه في باب الخصال القريانية ونذكره هنا فولد لها وحاشاها • اعلموا ان
 المستشير وان كان أفضل رأيا من المشير فانه يزاد برأيه رأيا كما تزداد النوبة بالسلطان فلا
 يقذف في روعك انك اذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك فيمنعك ذلك
 عن المشاورة فانك لا تريد الرأى للتخريب ولكن للاستفاعة به فان أردت الذكركان أنفرك كرك
 وأحسن عند ذوى الالباب لسياستك أن يقولوا لا يتقدم برأيه دون ذوى الرأى من اخوانه ولا
 يمنعك عز ملك على اقتاد رأيك وظهور مصوابك عن الاستشارة الا ترى ان ابراهيم عليه السلام
 أمر به مع ابنه عزمة لامشورة فيها فحمله حسن الادب وعلمه بموجبه في النفوس على الاستشارة
 فيه فقال فيما يقضى الى أرى في المنام اني اذبحك فاطظر ماذا ترى وهذا من أحسن ما يرمى في هذا
 الباب • وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرأى القرد كالخطيب الجبل والرايان كالطينين
 والثلاثة الا كرا لا تمكاد تنقطع • ويروى أن روميا قال ربا قافرا فقال القارسي نحن لا نملك
 علينا من يشاور وقال الرومي ونحن لا نملك علينا من لا يشاور وقال بزرجهر اذا أشكل الرأى
 على الخازم كان بمنزلة من أضل أولوه لجمع ما حول مسقطها فالتصها فوجدتها كذلك الخازم
 يجمع وجوه الرأى في الامور المشكل ثم يضرب بعضها بعض حتى يختصر له الصواب (وكان)
 يقال من كثرت استشارته حدثت امارته وفي حكم الهند قال بعض الملوك ان الملك الخازم يزاد
 برأى الوزراء الخزنة كجاء رداد البحر بمواد من الانهار وينال بالخزم والرأى ما لا يشاكل القوة
 والجند ولم تزل حزمة الرجال يستحلون من الرقول النصحاء كما يستحل الجاهل المساعدة على
 الهوى • وقال المأمون لطاهر بن الحسين صف لي اخلاق الخلو عني أخاه الأمين فقال كان
 واسع الصدر ضيق الادب يتفجع من نفسه ما تأباهم الاحرار لاصضا الى نصيحة ولا يقبل
 مشورة يستقبل برأيه فيرى سوما يقبته فلا يرده ذلك عما يهيه قال فكيف حروبه قال يجمع
 الكتاب بالتبذير وبقرها بسوء التدبير فقال المأمون فلذلك ما حل بحله أما والله لوذاق لذات
 الناصح واختار مشورة الرجال وملك نفسه عند شهواتها ما تفكر به • وقال بعضهم اتخاذا الملوك
 الامور بغير روية كالعبادة بغير ربة ولم تزل العقلاء على اختلاف آرائهم يشهدون الغيوب
 ويستشيرون صواب الرأى من كل أحد حتى الامة الوعل هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 يقول رحم الله امرأ اهدى الى عموبى • وكان يقول من أعطى أربعين يجمع أربعين أعطى

الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستشارة لم يمنع الخبرة
 ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب • وقال بعضهم خبر الراي خير من نظيره وتأخير خبر من
 تقديمه (وذو صكر صاحب كلب الساج) أن بعض ملوك العجم استشار وزيراه فقال أحدهم
 لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحد الا خالفنا فيه أموت للسرة وأحرمت في الراي وأجدر بالسلامة
 واعني لبعضنا من غائلة البعض • وكان بعض ملوك العجم اذا شاؤوا مرأته فقصر وافي الراي
 دعا الموكلين يارزاقهم فعاقدتهم فيقولون تخطي مرأزيتك وتعاقدنا فيقول نعم ليضلوا الالتعلق
 قلوبهم يارزاقهم واذا همقوا أسخطوا • وكانوا اذا همقوا بمشورة رجل يشوا اليه بقوته وقوت
 عياله لستته ليتفرغ ليه • وكان يقال النفس اذا حوزت قوتها اطمانت واذا شاؤت فاصدق
 الخبر تصدقك المشورة ولا تسكنم المستشاورة توفى من قبل فصدك • وقال بعض ملوك العجم
 لا يجمعنك شدة تباك في باطنك ولا علو مكانك في نفسك • من أن يجمع الى رايتك راى غيرك
 فان أحدث احببت وان اخطأت عذرت فان في ذلك خصا لا مناهان وافق رايتك راى غيرك
 ازداد رايتك شدة عندك وان خالفه عرضته على قطرك فان رايتك معتليا لم رايتك بقلته وان
 رايتك متصعبا استغيت عنه ويجذبك النصيحة عن مشاورته وان اخطا وتسمع لك مودته
 وان قصر ولو لم يكن من فضيلة المشاورة الا انك أن أصبته مستبدا سلبت فائدة الاصابة بالسنة
 الحسنة وقال قائل هذا اتفاق ولو فعل كذا كان احسن واذا شاؤت فاصبت أحمدا الجماعة
 رايتك لانهم لنفوسهم يحمدون وان اخطأت حل الجماعة خطاك لانهم عن نفوسهم يكافون
 • واحدا لم أن القول الغليظ يستمع لفضل عاقبه كما يتكاره شرب الدواء المر لفضل مغيبه (وقال
 اعرابي) ما عرفت قط حتى عرقوني قالوا وكيف ذلك قال لا فعل شيأ حتى اثار بهم (وقيل)
 لرجل من بني عيسى ما كثر صوابكم يا بني عيسى فقال نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن
 نطيعه فكأننا ألف حازم • وكان ابن هيرة أمير البصرة يقول اللهم اني أعوذ بك من محبطين
 غايته خاصة نفسه والاضطاط في هوى مستشيره (وفي حكم الهند) من النفس من الاخوان
 الرخصة عند المشورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة اخطا الراي
 وازداد مرضا وحل الوزر • وقالت الحكماء لا تشاور معلى ولا راعى غنى ولا كثير القه ودمع
 النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خاتما ولا من يرهقه احد السيلين • وقالوا لا راى
 لحاقن ولا لحازق ولا لحاقب ولا تشاور من لا دقق عنده والحازق هو الذى يضعه الخلف الضيق
 والحاقب هو الذى يمسد في بطنه ثقلا وقالوا من شكالى عاجزا عاره عجزه وامده من جرحه
 (ومن لطيف ما جرى في الامتشارة) ان زياد بن عبيد الله الحارثي استشار عبيد الله بن عمر في
 اخيه ابي بكر ان يوليئه القضاء فاشارة به تبعث الى ابي بكر فامتنع عليه فبعث زياد الى عبيد الله
 يستعين على ابي بكر فقال ابو بكر لعبيد الله انشدك الله اترى الى القضاء قال اللهم لا حل زياد
 سبحانه الله استشرتني فاشرت على به ثم اسمعك فتهاد فقال ايها الامير استشرتني فاجتهدت لك
 الراي ونصحتك ونصحت للمسلمين واستشارني فاجتهدت في راى ونصحتك (وروى ان الحاجب)
 بعث الى المهلب يستعجله حرب الازارقة فكتب اليه المهلب ان من البلاء ان يكون الراي لمن
 يملكه دون من لا يبصره

«فصل في النصيحة» اعلموا ان النصيحة للمسلمين وللمتألقين اجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى اخبروا عن نوح عليه السلام ولا يفتكمكم بعضي ان اردت ان اصبح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقال شعيب عليه السلام وصحت لكم فكيف آتسى على قوم كافرين وصحت لكم ولكن لا تحبون النصيحة وقال عليه السلام ان العبد اذا نصح لسيدته واحسن عبادة الله فله اجره مرتين (وروى) ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعلمائهم فالنصح في الجلالة فعل الشيء الذي به الصلاح ودفع الملامة ماخوذ من النصيحة وهي الاسلوب المتبحر بحاطبها وتصغيرها نصيحة تقول العرب هذا اخمض من صوح أي غيظ ونعخته نصحا اذا خلطه ويختلف النصيح في الاشياء لاختلاف الاشياء فالنصح لله هو وسفه بما هو أهله وتزجيه عما ليس بأهل له عقد او قول او القيام بتعظيمه والتضرع له ظاهر او باطنا والرجبة في محابه والتباعد من مساخطه وهو الايمن اطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قول لا وفلا وارادة في جميع ما ذكرناه في عبادته والنصيحة لكاتبه اقامته في التسلاوة وتحييته عند القراءات وتفهيم ما فيه واستعماله والذب عنه من تاويل المجرمين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للتألق اجمعين قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب والنصيحة لرسول الله السلام موازته ونصرته والحماية من دونه حبا وميتا واحبا مستمته بالطلب واحبا مطر يقته في بث الدعوة وتالف الكلمة والتضيق بالاختلاق الطاهرة والنصيحة للأئمة معا ونهيم على ما نكفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم عن يديهم السوء واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرهم في الرعية ومداخلتهم عند الحاجة ونصرتهم في جمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة اليهم والنصح لجماعة المسلمين الشفقة عليهم ووقوفهم كبيرهم والرحمة لصغيرهم ونفريج كربهم ودعوتهم الى ما يبعدهم ووقوف ما يغفل عنواطهم وفتح باب الوسواس عليهم ومن النصيحة للمسلمين رفع مؤنة نفسه وبسته وحوادثهم عنهم (قال الاصمعي) لفظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه نواة من الطريق فامسكها يلحم حتى ترتد ارقوم فالقاه في الدار وقال يا كلها داجيتهم والنصح لجميع الملل ان يحب اسلامهم ويدعوهم الى الايمان بالقول ويحذرهم ومغبة الكفر والبغف ان كان ذا سلطان او يكفوا عن قتال المسلمين فيكونوا ذمة والا فالقتل نصحا لا قامة أمره فيهم (وروى معاذ) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم العمل لله ومناصحة ولاة الامر والاعتصام بجماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم وقال جابر ابن عبد الله يا بعث النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فقلت فيما استطعت والنصح لكل مسلم (وروى) أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه وقال ابو الدرداء العلم يبلغه البر والقابض والحكمة ينطق بها البر والقابض والنصيحة لله تعالى لا تثبت الا في قلوب المتخفين الذين صحت عقولهم وصدق نياتهم واعلم ان جموعة النصيحة مرتبة لا يقبلها الا أولو العزم وكان عمر بن الخطاب رحمه الله يقول رحم الله امرأ أهدى الى عبوبي وقال معون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رحمه الله قل لي في وجهي

ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره • وقال مالك النصيحة لله في
أرضه هي التي بعث الله بها أنبياءه • ومن أمر الإسلام القصد والنصيحة لعباد الله في أمورهم
والنفوس مستقلة للنصح فافرق عن أهله وماله إلى ما وافق هواها (وفي منشو والحكم) وذلك
من نصحتك وقلائك من مشى في هوائه وكان يقال أخولك من أحقل أثقل نصيحتك وقال بعضهم
شعرا
عرضت نصيحة مني لزيد • فقال غششتني والنصح مر
ومالي أن أكون نصحت زيدا • وزيد طاهر الأواب بر
ولكن قد اتاني أن زيدا • يقال عليه في مفاشر
فقات له تجنب كل شيء • يقال عليك إن الحزحز

وقال آخر

وعلى التصوح نصيقي • وعلى نصيبان النصوح

ولقطاي شعر

ومعصية الشقيق عليكما • تزيدك مرقة من استقام
وخير الأمر ما استقبلت منه • وليس بان تتبعه اتباعا

ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم • أنا النذير فلا يفرركم أحد
لا شيء محاذي تبسني بشأسته • إلا الله وودي المال والولد
لم تنعن عن هرعر يوم جزائته • وأخلد قد حاولت علما خلدوا

وقال ابن وهب أنما يحسن الاختيار لغير من يحسن الاختيار لنفسه ولا خير لك فمن لا خيرة في
نفسه • وقالت العلماء لمن ينصحك أمر ولا ينصح لنفسه (وقال بعضهم) رأيي وبأيك في المعرفة
أمثل لنصحتك من رأيك لأنه خلوص هو الله • وقال أبو الدرداء إن شئت لأنصن لكم إن أحب
عباد الله إلى الله الذين يهيمون الله إلى عبادته ويعملون في الأرض نصحا وروى أن رجلا لعظم
إبراهيم بن آدم فرفع رأسه إلى السماء وقال الهي إن كنت تبيق وتعاقبه فلا تبيق ولا تعاقبه
• ومن النصح الالهي مجرى الجمال والكمال الخ

• (الباب الثامن والعشرون في الحلم)

قال الله تعالى إن إبراهيم لحليم أو أم متيب وقال تعالى فأصغ الحصح الجليل (قال) على رضى
الله عنه الصصح الجليل الرضا بلا عتاب وقيل الصصح الجليل الرضا بلا توبيخ فيه ولا حقد معه
وفي الأمثال القديمة كذا الحلم أن يكون نبيا (وروى) أن رجلا قال يا رسول الله علمي كلمات
أعيش بهن ولا يكون علي قاتل قال لا تعصب • وأعلم أن الحلم أشرف الأخلاق وأحقها
بذوى الألباب لما فيه من واحة السرور واجتلاب الحمد وأحق الناس به السلطان لأنه منصوب
لأقامة أود الحسنة وعامة أخلاقهم ولا يطبقون به في حال سلمهم وإنما يغشون به حين
تنازعهم وخصوماتهم وشروهم وتكذب نفوسهم وضيق أخلاقهم فإن لم يكن معه حلم يرد به
بوادهم ولا وقع تحت عبء ثقيل • وكان أنوشروان ذا حلم وناة وكان يقول في خسلتان لولا
أنهما ظاهرتان عند الرعية لضقت بهما ذرا الحلم والامانة (وروى) أن يحيى بن زكريا بن عيسى

ابن مريم عليهم السلام فقال يا روح الله أخبرني بأشد الاشياء في الدارين قال غضب الله تعالى
 قال يا روح الله وما ينبغي من غضب الله تعالى قال ترك الغضب قال يا روح الله كيف بدو
 الغضب قال التعز والذكور والفر على الناس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 وجبت حبة الله تعالى على من أغضب ظلم والذي يجعل أن يضرب في هذا الباب قصة اسحق
 عليه السلام قال له ابراهيم يابني اني رأيت في المنام أني أذبحك فاقطر ماذا ترى قال يا ابي افع
 ما تؤمر سجدت في ان شاء الله من الصابرين ثم انه تله الجبين وأمر على حلقه السكين فلم يقل الا
 خيرا فقال الله تعالى وبشرناه بغلام حليم (وفي الاخبار) يقول ابليس لعنه الله ان الحد يد من
 الرجال لم يأس منه وان كان يجبي الموتى دعائه لانه تأتي عليه ما عصى فيه ان يصبر منه الى
 ما يريد (ويروى) ان جعفر بن محمد دخل على الرشيد وقد استخفه الغضب فقال له يا امير
 المؤمنين انك اغما غضب الله تعالى ولا تغضب لها كثر من غضبه لنفسه واعلم أرشدك الله ان
 هذه الكلمة لا قيمة لها والله اعلم حيث يجعل رسالته فما أنفها وأجل قدرها وأعظم شأنها
 لانك اذا كنت أيها السلطان اغما تصرف في ملك الله باهر الله فاقه تعالى قد حدد حد ودا
 وشرع شرائع وأقام فروضا وسنن ونهى عن حدود ورسوم ثم قدر في كل خطية عند مخالفتها
 حدا محدودا ونهى أن يتجاوز ذلك الحد فلا يقبل من استحق القطع والجس والادب والحد ولا
 يجس عليه من استوجب الجس وكانت الخلفاء يؤدون الناس على قدر منازلهم فمن عثر من
 ذوى المرات أقيمت عثرته ولم يقابل بشئ لقوله عليه السلام اقبلوا ذوى الهيات عثراتهم
 ومن سواهم كان يقابل على قدر منزلته وهفوته فكان يقام قائما في مجلس يعده فيه نظراؤه
 فتسكون هذه عقوبته وآخر يشق جيبه وآخر تنزع عمامته من رأسه وآخر يكلمها الكلام
 الذي فيه بعض الغلظة قال الشعبي كانت العصاة في زمن عمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم
 اذا أخذ الرجل منهم نزع عمامته وطبقه في المسجد على قومه وقيل هذا أخذ بقره
 فلما ولي زيد ضربهم ونزع عمامتهم فلما ولي مصعب بن الزبير حلق مع الضرب رؤسهم فلما
 ولي بشر بن مروان أقامهم على الكراسي ثم ملئت أيديهم وسمرها بسمائح ثم نزع الكراسي من
 تحت رجليه حتى يخرم يده في ميت ومن حى فلما ولي الرجل المعروف بالجاح قال كل هؤلاء
 باه من أخذ بقره ضرب عنقه وقال ارسطا طليس النفس الذليل لا لا تجدد ألم الهوان
 والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام وفيه قيل

من يهين سهل الهوان عليه * ما لخرح يمت ايلام

واعلم أن من تجاوز في العقوبة فوق ما حد الله تعالى فيها شارك الجرم في الذنب واستوجب
 ما استوجبه الجرم من العقوبة ويتبين في الآخرة انه اغما يعاقب للهوى والتشفي اذا اغضب
 الله تعالى (وفي كتاب سليمان بن داود عليه السلام) القاهرة لنفسه أشد من يفتح المدينة وحده
 ومصدق نبي الله صلى الله عليه وسلم فان السلطان يفتح المدينة ويقهر أهلها ويغلب جنودها
 وجناتها ويقتل ابطالها ثم تغلب شهوته ويبقى اسيرافي ذل هولاء قد هزته قينة بطبورها
 أو قدح خريذب بعقله وقال اكنم بن صبيغ الصبر على جرح الم اعذب من جنى غمرا لندم
 (وسأل علي بن أبي طالب) رضي الله عنه كثيرا من كبراء فارس من أجدادكم عندهم فقال

لأدبير فضل سبق غير أن أجدهم سيرة أنوشروان قال قاي أخلاقه كان أغلب عليه قال
الحلم والناة فقال علي رضي الله عنه هما أوام يتبعهما علو الهمة ومن محمود السيرة أن يعرف
الناس من أخلاقك أنك لا تبجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك أدوم لحرف الخائف ورجاء
الراجي وقال محمود الوراق

سألزم نفسي الصغ عن كل مذنب * وإن عظمت منه على الجرائم
لما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشرّف ومثل مقاوم
فأما الذي فوق فأعترف فضله * وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فأن قال صنت عن * أجا بشه نفسي وإن لام لأم
وأما الذي مثلي فأن زل أوهقا * تفضلت أن الحلم بالفضل حاتم

(وقال الأصمعي) سمعت أعرابيا يقول أسرع الناس جوابا من لم يقضب لا توقد بين جنبيك
جيرة الغضب وأورد أسامة بن سالم قال شجر النار إذا ألت عليها الريح تهاكت أغصانها
فتشعل ناراً ويحترق من أصولها وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ثلاث من اجتمعن
ففيه فقد سعد من إذا غضب لم يخرج به غضبه عن الحق وإذا وضي لم يدخله رضاء في باطل
وإذا قدر صف وكف (ومثل جعفر بن محمد) عن حد الحلم فقال وكيف يعرف فضل شيء لم يركأه
في أحده وقال الأحنف لابنه يابن أن أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه فان انصفتك والا فاحذره
(وكان سلم بن نوفل) سبيدي كاذبة فضر به رجل من قومه بسيفه فأخذ قاي به إليه فقال له
ما الذي فعلت أما خشيت اتقاهي قال فلم سودك إلا أن تكلم الغضا وتقع عن الجاني
وتعلم عن الجاهل ويحتمل المكروفي النفس والمال على سيئه فقال قائلهم شعرا
يسود أقوام وليسوا بسادة * بل السيد المعروف سلم بن نوفل

وقال رجل من كلب الحكم بن عوفة انما أنت عبد فقال والله لا عطينك عطية ما يعطها العبيد
فأعطاه مائة رأس من السبي ومن أمثال العرب أحلم تسد ويرى أن هشاماً غضب على
رجل من أشرف الناس فشمته فوبخه الرجل فقال له أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله
في أرضه فاطرق هشام واستخيا وقال له أقص فقال إذا سبه منك فقال خنمن ذلك عوضاً
من المال قال ما كنت لأفعل قال فبه الله قال هي قه ثم لك نفسك هشام رأسه وقال والله
لأعوزك لها وقال الشاعر

لن يبلغ المجد أقوام وإن شرفوا * حتى ينلوا وإن عزوا لأقوام
ويشوقوا ترى الألوان مسفرة * لأصفح نل ولكن صفح أكرام
وقال آخر

وجهل رد ذناه بفضل حلومنا * ولو اتشأ شئنا وردنا ما بالجهل
وبجنا وقد خفت حلوم كثيرة * وعدنا على أهل السفاهة بالفضل

وقال هشام نخالة بن صفوان صف لي الأحنف بن قيس فقال يا أمير المؤمنين ان شئت أخبرتك
عنه ثلاث وإن شئت بائنتين وإن شئت بواحدة فقال أخبرني عنه بثلاث قال كان لا يحرص
ولا يجهل ولا يدفع الحق إذا نزل به قال فأخبرني عنه بائنتين قال كان يؤثر الخير ويؤفي

الشر قال فاخبرني عنه بواحدة قال كان أعظم الناس سلطانا على نفسه وقال اكثروا
 صيني الخبيرة والعزلة العلم وقال الاحنف بن قيس وجدت الخلم انصهرت من الرجال وصدت
 الاحنف بن من حلم كان الناس انصاره كباروى ان رجلا أسرف في شتم بعض الادباء وهو
 ساكت على بعض المارين في الطريق وقال له يرحمك الله لا تنصرك قال لا قال ولم قال
 لاني وجدت الخلم انصهرت من الرجال وهل حامت في الالحلى وقال رجل لعمر بن العاص
 والله لا تنزعني لك فقال له الا تن وقعت في الشغل وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان
 رجلا من كان قبلكم استضاف قوما فاضافوه ولهم كبة تنبع فقال والله لا أنبع ضيفا أهلي
 اليه فطوى بروجها في بطنها فاباح ذلك نبيالهم أو قبلان أمياله ثم فقال مثل هذا مثل أمة
 تكون بعد كم ينظرونها وهاء على حملها وقال الاحنف ابناكم وراي الاوغاد قالوا وما راي
 لاوغاد قال الذين يرون الصفح والصفوحا وسئل الاحنف عن الخلم فقال هو الذي تصبر
 عليه وليست بحليم ولكن صبور ويروى ان المهلب نازعه رجل من كبار بني قيس فابى على
 المهلب والمهلب ساكت فقبيل في ذلك فقال كنت اذا سبني امتحيت من صف السباب
 وغلبة اللثام والسفلة وكان اذا سبني تهمل وجهه وشجعت نفسه بان ظفري فخل القعة ونبت
 المروعة وتطعم ربة الحياء وقلة الاكثارات بدو الشاء ومرة المسيح عليه السلام على قوم من
 اليهود فقالوا له بشرا وقال لهم خيرا فقبل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل يتق
 مما عنده وقال اكثروا صيني من حلم ساد ومن تفهم ازداد وكفرا النعمة لوم وصحبة
 الجاهل شوم ولقاء الاخوان غم والمباشرة غم ومن القساد اضاعه الزاد وسب رجل
 الشعبي بياض نسبها اليه فقال الشعبي ان كنت كاذبا فقفر الله لك وان كنت صادقا
 فقفر الله لي وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لاسينك سببا يدخل معك في قبرك فقال
 أبو بكر معك والله يدخل لامي وقال رجل للاحنف بن قيس ان قلت كلمة لتسمع عسرا
 فقال له الاحنف لكنت لو قلت عسرا لم تسمع مني واحدة ويروى ان رجلا سب الاحنف
 وهو عاتية في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال يا هذا ان كان بيني معك شيء
 فقله ههنا فاني أخاف ان سمعك فتبائن الحى أن يؤذوك وسب رجل بعض الحكماء فقال له
 الحكيم لم أَدْخُل في حرب الغالب فيه شر من المغلوب وقال لقيط بن زوانة شعر
 فقل لبي بعد فالحى وما لكم • ترقون منى ما استطعتم واعتق
 اغركم الى باحسن شعبة • بصيرواى بالقوا حش ائرق
 وأنت قد سايقتى قهرتني • هنيئا هريثا أنت بالقبح احذق
 وقال رجل لابي ذر رضي الله عنه أنت الذي قتلت معاوية بن النعام لو كان فيك خير ما قتلتك
 فقال يا ابن أخي ان ورائي عقبة كؤودا ان تجوت منهم لم يضربني ما قلت وان لم أخرج منها فاد
 شر ما قلت وقال لقمان لابنه يا بني ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الخليم الا عند
 الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند الحاجة اليه وسب رجل بعض
 الحكماء فاعرض عنه فقال له اياك أعني فقال الحكيم وعك أعرض وفي هذا المعنى قيل
 قل ما بد التمن زور ومن كذب • حلى أصم وأذن غير صماء

وقبل يوم الاحد فاحلك فقال لست بهليم ولكني اخطالم والله اني لا اسمع الكلمة فاجم
لها ثلاثا ما ينبغي من جوابها الا انلوف من ان اسمع ما هو شر منها وقال الشاعر
وليس يتم الحلم للمرة راضيا * اذا كان عند السخط لا ينظم
كما لا يتم الجود للمرة موسرا * اذا كان عند العسر لا يتشم
وروى ان رجلا سب جعفر بن محمد رضي الله عنه فقال اماما قالت عما هو فينا فاننا نستغفر الله
منه وما قلت مما ليس فينا فاننا نكلك فيه الى الله تعالى وقال بعض الحكماء احذر وال غضب
فرب غضب استحق الغضب ان به غضب الله تعالى وقال اكنم بن منبى لا يكون الرجل حليما
حتى يقول السفيه انه لضعيف مستذل ولا يكون مخلصا حتى يقول الاحق انه مقسد ومن
اشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخطي * اصبحت حليما او اصيلك جاهل
وصف اعرابي رجلا فقال احلم من فرخ طائر وقال اعرابي ان الغضب عدو العقل ولذلك
يجول بين صاحبه وبين العقل والقهم وقال صعصعة بن صوحان الغضب مقدحة العقل
فربما اصدور بها الرد وقال اعرابي اذا جاء الغضب فسلط العطب وكان ابن عوان
اذا غضب على احد من اهله قال سبحان الله بك قال الله فيك وقال الاصمعي دفع اردشير الى رجل
كان يقوم على رأسه كتابا وقاله اذا رايتني اشتد غضبي فادفعه الى فكلان فيه اسكن فليست
باله انما أت بشيروشك ان يا كل بعضك بعضا وقصير عن قريب للددود والقراب وهذه السيرة
أول من سنها ملك سبع امرأ أن يكسب في كتاب اسكن فليست باله وقال لصاحبه اذا غضبت
فاعرضه علي فكلان اذا غضب اعرضه عليه فاذا قرأه اسكن غضبه وقال معاوية افضل
ما اعطى الرجل العقل والحلم فاذا ذكر ذكرواذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر واذا غضب
كظم واذا قد عفا واذا اساء استغنى واذا وعد أجز وفي الحكمة مكتوب من أطاع
الغضب حرم السلامة ومن عصى الحق غمره الذل وقال بعض الحكماء كظم الغيظ حلم والحلم
صبر والقشقش ضرب من الجزع وقال آخر أول الغضب جنون وآخر ندم وقال بعض
الحكماء اذا غلب على الرجل أربع خصال فقد عطب الرغبة والرهبة والشهوة والغضب
(وقيل) لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك فقال لا غيظن من أمره يغفر الله له وقيل له ومن
أمره قال الشيطان وقال له رجل لا خيه اني حررت بخلان وهو وقع فيك ويذكر لك بأشياء
رجعت منها قال فهل سمعتي اذكره بنيتي قال لا قال فايها فارجم وقال الفضل ثلاثة لا يلامون
على الغضب المريض والصائم والمسافر وقال الاحنف بن قيس لقد فعلت الجلم من قيس
ابن عاصم النخري اني جالس معه في فناء وهو يحدثنا اذ جاءه جماعة يحمون قتيلا ومعهم رجل
ماسور فقبله هذا البك قتلته اخوك فواقه ما قطع حديثه ولا حصل حيوته حتى فرغ من
منطقه ثم أثنى

أقول للنفوس تأنيبا وتعزية * احدي يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخي حين أدعوه وذاولدي
ثم التفت الى بعض ولده فقال قم فاطلق علك وواأناك وسق الى امه ما تهتمن الا بل فانها

غريبة من أنبل بيت فآله العرب قول بعضهم

فصح بالخير خمس بالخي * روح الاحلام ذبال الازر

وقال غيره

باحلام عاد لا يخاف جليهم * اذا نطق العوراء عرب لسان

اذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم * وان حدثوا آذوا بحسن بيان

وقال المصنف عليه السلام ما حل من لم يصبر عند الجهل وما قوت من لم يروا الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب تعالى وقيل للاسكندر ان فلانا وفلانا ينتقصان ويثلبان فلانوا عاقبتهم فقال له بعد العقوبة اعذر في ثلبي وتقصي (ويروي) ان جرير بن عبد الله يشاهدوا كعب قد اورد فيها ابنه اذ يقهر جل فقال منه وجري ما كنت فلما روى قال له ابنه يا ابي لم سكنت عنه قال يا بني انا وسع جرحي وقال بعض الحكماء متى أشنى غفلي أحين اقدر فيقال لو عفوت أم حين اعمل فيقال لو صبرت وسئل بعض أصحاب الاحنف أكان الاحنف يغضب فقال نعم لو لم يغضب ما بان حله كان يغضبه الشيء يبين في وجهه اليومين والثلاثة وهو يصبر ويحلم ومن لم يغضب من الاشياء التي مثاله يغضب فقد قدم من الفضائل الشجاعة والافتة والحمية والدفاع والاختبالثار والغيرة لان هذه الخصال تنائج الغضب ومن فقد الغضب فقد فقد أسن الفضائل على ما سنذ كر في باب الشجاعة ان شاء الله تعالى وعند فقد الشجاعة تكون المهانة بمن المهانة يكون سفاسف الاخلاق ورذالة الطباع فلا يبقى لسانه فضائله موقع وكان يقال من لم يغضب فلم يحلم لان الحليم انما يعرف عند الغضب وقال الشعبي الجاهل خصم والحليم حاكم قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو جبار وقد كان النبي عليه السلام يغضب ولكنه انما كان يغضب لان نفسه بل عند انما كان حرم مقربه واعلم ان الله تعالى مامدح من لا يغضب وانما مدح من كظم الغيظ فقالوا الكاظمين الغيظ وقد اتشد التايفة الجعدي بحضرة النبي عليه الصلاة والسلام

ولا خير في حلم اذا لم تكنه * وادري يحيى صفوه ان يكذرا

ولا خير في جهل اذا لم يكنه * حليم اذا ما أورد الامر أصدرنا

فلم يشكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله وكان ابن عمر اذا سافر استبج سفيها ويقول أستدفع به شر السفيهاء يعني واحملوا أو رشدكم الله أن أحسن خصال الملوكة وأجلها قدرا وهي حليمة الانبياء ولبسة الاصفياء وجمال السوق والروساء واعظمها في النفوس موقعا واعماها على الرعا انما واخذها على مزاليم ذكرها واجلها في المحافل والخاص نشرها وهي الفضيلة التي تم سائر الفضائل وتكمل بها سائر المحاسن الحلم وهما أنا نألو عليك من ذلك ما يقضي فيه العجب (هذه) دولة آل العباس أولهم أبو العباس السفاح والي يومنا هذا لم يكن فيهم أجل من المأمون بلغ من حلمه انه كان يقول لو علم الناس مالي في لغة العقوم اتقروا الى الابد لجرأتهم فاق حلمه سائر خلفاء بني العباس حتى صار يضرب المثل بحلمه وبهذه الخصلة تيمنا ملكه وقهر أخاه الامين (ومنها) دولة بني أمية أولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان الجعدي لم يكن فيهم أحلم من معاوية ولا جرم دانت له الدنيا وملك بها رقاب العرب

والجهم وصار حله يضرب به المثل ويقصد به الخلق ويخلق به العقلاء حتى حكى عنه
 أنه كان يقول لو كان بيني وبين الناس خط عكس يكون أو شعرة ما انقطعت إذا جدتوا
 أرسلت وإذا أرسلوا جئت (وهذه) دولة القرس وكانت أعظم دول الأرض وأشدّها بأساً
 وأكثرها علوماً وحكماً لم يكن في كاسرها أحلم من كسرى أو فرعون وصار يضرب بجملة
 المثل وتطور بسيرة الكتب والمصنفات فيروى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وضوان
 الله عليه لقي كبيراً من كبار فارس فقال له ما أجد خصال ملوككم فقال السبق لشرويه
 وأحددهم سيرة أو فرعون فقال له على وما كان أغلب خصاله عليه قال الحلم والآفة قال
 على هما أوأم يتجهما علو الهمة وبلغ من حلمه أنه كان يضيّق صدره بجملة فقال في خصلتان
 لولا أنهما ظاهراً عند الرعية لضقت بهما ذرعاً الحلم والآفة فأخلق بخصلة تم منفعتها
 ويبقى على الفخر جمالها وتخلد في العلماء والعقلاء والملوك والسوقة بهيبتها وحسن مصادرها
 ومواردها أن يقضها الملوك شعاراً ودثاراً وانما قصدت الحكمة من الملوك خاصة فاما
 من سواهم من الرعية كالأخف وتطرا فلا يحصون كثرة

• (الباب التاسع والعشرون فيما يسكن الغضب) •

فأول ذلك أنك إذا نظرت إلى تفسير أشكالك وتبدل صورتك وأجرار وجهك واتقاخ
 أوداجك وذهاب جناتك وسقط كلامك وغش ما يخرج من فمك لا مسكت عن الغضب
 ولطالما كنت تسفي أن تتكلم بين يدي الجلساء بالسير الجائر فمحدث تهدير بالكثير
 القاسح ولو أن من غضب استذكر إذا حصلوا سكن غريبه انقلاب صورته وتغير وجهه
 واضطراب شفتيه وارتعاد أطرافه وسقط كلامه وغوى خطابه والقاف لسانه وخفة
 عقله وطيشه ووثوبه من مجلسه كأنه غر وسرعة التفاته عينا وشمالاً كأنه قرد وعدم فهمه
 لما يسمع وقلة التفاته إلى من يقبله وينصحه كأنه أحمق ومن شوم الغضب وعظيم بليته أنه
 قد يقتل النفوس ويسلب الروح وكان سبب موت مروان بن عبد الملك أنه وقع فيه وبين
 أخيه سليمان كلام فجعل عليه سليمان فقال يا من يلحق أمه ففتح فاه ليصبيه وإذا يجنبه عرب
 عبد العزيز فاصك على فيه وردت لثته وقال يا ابن عبد الملك أخوك وأمالك وله الس علىك
 فقال يا أبا حفص قتلتي قال وما صنعت بك قال رددت في جوف أحر من الجمر ومال لجنبه ثقت
 وأعمى أنه يز يد على الحق (ومنها) أن يقتل من الحالة التي كان عليها إلى غيرها كانت القرس
 تقول إذا غضب القائم فليجلس وإذا كان جالساً فليقم وبهذا المذهب كان يأخذ المأمون نفسه
 (ويروى) شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم التسوف فقال أطلع في القبور واعتبر بالقبور
 (وكان) بعض ملوك الطوائف إذا غضب التي بين يديه فماتت تراب الملوك فيزول غضبه
 (وكان) عكرمة يقول في قوله تعالى وأذكر ربك إذا نسيت يعني إذا غضبت فإنه إذا ذكر الله
 خاف منه فيزول غضبه (وفي) التوراة ابن آدم إذا ذكر في حين غضب إذا ذكر حين غضب
 ولا يحقك حين الحق (ومنها) أن يذكر نقرة القلوب عنه ومقوطة من رثه عنداً بناه عنه
 ووصفه لها به وطيشه ومخفته فيكون ذلك سبباً لزال غيظه (ومنها) أن يذكر كرائع الطاف
 القلوب عليه وانطلاق الألسنة بالتناء عليه وميل النفوس إليه وإن الحلم عزوذين وإن

السفيل وشين (روي) أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ازداد رجل
يعتق إلا عزاً فأعزوا يعزكم الله (وقال) بعض الحكماء من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدوته
في ظلم عباده (وكتب) بعض ملوك القرض كتاباً ودفعه إلى وزيره وقال له إذا غضبت فضاولني
وفيه مكتوب مالك والغضب انما أنت بشر ارحم من في الارض يرحمك من في السماء (وكان)
معاوية كثيراً ما ينشد

انا اذا ما لدوا على الهوى * وانصت السامع للقاتل
واعجل الناس بالبابهم * تقضى بحكم عادل فاضل
تخاف ان تسفه احلامنا * فضل الدهر مع الخامل
(وقال) بعض الحكماء اياك وعزة الغضب فانها تقضى الى ذلة العذر وقال الشاعر
واذا ما اعتزلت في الغضب العزّة فاذ كرّ ذلّ الاعتذار

وقال غيره

زورنا على غير القواض فمنا * ولم نخبر الا الذي هو أجور
(وقال) عبد الله بن مسلم بن محارب له روى الرشيد بن أمير المؤمنين أسألت بالذي أنت بين يديه
أذل حتى بين يديك والذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني فعفا عنه لما ذكره
قدرة الله عليه (وقال) رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الأشعث ان الله
قد أعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله تعالى ما يحب من العفو (وقال) المأمون لعمة
ابراهيم بن المهدي وكان مع أخيه عليه اني شاورت في أمرك فاشاور اعلى بقتلك الا اني
وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل لازم حرمك فقال يا أمير المؤمنين ان المشير اشار
بما حرمته العادة في السياسة الا انك آيت ان تطلب النصر الامن حيث عودته من العفو فان
عاقبت فلن تغفر وان عفوت فلا تغفر لك وأنت تقول

البري منك وطا العذر عندك * فيما فعلت فلم تغفر ولم تلم
وقام عليك بي فاحج عندك * مقام شاهد عدل غيرهم

(وقال) بعض الحكماء الغضب على من لا تملك جعز وعلى من تملك لؤم (ومنها) أن يتذكر
ما يؤزل اليه الغضب من الندم ومدة الانتقام وشروع القصاص في بدنه بين يدي من لا يرجو
فان ذلك مما يرد من الغضب

(السبب الثاني) ان في الجور والسمامة هذه الخصلة الجليل قدورها العظيمة موقعها
الشريفة موروها ومصدرها) *

وهي إحدى قواعد المملكة وأساسها وتاجها وجمالها تغزلها الوجوه وتخللها الرقاب
وتضخم لها الجبابرة ويسترقبها الاحرار ويستحلها الاعداء ويستكفر بها الاولياء
ويحسن بها الثناء ويملك بها القرباء والبعداء ويسود بها في غير عشارهم الغرباء (وهذه)
الخصلة بالعزائم الواجبات أشبه منها بالجمال والتمائم وكما قد رأينا من كافر ترك دينه واتهم
دين الاسلام ابتغاء عرض قليل من الدنيا ياله وكما قد سمعنا من مسلم ارتدى في أرض الشرك
اقتتانا يسير من عرض الدنيا واخلى بخصلة يترك لها الانسان دينه الذي يذل دونه نفسه

أن تكون جليلة القدر عظيمة الخطر وأخرج خلق الله اليها أفقرهم إلى عطف القلوب عليه
 وصرف الوجوه إليه وهم الملوكة والولادة (واعلموا) يا مشركين وسع الله عليه دينه واسبح
 عليه الآم ونعماته أنه ليس في الجنة لأحد صديق لك لا تدخل الجنة سقوطاً وضعة وإنما
 است الجنة على ما تشبهه النفس وتلك الآمين (وهذه) الجنة أعنى الكرم والجود
 والسخاء والابتار بمعنى واحد يوصف البارئ تعالى بالجود ولا يوصف بالسخاء كما يوصف بالعلم
 ولا يوصف بالعقل لعدم التوقف (وحقيقة) الجود هي أن لا يصعب عليه البذل ويقال السخاء
 هو الرتبة الأولى ثم الجود ثم الابتار فمن أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء
 ومن بذل الأصغر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالخسر وبقي هو في مقاساة الضر
 فهو صاحب ابتار (قال) ذو النون بداية السخاء أن تسخو نفسك بما في يديك ونمايته
 أن تسخو نفسك بما في أيدي الناس وان لا تبالي من كل الدنيا (وتذكر) قوم من الزهاد
 عند رابعة العدوية فجعلوا يذمون الدنيا ويكثر من ذلك فقالت رابعة ممن أحب شيئاً أكثر
 من ذكره وأصل السخاء هو السماحة وان يؤتى ما يؤتى من طيبة نفس (وقد يكون) المعطى
 بخيل لا ذاصب عليه البذل والمسلخ خيلاً إذا كان لا يستصعب العطاء وان منع ولهذا
 قال علماؤنا ان الله تعالى لم يزل جواداً وان لم يقع منه عطاء في الأزل لان العطاء فعل والفعل
 في الأزل مستحيل (وقالت) الحكماء أيها الجامع لا تضد عن ظالم كقول للبدن والموهوب
 للمعاد والمتركة للعدو وقال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
 (قال) أبو هريرة رضي الله عنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
 الله اني جائع فاطعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أزواجه فقلن والذي بعثك بالحق
 ما عندنا الا الماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما عند رسول الله ما يطعمك الله ثم قال من
 يضيف هذا هذه إليه رجه الله فقال رجل من الأنصار أنا يا رسول الله خذني إلى منزله وقال
 لا هذه هذاضيف النبي صلى الله عليه وسلم فأكرمه ولا تدخرى عنه شيئاً فقالت ما عندنا الا قوت
 الصبية فقال قومي فغلبهم عن قوتهم حتى ناموا ثم أصرجوا برزى فإذا أخذ الصبي يأكل
 قومي كأنك تصلين السراج فأطعمته وتعالى غصغ السكتناضيف النبي صلى الله عليه وسلم
 ففعلت وجعل لا يعضان ألسنتهما والضيف ينظن أنهما ما كانا وباتوا طويلاً فلما أصبحوا
 ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إليهما تبسم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة
 ونزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية (وقال) أنس رضي الله عنه
 الصباية رأس شاة مشوية وكان مجهوداً فوجه به إلى جارية فوجه به إلى الجارية إلى أهل بيت آخر
 فتداولته سبعة أيام حتى عاد إلى الأول فتزات ويؤثرون على أنفسهم (وقال) حذيفة
 العدوي انما لقت يوم اليرموك أطلب ابن عسلى ومعى شئ من ماء وأنا أقول ان كان به ومق
 سقى به فإذا أنا به بين القسلي قلت أم قبلك فإذا رجل يقول آه فاشاوا بن عسى ان انطلق إليه
 فإذا هو هشام بن العاص فقالت أم قبلك فسمع آخر يقول آه فاشاوا هشام أن انطلق إليه فبعثته
 فإذا هو قد مات ثم رجعت إلى هشام فوجه به قد مات ثم رجعت إلى ابن عسى فإذا هو قد مات
 (وروت) عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله

قريب من الناس بعيد عن النار والنجيل بعيد عن الله بعيد عن الناس بعيد عن الجنة والجاهل
 السخيف حاجب الى الله من العباد البصير (وروي) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن آدم
 اغسل عنك ما لك ما كنت فأنيت أو لبست فألبت أو أعطيت فأمضيت (واعلم) ان السخاء
 على وجوده مخاف في الدين ومخاف في الدنيا فالسخاء في الدنيا البذل والعطاء والابتار ومعاينة
 النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وعلامته ترك الادخار
 وبغض جمع المال وقعا هذه الاخوان مسرورا قلبه بملك والسخاء في الدين ان تحسب نفسك
 أن يتلقاها الله تعالى وترى دمك في الله معاملة من غير كراهة لا تريد بذلك ثوبا عاجلا ولا آجلا
 وان كنت غير مستغن عن الثواب لان الغالب على قلبك حسن كمال السخاء بقوله الاختيار على
 الله تعالى حتى يفعل الله بك ما لا تحسن ان تختاره لنفسك (وقيل) لعمر بن الخطاب رضي
 الله عنه من السيد قال الجواد اذا سئل المليم اذا استجبل الكرم المبالسة لمن جالسه
 الحسن الخلق لمن جاوره (وقال) النعمان بن المنذر يوما جلسائه ممن أفضل الناس عيشا
 وانفسهم بالاولا اكرمهم طبعا واولاهم في النفوس قد راقت القوم فقال في اي بيت الله
 أفضل الناس من عايش الناس في غفلة قال صدقت (وقال) الحسن باع طلحة بن عثمان أرضا
 بسبعة آلاف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدري ما يطره اغرب بالله
 ثم جعل رسول الله يختلف حتى قسمها وما أصبح عندهم منها درهم (وكان) أسما بن خارجة يقول
 ما أحب ان ارد أحد اعن حاجة لانه ان كان كريما أصون عرضه وان كان ثيما أصون عنه
 عرضي (وكان) مروان العبلي يتلطف في ادخال الرقيق على اخوانه فيضع عندهم ألف
 درهم ويقول امسكوها حتى أعود اليكم ثم يرسل اليهم أنهم مني في سل (وقال) العنبي أعلني
 الحكم بن عبد المطلب جميع ما يملكه فلما قدم ما عنده ركب فرسه وأخذ رصحه يريد الفز ومات
 بمنجج فاجبرني رجل من أهل منبج قال قدم علينا الحكم وهو معلق لاشيء معه فأعطانا قيل كيف
 أعطانا كم وهو معلق فقال ما أعطانا بحال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض فاستغنينا
 هو واكرم العرب في الاسلام طلحة بن عبيد الله جاور رجل فساء له برحمته وبينه وبينه فقال هذا
 حاطي بمكان كذا وكذا وقد أعطيت به سقاة ألف درهم يراح بالمال الى العشي فان شئت
 فالمال وان شئت فالحائط (ويروي) ان رجلا بعث الى حنظلة بجارية فواقه بين أصحابه
 فقال قبيح ان أخذها لنفسى وأنتم حضوروا كره ان اخص بها واحدا منكم وكلكم له حق
 وحرمة وهذه لا تحتمل القسمة وكافوا ثمانية رجلا فأمر لكل واحد منهم بجارية أو وصيف
 (وقيل) لقيس بن عجل رأيت قطا أضفى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأت فخرت وجهها
 فقالت له انه نزل بك ضيفان فجاءه بئرة فخرها وقال شأنكم فلما كان الغد جاء بخري فخرها
 وقال شأنكم فلما ما أكلنا من التي فخرت الباسحة الا ليسر فقال اني لا اطعم أضيافي الا فاقنت
 فأقنتا عندهما ما والسما فخر وهو يفعل كذلك فلما اردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في
 يمينه ولنا امرأت اعتذرت لنا من وضيئنا فلما منع النهار اذا برجل يصيح خلفنا ففروا بها
 الركب اللثام اعطيتوني عن القرى ثم انه ملقنا وقال لا اخذتم ولا اطعنتمكم برحمتي فآخذناها
 وانصرف (وقال) ميمون بن مهران من طلب مرضاة الاخوان بلا شيء فليذهب أهل القبور

(وقال) ابن عباس لا يمت المعروف الا بثلاثة تحميد وتصغره وستره فاذا عجله فقد هناه
واذا صغره فقد عظمه واذا ستره فقد تسمه (وقال) الحسن كان احدهم يشق ازاره لاخته
ينصفين (وقال) المغيرة في كل شيء سرف الا في المعروف (وقيل) الحسن بن سهل لا خيري
السرف فقال لا سرف في الخير فتاب اللفظ واستوفى المعنى وقطعه محمد بن حازم فقال

لا القفر عار ولا الغنى شرف * ولا إخفاء في طاعة سرف

مالك الاشئ تقدمه * وكل شيء آخره تلف

• واما طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلمات وانما سمي بهذا الاسم لانه كان
عظيم البذل في كل وجه وكان يبتاع الرقاب فبعثتها وكان كل معتنق يولده وله ذكر سمي طلحة
فبلغ عددهم ألف رجل كل يسمى طلحة فسمى طلحة الطلمات ثم ولي سجستان وفيه يقول الشاعر
نصر الله اعظمادفنوها * بسجستان طلحة الطلمات

فقد بلغه ان معلمه كان في الكتاب باعجا زقد قعديه الدهر فارسل اليه مع غلامه مائة ألف فقال سلها
اليه فان يكن مات وله ولدا فادفعها الي ولده وان لم يكن له ولد فترفعها على قومه فوافقهم الرسول
قدمان ولم يقبب فقرعها في قومه (وقال) زيد بن اسلم وكان من الخاشعين يا ابن آدم امرك الله ان
تكون كريما وتدخل الجنة ونهلك ان تكون لثيما وتدخل النار (وقال) حكيم بن حزام
ما اصبحت قط صبا حالم اري سابي طالب حاجبة الاعداد تبهم صبية ارجو نوابها (ولما) مات
وجد عليه مائة ألف دينار ووجد مكتوبا على حجر انتز الفرس عند اسكانها ولا تحمل على
نفسك هم ما لم ياتك * واعلم ان تقصيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل
حليته (وقال) علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما جعت من المال فوق قوتك فانما انت فيه
خازن لغريك (وروي) مالك في الموطن ان مكينا سال عائشة وهي صائمة وليس في بيتها الا رغيف
فقال لولادتها اعطيه اياه فقات ليس لك ما تطعمين عليه فقالت اعطيه اياه ففعلت فلما امت
أهدى لها اهل بيت شاة وكفها يعني ملفوفة بالزعفران فقالت لي عائشة كئي هذا خير من قرصك
(وقال) عبد الله بن عمر ما كان أحدنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يحسب ان له في الفضل
شيا (وقال) الحسن كأنه البصيل من يقرض أخاه الدرهم (ومن جهات) ما روي في الاشارة
مأذ كره أبو محمد الازدي قال لما احترق المسجد بمصر وظن المسلمون ان النصارى أحرقوه
فأحرقوا أئامهم فقبض السلطان جماعة من الذين أحرقوا النخان وكب وقاعا فيها القتل وفيها
القطع وفيها الجلود ونثرها عليهم فن وثقت عليه رقعة فعلى ما فيها فوقت رقعة فيها القتل بيد
رجل فقال ما كنت أبالي لولا أمتي وكان يهاجبه بعض القتيان فقال له في رقتي الجلود وليست لي
أم فادفع الي رقتك وخذ رقتي ففعلوا قتل ذلك وتخلص هذا (وحكى) ان أبا العباس
الانطاكي اجتمع عنده سيف وثمانون رجلا بقرية بقرب الري ولهم أرغمة لم تسع جمعهم
فكسروا الرقمان واطفؤا السراج وطلبوا الطعام الى أن كفوا فلما رفع اذا الطعام بجماله
لم يأكل منه واحد منهم ايشا والصاحبه على نفسه (وروي) انه اجتمع بالرملة جماعة من ارباب
القلوب فغضر طبق فيه تين أخضر وقد غسق الليل فكان الواحد يده فاذا ظن ربحه حصرم
ياكلها وان غضر لطيب دفعه الى صاحبه ولم يأكله فلما وضع الطبق اذا الطيب كله في الطبق لم يأكلوا

منه شيئا (وقال) بعض الرواة دخلت على بشر الخاني في يوم شديد البرد وقد تمرى من الثياب
فقلت يا ناصر الناس يزيدون الثياب في مثل هذا اليوم وانت تنقص فقال ذكرت القراء
وما هم فيه ولم يكن لي ما واسمعه به فادرت ان اراقهم ينسقي في مقاساة البرد (وقال) الاساذ
ابو علي الهادي غلام خليل بالصفوية الى الخليفة بالزندقه امر بضرب أعناقهم فاما الخليفة فاته
نستربالصفه وكان يفتي على مذهب ابي نور واما النصارى والرقام والنوري وجماعة فقبض
عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النوري أمامهم فقال له السيف اتدري لماذا اتقدم
وتسابق قال نعم قال وماذا ايجبت قال أوترا أصحابي يحيا ساعة فحبر السيف واتى الخبر الى
الخليفة فردداهم الى القاضي ليعرف حالهم فالتى القاضي على أبي الحسن النوري مسائل فقهية
فاجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان قه عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا انطقوا انطقوا بالله ومرد
القاضي الحق أبكى القاضي فأرسل الى الخليفة وقال ان كان هؤلاء فادقة فاعلى وجه الارض
مسلم (ولى) مرمر قيس بن سعد بن عباد استبطا أخوانه في العباد فسال عنهم فقال انهم
يتصوبون عمالت عليهم من الذين فقال أنوى الله ما لا يمنع الاخوان من الزياره ثم امر من يتادى
من كان الهيس عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبة باب العشي لكثرة العواد (ويروي)
ان عبد الله بن جعفر وكان أحد الابواد خرج الى ضعة ففزل على فخذ قوم وفيه غلام اسود
يقوم عليها فاني بقوته ثلاثة أقراس ودخل كلب ودنا من الغلام فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى
اليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم
آثر هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جئت فأكفرت ربه قال فما
أنت صانع اليوم قال أطوى بوى هذا قال عبد الله بن جعفر ألام على السخا وهذا أمضى مني
فاشترى الخياط والغلام وما فيه من الآلات فاعتق الغلام ووهب ذلك له (وقال) النوري
رأيت محمد بن سوفة بالغداة صاحب مائة ألف وبالعشي سألناه من أصحاب خيرة (وقال) أبو عبد
الرحمن دخل أبو عبد الله الروذباري الى دار بعض أصحابه فوجد جده غائبا وهناك بيت محفل
فكسر القفل وأمر بجميع ما وجد فيه من المتاع فانفذوه الى السوق فباعوه وأصلحوه وقتا
من الثمن فلما صاحب الروذباري ظهر قل شيئا قد خلت امره بعهدهم الدار وعليها كسافند خات
مينا ورمت بالكساء وقالت يا أصحابنا هذا أيضا من جلة المتاع فبيعوه فالزوجها لم تكلفت
هذا باختيار لفتنالك استكت مثل هذا الشيخ اسطنا ويحكم علينا ويبيق لنا شيئا ندخه عنه (واما)
عبد الله بن جعفر فورث خمسة آلاف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال ما كنت لاسأل
لاخواني الهبة في صلاتي واجعل عليهم يحوالي (ويروي) ان الاشعث بن قيس ارسل
الى عدي بن حاتم يستعيره فقدره كات لا يبعثهم فلاها وبعث بها اليه وقال اتالعبها
فأرعة (وقال) بزوجه لا عزابت اركانا ولا أدخ بيتا من بيت الكرم واكتساب الشكر
وذلك أن عزالت عظيم بالفعل الجليل باقى قلوب الرجال ومن تحسن بالجود وتحرز بالمعروف
فقد غفر عن نوايه وبيع الشكر والثواب (ويروي) ان عبد الله بن أبي بكر وكان أحد
الاجواد عظمى ومافى طريقه فاستسقى من منزل امرأته فخرجت كوزا وفامت خلف الباب
وقالت تقصوا عن الباب ولياخذ بعض غلمانكم فاني امرأتهم العرب مات زوجي منذ أيام

فشرب عبد الله وقال يا غلام اجعل اليها عشرة آلاف فقالت سبحان الله تسخري فقال يا غلام
اجعل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العاقبة فقال يا غلام اجعل اليها ثلاثين ألفا فقالت أف
لست فعل اليها ثلاثين ألف درهم فما أصبت حتى كثرت خطاياها (وقال) بعض الرواة قصد رجل
الى صديق له فدفع عليه الباب فلما خرج قال ما حاجتك قال أربعمائة درهم على دين قد دخل
الدار وأخرجها اليه ثم دخل الدار بما يكافئها له امرأته هلالا قالت حين شقت عليك الاجابة
قال انما أبكى لاني لم أنفقد حاله حتى احتاج الى مكاشفتي (وقال) أكرم من صبيقي صاحب
المعروف لا يقع فان وقع وجملة كآ (وقال) الفضيل ما كانوا يعدون القرص معروفا (وروى)
عن امرأته من المتعبدات انها قالت لحبان بن هلال وهو في جماعة من أصحابه ما السخاء عندكم قال
البذل والايثار وقالت فما السخاء في الدين قال أن تصدق الله تعالى بحبة به نفسك غير مكرهة قالت
أفتر يدون على ذلك جوازا قالوا نعم لان الله تعالى وعده على الحسنة بعشر امثالها قالت فاذا اعطيتهم
واحدة وأخذتم عشر افأى شئ نخشيه به وانما السخاء أن تعبدوا الله تعالى متعبدين مثل الذين
بطاعته غير كارهين لا تريدون بذلك اجرا ألا تنصيرون ان يطلع على قلوبكم فيعلم منهم انهم يريد
شيأ بشئ (وقالت) بعض المتعبدات لبعض السخاء في الدين ان يشاروا الدرهم فقط
انما السخاء في بذل مهج النفوس لله تعالى (وقال) أبو بكر الدقاق وليس السخاء ان يعطى الواحد
المعتمد انما السخاء ان يعطى المعدوم الواحد (وقال) الشيخ أبو عبد الرحمن كان الاساذ أبو سهل
الصعلوكي من الاجواد لم يكن يتاول احد شيأ يده وانما كان يطرحه على الارض فيتناوله
الاخذ من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من ان يرى من اجلها يدى فوق يد أخرى وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وكان يتوضأ وما في عين داره
قد دخل عليه انسان وسأله شيأ فلم يحضره فشي فقال اصبر حتى أفرغ فلا فرغ قال خذ القمعة
وانخرج فلما خرج وعلم انه بعد صاح وقال دخل انسان وأخذ القمعة فشرها فخره فلم يدركوه
وانما فعل ذلك لانهم كانوا يلومونه على البذل (وفي معناه قال الشاعر)

ملأت يدي من الدنيا هارا • خاطع العوائل في اقتصادي

ولا وجبت على زر كمال • وهمل تحب الزر كانه على جواد

(وكان) أبو مرثد أحد الكرام قد سبه بعض الشعراء فقال ما عندى ما أعطيك ولكن قلمنى الى
القاضي وادع على عشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احببني فان أهلى لا يتركونى مسجونا
ففعّل ذلك فلم يسعوا حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم (وقال) زياد بن جرير رأيت طلحة بن عبيد
الله فرق مائة ألف في مجلس وأنه ليضبط أزواره بيده (ولما) دخل المسكدر على عائشة رضى الله
عنها قال لها يا أم المؤمنين أصابني فاقة فقالت ما عندى شئ فلو كانت عندي عشرة آلاف لبعثت
بها اليك فلما خرج من عند حاجتها عشرة آلاف من عند خالد بن أسيد فارسلت بها في أثره
فاشتري جارية بالقدر درهم فولدت ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة ومحمد وأبو بكر وعمر بنو
المسكدر (وقال) يحيى بن معين كان جرير بن يزيد في دار المطلب فجاء انسان يسأله فقال للغلام
أذهب الى الجوارى فقل لهن من أراد منهن ان تصبغ نياها فلتبعث بها فجاء الغلام بشباب
كثيرة فقال لسائل خذها (وقال الاصمعي) كانت جوث حروب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة

فتقام الامر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا في المسجد الجامع قال فبعثت وانا غلام
الى ضرار بن القعقاع بن حازم فاستاذنت عليه فاذن لي فاذا هو عليه شمله بضما نوى لعزله
حلوب فغيرته بجمع القوم فامهل حتى اكلت العز ثم غسل القصعة وقال يا جارية غدي فافاتته
بزيت وقر قال فدعاني فقدرته أن آكل معه حتى اذا قضى من أكله حاجته وثب الى طين ملقى
في الدار فصل بيده ثم صاح بالجارية فقالت اسقني ماء فاستبى بماء فشر به ومسح فذه على وجهه
ثم قال الحمد لله ماء القرات بقر البصرة بزيت الشام حتى تؤدى شكر هذه النعم ثم قال على برداني
فاستبرداه عدي فارتدى به على تلك الشجة قال الاصمعي فجاقت عنه استقباحا حازه به فدخل
المسجد وصلى ركعتين ومشى الى القوم فلم يبق حبة الا حلت اعطاه ثم جلس فتعلم ما كان
بين الاحياء من الديات في ماله وانصرف (وكان) المهلول بن راشد القصبه لما سجن بعلى كل يوم
السجان دينار فاستكفوا أصحابه وكلموه في ذلك فقال لهم حفص بن غماره سمعت سفيان الثوري
يقول اذا كمل صدق الصادق لم يملك ما في يده فخر به لول على يده وقبلها وجعل يقول سألتك
بالله أنت سمعته يقول هذا الخب باله لقد سمعته بقوله (وقال الشاعر)

ذريتي أكن للمال دبا ولا يكن * لي المال دبا تحملى غبه غدا

أرىني جوادا مات هزل العاني * أرى ما ترى أو غيلا لا تخلا

(وكان) عبد الله بن أبي بكر يثق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره
وأربعين أمامه وأربعين خلفه ويشت اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد
مائة مملوك واشترى يوما جارية بعشرة الاف فطلب دابة يصلها عليها فقال رجل هذه دابتي فقال
اسجلوها على دابته الى داره (وقال عبد الله بن زهير)

وعادة تخشى الردى أن يصيبني * تروح وتغدو بالملازمة والقسم

تقول هلكت ان هلكت وانما * على الله اوزاق العباد كما زعم

واني احب الخلل لو استطعته * وكلل للصدى أن اموت ولم ألم

(وروى) ان اعرابيا قدم على علي بن ابي طالب رضى الله عنه فقال يا امير المؤمنين في اليك حاجة
الحبايعين أن اذكرها قال فخطها في الارض فخط في الارض الى فقير فقال لعلامه يا قنبر اكسه
حلتى فكساه الحل فقال

كسوتني حلة تبلى محلتها * فسوف اكسولنم حسن الناحلا

ان الثناء ليبي ذكر صاحبه * كالغيب يبي نداء السهل والجبلا

ان نلت حسن ثناء نلت مكرمة * لانعين بما قد نلتسه بدلا

لا ترهب الدهر في عرف بدانتيه * كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

قال علي بن ابي طالب لما قالوا لى الاعرابي قال قنبر يا امير المؤمنين لو فرقتم في المسلمين
لاصلحت بها من شأنهم فقال له يا قنبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن
اثنى عليكم واذا أنا تم كرم قوم فاكرموه (وقال) سطر بن الشخير اذا اراد أحدكم مني حاجة
فليرفعها في رقعته فاني اكره ان أرى في وجهه ذل الحاجة (قرئ) على القاضي أبي الوليد وأنا سمع
وأمره بالجل فلتلها اقصرى * فليس اليه ما حيت سيل

أرى الناس خلان الكرام ولا أرى • بخياله في العالمين خيل
وإني رأيت البخل يزي بأهله • فأكرمت نفسي أن يقال بخل
ومن خير حالات الفسق لو علمته • إذا نال خيرا أن يكون بخل
• (ولعمرو بن الورد) •

وإني امرؤ عاقى إناثي شركة • وابت امرؤ عاقى إناثك واحد
اتضحك مني أن سمعت وأن ترى • يصحني شحوب الحق والحق جاهد
أقسم جسمي في جسوم كثيرة • واحسوق راح الما والمما جرد
(وقال) بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام
ويحافظها بجليلت على الخصاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه (وروي) أنه كان عند
البيهاقول بن راشد طعام فقال السعرقا من به فبيع له ثم أمر أن يشتري له ربع القبة فقبل له
فبيع وتشتري فقال تفرح إذا فرح الناس وتخزن كما خزنا (ولم حاتم طي فقال)
لعمري لقدما عضي الجوع عضة • فالت أن لا أمتنع الدهر جاعا
فقلوا لهذا اللاتم الآن أعفى • فإن أنت لم تستطع فعض الأصابع
فهـل ماترون الآن الا طيبة • فكيف يستركي يا ابن أم الطبايعا
• (وقال آخر) •

أصون عرضي على لا أدنسه • لا يبارك الله بعد العرض في المال
أستال المال أن أودي فأجعه • ولست للعرض أن أودي بحمال
(وروي) أن رجلا سأل الحسن بن علي رضي الله عنه شيئا فاعطاه خسين ألف درهم وخمسة
دينار وقال أنت بجمال يحمد لك فأتاه بجمال فاعطاه مئيلة وقال يكون كراء الجمل من قبلي
(وروي) أن أبا عبد الله أمر أبا بكر جنة غسل فامر لها بريق غسل فقبل له في ذلك فقال
إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطى على قدره متنا (وروي) أن رجلا استضاف لعبد الله بن
عاصم بن زريق فإراد الرجل أن يرقه لم يعنه علماء فسنل عن ذلك فقال عبد الله إنهم لا يعينون
من ارتحل عنا (وفي معناه يقول المتنبي)

أذا ترحلت عن قوم وقد قدروا • أن لا تشاركهم قالوا حلونهم

• (الباب الحادي والثلاثون في بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما) •

الشح في كلام العرب البخل ومنع الفضل • كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن أعزبك
من شح نفسي وأسرأها وودعها • (وروي) جابر أن النبي عليه السلام قال اتقوا الشح فإن
الشح أهلك من كان قبلكم جاهل على أن سكو الدماء واستحلوا محارمهم وقد فرق بينهما مفرقون
فقالوا الشح أشد من البخل فإن البخل أكثر ما يقال في التفتة وأما كما • قال الله تعالى
سبطو قون ما يجلبوا يوم القيامة • وقال تعالى ومن يفضل فأنما يبخل عن نفسه وقال تعالى في
الشح أشمة على الخسر وأنتك لم يؤمنوا • وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون
فالشح يني على الكرازة والامتناع فهو يكون في المال وفي جميع منافع البدن (وقال) ابن عمر
ليس الشح أن يمنع الرجل ماله وإنما الشح أن يقطع فيما ليس له • ولهذا قال ابن المبارك متنا

النفس عافى ايدي الناس افضل من سقاء النفس بالهذل (وقال) رجل لابن مسعود اني اخشاف
 ان اكون قد هلكت سمعت الله تعالى يقول ومن فوق شمع نفسه فأولئك هم المفلحون وانار رجل
 شمعهم يكاد ان يخرج من يدي شي فقال له ابن مسعود هذ اليس بالشمع الذي ذكره الله تعالى فانه
 ان تأكل مال أخيك ظلموا لكن ذلك البخل وبس الشيء البخل شقوق بينهما كاتري (وقال) ابن
 عباس الشمع ان يجمع هواه فلم يقبل الايمان وقال طاوس الشمع ان يعضل المرء يعضل ايدي الناس
 والبخل ان يعضل عافى يديه (وروى) أنس ان النبي عليه الصلاة والسلام قال برئ من الشمع من
 أدى الزكاة وقرى الصنف واعطى في الثابتة (وقال) ابن زيد من لما اخذ شيئاً من الله عنه ولم يدعه
 الشمع الى ان يمنع شيئاً من الله به فقد وفاه شمع نفسه (وقال) أبو البياح الاسدي رأيت رجلاً في
 الطواف يقول اللهم فني شمع نفسي لا يزيد علي ذلك شيئاً فسأله عن ذلك فقال اذا وقيت شمع نفسي
 لم أسرق ولم أزن ولم أفعل شيئاً يكرهه الله تعالى واذا الرجل عبد الرحمن بن عوف (واعلم) ان البخل
 يكون من سوء الظن باقه ان لا يتحلف ولا يشيب وهذا هو من التصديق بما تكفل الله به ويترك
 الظل والامتناع الى جميع الامور بين العبد وبين الخالق وبين العبد وبين الخلق في تركه معاوتهم
 والنصح لهم (وقال) كسرى لاصحابه أي شيء أضرب ابن آدم قالوا الفسق فقال كسرى الشمع
 أضرب من الفقر لان التقبر اذا وجد اتسع والشمع لا يتسع أبداً ولما قدم الشافعي من صنعاء الى
 مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقالوا له تشترى بها ضيعة فضر ب خيمته خارج مكة وصب
 الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق
 شيء (طائفة) قريت وفاته قال مراد فلان في لحي وكان الرجل غائباً فلما قدم اخبر بذلك فذهبوا بكثرة
 فوجد عليه سبعين ألف درهم ديناً فضاها وقال هذا غلى اياه (وروى) ان رجلاً اراد ان يؤذي
 عبداً له بن عباس فأتى وجوه البلد وقال يقول لكم ابن عباس تغدوا اليوم عندي فأتوه
 فخلوا له دار فقال ما هذا فاخبروا الخبر فامر ان تشتري القوا كفي الوقت وامر بالتبذير والطبع فاصلح
 القرى فلما فرغ قال لو كان له امر جود لكان هذا كل يوم قالوا انتم قال فلبس غداً ولاكلهم كل يوم عندنا
 ومن اتصال الجارية بحري الكمال والجمال ولعلمهم من الامول الصبر

• (الباب الثاني والثلاثون في الصبر) •

الصبر زمام ما ترانا لخال وزعيم الغنى والظفر وملاك كل فضيلة وبه يتال كل خير ومكرمة
 قال الله تعالى ونعت كل ربك الحسنى على بن اسير ائبل بما صبروا وقال تعالى انهم يوفى الصابرون
 أجرهم بغير حساب فخطم وطائف الدين ذكر الله ورسوله جزاء معلوماً الى اقامها الا الصبر فانه بغير
 حساب وقال تعالى وجعلنا منهم أئمة يمدون بما هم بالصابر وقيل عن الدنيا وقال ابن عينة لما
 أخذوا برأس الامر جعلهم الله رؤساء وقال تعالى ولقد علم انك يضييق صدرك بما يقولون وقال
 تعالى قد علم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكدونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
 وقال تعالى ولتسعين من الذين أوفوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا اذى كثيرا ثم ذهبهم
 الى السبع ومع وجود الاذى فقال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فالصبر حبس
 النفس على الامور والمكاره وعن النواهي والمعاصي الا ترى ان أهل الجنة وودوا قبل لهم
 سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فاخبر الله تعالى انه أثابهم الجنة بصبرهم يعني صبرهم على

طاعة الله وصبرته عن معصية الله قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والأشى أي احبس نفسك الآية فمن امارات حسن التوفيق وعلامات السعادة الصبر في
الملمات والرفق عند التوازل (وفيما يروى) ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود
من صبر علينا وصل اليانا (وقال) سقيان بلغنا ان لكل شئ ثمرة وثمره الصبر الظفر قال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فعلق الفلاح على
الصبر والتقوى يعني اصبروا على ما فرض الله عليكم وصابروا وعدوكم ورابطوا فيه قولان قيل
رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا على انتظار الصلوات بدليل ما روى ابو هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يحيط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى
يا رسول الله قال اسبغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد
الصلاة فذلكم الرباط (وقال) الحسن في قوله تعالى وإذا تبلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال
استلام الكوكب فصبروا بتلاذذهم به انه فصبره قال سبحانه وتعالى استعينوا بالصبر والصلاة ان
الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم قال قولاً عظيماً جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين
وقال النبي عليه الصلاة والسلام للانصار ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف
يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر
(وقال ابن مسعود) قدم النبي صلى الله عليه وسلم قسماً فقال رجل من الانصار والله انها لقسمة
ما أريد بها وجهه الله فآخبرت النبي عليه الصلاة والسلام فشق عليه وتغير وجهه وغضب حتى
وددت اني لم أكن أخبرته ثم قال قد أودى موسى بكر من هذا فصبر (وروى) ان النبي عليه
الصلاة والسلام مر على امرأة تسكي عند قبر فقال لها اني الله واصبري فقالت اليك هي فانك لم
تصب بمثل مصيبي فلما قبل لها هذا روى الله جاءت اليه فتذرانها لم تعرفه وقالت ما صبر فقال
النبي عليه الصلاة والسلام انما الصبر عند الصدمة الاولى ويحتمل هذا الحديث وجهين اما
الطائفة فقال معناه ان الصبر المحمود عند أول نزول المصيبة وقد فاك بلخرج واما القابضة
فقال معناه ان الصدمة الاولى وقت امرها النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر وكان هذا تعليماً لكل
من فاته الصبر في هول أو نسيان أو غلبة (وروى) ان النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن الايمان
فقال الصبر والسماحة (وفي منثور الحكم) قالت امرأة لاهلقة بارض المغرب قال الجوع
وأنا معك قال الايمان أنا لاحق بارض الحجاز قال المبر أنا معك قال الملك أنا لاحق بارض
العراق قال القدر أنا معك (واعلم) ان العجلة خرق وغر جهام من فلة العقل وانخرق من ذلك
التقربط في الامر بعد القدرة ومثل ذلك كالتقذر على النار ان كان ماؤه قليلاً غلت يدس
من النار وان كانت مملوءة لم تغل حتى تكثر ناره واطول مدتها وفي كتاب جويدان خرد و ليس
للجهم كآب مثله قال محرم على السامع تكذيب القائل الا في ثلاث هن غير الحق صبر الجاهل
على مضى المصيبة وعاقب البعض من أحسن اليه ووجهة أحببت كنه

• (فصل) • واعلم ان الصبر على أقسام صبر على ما هو كسب للبدن وصبر على ما ليس بكسب
فالصبر على الكسب على قسمين صبر على ما امر الله تعالى به وصبر على ما نهى الله عنه فاما الصبر على
ما ليس بكسب للبدن فكمبر على مقادير ما يتصل به من حكم الله تعالى فيما له فيه مشقة وينقسم

من وجه آخر على أربعة أقسام فأول أقسامه وأولها الصبر على امتثال أمر الله سبحانه والانتفاء عما نهى عنه والثاني الصبر على ما فات أدراكه من مسرة أو نقضت أوقاته من مصيبة والثالث الصبر فيما يخطر وروء من رغبة يرجوها ويخشى حدوثه من رهبة يخافها والرابع الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من أمر مخوف وجميع أقسامه محمود بكل لسان وفي كل مله وعند كل أمة مؤمنة أو كافرة (وقال أكرم بن صبيح) من صبر نظر (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) الصبر مطلب لا تكبو والقناعة سيف لا يغبو (وقال أريشع) الصبر الدرك (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ضياء والصبر وقع القريح (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ستر من الكرب وعون على الخطوب (وقال ابن عباس) أفضل العدة الصبر عند الشدة (وقال عبد الحميد الكاتب) لم اصبح اعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر مطيعين ما باليت ايم ما ركبت (وقال) بعض الحكماء الصبر على مواقع المكروه تدرك الخطو (وقال) ابن المقفع في كتاب القيمة الصبر صبران فالثام صبرا جساما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه ان يكون قوي الجسد في الكد والعمل فان هذا من صفات الجبر ولكن ان يكون للنفس غلبا والامور محفلا وبلائه عند الحفاظ مبطا (وفي منشور الحكمة) من احب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبور (وقال) بن زهر لم اظهر على تنقل الدول كالثبر ولا مذلا للساد كالخصل ولا مكسبة لاجلال كقوى المزاج ولا محلبة للمقت كالاغراب ولا متلفة للبرودة كالسهمال الهزل في موضع الجدة (فاما القسم الاول) وهو الصبر على امتثال اوامر الله تعالى والانتفاء عن محاربه فيه يصح اداء القرائض واستكمال السق ويدخل في قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد (وقال الجنيد) المسير من الدنيا سهل هين على المؤمن وهجر الخلق في جنب الله شديد والمسير من النفس الى الله شديد والصبر مع الله تعالى شديد وسئل عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعيس (وكان حبيب بن أبي حبيب) اذا قرأ هذه الآية انا وجسدناه صابر انهم العبد انه اواب بكى ثم قال واجباه اعطى وأثنى (وقال الخواص) الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة (وقال عبد الواحد بن زيد) من قوى الصبر على طاعة الله تعالى صبره الله تعالى على علمه وقواه ومن عزم على الصبر عن معصية الله تعالى اعانه الله تعالى وعصمه عنها (وقال عمر بن عبد العزيز) للقاسم بن محمد أوصني فقال القاسم عليك بالصبر في مواضع الصبر (وقال الحسن) الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عما نهى الله عنه وهو الافضل وانما يختلف الصبر بالخوف والرجاء فان من خاف شيئا صبر على القرائنه وصبر عند الكراهية لما يصد من ضرره ومن رجاشا صبر على طلبه ليطفر به (واما القسم الثاني) وهو الصبر على ما فات ادراكه من مسرة أو نقضت أوقاته من مصيبة فانه يتجمل به الراحة من اكتساب الثوبة فان صبر طاعة متراح واحرز الثواب وان لم يصبر جل الهم والوزر (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه) لا لا شعث بن قيس ان تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وان تصبر ففي ثواب الله تعالى خلف من ابتك ان تصبر يرى عليك القلم وأنت ماجور وان جزع ترى عليك القلم وأنت مأزور ونظمه أبو نعيم قال

وقال علي في التعازي لاشعث • وخاف عليه بعض تلك المائتم
أنصبر للبلوى عزاء وحسبة • فتؤبر أم تسلسوا إليها تم
خلفنا رجلا للجلد والعزاة • وتلك الايام للبكا والمائتم

(وقال عمر بن الخطاب) رضى الله عنه لرجل ان صبرت مضي امرائه وكنت عاجزا وان
جرحت مضي امرائه وكنت مأزورا (وقال الحسن) والله لو كفنا الجزع ما كفناه فالجدة الله
الذي آجرنا على ما لوئنا ناعنه لصبرنا اليه وعن هذا قالت الحكماء الجزع اقعب من الصبر في
الجزع التعب والوزن وفي الصبر الراحة والاجر ولو صور الصبر والجزع لكان الصبر احسن
صورته وأكرم طبيعته وكان الجزع اقعب صورة واخو طبيعة ولكن الصبر أولاها بالغلبة
لحسن الخلقة وكرم الطبيعة (وقال بعض العلماء) لو وكل الناس بالجزع لجئوا الى الصبر (وقال)
شبيب بن شيبه للمهدي ان المرأتى ما صبر عليه ما لم يجد سيلا الى دفعه وأشد
واذا تصبكت مصيبة فاصبر لها • عظمت مصيبتك مبتلى لا يصبر

• (وقال آخر) •

وعوضت أجرام قعيد فلا تكن • فصيدك لا ياتي وأجرك يذهب
(وقال) بعض الحكماء ليس بمجموع في الرشد من تابع التلف على فأت أو أكثر الفرح عند
مستطوف (وقال) الحكماء ان كنت عاجزا على ما تفعل من بينك فاجزع على ما لم يصل اليك
ومن ايقن ان كل فأت الى نقصان حسن عزاءه صبره (وقال الشاعر)
اذا طال بالهمزون أيام صبره • كساء ضنا طول المقام على الصبر
ولاشك ان الصبر بمحمد غبه • ولكن اتفاق عليه من العمر

(وقال بعض القدماء) الصبر على أربع مراتب على الشوق والاشتاق والرهق والرقب
فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار وجع عن المحرمات ومن زهد في
الدنيا تهان بالمصيبات ومن راقب الموت أقصر عن الخطيئات (واما القسم الثالث) وهو
الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها ويخشى حدوثه من رغبة يحافها فبالصبر والتلف
تدفع عاديها يحاف ويثاق ما يرجو (قال) النبي عليه السلام استكثار الفرج من اقبال الصبر
عبادة (وقال محمد بن بشير)

ان الامور اذا اشتدت مسالكها • فالصبر يفتح منها كل ما رجا
لا تياسن وان طال مطالبه • اذا استغنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق يدي الصبر ان يحظى بمحاجته • ومن من القرع لا يواب ان يلبا
(وقال بعض الرواة) دخلت مدينة يقال لها ذقار فيينا اذا اطوف في خرابها اذا رأيت مكتوبا
على قصر خواب

يا من ألح عليه الهمة والذكر • وغسرت حاله الايام والفسير
اما صمت بما قد قيل في مثل • عند الايام فابن الله والقدر
ثم للخطوب اذا احداثهم اطرفت • واصبر فقد فاز اقوام عاصروا
فكل ضيق سابق بعده سعة • وكل فؤت وشيك بعده الظفر

(وتحتمل مكتوب بخط آخر) لو كان كل من صبر اعقب القفر صبرت ولكم الجعد الصبر
 في العاجل إلى العمر ويدفن من القبر وما كان أصح في العقل مونه وهو طفل والسلام
 (قلت) لو رأته لكتبت تحته في الصبر استجبال الراحة وامتداد الصبر وحسن الظن بالله
 وأمر بغير حساب وفي الجزع استجبال الهم ونهك البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن
 بالله وحمل الأثام مع العقوبة وما أحسن في العقل اجتناب هذا والسلام (وقال بعض البلغاء)
 من صبر نال الجنة ومن شكر حسن النعماء (وقال الشاعر)

الصبر مفتاح كل خير * وكل شر به يهون

اصبر وان طالت الليالي * فربما ساعد الحرون

وربما يسيل بالصبار * ما قيل هيئات لا يكون

(وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله) ما أتم الله على عبد قسمة فانتزعها منه وعرضه صبرا إلا كان
 ما عرضه أفضل مما انتزع منه وقرأ أنس بن مالك في الصبرون أجورهم بغير حساب (وروى) ان جارية
 كانت لابي بن ابي طالب رضي الله عنه تنصرف في حوائجها فكلما خرجت تصعد لها خياط
 كان يقرب داره على ويقول لها والله اني لا أحب الله فلما اكثرت من ذلك شكته الى علي فقال لها
 علي اذا قال الله مرة أخرى فتولي له والله اني لا أحبك ما الذي تريد فقال لها ذلك فضالت له
 وانافا والله أحبك فيه فقال لها صبرين واصبر حتى يوفي الصابرون أجورهم بغير حساب فرجعت
 الجارية واخبرت ولا هافدا على رضي الله عنه الخياط فوجد أمره على الصفة فوجهها مع
 نفقة يستعين بها (وقال) علي رضي الله عنه الصبر كضيل النجاش والتمسك لا يحبطه والعاقل
 لا يذل بأول شكبة ولا يفرح بأول رفعة وكان يقال الصبر سلامة والطيش دامة (واما القسم
 الرابع) وهو الصبر على ما نزل من مكره أو حل من أمر مخوف فالصبر فيه تنفيع وجوه الآراء
 وتوفيق مكاييد الأعداء قال الله تعالى وقت كلمة ربك الحسنى على بن اسرائيل بما صبروا وقال
 تعالى واصبر وما صبرك إلا بالله وقال تعالى واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور وروى
 ابن عباس ان النبي عليه السلام قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضا اليقين فافعل وان لم
 تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع
 الكرب والصبر مع العسر (وقال علي رضي الله عنه) الصبر مناقل الحدائق والجزع من
 أعوان الزمان * وقال الحكميم مفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور (وانشدوا)

انما الجزع مما أتق * فاذا حل ليالي والجزع

ولما حبس أبو أيوب في الحبس خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره وكتب الى بعض
 اخوانه يشكو طول حبسه وقله صبره فرد عليه جواب رقيقته

صبرا يا أيوب صبر مبرح * فاذا جهزت عن الخطوب فن لها

ان الحمى عقد الذي انقذت به * عقد المكاره فيسلك حلها

صبرا فان الصبر يعف راحة * فلعلها أن تعلى ولعلها *

فلما وقف عليه أبو أيوب كتب اليه

صبرتنى ووعظتنى فاماها * وستجلى بل لا أقول لعلها

ويعلم من كان صاحب عقدها * كرماءه اذ كان يكمل حلها
فما لبث بعد ذلك الا اياما حتى اطلق مكرما (ولقيهم بن المعز)
ساكت صبرا واحتسابا قاضي * ارى الصبر سيف ليس فيه قتل
عذابي ان اشكو الى الناس اني * عليل ومن اشكو اليه عليل
وان الذي يشكو الى غير نافع * ويسخر عاني نفسه لجهول
(واشدوا) دح الدهر يجري بأقداره * ويقضي بهائب أوطاره
ونم نومة عن ولادة الامور * واخل الزمان بدواره
فانك ترحم من قد غبطت * ونهب من قبح آثاره
(واشدني بعضهم)

ويعني الشكوى الى الناس اني * عليل ومن اشكو اليه عليل
ويعني الشكوى الى الله أنه * عليه بما القاه قبل أقول
ولا آخر اذا ابتليت فتق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلى هو الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرة * ملا امرئ حيلة فيما قضى الله
وصرف من هذه اللفظة صابر وصبور وصبار ومتصبر فالصبر من صبر في الله على المكاره
فتاره بهجز وتارة يصبر والصابر من لا يشكو ولا بهجز والصبار الذي لو دفع عليه جميع البلاء
والحن لم يتغير وجهه في الحقيقة وان تغير من وجهه الرسم والبشرية والخلقة كما قال القائل
صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح الصبور يا صبر صبرا
وهذا أقوى بيت قيل في الصبر وأحسنه وقريب منه قول القائل
صبرت على الايام صبرا صابري * الى ان ينادي الحلال لا صبر للصبر
والصبور هو الثابت على هذه المقامات وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخطق
باخلاقي وان من اخلاقي أني انا الصبور ويقال الصبر لله فتق والصبر بالله فتق والصبر في الله
بلاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وأنشدوا
اذا لعب الرجال بكل شيء * رأيت الحب يلعب بالرجال
وكيف الصبر من حل مني * بمنزلة اليمين مع الشعال
وقال الحارثي بن الصبر والتصبر حالة هي التمسك وذلك اذا رفع الله علمان أعلام الاستزادة
على منازل الصابرين عنده فينتقم القلب بسرور النعيم وقال أبو محمد الجري الصبر هو ان
لا تفرق بين حال النعمة والهمنة مع سكون الخاطر فيهما والصبر هو السكون مع البلاء مع
وجدان انقال الحمية وأنشدوا

صبرت ولم أطلع هو الذي على صبري * واخفيت ما بي منك عن موضع السر
مخافة ان يشكو ضميري صابري * الى دمه حتى مرا قبحي ولا ادري
وقيل للحارثي بماذا يقري الصابر على صبره فقال اذا علمت ان في صبرك وضامولا لاما
سمعت قول الحكيم

ومثلت وقد ارضى اذا كان مسخلى * من الامر ما فيه رضا صاحب الامر

وفي مقامه * صاحبك ترضى وأنتك حسرة * وحسب ان ترضى وتلقى صبرى

قال شيخنا ونكلك لن نجبه أعظم من نكلك لنفسك هذا أرب لما أصيب بنفسه قال مسنى
الضر ويظوب لما أصيب بحبيبه قال وأسفا على يوسف قال احمد قال لى أبو سليمان الداراني
اندى بجا اذا زال العقلاء الثلاثة عن اساء اليهم قلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بذلك
فصبروا وارى ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه اذا أنزلت بعدى بلائى فدعاني فاطلته
بالاجابة فتشكاني فقلت بعدى أرحك من شئ به أرحك وقبل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا
انه الصبر الذى لا شكوى فيه ولا يث قال أنس ما صبر من دث وقال عمر بن الخطاب رضى الله
عنه لا تستعزروا الدعوى بالتذكر وقال الشاعر * ولا يبعث الا حزن مثل التذكر * ومما يعين
على عظم الامسى وشدة الحزن تذكر المسار المنقضية وتصور المضار اذا هبته وكثرة الشكوى
والاسف وقال الشاعر

لا تمكروا للشكوى الى الدين * وارجع الى الخالق لا الخلق * لا يخرج الغريق بالغريق
وفي مشور الحكم المصيبة بالصبر أعظم المصيبتين واعلم انه قل من صبر على شدة الاوتال ما يرجوه
من فرج * وفيه من نزلت به مصيبة أو كان في شدة ان يسهلهما على نفسه ولا يقبل عن تذكر
ما يتقصد من وجوب الفناء وتقضى المسار فان الدنيا دار من لا دار له وماله من لا مال له ولها
يجمع من لا عقل له وعليها بعداى من لا علم له وعليها مصمم من لا فقه له ولها يسى من لا ثقة له
من صم فيها مقيم ومن سقم فيها يرم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها قن حلالها حساب
وحرامها عذاب ومتشابه ما عتاب لا خير ما يدوم ولا شر ما يبق ولا فيها الخلق بقاء فاذا
تصور حقتهم الحين تذكروا الحوادث سهلة والمصائب حينة وقال الشاعر
يمثل ذوالب في نفسه * مصائب من قبل ان تنزلا
فان نزلت بنفسه لم ترعه * لما كان في نفسه مثلا
رأى الامر يفضى الى آخر * فدمع سبر آخره أولا

وقال بعض الحكماء من حاذر لم يصنع ومن راقب لم يهلك ومن كان متوقعا لم يلف متوجعا ومن لم
يشعر نفسه ما ذكرنا من أحوال الدنيا وتقضى المسار ثم التواني في العود بين اطباق الترب
والجنادل قد فارقه الاحياء وهجره القرباء والبعداء الفقه الحوادث واجتازت الصبر
وضاقت عليه الامسى وقال ابن الروى

ان البلا طلاق غير مضاعف * فاذا تضاعف فهو غير مطاق

وأشدوا تعودت من الضر حتى القته * واسلمى حسن الغزاء الى الصبر
ووضع صدرى للاذى ككرة الاذى * وان كنت احيا فابيضق به صدرى
وحسن لى بأسمى من الناس كلهم * لعلى يصنع الله من حيث لا ادرى
ولبعض الاعراب

تصبر فان الصبر بالحر أجل * وليس عسى ريب الزمان معول
قلو كل يغنى ان يرى المرء جازعا * لتأبئة أو كان يغنى التبدل

لكان التصدي عند كل مصيبة • وفازة بالمسرة أولى وأجل
فكيف وكل ليس يعدو مقامه • وبالأمرى مما قضى الله من أجل
فان تكن الأيام فبنا سدت • بيؤس ونعمى والحوادث تفعل
فما لبنت منّا قنّة ضليعة • ولا ذلتنا للذى ليس يحسب
ولكن وجدناها نقوسا كريمة • تحصل ما لا نستطيع فنحصل
وقبنا بفضل الله منّا نقوسنا • فصمت لنا الاعراض والناس هزل

• (الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر) •

قال الله تعالى حكايته عن يعقوب عليه السلام باي لا تقصص رويك على اخوتك فيكيدوا لك
كيدا فلما أفتى يوسف رؤياه بشهد امرأته يعقوب أخبر اخوته فخل به ما حل وفي الحديث
استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود واعلم ان كتمان السر من
انصاف المحمود في جميع المثلث ومن الوازم في حقوق المملوك ومن القرائض الواجبة على
الوزراء وعلساء المملوك والاتباع • قال علي رضي الله عنه سر له أسيرك فاذا تكلمت به صرت
أسيره واعلم ان اعطاء الاسرار أشد قهذرا وأقل وجودا من اعطاء الاموال وحفظ الاموال
أيسر من كتم الاسرار فان أحرار الاموال منيعة بالابواب والاقفال وأحرار الاسرار باردة
يذيعها السان فاطق ويشبهها كلام سابق وعب الاسرار أشقل من عب الاموال وان
الرجل يشغل بالجل الثقل بحمله ويعنى به ويقله ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون
سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه بحمل الاثقال فاذا أذاعه استراح قلبه
وسكن جاشه وكأنا ألقى عن نفسه جبلا وقال عمر بن عبد العزيز القلوب أوعى والشفاه
اقلها والالسن مفتاحها فليصم كل امرئ مفتاح سره • ومن اعجب الامور ان اغلاق الدنيا
كلما كثرت خزائنها كان اقفل لها الا السرفاته كلما كثرت خزائنه كان أضعفه وكمن اظهر سره
أراقدم صاحبه وضع من بلوغ ما ربه ولو كفه آمن من سطوانه قال انوشروان من حسن
سره فله نصيبه من خزانته الفخر بمجانبته والسلامة من السطوات وقال بعض الحكماء
سر له من دمك فلا تجره في غير أوداجك فاذا تكلمت به فقد أرقته وكان عثمان بن عفان
رضي الله عنه كاتبه يقال حمران فاشتكى عثمان فقال اكتب العهد بعدى لعبد الرحمن بن
عوف فقال حمران لعبد الرحمن البشري فقال عبد الرحمن لك البشري عماذا فاخبره الخبير
فاطلق عبد الرحمن فاخبر عثمان فقال عثمان اعاهد الله أن لا يساكني حمران أبدا واتفاء الى
البصرة فلم يزل بها حتى قتل عثمان رضي الله عنه واعلم ان كتمان الاسرار يدل على جواهر
الرجال وكما انه لا خير في آية لا تمسك ما فيها فلا خير في انسان لا يحسب سره ويروي ان رجلا
أودع سره عند رجل فقال له انهم قال بل جهلت قال احفظت قال بل نسيت وقيل
لبعضهم كيف كتمك السر قال اجدد الخمر واحق المسقبر وقال الشاعر

ولو قدرت على كتمان ما اشتكت • مني الضلوع على الاسرار والخبير

لكن أول من يفشى سرائره • اذ كنت من نشرها يوما على خطر

قال شيخنا ومن احسن شئ سمعته في كتمان السر ما أشدني بعض فقهاء البصرة بالبصرة فقال

وإلهاسرا في الضمير طويما • نسي الضمير بأنهم في طيبه
 وفي معناه • ومستودعي سرا كتمت مكانه • عن الحسن خوفا أن يذهب الحسن
 وخفت عليه من هوى النفس شهرة • فاودعته في حيث لا تبلغ النفس
 قال العتيبي أسر معاوية رضي الله عنه إلى عثمان بن عتبة حديثا فقلت لابي أن أمير المؤمنين
 أسر إلى حديثنا فاحدثك به قال لا • كتم حديثنا كان الخيال له ومن أظهره كان الخيال عليه
 فلا تفعل نفسك علوا كابعاد أن كنت ما لكأنت يا ابت أنت دخل هذا بين الرجل وأبيه قال لا يا بني
 ولكن أكره أن تذلل لسانك بأفشاء السر قال فحدثت به معاوية فقال أمة لك أخي من ردف الخطا
 وقيل لبعض الملوك ما همب الأشياء على الإنسان قال إن يعرف نفسه ويحكم سره • وقال قيس
 ابن الحطييم

أجود بمكنون البلاد واثق • بسر كمن سألني لصنين
 إذا جاوز الاثنين سرقاته • يث وتكثير الوشاة فحين
 وإن ضيع الأقوام سراقاتي • كتم لاسرار الضمير أمين
 يكون له عسدي إذا ما خفنته • مكان سويداء القوادم كمين

قال شيعة قلت للناس يقولون أراد بالاثني المودع والمودع ولا يعددان يريد به الشفتين
 وكان يقال أصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يده لصديقه فيوشك أن يصبر عدوا وقد
 روى في الحديث عن النبي عليه السلام أنه قال إذا حدث الرجل الرجل ثم التفت فهي أمانة
 قلت وإذا كانت أمانة حرمت فيها الخيانة كالأمانة في الأموال وقال أبو بكر بن حزم إنما
 يقبض السامع بأمانة الله فلا يحل لأحدهما أن يشفي على صاحبه ما يكره وقال هشام بن
 عروة ما من رجل يتقص من أمانته الاقص إيمانه وقال جعفر بن عثمان
 إذا الذي أودعني سره • لا ترج أن تسجعه مني
 لم أجرح قط على فكرتي • مكانه لم يجرفني أذني

وكان عمرو بن العاص يقول ما أفشيت سرى إلى رجل فأفشاءه على قلته إذا كان صدرى اضيق به
 وقال الأحنف بن قيس يضيق صدر أحدكم سره حتى يحدث به ثم يقولوا كتم على وفي مشهور
 الحكم أنهم يسرك ولا تودعه من ما قبل ولا يهاهلون وأنشدوا

إذا ضاق صدر المرء من سر نفسه • فصدر الذي يستودع السراضيق
 وفي مشهور الحكم من أفشى سره كثر عليه المتأهرون وقال الشاعر

وسركما كان عند امرئ • وسر الثلاثة غير الخفي

ولا تنطق بسر ككل سر • إذا ما جاوز الاثنين فاثق

تروح بسر ضيقه • وتبقى اسرك من يكتم

وتقاتلك السر فيما تخاف • وفيما تحاذره أحزم

إذا ذاع سر كمن يخبر • فانت إذا التسه ألوم

إذا ما ضاق صدر كمن حدث • وأفشته الرجال فمن تلوم

وإن عابته من أفشى حديثي • وسري عنده فأنا المعلوم

وقال الحكيم ما كتمت من عدوك فلا تطلعن عليه صدقك فان لم يكن لك بدع من اذاعته لقرينة
تقتضيه من صدق مساهم أو استشارة ناصح صالم فمن صفات أمة الاسرار ان يكون ذاعقل
ودين ونصح ومروءة فان هذه امور تقع من الأذاعة وتوجب حفظ الامانة ومن كتم فيه فهو
عقاص مغرب ولا تودع سرك عند من يستدعيه فان طالب الودعة خائن قال صالح بن عبد
القدر وس لا تدع سرا الى طالبه منك والطالب للسر مذبح وفي الجملة اذا زال سرك عن عذبة
لسانك فالاذاعة مسئولية عليه وان أودعته قلب ناصح محب فاحتمال مرارة الكتمان
على قلبك أسهل عليك من القتل بقلبك سرك غيرك واعلم ان اقتسام سر غيرك أقبح من اظهار سر
نفسك لانه يوح بأحدى وجهين اما الخيانة ان كان موثقا أو الغيبة ان كان مستخبرا وقال
بعض الحكماء لا ينبغي صك جواد بالمال في مواضع الحق ضيفا بالاسرار عن جميع الخلق
فان احد جود المرء الاتفاق في وجه البر والجل بكدوم السر وكان يقال صدور الاسرار
قبور الاسرار وقال الشاعر

الم تر ان وشاة الرجا * لا يتركون أدبها مصيها
فلا تقش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيها
وقال غيره ما كل مكتموم يباح به * احذر لسانك من جوابه
ليس الهوى ما كنت تعرفه * أيام تلعب في جوابه
هذا هوى لو قد فصحت به * ضحك الحسام الى مضارب

• (الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن بشار
الانصاف وزعيم بالزيد من النعماء والا لامن ذى الجلال) •

وهي الشكر قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وقد آناه الله ملك الدنيا والحي
والانس والطير والوحش والرياح تجري بأمره كيف أراد فلما استمكن ملكه قال صلى الله
عليه وسلم هذا من فضل ربي ليبارك أن أشكر أم أكثر فاعدها نعمة كما عدها ملوك الارض
ولاحسبها كرامة من الله تعالى عليه كما ظن ملوك الارض بل خاف ان تكون استدراجا من
حيث لا يعلم كما قال تعالى في أمة أراد هلاكهم فاستدراجهم من حيث لا يعلمون واملى لهم
ان كيدي متين جاء في التفسير أصعب عليهم النعم وانهم الاستغفار وانما الفرح بما أوفى من
الدنيا والغبطة بزمرتها والاعتزاز بزخرفها من شعار الكفار الا ترى الى قول فاروق العن
انما أوتيته على علم عندي وكان جوابه ما قال الله تعالى فحسبناه وداره الارض ولما خاف
سليمان عليه السلام ان يكون استدراجا كان جوابه ما قال الله تعالى هذا عطاء وأنا قامن
أو أمسك بغير حساب واعلم ارشدك الله ان الشكر ليس هو حافظ النعم فقط بل هو مع حفظه
لهازعيم بزيادة النعم وأمان من حلول النقم والشكر على ثلاث مراتب شكر بالقلب وشكر
باللسان وشكر بالجوارح فاما الشكر الواجب على جميع الخلق فشكر القلب وهو ان يعلم
ان النعمة من الله وحده ولا نعمة على الخلق من أهل السموات والارض الا وبها يتأمن الله
تعالى حتى يكون الشكر لله تعالى عن نفسك وعن غيرك بمعرفة نعم الله تعالى عليك وعلى غيرك
وهذا النوع هو الذي يقال فيه يجب على العبد ان يشكر الله على نعمة اهديت الى غيره

والدليل على أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما يكمن من نعمة فمن الله أي يقنوا
 أنها من الله وإلى هذه الكلمة انتهى جميع ما قاله انطلق في الشكر والدليل عليه أيضا قوله
 تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون أي اتقوا في الشكر فأنتم تشكرون
 وخلق الله تعالى الحياة نعمة على العبد قال الله تعالى ثم نعمناكم من بعد موتكم لعلكم
 تشكرون والعبارة عنه أن يقال الشكر اعتراف القلب بالنعمة التي هي وجه الخضوع
 ويقال فيه الشكر اعتكاف على بساط الشهود بآدمية حفظ الحرمة وقال أبو عثمان الشكر
 معرفة المجز عن الشكر وروى أن داردا عليه السلام قال الهى كيف اشكرك وشكرى لك
 نعمة من عندك فأوحى الله تعالى إليه ألا قد شكرتني وقال وهب بن منبه قال داود عليه
 السلام الهى ابن آدم ليس منه شعرة إلا ونحتها نعمة وفوقها منك نعمة فمن ابن يكانوها فأوحى
 الله تعالى إليه يا داود أنا أعطى الكثير وارضى باليسير وان شكرت ذلك ان نعم ان ما بك من نعمة
 غنى وفي هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر وذلك بان ترى شكرك بتوفيقه ويكون
 ذلك التوفيق من أجل النعمة فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر إلى ما لا يتناهى
 وهذا الشكر أيضا واجب ولحمود والوراء

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الأفضله * وان طالت الأيام وأقل العمر

إذا مس بالسر أعسم سرورها * وان مس بالضرأ أعقها الأجر

لما منهما إلا في نفسه نعمة * تضيق بها الأوهام والسر والجر

ومن أقر نعم الله وأحسانه فقد أقر بشكره ما كلف لأن أحد إلا يمكنه أن يزي شكر نعم الله
 تعالى وفي مناجاة موسى عليه السلام الهى خلقت آدم يدك وفعلت وفعلت فكيف
 شكرك فقال أن يعلم أن ذلك منى فكان معرفته بذلك شكره على

• (فصل) • وما شكر الله فقال الله تعالى فيه وأما نعمة ربك فحدث قيل يعنى التوبة وقيل
 يعنى القرآن وحكم الآية عام في جميع النعم وروى النعمان بن بشير أن النبي عليه الصلاة

والسلام قال من لم يشكر التليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث
 بالنعم شكر وقال تعالى حكاية عن أهل الجنة أنهم قالوا الحمد لله الذى مدقنا وعده قال عامل

عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما حضرته البصرة الذى يقال له نهر عراني حفر ثل لاهل البصرة
 نهر أعذب لهم شربه وجادت عينه ولم أوله هم على ذلك شكرا فان اذنت لى قسمت عليهم

ما أنفق عليه فكتب إليه عمر بن عبد العزيز انى لا أحسب أهل البصرة خلوا من وجل قال
 الحمد لله حين حفر هذا النهر وان الله قد وضيا شكر من جنته فأرض بهم الله شكر من نهر

والسلام وحقيقة الشكر فى هذا القسم التنا على المحسن بذكر إحسانه وعلى هذا القول
 يوصف الرب تعالى بأنه شكور حقيقة فشكر العبد لله شأؤه عليه بذكر إحسانه وشكر الله للعبد

شأنؤه عليه بإحسانه وإحسان الرب للعبد انعامه عليه وهذه اللفظة مأخوذة من قولهم دابة
 شكور وإذا أظهرت من اليمن فوق ما أعطى من العلف ويقال وجه شكورا إذا كان عطاء

المحسن ظاهرا وفى الحديث يقول الله تعالى أنا والجن والإنس في تبايعهم اخلق ويعبد

غيرى وارزقو يشكر غيرى وقال بعضهم انما فى الناس لانهم فى موضع صبرهم يحسبون انهم فى موضع شكر

• (فصل) • واما الشكر الذى على الجوارح فقال الله تعالى اعلموا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور فجعل العمل شكرا وقال عطاء دخلت على عائشة رضى الله عنها مع عبد بن عمر فقال لها عبيد بآم المؤمنين حديثنا بحسب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وائى شأنه لم يكن عبيدانه أثنى فى سلسله فدخل معى فى فراشى حتى مس جلدى بجلده ثم قال يا ابنة أبى بكر ذرىنى اتعبد لربى قالت قلت انى أحب قريك فأذنت له فقام الى قريبه من ماء فتوضأوا كغصب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا أكون عبدا شكورا فلم لأفعل وقد أنزل على ان فى خلقى السموات والارض فجعل النبى عليه الصلاة والسلام الشكر بالعمل وبينه مراد الكتاب قال الله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خفقتلن أراد ان يذكر وأراد شكورا أى لكل واحد منهما مختلف الاخر من فاته العمل فى أحدهما عمله فى الاخر فجعل الايراد والاعمال بالجوارح شكرا وروى ان النبى عليه السلام قام حتى انتفتحت قدماه فقيل يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا أكون عبدا شكورا وقال أبو هريرة دخلت على أبى حازم فقلت له رجل الله ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا أذنته وان رأيت بهما شرا سترته فقلت له فما شكر الاذنين فقال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا سترته قلت فما شكر اليدين قال أن لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حق الله تعالى فيهما قلت فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعله علما قلت فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لقربهم حافظون الا على أنفوسهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فان أنت فعلت فانت الشاكر حقا وفى حكمة ادرى عليه السلام انى يستطيع أحد ان يشكر الله تعالى على نعمة بمنزلة الانعام على خلقه ليكون ما نعمة الى الخلق مثل ما صنع به الخالق تعالى واذا ثبت ان فضل الطاعات شكر فان فيها ما هو أشد لازمة من غيره فالطاعة فى مواساة الفقراء أشكل بالشكر على النعمى من غيرها لانهم من جنس النعمة فإذا أردت أن تحرس دوام نعم الله تعالى عليك فأدوم مواساة الفقراء والطاعة فى رفع ذوى الضعة والحوال والمسكنة بغير معصية أشبه بالشكر على رفع قدرك والنويه بإسلك والطاعة فى تمريض الفقراء وتلطيف أغذيتهم أشبه بالشكر على العافية من سائر الطاعات والطاعة فى الشفاعات عند السلطان وقضاء حوائج الغرباء والاخوان أشبه بذوى الجاه من سائر الطاعات وعلى هذا المذال ينبغي ان يقال سائر نعم الله تعالى على العبد ومن العبارات الجامعة للشكر ان يقال معرفة بالحنان وذكر بالسان وعمل بالجوارح

• (فصل) • فى الكلام على الزيادة قال الله تعالى لمن شكر ثم لا يزيدكم فقال قوم انما خاطب الله تعالى بهذا وبقوله ادعوني استجب لكم فوما دون قوم والدليل عليه ان ترى من يشكر على النعمى ثم ينسى بالفقر ومن يشكر على العافية ثم ينسى بالمرض والله تعالى لا يخلف

وعده وقال قوم معناه لازيدنكم نعمة الآخرة فان قيل انما تكون الزيادة من جنس المزيد
 عليه فاجابوا ان النعم الدينية والاعرفية وان تفاضلت واختلقت فكلها متجانسة من حيث
 انها نعمة وقال قوم معناه لازيدنكم خيرا والخير والصلاح قد يكون في كثير من الاوقات بالتمتع
 والسقم ونحوهما فان من سأل الله تعالى ان يعطيه مالا أو يصبغ جسده وهو يعلم انه ان وهبه
 المال أنفقته في المعاصي أو وهبه النعمة صرف صحته الى المشي في الآثام فالتمتع ههنا موهبة
 من الله تعالى جزيلة وعن هذا قال العلماء منع الله تعالى عطاء وقال قوم يمكن تقدير الاستثناء
 فيها أي التي شكرتم لازيدنكم الا ان تعصوا فاعاقبكم بالحرمان فأجعل ذلك كفارة لكم وهو
 أصح من ان اعاقبكم في الآخرة والناس لا يسلون من الذنوب ولوتبها ان يسلوا من الذنوب
 لدرت الزيادات قال الله تعالى ولوانهم اقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم
 لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال استغفروا ربكم انه كان عقارا يرسل السماء
 عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين وقال قوم الآية خاصة بالاحمال اذ لو كانت على عمومها
 لوجب ان لا يموت من شكر على الحياة قال الشيخ قلت ان الله تعالى وعد الزيادة وقوله الحق
 وقد جعل الله العباد علامة يعرف بها الشاكر فمن يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فإذا
 رأينا الغني يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا انه قد أدخل بالشكر الذي أخذ عليه
 اما ان لا يزكبه أو يزكبه لغير الله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقوا جبا عليه فيه من
 كسوة عريان أو اطعام جائع وشبهه فيدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل
 ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم يترك أدب
 أو اخلاق بحق أو الما بدين كما قال بعضهم ادنى الشكر ان لاتعصى الله بنعمه فان جوارحك
 كلها من نعم الله تعالى عليك فلا تنصه بها ويحتمل ان يكون معنى الآية تلقى شكرتم لازيدنكم
 ان شئنا ألا ترى انه قال ومن كان يريد سر الثريا فونه منها وكثير من المطلق يريدون حرث
 الدنيا ولا يريدون فنه فكون التقدير نوته منها لنشاهد دليل قوته في الآية الاخرى بعلمنا انها
 ما نشاء لمن نريد وهكذا قوله تعالى ادعوني استجب لكم ثم ان كثيرا من الناس يدعون فلا
 يستجيب لهم ولكن معنى الآية استجب لكم ان شئت ولن شئت دليل قوته تعالى في كشف
 ما تدعون اليه ان شاء وهذا من باب جعل المطلق على المقيد قال الجنيد كنت بين يدي السرى
 واما بن جبر سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر قلت
 ان لا يعصى الله تعالى بنعمه قال بوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا زال أبكي على هذه
 الكلمة فان قيل ما معنى قوته تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها وما تحصل من الافعال في
 الوجود يمكن احصاؤه قلنا نعم الله تعالى على وجهين دفع ومنع فالدفع يمكن احصاؤه ودفع البلاء
 نعم لا يمكن احصاؤها وما يدفع الله عنهم عي مقدور ومن ذلك وما يدفع تعالى عن العبد لا يحصى
 (فصل) ثم عدنا الى أقوال العلماء والحكماء في الشكر فقال بعض الحكماء موضع الشكر
 من النعمة موضع القرى من الضيفان وجهه لم يرم وان عدمه لم يقيم واجعت حكما العرب
 والجمع على نعمه اللفظة فقالوا الشكر قد التزم وقالوا الشكر قد التزم وجوده وصدا المفقود
 وقالوا مصيبة وجب أجرها خير من نعمة لا يؤدى شكرها وقال بعض الحكماء من أعطى

الصلح عليك وهو الشيطان فأخذ التوحيد ماذا كنت تصنع (ولما) بشراد ريس عليه السلام
بالغفر سأل الغفرة فقيل له فيه فقال لا أشكره فاني كنت اعمل قبله للمغفرة فبسط الملك جناحه
فرفعه الى السماء • وروى أن نبياً من الانبياء عليهم السلام مر بجحر صغير يخرج منه الماء
الكثير فتعجب منه فأطلقه الله تعالى فقال منذ سمعت الله يقول وقودها الناس والحجارة فأنا
أبكي من خوفه فدعا النبي عليه السلام به أن يجيره من النار فأوحى الله تعالى اليه اني أبغته من
النار فقال النبي عليه السلام ثم عاذ فوجد الحجر يتجمرت مثل ما كان فتعجب فأطلق الله تعالى الحجر
فقال له لم تبك فقال ذلك بكاء الحزن والخوف وهذا بكاء الشكر والسرور • وروى ان الله تعالى
أوحى الى موسى عليه السلام ارحم عبادي المبطل والمعاني فقال الهى ما بال المعاني فقال لقلته
شكرهم على عاقبتى اياهم ولا رجل اعرا يا ابلا حسناً فقال لا ابلاك الله بلاه يهجر عنه مبرك
وانتم عليكم نعمة بهجز عنها شكرلك (وانشد بعضهم)

سا شكر لا أنى اجازيك منعما • بشكرى ولكن كثيرى ذلك الشكر
وأذكر ايا مالهى امطنعها • وآخر ما يبق على الشاكر ان ذكر
• (وانشدوا) •

أولتقى نعماً أبوح بشكرها • وكفنتى كل الامور بأسرها
فلا شكر لك ما حيث وان آمت • فلشكرتك أعظمى في قبرها
• (ولبعض الاعراب) •

الهى قد أحسنت عوداً وبداءة • الى ظميرى باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر عليك وجبة • فعذرى اقرارى بأن ليس لى عند
(وكان) مطرف يقول الهى منك تكون النعمة عليك تمامها وأنت تعين على شكرها وعليك
نواها وهذا باب عظيم من النعم على العباد وقد أثنى الله على بعض عباده فقال انه كان عبداً
شكروا (وقال) تعالى شاكر الانعمه اجنباه وكذلك سائر ما أثنى الله تعالى به على عباده ثم قال فمن
شكر قائماً بشكر لنفسه ومن تركى قائماً تركى لنفسه ان أحسنتم أحسنتم لا تنسكم ليس
لرب تعالى فيها الاقليل ولا كثير فانه أجل من ان ينال المخطوط وأجل من ان يلقه شاة من
أو شكر شاكر فأخبر ان الملو والجلال قد وهبهم وانه يتقدم عن الناس بشانهم أن أو شكر كافر قال
الله تعالى يدعوك ليغفر لك فواجباً اعطى ثم أثنى • وقال على رضى الله عنه كفر النعمة داعية
المقرب ومن جازى بالشكر فقد أعطاك اكرماً أخذ منك وحقيق بمن أسديت اليه نعمة أو
قصبت له حاجة ان يكافئ فان لم يقدر فليشكر فان شكرها فقد أدى حقها (قال الشاعر)

فلو كان يستغنى عن الشكر ما جد • لرفعة حال أو علو مكان
لما أمر الرحمن بالشكر خلقه • فقال اشكرونى أيها الثقلان
• (وقال البسقي) •

لئن هجرت عن شكر ربك قوتى • وأقوى الورى عن شكر ربك عاجز
فان شائى واعتقادى وطاعى • لا فلا لما أوليت به مراى
وقال اصم بن ابراهيم الموصلى وقتت علينا امرأته فقالت يا قوم تغير علينا الدهر اذل منا الشكر

وقارقا الفنى وحلقنا الفقير فرحم الله امرأتهم يعقل واعطى من فضل وواسمن كفاف
واعان على عفاف (وأندوا)

فلو كان للشكر شخص بين * اذا ما ناله الناصر

لثلك حسنى زاه * فتعلم اى امر تشارك

ولكنه ساكن فى الضمير * يحركه الكلم السائر

(وقيل) لكسرى ما الشكر فقال المكافاة على قدر الطاعة قبل فدا الكفر قال ترك الجزاء ولو
بالثناء قيل وهل يكون أحدا يخل عن بخل بالثناء قال نعم من عادى على الصنعة

*) الباب الخامس والثلاثون فى بيان السيرة التى يصلح عليها الامير والمأمور

ويستريح اليها الرئيس والمرؤوس مستقر حقه من القرآن العظيم *)

قال الله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امأثالكم فاقب الله تعالى
المائة يمتاوين سائر البهايم ومعلوم انهم لا يمتاؤون فى خلقنا واشكالنا وسائر ما تدركه العين
منهم ومناقبى المائة فى الاخلاق فلا أحد من الخلق الا وفيه خلق من اخلاق البهايم ولهذا
يجب اخلاق المتلاقى حقيقة فاذا رأيت من الانسان خلقا خارجا عن الاعتدال فابصر ما يماثل
ذلك الخلق من خلق سائر الحيوان فالحق به وعامله كما كنت تعامله فحينئذ تستريح من منازعهم
ويستريحون منك وتدوم الصبة فاذا رأيت الرجل الجاهل فى خلقه الغليظ فى طباعه القوى
فى بدنه لا يؤمن طباعه فافراطه فالحق به بعالم النور والعرب تقول اجهل من غرأنت اذا رأيت
الغمر بعدت عنه ولم تخصه ولا تبايه فاسلك بالرجل كذلك واذا رأيت الرجل الغالب على
اخلاقه السرة خفة والتعب لئلا على وجه الاستمرار وقتلنا هذا يماثل عالم الجرد فذرع ملاحاته
ومخاصمته كما تدع سباب الجر اذا أفسد رحلك ثم أحر رحلك بما يصلح له واذا رأيت رجلا معالى
اعراض الناس وثلبهم فقد مائل عالم الكلاب فان داب الكلب ان يجفون لا يجفوه ويتدنى
بالاذنين لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبك الست تذهب فى شائك ولا تخصه
ولا تسبه فافعل بمن يهضم عرضك مثل ذلك واذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت لا
قال نعم وان قلت نعم قال لا فالحق به بعالم الجمر فان داب الجمار ان ذنته بعدوان أبعده قرب وانت
تستمع بالجار ولا تسبه ولا تفارقه فاستمع أيضا بهذا الانسان ولا تسبه ولا تفارقه واذا رأيت
رجلا يطلب عزرات الناس وسقطاتهم فخله فى الآدميين كمثل الذباب فى عالم الطير فان الذباب
يقع على الجسد فيحتاج الى محبته ويطلب المواضع الناعمة منه وذرات المادة والدم والنجاسة
واذا بليت سلطان يهجم على الاموال والارواح فالحق به بعالم الاسود وخذ حذر منه كما تأخذ
حذر من الاسد وليس الا الهرب منه كما قال النابغة ولا قرار على زامن الاسد واذا بليت
بإنسان خبيث كثير الروغان والمخاخرة فالحق به بعالم الثعالب واذا بليت بمن يمشى بالقتل
ويفرق بين الاسبغ فالحق به بعالم الظربان وهى دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة فسا
يتم ظربان فتهرقوا وخاصة هذه الدوية ان حصلت وسط جماعة ان يقرقوا وكان الجماعة
اذا أقيمت شعورهم هذه الدابة طردوها ومنعوا الدخول بينهم كذلك فيبقى اخراج التمام من بين
الجماعة فان لم يفعلوا يوشك ان يفرق ما بينهم ويفسد قلوب بعضهم على بعض واذا رأيت انسانا

لا يسمع العلم والحكمة ويقر من مجالس العلماء والحكام وبالف سماع اخبار اهل الدنيا
وسائر انحرافات وما يجري في مجالس العوام فالحق به عالم الخنافس فانه يجبهأ كل العذرات
وبالق روائح التجلسات ولا تراه الا ملاسا الاخلية والمراحيض ويقر من روائح المسك
والورد واذا طرح عليه المسك والورد مات واذا رأيت انسانا اتهمدأ به حفظ الدنيا لا يستحي في
الوقوف عليها فالحق به عالم الاحدية بان تحي وجلت عنه واذا بليت بالرجل تظهر عليه الحيانة
والسكينة وقد نصب اشراكه لاقتصاص الدنيا وأكل أموال الودائع والامانات والارامل
واليتامى فالحق به عالم الذئاب وهو كما قال فيه القائل

ذئب تراه مصليا * فاذا صرقت به ركب

يدعو وجعل دعائه * مالفريسة لا تقنع

يجل بها اذا علا * ان الفؤاد قد انصدع

احترق منه كما احترق من الذئب واذا بليت بخصه انسان كذاب فاعلم ان الانسان الكذاب كالبيت
في الحكم لانه لا يقبل له خبر كما لا يقبل من وكلا لا تصعب الموق لا تصعب الكذاب (وقيل) في
المثل كل شيء شئ وصحبه الكذاب لا شئ ويجوز ان يلحق به عالم النعام فانه يدفن جميع بيضه تحت
الرمل ثم يترك واحد على وجه الرمل وأخرى تحت طاقصن الرمل وسائر بيضه في قعر الحفرة
فاذا جاء الغرياء خذ تلك البيضة ويصرف أو يكشف عن وجهه الرمل فيصيد الاخرى فيظن انه
ليس بشئ آخر والخير بجمالة النعام اذا رأى البيضة لا يزال يحفر حتى يصل الى حاجته ولا يفتقر
بتلك البيضة كذلك الكذاب اذا سمعت منه خيرا لا تصدقه حتى تبلغ الغاية في الكشف عنه
واذا رأيت الرجل اتهمدأ به ان يصنع نفسه كأنه العروس ليعطها يبيض ثيابه ويعدل عمامته
ويتقي ان يمس شئ غيره ويظهر في عطفه ويطرح القذا عن قفيه ليس له حمة بين الجلساء الا
نظره الى نفسه واصلاح ما أتقن من ثيابه فالحق به عالم الطواويس الذي هذه صفته فانه يتصترق
مشيئه ويظهر الى نفسه ويغترس ذنبه فيخذه الملوأ استعسا فانه واذا بليت انسان حقود لا ينسى
الهزات ويجازي بعد المدقة على السقطات فالحق به عالم الجبال والعرب تقول فلان أقدم من
جل وتجنب قرب الجبل الحقود فاجتنب حمة الرجل الحقود واذا بليت بانسان منافق يطن
خلاف ما يظهر فالحق به عالم اليربوع فان اليربوع وهو فار يكون في البرية يقتد بجهر تحت الارض
يقال له النافق وهو فوهتان يدخل من احدهما ويخرج من الاخرى ومنه اشتق اسم المنافق
فاذا هم أحد أخذته دخل جحره وخرج من الباب الآخر فبهر الصياد خلفه فلا يظفر بشئ
كذلك كل المنافق لا يصح منه شئ وعلى هذا اللفظ كن في حمة الناس تستريح منهم وتريحهم
منذ قلهم الله ما استقامت لي حمة الناس وسكنت نفسي واستراحت من مكابدة اخلاقهم الا
من حيث سررت معهم هذه السيرة (وقال) الرياح ياتي رياح لا تحرق واصغرا تأخذون عنه فاني
أخلفت من التعلب روغانه ومن القرد مكابده ومن السنور صرعه ومن الكلب نصرته ومن
ابن أوى حذره وقد تعلمت من القمر مشي الليل ومن الشمس الظهور في الحين بعد الحين

(الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان

وشقاء الصدور ورواية القلوب وطيسة النفوس) *

اعلم أيها الملك انه متى كملت فيك الخصال المحودة والاخلاق المشكورة والسيرة المستقيمة
وملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشياء مواضعها ثم ان الرعية اهتضت حقك
وجعلت قدرك ولم توفك حقلك فبلغك منهم ما يسو طورايت منهم ما لا يوجبك فاعلم انك لست
باله فلا تطمع ان يصقولك منهم ما لا يصقوم منهم للاله وفصل الخطاب في هذا الباب ان تعلم ان
الله تعالى خلق الخلائق اجمعين وأنعم عليهم بأنواع النعم فأكمل حواسهم وخلق فيهم الشهوات
ثم أفاض عليهم نعمه وكملت لهم اللذات وبعد هذا انما قدروا الله حق قدره ولا عظموه حق
عظمته بل قالوا فيه ما لا يليق به ووصفوه بما يستحيل عليه وضافوا اليه ما يتقدس عنه
وسلبوه ما يجب له من الاسماء الحسنى والصفات العلى ففهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال
له زوجة ومنهم من قال له ابن ومنهم قال له البنات ومنهم من يحسبه ومنهم من يشبهه ومنهم من
انكره رأسا وقال بالخلق صانع كما حكاه الخالق عنه فقال غوث ونصيا وما يملك الا الدهر وهو
مع ذلك يحسبهم ويبقيهم ويصنع أجسامهم وحواسهم ويرزقهم وينشئهم ويقضى ما رزقهم
وأوطارهم ويعتصم صانعنا ويبلغهم آمالهم في معظم ما يحتاجون اليه فحاسبهم اليه صاعدة
وبركاته عليهم نازلة كل يعمل على شاكلته ويتفق بما عنده وكل ذي حال أولى بها (وفي حناجاة)
موسى عليه السلام انه قال الهى أسألك ان لا يقال في ما ليس في فاحسب الله تعالى اليه ذلك شئ
ما فعلته لنفسى فكيف أفعله لك وفي هذه السيرة عبرة لمن اعتبر وذكري لمن اذكر مع انك ان
التمت رضا جميع الناس القست ما لا يدرك وكيف يدرك رضا الخلقين فإياها الملك الذى قد
كتب الله عليه القناء والعمر القصير والزمان اليسير والايام المحدودة والاقام المحصورة
كيف أردت ان يصقولك من الرعية ما لا يصف منهم لحالهم ورازقهم وحسبهم ومجتهم هيئات
هيئات بعيدا أملت ومنسجلا ما طلبت فلك في الله اسوة حسنة ان ترضى منهم بما رضى منهم
خالقهم وتسيرهم بسيرتهم فيهم ألم تر كيف أحسن اليك فرضى عنك باليسر من العمل
وأكثر لك من النعم من الاموال والخلول فانظر كيف يسترزلاتك ويتغلسا بك ولا
يفضلك في خلواتك فني هذا ما يعهد النفوس ويؤدب ذوى العقول ويهتدى الى الصواب
ويوضح طرق الرشاد والله درع من الخطاب رضى الله عنه لقد كان واعيا لما تلو به عليك فانه
روى عنه انه كتب الى عربون العاص كن لرعيك ما تنعيب ان يكون لك أميرك

• (الباب السابع والثلاثون في بيان الخصلة التى فيها ملأ الملوك عند الشدائد
ومعقل السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال) •

أيها الملك اذا اعتلبت الامور في صدرك واضطربت عليك القواعد ومرجت في قلبك وجوه
الرأى وتكررت عليك المعارف واكهرتك وجهه الزمان فلا يقلبك خصلتان اترك للناس
دينهم وديناهم ولك الامان من طوارق الحسد فان ما يأتيه المألوان وقدرى ان المأمون
قال في آخره واقفة مع أخيه الامين وقد نفذت سيوت الاموال والعت الاجناد في طلب
أرزاق المأمون بقيت لآخر خصلة لوصفها مال موضع قدى هاتير قيل له وماهى فقال واقه اني
لاضربها على نفسى فكيف على غيرى فلما خلاص له الامر سئل عن تلك الخصلة فقال لو ان
الامير نادى في جميع بلاده انه قد حط انحرابا والوظائف السلطانية وسائر الجبايات عشر

سنتين ملك الامر على ولكن الله غالب على امره وياخشى المأمون انتفاض بيعته مع أهل خراسان في امر فتنه مع أخيه الامين استشار الفضل بن سهل وكان وزيره فقال له الفضل قد قرأت القرآن وحديث الرسول عليه السلام والذي عندي ان تجمع الفقهاء وتدعوهم الى الحق والعمل واحياء السيرة وبسط العدل والقعود على البود وتواصل النظر في المطالم وتكريم القواد والملوك واثناء الملوك وتعهد بالمواعيد الكريمة والمراتب السنية والولايات المشاكلة ففعل ذلك وحط عن أهل خراسان ربع الخراج فمالت وجوه الخلائق اليه وكانوا يقولون ابن اختنا وابن عم تيناه عليه السلام وانقاد اليه رافع بن الليث وكان من عظماء الملوك بخراسان ويدخل تحت هذه الترجمة امر اتفق عليه حكماء العرب والروم والفرس والهند وهوان تصطنع وجوه كل قبيلة والمتقدمين من كل عشيرة وتخص الى حلة القرآن والعلم وحفاظ الشريعة وتدنى بمجالسهم وتقرب الصالحين والمتزهدين وكل متمسك بعروة الدين وكذلك فليفعل بالاشراف من كل قبيلة والروساء المتبوعين من كل طائفة هؤلاء هم أئمة الخلق وبهم ملك من واهم في كمال الشيعة والرياسة ان تبقى على كل ذي رياسة رياسته وعلى كل ذي عززة وعزته وعلى كل ذي منزل منزله فحينئذ يكون الروساة اعوانا ومن دانت له الفضلاء من كل قبيلة فاخلق به ايدوم ملطانه والعلامة والاتباع دون مقدمهم وسادتهم واقامهم اجساد بلا رؤس والسباح بلا ارواح واما قامت العامة على السلطان بقرطبة ولبسوا السلاح كان شيخ جالس على كبره يعالج صنعة فقال ما بال الناس قالوا قامت العامة على السلطان قال ولهم رأس قالوا لا قال شق الكبر يا صبي فذهبت مثلا

• (الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصال الموجبة لخدم الرعية للسلطان) •

قال حكيم الفرس ذم الرعية للملك على ثلاثة أوجه اما كريم قصر به عن قدره فاورثه ذلك ضغنا والماثلين يلغيه فوق قدره فاورثه ذلك بطرا واما رجل منع حظه من الانصاف وفي الامثال احسانك الى الحر يبعثه على المكافاة واحسانك الى التميم الخسيس يبعثه على معاودة المستله (وقيل) للاسكندر ان فلانا يتقصصك ويسبى الثناء عليك فقال انا أعلم انه ليس بشير فنبئني ان تعلم هل ناله من ناحيتنا امر دعاه الى ذات فحش عن حاله فوجد هارثة فامر له بصلته سنة فباعه بعد ذلك انه بسط لسانه بالثناء عليه فقال انا تزون ان الامر اليان يقال فينا خير أوشر وينبغي للسلطان ان لا يتخذ الرعية مالا وقتية فيكونوا عليه بلا وفتنة ولكن يتخذهم أهلا واخوانا فيكونون له جندا واعوانا وقد سبق المثل اصلاح الرعية خير من كثرة الجنود

• (الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والجار) •

مثل السلطان العادل مثل الباقوته النفيسة الرقيقة في وسط العقد ومثل الرعية مثل سائر الشجر فلا تلحق اليون الا الواسطة وأول ما يبعثر المقلبون وينقادون الواسطة وانما ينفي المتنون على الواسطة وكل احسنت الواسطة عمرت سائر الشجر فلا يكاد يذكر كما قال ابن سعد فاقبل بالجاز بين مكة والمدينة سكنية بنت الحسين رضى الله عنهم فاسفرت لي عن وجهه ابنتها واذ رجه كانه فماعة فمروا قد أثقلتها بالجوهر والبواقيت وأنواع الدرر فالتفت الى وفات والله ما علقته عليها الا لفضضته وكان جمال السلك ان يلى الواسطة الافضل فالافضل

من الشذر وان كان على خلاف ذلك كانه مني . التظم كذلك السلطان ينبغي ان يكون الاقرب
 فالاقرب اليه اهل العلم والعقل والادب والرأى والاصالة والشرف والحصافة وذرى الكمال
 من كل قبيلة . وان كان على خلاف ذلك كان نقصا في التدبير وكان جمال العقرب واسطته كذلك
 جمال الرعية بكل سلطانهم وفضله وبراعته وعده . ومثل السلطان الجائر مثل الشوكة في
 الرحيل فصاحبها تحت أم وقلق ويتداعى لها سائر الجند ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعين
 بما في يده وره من الآلات والمناقب والابر على اخراجها لانهم في غير موضعها الطبيعي ويوشك
 ان تقطع بالاجر فتاين غرز الباقوت من شوك القناد

هـ (الباب الموقى أربعين فيما يجب على الرعية اذا جارا السلطان) هـ

اعلم ارشدك الله ان الزمان وعاء لاه . له ورأس الوعاء أطيب من أسفله . كان رأس الجرة أرق
 واصفى من أسفلها فقلت ان الملوكة اليوم ليسوا كمن مضى من الملوكة فالرعية أيضا ليسوا
 كمن مضى من الرعية ولست بان تنم أمرك اذا نظرت آثار من مضى منهم باولى من يذكرك أمرك
 اذا نظرت آثار من مضى من الرعية فاذا جارك عليك السلطان فعليك التسبر وعده الوزر (روى)
 البخارى عن عبادة بن الصامت قال بايعنا النبي عليه السلام فكان فيما أخذ علينا ان بايعنا
 على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرنا علينا وأن لا تنازع الامر أهله
 الا ان تروا كفرا بواحد منكم فبما ينصرون فيه من الله برهان . ومن قال ابن عباس من كره من أمره شيئا
 فليصبر عليه فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية . ومنه قال ابن مسعود قال لنا
 النبي عليه السلام انكم سترون بهدي أثره وأمورا تشكرونها قالوا لئن تأمرنا يا رسول الله قال
 أدوالهم حقوقهم واسألوا الله حقتكم (وروى) أبو داود في سننه ان النبي عليه السلام قال
 سأأتىكم ركب بغضون يطلبون منكم ما لا يجب عليكم فاذا سألوا ذلك فأعطوهم ولا تسبوه
 ولتدعوا لهم وهذا حديث عظيم الموقى هـ . هذا الباب قد دفع اليهم ما طلبوا من اعظم ولا
 تنازعهم فيه ونكف الاستئذان عنهم . يا عبد الله لا تجعل للاحك على من ظلك الدعاء عليه
 ولكن الثقة بالله ولا تخف فوق مخنعة ابراهيم عليه السلام لما جعلوا في كفة المتخنيق ليقذف به
 في النار قال اللهم انك تعلم ايمانى بك وعد اوقوى فيك فانصرني عليهم واكفى كيدهم (وقال)
 مالك ابن دينار وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى انى أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك بيدى
 فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تغفلوا انفسكم برب الملوك
 ولكن توبوا الى الله أعطفهم عليكم وفي بعض الكتب ابن آدم تدع على من ظلك ويدعوك عليك
 من ظلة فان شئت أجبنالك وأجبنالك عليك وان شئت أخرت الامر الى يوم القيامة فيسبهم الغفوا
 (وقال) سليمان بن داود عليه السلام لا تجعل لمهلك في الاعداء الا كافاة ولكن الثقة بالله
 وروى أبو داود في السنن قال سرق ملحفة لعائشة رضى عنها فجعلت تدع على من أخذها
 فسمعها النبي عليه السلام فقال لا تسخى عنه يعنى لا تخفى عنه فنهاها عن الدعاء على الظالم كما
 ترى فاذا قال لظالم في دعائه اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه وعلى سائر الرعية لانه من قلة توفيقه
 ظلم لو كان موقفا ما ظلمك فان استجيب دعاءك فيه زاد ظلمك ومن الالفاظ المروية عن سلف
 هذه الامة قولهم لو كانت عندنا دعوة مستجابة ما جعلناها الا في السلطان (وقال) الفضل

لوقظروا بيت المال لاخذتم من حلاله وصنعت منه أطيب الطعام ثم دعوت الصالحين وأهل الفضل من الاخبار والابرار فاذا فرغوا قلت لهم تعالوا ندعوا ربنا أن يوفقنا لملكنا وسائر من يلي علينا وعل اليه أمرنا ولما قدم معاوية المدينة دخل دار عثمان فالتفت عائشة ابنة عثمان وأيتام فقال معاوية يا بنت أبيان أنتي أن الناس أعطوا ناطعة وأعطيناهاهم أم أنا وأظهرنا لهم حيلنا فصت غضبنا وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان انصاره فان تركنا بهم نكثوا بنا ولا ندري أعلينا تكون أم لنا ولان نكوفي انبغص أمير المؤمنين خير من أن نكوفي امرأته من عرض المسلبين (وروي) ان رجلا من العقلاء غضبه بعض الولاة ضيعة فاستعدي عليه الى المنصور فقال له أصلحك الله أذكر حاجتي أم أضرب قلبك بها أم لا فقال بل أضرب لي قلبها أم لا فقال أصلحك الله ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانه يفر الى أمه اذا لم يعرف غيرها وتلقا منه انه لا ناصر فوقها فاذا ترعرع واشتد فاوذى كان فواره وشكواه الى أبيه العلم بان أباه أقوى من أمه على نصرته فاذا بلغ وصار رجلا وخرجه أمر شكاه الى الوالي العلم بانه أقوى من أبيه فاذا زاد عقده واشتد شكيبه شكاه الى السلطان العلم بانه أقوى من سواء فان لم ينقذ السلطان شكاه الى الله عز وجل وقد نزلت بي نازلة وليس فوقك أحد أقوى منك فان انصتني والارفعت أمرها الى الله في الموسم فاني متوجه الى بيته ورحمه اذ ليس فوقك أحد الا الله تعالى قال بل تضافك واهم بان يكتب الى واليه ويردضته اليه

• (الباب الحادی والاربعون فی کما نکونوا یولی علیکم) •

لم ازل اسمع الناس يقولون اءالكم عمالكم كما تكونوا يولى عليكم الى ان ظفرت بهذا المعنى فى القرآن قال الله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا وكان يقال ما ائكرت من زمانك فانما ائفسده عليك ذلك وقال عبد الملك بن مروان انصفونا يا معشر الرعية تريدون مناسرة ابي بكر وعمر ولا تريدون انفسكم يسيرتم ما نسال الله ان يعين كل اذى على (وقال) قتادة قالت بنو اسرائيل الهنا انت فى السماء ونحن فى الارض فكيف نعرف رضاك من مصطك فاحس الله تعالى الى بعض انبيائهم اذا استعملت عليكم خباركم فقد درضيت عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت عليكم وقال عبيدة السلماني لعلى رضى الله عنه يا امير المؤمنين ما بال ابي بكر وعمر اقطاع الناس لهمه او الدنيا عليهم ما ائضق من شربا فاستعظما عليهم ما وبيت انت وعملن اختلافه ولم يسطعوا الكبار قد استعظمت فصار عليك ما ائضق من شرب فقال لان رعية ابي بكر وعمر كانوا منى ومثل عثمان روعيق انا اليوم معك وشبهك (وكتب) اخ محمد بن يوسف يشكو اليه جورا عمالي فكذب اليه محمد بن يوسف بلغنى كتابك نذركم ما انتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالعصاة ان يشكر العقوبة وما ارى ما انتم فيه الا من شوم الذنوب والسلام

• (الباب الثانى والاربعون فى بيان الحصلة التى تصلح بها الرعية) •

علم ان ادعى خصال السلطان الى اصلاح الرعية واقواها اثر في فسادهم ياديهم وحفظهم
لروايتهم اصلاح السلطان نفسه وتنزهه عن فساق الاخلاق وبعده عن مواضع
الرب وتزفيعه نفسه عن استعجاب البطالة والجون والحب والمهو والاعلان بالتسوف وقد
كانت حجة محمد الامين قللك الرجل الخليلع والماسن الرقيب أبي نواس الشاعر وصحة

عظيمة عليه أو من به السلطان ووضع عند الخاص والعلم قدره وأطلق السنة الخلق بالشم
والثناء القبيح على نفسه فخلعه بذلك أخوه المأمون عن الولاية ووجهه مظهر من الحسين
لحاربه يغدا ودار به حتى قتله وانفذ رأسه إلى المأمون وكان يعمل كتابا قرأ على المنابر
من خراسان ويقف الرجل فيذم أهل العراق فيقول أهل فسوف وخور وما خور ويعيب
الأمين بذلك فيقول استعجب أنا نواس شاعرا ما جانا ككافرا استخلصه مع لشرب الخمر
وارتكاب المأثم ونيل الهارم وهو القائل

الافاسقنى خرا وقللى من الخمر • ولا تسقى سرّا اذا أمكن الجهر

ويج باسم من تهوى ودعى من الكفى • فلا خفى للذات من دونها سر

حتى تغترب عليه نفوس الخلق وتسكرت له وجوه الورى فلما بلغ الامين حيبه ثم أطلقه
بعد ان أخذ عليه أن لا يشرب خرا ولا يقول فيه شعرا ففى أراد السلطان اصلاح رعيته وهو
متماد على سيئ أخلاقه كان كمن أراد بقاء الجسد مع فقد رأسه أو أراد استقامة الجسم
مع عدم حياته ولكن أراد تقويم الضلع مع اعوجاج الشخص وكيف يحيا النون مع فساد الماء
ولقد أصاب الخليل فى قوله اصل نفسك لنفسك تكون الناس تبعالك وقديما قيل من أصلح
نفسه أرغم أنف أعدائه ومن عمل بجد بلغ كنهه أمانيه (ومثل) بعض الحكماء يتمم
الانسان من عدوه فقال باصلاح نفسه ولا يفتح البسقى

اذا خدامك بالله مستغلا • فاحكم على ملكك بالويل والحرب

أما ترى النعم فى الميزان هابطة • لما عدا وهو بوج الهوى والطرب

وحسبة الاشرار ثوب الشكر كل ربح اذا عرفت على النسخ حلت تناء واذا عرفت على الطيب
حلت طيبا فحال استصلاح رعيته وانت فاسد وارشادهم وانت خاير وهدايتهم وانت
ضال وقدم سبق المثل ومن العجائب أعشى كمال وتقول العرب يا طيب طب نفسك وكيف
يقدر الاعمى على أن يهتدى والتقصير على أن يغنى والدليل على أن يعز فبعدك عن تطهير
غيرك من العيوب قبل تطهير نفسك كبهه الطيب عن ابراهيمه من دأبه مثله (وقال)
بعض حكماء الهنود يبلغ الف رجل فى اصلاح رجل واحد بحسن القول دون حسن الفعل
كايبلغ رجل واحد فى اصلاح ألف رجل بحسن الفعل دون القول وفيه قال القائل

يا أيها الرجل المعلم غيره • هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدوام من السقام لئى الضيق • كما يصعب به وأنت سقيم

ما زلت تلقى بالرشاد عقولنا • عظة وأنت من الرشاد عديم

أيدأ بنفسك فأنها عن غيها • فاذا انتهت عنه فانت حكيم

فهناك يقبل ما تقول ويقتدى • بالرأى منك ويقع التعليم

لأنه عن خلق وثاق مثله • طار عليك اذا فعلت عظيم

ولكن أقوى الاسباب فى صلاحهم عند نفوت صلاحه استعماله عليهم الخاصة منهم وذوى
الاحلام والمرآت القاعة والانبيا الطاهرة ففى رأس العاطية مراتهم فهو الطريق الى حفظ
أديانهم ومرآتهم وبما سلكهم عن الانهماك فى المخطورات وملابسة المحرمات وقال الشاعر

لأنصلح الناس فوضي لاسرائيلهم • ولا سراة اذا جها لهم سادوا
(وقال امرؤ القيس خلتان في السلطان اقرب الى صلاح الرعية مما لو سادوا هما ثمة الرؤ
وسنة الرجة وما أحق السلطان أن يسلك بالرعية كل سبيل يصلحون عليه ويستودون معه
فحينئذ يكون رقبس الرؤساء وأميراء على السادة والفضلاء وان أهلهم وركوب شهواتهم
وتوسط دعاتهم ذهب أدبانهم وسقطت مرأتهم وبقوا كجاء الخيل في الجماعة المذمومة
تقول العرب في القوم لارؤساء فيهم ولا مروءات فيهم هم سواسية كاستنان الحمار وتقول
سواسية كاستنان المشتط وفيهم يقول الشاعر

سواسية كاستنان الحمار فلا ترى • لذى شبة منهم على ناشئ فضلا
ولان يكون أميراً على الفضلاء والرؤساء خير من ان يكون أميراً على الاخساء والرمادية
والغولاء والادنياء (وقد قال) عبد الملك بن مروان يوماً وقد استقام له الامر من يعذرني من
عبد الله بن عرفاته أبي ان يدخل في سلطاني فقال بعض جلسائه تستخصره وتضرب عنقه
وتسليم يريح منه فقال عبد الملك ويلك اذا قلبت ابن عر علي من أكون أميراً والمصادر اوداد الى
البحراني الدولة العباسية ليعتدل من هناك من بني أمية قال له عبد الله بن الحسن بن علي بن عم اذا
اسرعيت في قتل كفتائك فمن تباها بسلطانك اعف عني الله عني فعفا (وقال) ارسطاطاليس
للاستكدر استسلم الرعية وأذهب شرهم تكون رئيس الاخير مدحجين ولا تكون رئيسا
لاشرار مذمومين فتكون كراعي البقر

• (الباب الثالث والاربعون في بيان ملك السلطان من الرعية) •

كتب ارسطاطاليس الى الاستكدر امك الرعية بالاحسان تظفر بهم بالحببة فان طلب ذلك
منهم بالاحسان هو اذوم مقامهم بالاغتصاف واعلم انك انما تملك الابدان فتضاهيها الى القلوب
بالمعروف (واعلم) انه اذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية واذا جابر ملك منهم الا لراية
والتمتع وفي الماتقدمين قلوب الرعية خوائف ما لو كها فاعاد وعوها من شيء فليعلموا انه فيها
(واعلم) ان الرعية اذا قدرت على ان تقول قدرت على ان تفعل فاجتهد ان لا تقول تسلم من
ان تفعل وليس هذا خلاف ما روى عن معاوية ان رجلاً غلظه فلم عليه فقبل له ان تعلم على مثل
هذا فقال الى لا حول بين الناس وألستهم مالم يحولوا بيننا وبين سلطاننا وذلك ان نفس بر قوله
فاجتهد ان لا تقول يعني اذا عدت لم يسكلموا بشيء وهذه السيرة أحسن من سيرة ارسطاطاليس
التي ان جماعة من بطائنه قد فسدت نيابتهم فوقع فيهم ماشر الملوكة انما تملك الاجساد لا النيات
وتحكى بالعدل لا بالرضا وتفحص عن الاعمال لا عن السررائر (قلت) وانما تحسن هذه السيرة ان
يجز عن الاولى لان ملك الاجساد قد يكون بالعدل والظلم وملك القلوب لا يكون الا بالعدل واين
هذا من قوله وقد دفع اليه انك ركبتم أمس في عدة قلعة وتلك حالة لا يؤمن اغتيال الاعداء
فيها فوقع من عم احسانه أمن أعداءه وما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان يا أهل الشام
انما نالكم كالظلم الرائح على فراخه ينق عنهم القدر ويأعد عنهم الحجر ويكنهم من المطر
ويحميهم من الضلج ويحوسهم من الذئاب يا أهل الشام أنتم الجبة والرداء وأنتم العدة
والجداء وقالت العجم أسوس الملوكة من قادر عيته الى طاعته بقلوبها ولا ينبغي لوالى أن يرغب

في السكرامة التي بناها من العامة كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الاثر و صواب التدبير
وقال عمر بن عبد العزيز اني لارجع ان اخرج للمسلمين امر من العدل فانه ان لا تشبه قلوبهم
فاخرج معه طمعان طعم الدنيا فان نفرت القلوب من هذا سكنت الى هذا وقال معاوية
لزياد بن اسوس الناس انا اوانت فقال يا امير المؤمنين ما جعل الله رجلا يحفظ الناس بسيفه كمن
اسمع الناس واطاعوا الله بالدين و يروى ان سليما مولى زياد خرف زياد عنده معاوية فقال معاوية
اسكت فما أدرك صاحبك بسيفه أدركت أكثر منه بلساني

• (الباب الرابع والاربعون في التحذير من محبة السلطان) •

اتفقت حكماء العرب والعجم وصياهم على النهي عن محبة السلطان قال في كتاب كليله ودعنه
ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل محبة السلطان واتقان النساء على الاسرار وشرب السم على
التجربة وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطر احمية السلطان وقال
مردك أحق الامور بالتب في امر السلطان فانه من محب السلطان بغير عقل فقد لبس
شعار الغرور وفي حكم الهند أيضا محبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر
واما تشبه بالجبل الوعر فيها الثمار الطيبة والسباع العادية والتعابين المهلكة فالارقاء
اليه شديد والمقام فيه أشد وليس يتكافأ خيرا السلطان وشرا لان خيرا السلطان لا يعدو
عز يد الحال وشرا السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفس التي لها طلب المزيد ولا خيري
الشيء الذي في سلامته مال وجاه وفي نكته الجائحة والتلف ولهذا الما قبل العنابي لم لا تعصب
السلطان على ما فيك من الادب قال اني رأيت يعطى عشرة آلاف في غير شي وبردى من الصور
في غير شي ولا أدري أي الرجلين أكون (وأخبرني) أبو العباس البخاري وكان ممن دقخ أرض
الهند والصين وانتهى الى حين الصين الى جبل الياقوت بالهند وان فيه تعابين ليس في معمر
الارض أعظم منها فان الواحد منها يبلغ الثور يحيا فلا يصل أحد الى ذلك الجبل ولا يقربه
فاذا كثرت الامطار أحدث السيول منه الحصى وسائر ما فيه من المنافع الى استقرار الماء على
مسير أيام من الجبل فيبعث الناس ذلك الحصى فيوجد فيه الواحدة بعد الواحدة من أحجار
الياقوت وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويرضى
رما الصبي ويبطش بطش الاسد وقال المأمون لو كنت رجلا من العامة ما محبت السلطان
وقال الاخنف بن قيس ثلاثة لا أقولهن الا لعنهم اياهم لا أخلف جليسي الائمة احضره ولا
أدخل في أمر لا أدخل فيه ولا آتي السلطان الا ان يرسل الي وقال ابن المقفع لابنه ان
وجدت من السلطان ومحبة غنى فاعن عن نفسك واتزله جهدا فانه من يأخذ السلطان
بجفحه يحمل بينه وبين امة الدنيا ومن لا يأخذ بجفحه يكسبه الفضيحة في الدنيا واوزري الاخرة
وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني أربعاً لا تعصب سلطانا
وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرته وان قرأتم القرآن ولا تصل من
قطع رحمة فانه لك أقطع ولا تسكاه بكلام اليوم تعذر منه غدا (وفي منشور الحكم) كثرة
الاشغال مذه له عن وجود اللذات بكنهها وكما قد رأينا وبالعنابي من محب السلطان من أهل
الفضل والعقل والعلم والدين ليصله ففسده فمكان كما قال الاول

عدوى البلد الى الجلبندسريعة • والجبر وضع في الرماذ فيعتمد
ومثيل من بعض السلطان ليصله مثل من ذهب ليقيم حائطا مثالا فاعتمد عليه ليقمدهم
الحائطا عليه فاعلمه وفي كتاب كلبه ودمه لا يسعد من اقبل بصبة الملوكة فانه لاعهد لهم
ولا طاعة ولا قريب ولا جيم ولا يكرم عليهم احد الا ان يطعموا فيما عندهم فيقربوه عند ذلك
فاذ قضا حاجتهم تركوه ولا ود ولا اخاء الا بالامير والذنب لا يغفره وقال بزرجمهر لا تصلح
حصة السلطان الا بالطاعة والبذل ولا مؤاخاة الاخوان الا بالعين والمواساة (وقال) بعض
حكماة القوم المثل والسلطان بنفسه ان لكل أحد الرجل له عقل كامل وقالت الحكماء
صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لم يحسبه أخوف وقالوا من لم يباب
السلطان بغير جيل وكظم الغيظ واضراخ الاذى وصل الى حاجته كالكرم لا يتعلق يا كرم
الشجر لكن باذناها وكانت العرب تقول ان لم تكن من قرياء الملك فكمن من بعدائه (وفي) حكم
الهند ان مثل السلطان في قلة وفاته مع أصحابه ومخاطبته عن نفسه ثم كثر السبي
والملك كذا ذهب واحدا آخر والعرب تقول السلطان ذو غداوات وذو بدوات وذو تدرا
وتريد ان تسرع الانصراف كثير البدوات هجم على الامور وأصلهم الدر وهو الدرع

• (الباب الخامس والاربعون في حصة السلطان) •

قال ابن عباس قال في أبي ياقبى انى أوى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك بقدمك على الاكابر
من أصحاب محمد عليه السلام وانى أوصيك بخلاف ثلاث لا تقصين له سرا ولا يجبرن عليك
كذبا ولا تقتاتن عنده أحدا (قال) الشعبي قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف
قال اى واقفه ومن عشرة آلاف وقالوا حصة السلطان بالخرد والصدوق بالتواضع والعدو
بالجهر والعامية بالبشر ولا تحسبك لاحد يحسن رأى الملك الا يحسن أثره (قال) بعض الحكماء
لا تستطلع السلطان ما كثر ولا تنفس ما أطلعك عليه من أدل على السلطان استقله ومن
اعتزل عليه عداؤه ومن أظهر انه يهينه يبر ما عدهم (وقال) بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيسا
فزده اجالا واذا جعلك السلطان أخا فاجعله آيا وان زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده
وان ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فاخذوا في التنازع عليك بالدعائه وان نزلت
من منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثر في الدعاء له عدل كلمة فان ذلك شبه بالوحشة
والطرية الا ان تكلمه على رؤس الناس فلاننا لو ايماعظته وذكرته وقاله ابن المقفع لتكن
حاجتك في سلطانك ثلاث خلال رضارتك ورضا سلطانك ورضا من تلى عليه ولا عليك ان
تلهو عن المال والذخرفيا تيك منها ما يكتفى ويطلب (وقال) مسلم بن عمر بن خديم السلطان
لا يكثر بالسلطان اذا أدناك ولا تغفرا اذا أقصاك وروى ان بعض الملوك استحب حكما فقال له
أعجبك على ثلاث خلال قال وما هن قال لا تهتك لى سقا ولا تشتم لى عرسا ولا تقبل فى قول
قاتل حتى تستشرفى قال هذا الملك فى عندك قال لا أقتنى لك سرا ولا أدخرك نصيحة
ولا أوتر عليك أحدا قال نعم الصاحب المستحب انت وقيل لعبد الله بن جعفر ما الخرق
قال الدالة على السلطان والوثة قبل الامكان وقال ابن المقفع أولى الناس بالملك القاحشة
المقدم على السلطان بالدالة وقال يحيى بن خالد الدالة تصيد الحرمة القديعة وتضر بالحقبة

التأكدة وقال بزجره اذا خدمت ملكا من الملوكة فلا تدعه في معصية خالفك فان احسبه
الملك فوق احسان الملك وابقاعه بك أعظم من ايقاعه اصحاب الملوكة بالهبة لهم والوقار لانهم
انما احتجبوا عن الناس لقيام الهبة فلا تترك الهبة وان طال انك تبهم فهو حسبهم منك
لا تقطع السلطان مجهورك في أول مصبتك فلا تجذب به للمزيم موصفا ولكن دع المزيد
موصفا علم السلطان وكانت تعلم منه وأشر عليه وكانت تستشير اذ أحلك السلطان من
نفسه بحيث يسع منك ويقربك فأياك والدخول بينه وبين بطائنه فانك لا تدري متى يتغير
لك فيكون عونا عليك اياك ان تعادى من اذا شاء يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل
وفي الامثال القديمة أحذروا الخدعة وقبيل

ليس الشفيح الذي يأتيك مؤثرا • مثل الشفيح الذي يأتيك عربا
وفي الامثال لا تمل فتل ولا تجف تجف وقال الرشيد لاسماعيل ابن صبيح اياك والدالة فانها
تفسد الحرمة وقال سليمان بن داود عليهما السلام لا تعش السلطان ولا تعده عنه وقال
الحكام شدة الاتقياض عن السلطان توث الثمة وشدة الانبساط فتقرب المالة واعلم ان
من طلب العز بلاذل كانت غمره سبعة الذل أحرز من ذلك عند السلطان بمن لا كسبتهما من
الجود والمناحة واحذر ان يحبك النصارى عارضا اليه الضغط ان أثق الناس بالسلطان
صاحبه كان أقرب الاشياء الى النار وأسرعها احتراقا من زعم باب السلطان بصبر جيل
وكنتم الضغط والطراح الاذى وصل الى حاجته (وقال الاخنف بن قيس) لا تنقبضوا عن
السلطان ولا تنها الكوا عليه فانه من أشرف على السلطان أوداه ومن نضرع له تخطاه • وقال ابن
عباس رضى الله عنه ثلاثة من عاداته عزته ذلة السلطان والولد والغريم واعلم انه انما
يستطيع محبة السلطان أحد رجلين اما فاجر مضاعف مال حاجته بقبوره ويسلم بصانته
واما مقفل ممين لا يصد أحد قائل من أراد ان يحب السلطان بالصدق والتسوية والعفاف
فقل لتستقيم له محبة لانه يجتمع عليه عذرا السلطان وصديقه بالعداوة والحسد اما الصديق
فبناؤه في عزته قطع عليه نصيبه • فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان كان قد تعرض
للهلكة وقال بعض الحكماء شارك السلطان في عز الفيا شارك في ذل الآخرة لا يوحشك
من السلطان اكرام الاشرار فان ذلك اضرورة اليهم كما يضطر الملك الى العجاف فيشرط قتله
ويخرج دمه (وفي الامثال) لا حبل من لاسفيه • وكان ابن جرير اذا سافر الى مكة استعجب معه
رجلا فيه ما فيه يستدفع به شر السفهاء وأهل الوغاة والفسادة وقال المعتصم ان للسلطان
سكرات فيها الرضا عن استوجب الضغط والسطع على من استوجب الرضا ومنه قول
الحكماء طاهر من لج في البحر وأعظم منه خطر من محبة السلطان وقال ابن المقفع لا يلب
لا تعدن شتم السلطان شتما ولا غلاظه اغلاظا فان ربح العزة تبسطه في غير باس ولا ضغط
(وقال ساميد) أحد حكماء القرم أربعة أشياء ينبغي ان تفسر لقبهم كاتفسر للبلد ولا يتكل
فيها على ذلك • حكماء أحد تأويل الدين واختلاط الادوية وصفة الطريق الخوف والرأى
في السلطان واعلم ان السلطان اذا انتقم منك في الآخرة نسي الاول فارحمهم مقطوعة
وجالهم مصرومة الامن رضاعته في وقتهم وساعتهم واذا رأيت من الوالى خلا لا تتبع

فلما تكلم على ردها قلنا اياضه صعبة لكن أحسن مساعدته على أحسن رأيه فإذا استحكمت منه فاحسب من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصره الخطايا الطيبة أكثر من تبصرك لأجل العدل من حكمتك فان العدل يدعو بعضه الى بعض فإذا تمكن اقتلع الخطأ ولا تطلب ما قبله الى بالمستقلة ولا تستبطنه وان أبطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق والاستبصار فانك اذا استحققتهم أتاك من غير طلب واذ لم تستبطه كان أجهل له وقال يحيى بن خالد اذا حبست السلطان فدار ومد ارامة المرأة العاقلة القبيصة لزوج الاحق المبعض وقال يحيى بن خالد لبعض اخوانه تنكر لي هرون الرشيد فقال له ارض بقليله من كثيره ويا لئال ان تضط فيكون مضط منك

(الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجند)

اعلم ان الجند عند الملك وحصونه ومعاقله وأوتانه وهم حاة البضعة والذابون عن الحرمه والدافعون عن العورة وهم جن الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين والحد الذي يلقي العدو والسهم الذي يرمى به والسلاح المدفوع في فخره فبهم يذب عن الحرم ونؤمن السبل وتسد الثغور وهم عز الارض وجماعة الثغور والزيادة عن الحرم والشوكة على العدو وعلى الجند عند اللقاء والصبر عند البلاء فان كانت لهم الغلبة فليمنوا في الطلب وان تكن عليهم فليكسر والاعنة وليجمعوا الاسنة وليذكروا أخباره وينبغي للملك ان يتقدم جنده كقصد صاحب البستان يستأنه فيقطع العشب الذي لا ينفع من العشب ما لا يقع ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقطع اجدر ولا يضر الجند الا بالدرار أرزاقهم وسد حاجاتهم والمكافأة لهم على قدر عنايتهم وبلادهم وجنود الملوك وعددها وقص على سعود الائمة ونحوها وقال أبو ريرة لابنه شرويه لا توسع على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضربوا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم منما جلا ووسع عليهم في الرخا ولا توسع عليهم في العطاء ولما أفضى الامر الى أبي جعفر المنصور اقتد جيشا وقال لقوادس بر وابل هذه السيرة ثم قال صدق الاعرابي اجمع كلبك يتبعك فقام أبو العباس الطوسي فقال يا أمير المؤمنين أختي أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك (ويروي) ان كسرى صنع طعاما في سباط لما فرغوا ورفعت الا آتات وقعت عينه على رجل من أصحابه قد أخذ جاما له قيمة كثيرة فسكت عنه وجعل الخدم يرفعون الا آتات فلم يجدوا الجام فسمعهم كسرى يتكلمون فقال ما لكم فقالوا فقدنا جاما من الجمامات فقال اهلبيكم اخذ من لا يرد موراه من لا يفضحه لما كان بعد أيام دخل الرجل على كسرى وعليه حلية جميلة وحال مستجدة فقال له كسرى هذا من ذالك قال نعم ولم يقل شيئا (وسئل عمرو بن معاذ) وكان على الصواف بم قدرت على جيوش الصائفة وكان يفر في كل سنة ويحرق الجيوش الى بلاد الروم فقال بسعانة الظهور والتدبير وكثرة الكعك (ويروي) ان بعض أمر العرب كان ظالمالارعية شديد الاذى لهم في أموالهم فعوتب في ذلك فقال اجمع كلبك يتبعك فترشوا عليه فقتلوه فخر به بعض الحكماء فقال رجاء كل الكلب صاحبه اذ لم يشعه

(الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استيصال الخراج)

أيها الملك من طال عدوانه زال سلطانه واعلم ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحه

الامن وتواجه العدل وهو حسن السلطان ومادة الملك والمال أقوى العدل على العدو
وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يؤخذ من حقه ويوضع في حقه
ويمنع من سرف ولا يؤخذ من الرعية الا ما فضل عن معاشها ومصلحتها ثم يتفق ذلك في
الوجوه التي يعود عليها تقعها فبايها الملك احرص كل الحرص على عمارة الارضين والسلام
أيها الملك مر جباة الاموال بالرفق وبجانبه الخرق فان العلقمة تنال من الدم بغير اذى ولا
معاص صوت ما لاتناله البعوضة بل سمعته او هول صوتها (ولما عزل عثمان) عمرو بن العاص عن مصر
استعمل عليها ابن أبي السرح فعمل من المال أكثر مما كان يصحله عمرو فقال عثمان يا عمرو
أشعرت ان القاجح درت بعدك فقال عمرو ذلك لانكم أعجمتم أولادها وقال زياد احسنوا الى
المزارعين فانهم لم يزالوا اسماء ما سمعوا وفي تنوير الحكمة من جاوز في الحلب حلب الدم
(وفي الامثال) اذا استقصى الخبل في مصامه رفسته وقال جعفر بن يحيى الخراج عود الملك
وما استغزى يرثي العدل ولا استقر عمل الظلم وأسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين
وهلاك الرعية وانكسار الخراج بالجور والتعامل ومثل السلطان اذا جعل على أهل الخراج
حتى ضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو وان قوى من ناحية
فقد ضعف من ناحية وما أدخل على نفسه من الوجع والضعف أعظم مما دفع عن نفسه من ألم
الجوع ومثل من كلف الرعية من الخراج فوق طاقتها كالذي يطبخ مطبوخة ثياب أساس يثبه
ومن يلمن حوال العمود يوشك ان يصفق فتقع الخيمة واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة
الارضين فيتركونها فخرت الارض ويهرب الزراع فتضعف العمارة فيضعف الخراج وينتج
ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعداء في السلطان أيها الملك كن بما يتيقن
في يد رعيته أكثر من ذلك بما تأخذ من الابل مع الصلاح شي ولا يتيقن مع الفساد شي وصيانة
القليل أولى من تربية الجليل فلا مال لا خرق ولا عليه صلح (وروي) ان المأمون أرق لبسة
فاستدعى سميرا فخذته بجديث فقال يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت
بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها لابنها فالت بومة البصرة لا أتكلم ابنتي الا تبعلني في
صداقها مائة ضبعة خراب فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها الآن ولكن ادام واليناسله الله
عليها سنة واحدة فعالت لذلك قال فاستيقظ المأمون وجلس للمظالم وانصف الناس بعضهم
من بعض ووقف قدام امر الولاة (وسمعت) بعض شيوخ الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون
ما زال أهل الاسلام ظاهرين على عدوهم وأمر العدو في ضعف وانتقاض لما كانت الارض
مقطعة في أيدي الاجناد فكانوا يستعلونها ويرفقون بالقلاحين ويربونها كما يربي التاجر تجارته
وكانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوافرين والكرام والسلاح فوق
ما يحتاج اليه الى ان كان الامر في آخر أيام ابن أبي عامر فرد عطايا الجند معاشرة بقبض
الاموال على النطم وقدم على الارض جباة يجيئونها فاكلوا الرعايا واجتاحوا أموالهم
واستضعفهم فتهارت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات المرتفعة الى السلطان
وضعت الاجناد وقرى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذوا الكثير منها ولم يرل أمر المسلمين في نقص
وأمر العدو في ظهوره الى ان دخلها المتكثفون فردوا الاقطاعات كما كانت في الرمان القديم ولا

• (الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال) •

وهذا بالسلطنة في سلطنة الطوائف والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم خلاف
سيرة الأتقياء والموسلين والخلفاء الراشدين فكانت الملوك تدخر الاموال ويحفظونها دون الرعية
وتعدها ليوم كريه على ما ينشأ في الباب قبله وكانت الرسل والخلفاء بعدهم تبذل الاموال
ولا تدخرها وتضطلع الرعية وتوسع عليها فكانت الرعية هم الاجناد والحامه وهذه سيرة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وقد علمت ان جوعه كان أكثر من شبعه وانه مات ودرعه مروه
في صاع شعير عند يهودي وكذلك الخلفاء الراشدون بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابنه
الحسن ومحمد بن عبد العزيز وان النبي عليه السلام لما فتح الله عليه اليمن كان يجبي له الاموال
فمفرقها اليومها وقد توضع في المسجد وتفرش الاطباع ويقرقها من الغد ولم يكن له بيت
مال (وروي) أبوداود في السنن أن النبي عليه السلام صلى العشاء الاخرة ثم دخل بحجره وخرج
مسرعاً وفي يديه خريقة فيها ذهب فقصه ثم قال ما ظن آل محمد لو أدرك الموت وهذا عنده
ولم يكن النبي عليه السلام بيت مال ولا للخلفاء الراشدون بعده وانما كانت الخلفاء تقسم
الاموال التي جبت من حلها بين المسلمين وربعها يفضل منها فضلات فيجعل في بيت فمن حضر
من غائب أو احتاج من حاضر قسم له حظه ثم يفرق حتى لا يبقى في البيت منه درهم كما روي
ان امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه اشرف على بيت المال وفيه مال فقال
يا خياف يا خياف يا خياف يا خياف يا خياف يا خياف يا خياف يا خياف يا خياف يا خياف يا خياف يا خياف يا خياف
قنبراً ان يكنسه ويرشه ثم دخل فصلى فيه ثم كثر من الملوك ساروا في الاموال على نحو هذه
السيرة من ملوك الاسلام وملوك الروم ومعظم ما اهلك بلاد الاندلس وسلط عليها الروم
ان الروم التي كانت تجاورنا لم تكن لهم بيوت أموال وكانوا يأخذون الجزية من سلاطين
الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقسمها لسلطانهم على رجاله بالتمام ويأخذون مثل
ما يأخذون وقد لا يأخذ شيئاً وانما كانوا يصنعون بهم الرجال وكانت سلاطيننا
تتجب الاموال وتضيق الرجال فكان للروم بيوت رجال والمسلمين بيوت أموال فبهذه
الخلافه قهرروا وظهروا علينا وكان من يذهب هذا المذهب ولا يدخر الاموال تضرب فيه الامثال
ويقال علمو الملك بيت المال وصديقه جنده فاذا ضعف أحدهما قوى الآخر واذا ضعف
بيت المال يسهل للامة قوى الناصر واشتد بأس الحندين وقوى الملك واذا قوى بيت المال
وامتلاء بالاموال قل الناصر وضعفت الحمة فضعف الملك فوثبت عليه الاعداء وقد شاهدنا
ذلك في بلاد الاندلس مشاهدة واذا كان الدفاع في الرجال لا في الاموال وانما يدفع بالاموال
بواسطة الرجال فلا شك ان بيت رجال خير من بيت مال وقد قال بعض الملوك لا يني لا تجمع
الاموال لتقوى بها على الاعداء فان في جمعها تقوية الاعداء يعني اذا جمعت الاموال
أضعفت الرجال فيطمع فيك الصديق ويثب عليك العدو وانما مثل الملك في ملكه مثل
رجل له بستان فيه عين معينة فان هو قام على البستان فاحسن تدبيرها فهدس أرضها
وغرس أشجارها وحفر على جوانبها ثم أرسل عليها الماء اخضر عودها فقويت أشجارها

وأبغت غمارها وزكت بركاتها فكانوا جميعا في أمان من الضعة ولا يخافون فقرا ولا
 شتاء وان هورغب في غلتها وجناها ولم يثق فيها ما يكفيها ولا ساق اليها من الماصاريوبها
 رغبة في الغلة وضنة بالمال ضعفت عمارتها ودقت اشجارها وقتل غمارها وذهبت غلتها
 وعحق الدهر ما جنى من غلتها فانقر القوم وهلكوا وقتلتوا ومثل الملك في جمع المال
 ليستقوى به على عدوه مثل طائر يتقوى به على عدوه ويمس أصولها وبأكل مانع منها فلذلك طبعها
 وأعجب به نخب جسمه على ذلك وقوته على عدوه فلم يزل كذلك حتى خف ريشه فسقط الى
 الارض فاكتسه الهوام والحشرات (ورأيت) في أخبار بعض الملوك ان وزيره اشاد عليه
 بجمع الاموال واقتناء الكنوز وقال ان الرجال وان تفرقوا عنك اليوم ففي احتيجتهم عرضت
 عليهم الاموال فها اقتروا عليك فقال له الملك هل لهذا من شاهد قال نعم هل يحضرنا الساعة
 ذباب قال لا قال فامر باحضار حنة فيها عسل فحضرت فساقت عليها الذباب لوقتها فاستنار
 السلطان بعض اصحابه في ذلك فنهاه عن ذلك وقال لا تغرب قلوب الرجال فليس في كل وقت
 أردتهم حضروا فقال هل لك من دليل قال نعم اذا أمسنا ما خبرك فلما أظلم الليل قال للملك
 هات الجفنة فحضرت ولم تحضر ذبابة واحدة (وقد روينا) عن سيرة بعض السلاطين في أرض
 مصر وكان قسما ملكها وكان اسمه يلدقور انه كان يجمع الاموال ولا يحضل بالرجال فقال له
 اصحابه ان امير الجيوش بالشام وهو يتواعدك وكأنه قد قدم عليك فاستعد للرجال وانفق
 فيهم الاموال فاودأ الى مساندتي موضوعه عنده وقال الرجال في المساندتي فغزا امير
 الجيوش ذلك الملك في مصر وقتله وتسلم المساندتي والمالك فكان رأيه رأيا فاسدا لان رجلا
 يفهم لوقته ويصطنعهم لحاجته انما يكونون أجنادا يجتمعين وشركة مملقين ليس
 فيهم غناء ولا عندهم دفاع ولا ممارسة للروب (ومن السير) المروية في هذا الباب انما
 قصت العراق جيء بالمال الى عمر فقال صاحب بيت المال ادخله بيت المال فقال لا ووب
 الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت حتى تقسمه ففعل في المسجد بالانطاع وحرسه رجال من
 المهاجرين والانصار فلما أصبح نظر الى الذهب والفضة والياقوت والزبرجد والدرى تلالا
 فبكى فقال له العباس اوعبد الرحمن بن عوف يا امير المؤمنين واقم هذا اليوم بكا ولكن يوم
 شكر وسرور فقال اني واقم ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه واقم ما كثر هذا في قوم الا وقع
 بأسمهم بينهم ثم أقبل على القبلة ورفع يديه وقال اللهم اني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فاني
 أسمعك تقول مستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم قال أين سراقه بن جهم فاني به أشعر
 الذراعين دقيقهما فاعطاهم سواري كسرى وقال البسهما ففعل فقال قل الله أكبر قال الله أكبر
 قال قل الحمد لله الذي سلها كسرى وألبسهما سراقه بن جهم اعرايا من بني مدلج ثم قبلهما
 وقال ان الذي أتى هذا الامين فقال له رجل انا أخير لانت أمين الله تعالى وهم يؤذون اليك
 ما أدبت لله تعالى فاذا وقعت دعوا قال صدقت وانما ألبسهما سراقه لان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال لسراقه ونظر الى ذراعيه كأنه بك قد لبست سواري كسرى ولم يجعل له الاسوارين
 (ولما ولي أبو بكر الصديق) رضي الله عنه جاءه مال من العمال فصب في المسجد وأمر فتادي
 من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين أو عده فليحضر قال أبو أيوب الانصاري فحنته

فقلت يا خليفة رسول الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي لو قد جاني مال أعطيتك هكذا
وهكذا وأشار بكفه فسكت أبو بكر فأنصرفت ثم عاودته فسكت عني ثم أنصرفت وعاودته
فقلت ما أن تعطيني وأما أن تبخل عني فقال ما أبخل عندك اذهب فخذ خفنت خفنة قال عذها
فعددتهم ووجدت فيها خمسة أقدينار وأبو أيوب من أغنياء الانصار وهو نزل النبي صلى الله
عليه وسلم دل الحديث على ان بيت المال للفقير والفقير يدل ايضا انه لا يجيب أن يساوى نفسه
جميع المسلمين بل ذلك موكل الى اجتهاد الامام

(فصل) قال الحسن بن علي الاسدي أخبرني أبي قال وجدته في كتاب قبلي
باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف من أموال مصر يحق
الخراج ما يؤول خضع وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية
من غير اضطهاد ولا منافسة وموضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظرا للمعاملين
وتقوية لحالهم من العيين أربعة وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف دينار من ذلك
ما ينصرف في حارة البلاد لخر الخليج والاتفاق على الجسور وسد الترع واصلاح
المنشآت ثم تقوية من يحتاج الى تقويته من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة
في البذر وغير ذلك من الآلات وأجرة من يستعان به لحل البذر وسائر نفقات تطبيق
الارضين ثمانية ألف دينار ولما ينصرف في ارزاق الاولياء الموسومين بالسلاح ومن
في جلهم من الشاذية والفلان وأشباعهم وعدة جميعهم مع ألف كاتب موسومين بالداووين
سوى اتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم مائة ألف واحد عشر ألف دينار وثمانية ألف
ألف درهم ولما ينصرف للارامل والايام رضون به من بيت المال وان كانوا غير محتاجين حتى
لا يخلوا أمثالهم من يفرعون اربعمائة ألف دينار ولما ينصرف في كهنة برايههم وسائر يوت
مسلواتهم مائة ألف دينار ولما ينصرف في الصدقات بما يصيب صبا وينادي برقت الذمة
من رجل كشف وجهه لفاقه ولم يحضر فيحضر لثك من يحضر ولا يرد أحد والامناء جاوس
فاذا رأوا انسا نام يجر وجهه بان ياخذ فردوه بعد قبضه ما قبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من
هذه الطائفة عدد دخل امنا فرعون اليه وهنؤه بفرقة المال ودعوا له بطول البقاء ودوام
العز والسلامة وأنهى اليه حال تلك الطائفة فبأمر بتغيير شعنها بالحمام واللباس ثم يخذ
السماط فبأكلون بين يديه ويشربون ويستطعم من كل واحد سبب فاقته فان كان ذلك من آفة
الزمان ربه عليه مثل ما كان له وان كان سوء رأى وتدبير غير مستقيم ضعه الى من يشرف عليه
ويأخذ به بالادب والمعرفة التي لا يصلح الا بها مائة ألف دينار ولما ينصرف من نفقات فرعون
الراية ليست مائة ألف دينار تكون النفقات على ما تقدم تفصيلها تسعة آلاف ألف وثمانمائة
الف دينار ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام ويحصل لفرعون في بيت
المال ثلثا الزمان أربعة عشر ألف ألف وثمانمائة ألف دينار (وقال أبو درهم) كانت ارض
مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء يجري تحتها نازلا وأقنيتها فيصبوه كيف شاؤا ويرسلوه
كيف شاؤا وذلك قول فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون
وكان ملك مصر عظيما لم يكن في الارض أعظم من ملك مصر وكانت الخنافس تصافى النسل
متصلة لا تنقطع منها شيء عن شيء والزروع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت أرض مصر كلها

تروى من ستة عشر ذراعا لما دبز وافي جسورها وحافاتهما والزروع ما بين الجبلين من أولها
 الى آخرها وذلك قوة تعالى كم ذكرنا من جنات وعميون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها
 فاكهين والمقام الكريم المنابر وكان بها الفعنبر (وقال عبد الله بن عمرو) استعمل فرعون
 هامان على سفر خليج مردوس فاخذ في حفره وتدبيره فجعل أهل القرى يسألونه ان يجرى
 الخليج تحت قريتهم ويعطوه ما لا وكان يذهب به من قرية الى قرية من الشرق الى الغرب ومن
 الشمال الى القبلة ويسوقه كيف أراد فليس في مصر خليج أكثر عطوفا منه فاجتمع له من
 ذلك أموال عظيمة فحملها الى فرعون وأخبره بالخبر فقال لفرعون انه ينبغي للسيد أن يعطى
 على عبيده ويضرب عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بأيديهم ردة على أهل القرى
 ما أخذت منهم فرع عليهم أموالهم فهذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف
 عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف يجب ان تكون سيرة من يقول لا اله الا الله ويوقن
 بالحساب والثواب والعقاب (وقال ابن عباس) رضى الله عنهم في قوله تعالى اجعلنى على
 خزائن الارض اى حفيظ عليم قال هى خزائن مصر وكانت أربعين فرصافا مثلها ولم يطع
 يوسف فرعون ويحفظه ويؤوب عنه الا بعد ان دعاه الى الاسلام فاسلم فحينئذ قال اجعلنى على
 خزائن الارض (ولما استوثق) أمر يوسف الصديق عليه السلام وكل وصارت الاشياء اليه
 وأراد بذلك أن يعوضه على سبيل ما لم يركب محارمه وحلت سنوا الفلام والجوع مات العزيز
 وذهبت الذخائر واقتقرت ذليفا وعى بصرها وجعلت تشكف الناس فقبل لها الوتر تحت
 الملك لعله يرجع اليه وينفك فظالمها حفظته وأكرمه ثم قبل لها لا تقبل لانه ربما يذكر
 ما كان منك اليسمن المرادة والحبر فيسى اليك ويكافئك فيما سبق منك اليه فقالت أنا
 أعلم بحلمه وكرمه وجلسته على راية في طريقه يوم خروجه وكان يركب في زحاما ما أتى
 من عظماء قومه وأهل ملكه فلما أحست به قامت وقالت سبحان من جعل المولى عبيدا
 بمعصيتهم وجعل العبيد مالوا كلباطعتهم فقال يوسف ومن أنت قالت أنا التى كنت اسلمتك
 على صدور قدى وأرجل جنك يسدى وأكرم مثواك ييهدى وكان منى ما كان وذقت
 وبال أخرى وذهبت قوتى ونفسي وعى بصرى وصرت أسأل الناس عنهم من يرجى
 ومنهم من لا يرجى بعدما كنت مغبوبة أهل مصر كلها صرت محرومة منهم بل محرومة منهم
 هذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال لها هل بقى في قلبك من حبك
 اياى شئ فقالت والنى اتخذ ابراهيم خليل الانظرة اليك أحب الى من ملء الارض ذهباً
 وفضة فغضى يوسف وأرسل اليها ان كنت ايماناً وحناناً وان كنت ذات بعل أغنيانا
 فقالت لرسول الملك أعرف بالله من أن يستهزئ بى هو لم يردنى في أيام شبابى وجمالى فكيف
 بقلبى وأنا عجوز عجا فقيرة فامر بها يوسف عليه السلام فحزنت فتمزجها وأدخلت عليه
 نصف قلبه وجعل يعسى ودعا الله باسمه الاعظم فرداه تعالى عليه اشبابا وجمالها
 وبصرها كهيئتها يوم راودته فواقعها فاذا هى بكر فولدت له افسرا ثم يوسف وميثا بن
 يوسف وطاب في الاسلام عيشهما حتى فرق الدهر بينهما فحبب للفقوى أن لا يفسى الضعيف
 والفقى أن لا يفسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب اليه يصير راغبا ومسؤول يصير

سائلا وراحهم بصبر مرحوما (فهذا يوسف) الصديق عليه السلام انظر الى ضعفه في يداخوته
 يوم الجبل ثم ضعفهم بين يديه يوم الصاع (وهذه زليخا) ملكة مصر وسيدة أهلها عادت
 تنكفئ الناس في الطرقات قال الله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
 الارض ومغاربها التي باركنا فيها فكان يوسف عليه السلام بعد هذا يجوع وبا كل خير الشعير
 ولا يشبع فقيل له اتجوع ويسد خزائن الارض قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائعين
 (وقد رأيت) أن ألقه عتقة في مثلها يقتانس العقلاء ويرغب فيها الملوك والوزراء وذلك اني
 لما كنت بالعراق وكان الوزير نظام الملك والغالب على ألقاه خواجه بركة رحمه الله تعالى
 قدور لاني الفتح ملك الترك ابن الب ارسلان وكان قدور لاني من قبله فقام به ولهما
 أحسن تمام فشد أركانها وشيد بنيانها واستقال الاعداء ووالى الاولياء واستعمل
 الكفاة وعم احسانه العدو والصديق والبغض والحبيب والبعيد والقريب حتى ألقى
 الملك بجرانه وذلك ان خلق سلطانه وكان الذي مهد ذلك باذن الله تعالى وتوفيقه انه أقبل
 بكليته على مراعاة جمال الدين فسبى دور العلم للفقهاء وأنشأ المدارس للعلماء وأسس
 الرطابات للعباد والزهاد وأهل الصلاح والفقراء ثم أجرى لهم الجربان والكساوى
 والنققات وأجرى الخير والرزق لمن كان من أهل الطلب للعلم مضافا الى ارزاقهم وعم
 بذلك سائر أقطار مملكته فلم يكن من أوائل الشام وهييت المقدس الى سائر الشام الاعلى
 وديار بكر والعراقين وخراسان باقطاوها الى بحر قند من وراء نهر جيحون مسيرة زهاء مائة
 يوم حامل علم أو طالب أو متعبدا وزاهد في زاوية الاوكرامته شاملة له وسابغة عليه
 وكان الذي يخرج من بيوت أمواله في هذه الابواب سقاة ألف دينار في كل سنة فوشى به الوشاة
 الى أبى الفتح الملك وأوغروا صدره عليه وقالوا ان هذا المال يخرج من بيوت الاموال يقيم
 به جيشنا يركز رايته في سور قسطنطينة فخامر ذلك قلب أبى الفتح الملك فلما دخل عليه قال
 يا أبت بغنى انك تخرج من بيوت الاموال كل سنة سقاة ألف دينار الى من لا يتقنا ولا يفتي
 عنا فكى نظام الملك وقال يا بى أنا شيخ أجهى لو نودى على فحين يزيد لم أحفظ خمسة دنانير
 وأنت غلام تركى لو نودى عليك عساك تحفظ ثلاثين دينارا وأنت مستغل بلذاتك منهمك
 في شهواتك واكثر ما يصعد الى الله تعالى معاصيك دون طاعاتك وجيوشك الذين تعدهم
 للتوابع اذا احتشدوا كل فرعانك بسيف طوله ذراعان وقوس لا ينهى مدى مرماه
 تلما تذر ذراع وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصى والخور والملاهى والمزمار والطنبور
 وأنا أفتك جيشا يسهى جيش الليل اذا نامت جيوشك ليلاً قامت جيوش الليل على
 أقدامهم صفوا بين يدي ربهم فارسلوا دموعهم وأطلقوا بالدعاء السنهم ومدوا الى الله
 أعينهم بالدعاء ولجئوشك فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون وبدعاتهم يتبعون
 ويبركاتهم تطرون وترزقون تحرق مساهمهم الى السماء السابعة بالدعاء والتضرع فبى ابو
 الفتح الملك بكاء شديدا ثم قال شاباش يا أبت شاباش أكثر من هذا الجيش (ومن مناقب)
 هذا الرجل ونصاته انه ان رجلا قصده يقال له أنسعيد الصوفى فقال له يا خواجه أنا بى لك مدرسة
 يغدا بمدينة السلام لا يكون في معسورا الارض مثلها بخلها هذا كرك الى أن تقوم الساعة

قال لفعل وكتب الى وكلائه فيغد ادان يكتو من الاموال قابتاع بقة على شاطي دجلة وسط
 المدرسة النظامية وبناها احسن بقان وكتب عليها اسم نظام الملك وبى حولها أسواقا تكون
 محبسة عليها وابتاع ضياعا وخانات وجامات وأوقفت عليها فكمكت لنظام الملك بذلك
 رياسة وسودد وذكربجل طبق الارض خبره وعم المشارق والمغارب أثره وكان ذلك في سنى
 عشر الحسين وأربع مائة من الهجرة ثم رفع حساب النفقات الى نظام الملك فبلغ ما يقارب
 ستين ألف دينار ثم غنى الخبر الى نظام الملك من الكتاب وأهل الحساب أن جميع ما أنفق فيها
 نحو من تسعة عشر ألف دينار وان سائر الاموال احتجها لنفسه وخاف ذلك فيها فادعاه نظام
 الملك الى امصهان للحساب فلما أحس أبو سعيد بذلك أرسل الى الخليفة في أبي العباس يقول هل
 لك في أن أطبق الارض بذكرك وأنت لك نفرا لاعمه الايام قال وما هو قال نفعا اسم نظام
 الملك عن هذه المدرسة وكتب عليها اسمك وتزين لستين ألف دينار فأرسل اليه الخليفة
 يقول له أنت فخذ من بعض المال فلما استوثق منه مضى الى امصهان فقال له نظام الملك انك قد
 رفعت الشافرا من ستين ألف دينار نفقة وأحب اخراج الحساب فقال له أبو سعيد لا تطل
 الخطاب أن رضى والامحوت اسمك المكتوب عليها وكتب عليها اسم غيرك وأرسل به
 من قبض المال فلما أحس نظام الملك بذلك قال يا شيخ قد سوت ذلك جميع ذلك كله ولا تخ
 اسمنا ثم ان أباسعيد بنى تلك الاموال الرباطات للصوفية واشترى الضياع والخانات
 والبساتين والدور ووقف جميع ذلك على الصوفية فالصوفية الى يومنا هذا رباطا على
 سعيد الصوفى وأوقافه يتقبلون يغداد ففى هذه المناقب فليتنافس المتنافسون وقتل هذا
 فليعمل العاملون فانهم اعز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جيل الذكر
 فاتهم فجد شيئا على الدهر الا لا ذكر حسنا كالأوقاف وقال الشاعر

ولاشئ يديم فكبر حديثا • جيل الذكر فالدينا حديث

فانه زفرصة العمر ومساعدة الدنيا وتقوذا لامر وقدم لنفسك كما قدموا تذكر
 بالصالحات كما ذكروا وادخر نفسك فى الآخرة كما ادخروا واعلم ان الماكول للبدن
 والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر أى الثلاث شئت والسلام (وكا: ابن أبى دواد
 الوزير واسع النفس مبسوط البدين يعطى الجزيل ويستقل الكثير ولا يرد سؤالا ويتدنى
 بالنوال فقال له الواثق أمير المؤمنين يوما قد بلغنى بسط يدك لالعطاء وهذا يتلف بيوت
 الاموال فأتى طريق ساعة ثم رفع رأسه فقال يا أمير المؤمنين ذكرا برأى جرها واصل اليك ومقتاج
 شكرها موصولة بك وانما من ذلك نعشنى فى ابصال الثناء اليك فقال الواثق لله أنت جد
 بالعطاء وأكبر بالشكر والثناء

• (الباب التاسع والاربعون فى سيرة السلطان فى الاتفاق من بيت المال وسيرة العمال) •

اعلم ان يوسف الصديق عليه السلام لما ملك خزائن الارض كان يصوع ويا كل الشعير فقبل له
 أن تجوع ويسدك خزائن الارض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجوعين (وروى) السيق
 باسناده قال لما استخلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه أين تريد قال السوق قال قد جاءك ما يشغلك عن السوق قال سبحان الله يشغلى

عن عيالى المال فترضى بالمعروف قال فأتفق في سنتين وبعض أخرى ثمانية آلاف درهم
ووصى أبو بكر بمن ماله في بيت المال (وروى) هذه القصة الحسن البصري قال لما حضرت
أبا بكر الوفاة قال انظروا لكم أنفق من مال الله فوجدوا قد أنفق في سنتين ونصف ثمانية آلاف
درهم قال اقضوها عني فقصوها عنه ثم قال يا معشر المسلمين إنه قد حضر من قضاء الله ما ترون
ولا بد لكم من رجل يني أمركم ويصلي بكم ويقا تل عدوكم فإن شئتم اجتمعتم واتفقت لكم
وإن شئتم اجتمعتم لكم فوالذي لا إله الا هو ما آلوكم ونفسي خيرا فبكوا وقالوا أنت خيرنا
وأعلمنا فاستقر لنا فقال قد اخترت لكم عمر (وروى) مالك هذه القصة على غير هذا الوجه قال
بلغني ان أبا بكر لما ولي لم يتفق من مال الله شيئا وغدا يوم ما من بني عمرو بن عوف وكانت له هنالك
امرأة من الانصار في جباله يريد أن يبيعها فلفظ به بعض المسلمين فقالوا له ما صنعت هذا يثلك عن
الناس وعن النظر في أمرهم قال فكيف أصنع قالوا استقر للتظرف في أمورهم وتستفق من
هذا المال فباع ذلك الابل وغيره ما ماله الا الارض ثم طرحه في بيت المال فسكان يتفق من
المال على نفسه وعلى عياله ثم كان عمر على مثل ذلك ثم وليه عمر بن عبد العزيز فلم يتفق منه
فقبل له قد صنع أبو بكر وعمر ما قد علمت قال أجل وليكني أخذت من هذا المال فان بكر لي
فيه حق فقد استوفيت وزدت ولولا ذلك لعلت (قال) ابن القاسم قلت مالك فابن قولهم عن
عمر انه ولا تخافين ألقا قال كذبوا انما يقول هذا أعداء الله هو لم يجز لولده سق أبي موسى اياه
حين أخذ منه نصيبه فكيف يأخذ من مال الله ثمانية آلاف فلما توفي أبو بكر استرجع على رضى
الله عنه وباع مسرعيا كما وقال رجل الله أبا بكر لقد كنت والله أول القوم اسلا ما وأكلهم
ايما أنا وأشد هم يقينا وأخوفهم لله تعالى وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأشبههم به هديا وخلقنا ومجتا وفضلنا وأكرمهم عليه وأرفعهم عنده فجاءك الله عن
الاسلام خيرا صدقت رسول الله حين كذب النام فسمالك الله في كتابه صدقا فقال تعالى
والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وأنسته حين تخلقوا وقت معه حين قدوا
وصحبته في الشدة حين تفرقوا أكرم العصبه ثاني اثنين وصاحبه في الفار ودينه
في الهجرة والمزل عليه السكينة وخلقته في أمته أحسن الخلقة فقويت حين ضعف
أصحابك وبرزت حين استكانوا وقت بالامر حين فشلوا ومضيت بقوة اذ وقفوا كنت
أطولهم صمتا وأبلغهم قولا وأشجعهم قلبا وأشد هم يقينا وأحسنهم هملا كنت كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في يدك قوي في أمر دينك متواضعا في نفسك عظيما
محبوبا إلى أهل السموات والارض فجاءك الله عنا وعن الاسلام خيرا (وقال) عمر رحم الله
أبا بكر لقد أنعب من بعده تعباً شديدا (وروى) البيهقي عن عمر رضى الله عنه انه قال اني أنزلت
نفسي من مال الله تعالى بمنزلة ولّي اليتيم ان استغثت استغثت وان اقتضت أكلت بالمعروف
(وفي رواية أخرى) ان احسبت أخذت منه فاذا أبسرت وددته (وفي رواية أخرى) أخبركم
بما استعمل من مال الله تعالى وما قال يعمل لي استعمل منه حلين حله للشئ وحله للقيظ وما
أج عليه وأعتمر وقوتي وقوت عيالى كقوت رجل من قريش لامن أغنياءهم ولامن فقرائهم
ثم انما بعد ذلك رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم (وقال) أنس بن مالك غلا الطعام على عهد عمر

رضى الله عنه ما كل خير الشعير وكان قبل ذلك لا يأكله فاستسكروه بطنه فصوت فضربه بيده
 وقال هو والله ماترى حتى يوسع الله على المسلمين (وقال) أبو عثمان النهدي رأيت عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة موف فيها اثنتا عشر قرعة احداها بدم أحم
 (وقال) عطاء بن السائب استعمل عمر بن الخطاب السائب بن الاقرع على المدائن فدخل
 ايوانا من ايوان كسرى فاذا منه يسير باصبعه الى الارض قد عقد أربعين فقال واقم ما يسير
 هذا الى الارض الا ثم شئ فاستقر واذا مستقر حوام من سفطافيه جوهر فكسب الى عمر بن
 الخطاب أما بعد فاني دخلت ايوانا من ايوان كسرى فرأيت كذا وكذا فاحتقرت فأخرجت
 سفطافيه جوهر فلم أجدا حق به منك يا أمير المؤمنين لم يكن من في المسلمين فاقمهم بينهم انما
 أصبنا شأ تحت الارض فلما قدم السقط على عمر وعليه من السائب فرأى عمر في يده النائم
 كأن نارا أجمت وهو يراد بطن فيها فكسب الى السائب أن أقدم على قال فقد مت عليه وهو
 بطوف في ابل الصدقة قطفت معه الى نصف النهار ثم دعا بجماعه فاعسسل ودعا لجماعه فاعتسأت
 ثم ذهب الى منزله فأتى بطمس غليظ وخبر من حمص فقال اقل من على الباب فاذا سودان من
 الصوفية فأتوا لهم بفعل يأكل معهم فاذا لحم غليظ لا يستطيع أن أسغه وقد كنت تعودت
 دركه أصهنا اذا وضعت في في دخل بطنى ثم دعا بالسقط وقال أنعرف خاتمك قلت نعم فقال
 كتب ترفقي تزعم انى أحق به من أين أصبته فأخبرته قال اذهب فاجعه في بيت مال المسلمين
 حتى أقسمه بينهم (وقال) قتادة قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام فضع طعاما لم يرقبه
 مثله فقال هذا لنا غدا للفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خير الشعير قال خالد بن
 الوليد لهم الجنة فاغرو رقت عيناهم وقال لئن كان خلفنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة
 لقد يا بنيونا بعبدا (وقال) عبد الله بن عمر العمري ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين
 قدم الشام قال لاني عبدة اذهب بنا الى منزلك قال ما تريد ان تقصر عنك على قال فدخل
 منزله فلم ير شيئا فقال عمر أين متاعك لأأرى الابدأ أوشنا وصفت وأت أميراً عندك طعام
 فقام أبو عبدة الى جونة فأخرج منها كسرات فبكي عمر فقال أبو عبدة قد قلت لك انك تقصر
 عندك على يا أمير المؤمنين يكفك من الدنيا ما يظن القليل فقال عمر غرتنا الدنيا بعدك يا أبا عبدة
 (وقال) الضبي بعث عمر بن الخطاب مصدقين فأبطوا عليه والناس حاجتهم شديدة فجاءوا
 بالصدقات فقام فيها متزايبا حتى تصلف في أولها وآخرها يقول هذه لأك فلان وهذه لأك فلان
 حتى اتصف النهار وجاع ودخل بيته حتى اذا أمكن أكله ثم قال من أدخله بطنه أبعد
 الله (وقال) طاوس أجذب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فما أكل سمنا ولا
 سمينا حتى أكل الناس (وقال) سعيد بن جبير ان عمار رضى الله عنه قدم الكوفة وهو خليفة
 وعليه ازاران قطريان قدر قع ازاده بخرقة ليست بطرية فمن وراءه فجاءه اعرابي فنظر الى ذلك
 الخرقه فقال يا أمير المؤمنين كل من هذا الطعام والبس واوكب فانك ميت أو تقول قال ان
 هذا خير لي في صلاتي وأصلح لقلبي وأشبهه بشبه الصالحين قبلي وأجدر أن يقتدى بي من أتى
 من بعدى (وقال) الحسن ان عمر بن الخطاب سينا هو عيسى في المدينة قال لبيد أنى على امرأة من
 الانصار تحمل قرية قسأ لها فذكرت ان لها عيالا وأن ليس لها خادم وأنهم يخرج في الليل فتسقيهم

الماتوا تكثر أن تخفى جالها رجع عمر عنها القربة حتى بلغ منزلها وقال اغدى على عمر غدوة
 بخمرك خادما قالت لأصل اليه قال انك ستجديه ان شاء الله تعالى فعدت عليه فاذا هي به
 عرفت أنه الذي حل قريتها فذهبت تولى فأرسل في أثرها وأمر لها بنظام ونفقة وولم يج عمر
 رضى الله عليه قال كم بلغت نفقتك يا رفا قال ثمانية عشر دينارا يا أمير المؤمنين قال ويحك
 أجبنا سيد مال المسلمين (وقال) شهر بن حوشب لما قدم عمر الشام طاف بكروها حتى نزل
 عمر فقال اكتبوا لي قراهم فرفعوا اليه الرقعة واذا فيها سعيدين عامر فقال من سعيدين
 عامر قالوا أميرنا فحبب عمر وقال كيف يكون أميركم فقيرا فقالوا انه لا يسئ شيا فحبب
 عمر وبعث اليه بألف دينار يستعين بها في حاجته فجعل يسترجع فقالت له امرأته مالك
 أم صابك أمير المؤمنين بشئ قال أعظم من ذلك أتتني الدنيا دخلت على الدنيا واتى سمعت
 النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان فقرا المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم اربعين عاما
 فوالله ما يسرني أنى حببت عن الرعي الاول وانى به ما طلفت عليه الشمس قالت فاصنع
 فيه ما شئت قال هل عندك معونة قالت نعم فأتته بجمارها فصر الدنانير فيها صرا ثم جعلها
 في محلاة وبات يصلى ويكبي حتى أصبح فأعرض جيشا من جيوش المسلمين فأماها كلها
 فقالت امرأته رحل الله لوجبت منها شيا نستعين به فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
 يقول لو طلعت امرأتان من نساء اهل الجنة الى الارض ثلاث الارض من ربح المسك واتى
 والله ما اخارا لعطين فكتبت (وروى) ان عمر رضى الله عنه استعمل على حص رجلا
 يقال له عمر بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه ان يقدم عليه فم يشعربه عمر الآن قدم ما شيا
 حافيا مع حكاكة وادواة وعزودته وقصته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال يا عمر أختنتا
 أم البلاد لا بأسوا فقال يا أمير المؤمنين أمان الله أن تجهر بالسوء وعن سوء الظن وما ترى
 من سوء الحال وقد جعلت الدنيا أجرا لها بقرابها فقال وما عملت من الدنيا قال عكازة أو كاس
 عليها وأدفع بها عدوا ان لقيته وعزودى اهل فيه طعاني وادارنى هذا اهل فيها ما لشرى
 وصلاى وقصعتى هذه أو ضافها وأغسل فيها رأسى وأكل فيها طعماى فوالله
 يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد الاتبع لما معى قال فقام عمر من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عليه وسلم وأبى بكر فبكى ثم قال اللهم ألحقني بصلحى غير مضطرب ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه
 ثم قال ما صنعت فى عمل يا عمر قال أخذت الرقة من اهل الرقة والابل من اهل الابل وأخذت
 الجزية من اهل النعمة عن يدهم صاغرون ثم قمتهما بين الفقراء والمساكين وأبناه السيل
 فوالله يا أمير المؤمنين لو بى منها شئ عندى أمتك به فقال عمر عدالى عليك فقال عمر انشدك
 الله ان لا تردنى الى على فانى لم أسلم منه حتى قلت لذى اخذك الله ولقد خشيت أن يخصمنى
 ثم محمد صلى الله عليه وسلم ولقد سمعت يقول أنا جميع الظالم فلا سمجة سمجة ولكن اتفنى الى
 أهلى فأذنبه فانى أهله فبعث عمر رجلا يقال له خبيب بما تدينى وارفع انت عمر فانزل عليه
 ثلاثا فانك خاتما لي بحق عليك فى عيشه وحال أهله فبى عيشه وان ليك خاتما لي بحق عليك فأدفع
 اليه المائة فانما خبيب فنزل به ثلاثا لم يره عيشا الا لشعير والزيت فلم مضت ثلاث قال
 يا خبيب ان رأيت أن تقول الى جبرائيل فاعل ان يكونوا أوسع عيشا منا أما نحن فوالله لو كان

قوله فلما سمعته هكذا
 فى النسخة التى بالديار
 وله ففى أو استعمل
 ما فى يعقل اه

عندنا غير هذا الاثرناك (قال) فدفعت اليه المائة وقال بعث بها اليك أمير المؤمنين فذهبوا
خلق لا امرأته فصرها اثنتي عشرة سنة والسبعة فقصها فقدم خبيب على عمر فقال
يا أمير المؤمنين جئت من عند أهد الناس وما عند من الدنيا لا قليل ولا كثير فبعث اليه
عمر وقال ما صنعت في المائة عام قال لا تسألني عنها قال تخبرني (قال) قسمتها بين وبين اخواني
المهاجرين والانصار قال فأمر له بوسق طعام وفوقين قال يا أمير المؤمنين (أما الثوبان)
فأقبل (وأما الوسقان) فلا حاجة لي بهما عند أهلي صاع من بر هو كافهم حتى يرجع اليهم
(وروي) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صرار بعامة دينار وقال للغلام اذهب بها الى
عميدة بن الجراح ثم تلكأ ساعة في البيت حتى ترى ما يصنع فذهب به الغلام اليه وقال يقول
لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك قال وصله الله ورحمه (ثم قال) تعالى يا بارية
اذهي بهذه السبعة الى فلان وبهذه اثنتي عشرة الى فلان حتى أتتها ورجع الغلام الى عمر فأخبره
(وروي) قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له اذهب بهذه الى معاذ بن جبل وتلكا في البيت
ساعة حتى تتقار ما يصنع فيها فذهب بها اليه وقال ان أمير المؤمنين يقول لك اجعل هذه في بعض
حاجتك فقال رحمه الله وأوصله (ثم قال) يا بارية اذهبي الى فلان بكذ او الى فلان بكذ اقلالت
امرأته معاذ بن جرحن واقمسا كين فأعطنا ولم يبق في الخرق الا ديناران فرمى بهما اليها فرجع
الغلام فأخبر بذلك عمر فقال عمر انهم اخوة بعضهم من بعض

• (الباب الموفى خسين في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال) •

(اعلم) أرشدك الله تعالى ان اول من اتخذ الدواوين وأجرى الاعطية على ما روي عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وكان يفضل أهل السابعة ثم الذين بلونهم حتى أجرى على العامة شيا
واحدا ثلثمائة واربعمئة وفرض للعمال ما يتدبرهم في كل سنة (وكان) أبو بكر رضي الله
عنه يساوي بين الناس في العطاء ولا يفضل أهل السابغة ويقول انما عملوا الله فاجورهم على
الله وانما هذا المال عرض حاضر يا كله البر والقاجر وليس غنا لعمالهم (وكان) عمر
يقول لا اجعل من قاتل رسول الله كن قاتل معه ولم يقدر عمر الارزاق الا في ولاية عمار فاجرى
على عمار سقما تدبرهم مع عطائه لولاه وكفاه ومؤذنيه ومن كان يلي معه في كل شهر لمابعنه
وبعث معه عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق وأجرى عليه في كل يوم نصف
شاة ورأسها وجلدها وأكارعها ونصف جريب كل يوم وأجرى على عثمان بن حنيف ربيع
شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه (وكان) عطاء وخمسة آلاف درهم وأجرى على عبد الله
ابن مسعود ما يتدبرهم في كل شهر وربع شاة في كل يوم وأجرى على شريح القاضي مائة
درهم في كل شهر وعشر قاجرية (وانما) فضل عمار عليهم لانه كان على الصلاة (قال) مالك
وكان عمر لا يفرض لصغير ربيع فاذا فطم فرض له فرض البيل وصبي يبيكي يبي الرضاع وأمه
لا ترضعه فقال لها عمر ارضعيه قالت اذا لا يفرض له عمر قال بلى هو يفرض له ثم فرض
عمر بعد ذلك للمولود ما يتدبرهم في كل سنة (قال ابن) جنيته وفرض عمر للعمال لكل عيل من
ذكر وأنتى جريين من بر في كل شهر وقسطين من زيت وقسطا من خل ومائة درهم في كل

سنة (قال) والحرب فقبرنا القريظي والقسط قد ربح ربع الزيت بالقريظي (قال) الحسن
وكان عطاء مسلمان خمسة آلاف وكان على زها مائتين الف من الناس (وكان) يضرب الناس
في عمامة يلبس نصفها ويقترب نصفها فإذا خرج عطاؤه امضاء وكان يسف الخوص وبها كل
من حقيقت يديه (وقال) الحسن قدم على عمر بن الخطاب وفد من الصرة مع أبي موسى
الاشعري قال فكأن دخل عليه وله كل يوم خير ثلاث (فريحا) واقفناها مائة بسجن واحيانا
يزت واحيانا بالعين وربما واقفنا القديد اليابس قد دق ثم أغلى عليه بجمار وربما واقفنا اللحم
الغريض وهو قليل فقال لهم يوما اني أرى والله تقذروكم وكرا هيستم للطعام فاني لو شئت
لكنت أطيبكم طعاما وارفقكم عيشا اما والله ما جهل كرا كرا وسخة وأعرف صلاوة وصنابا
وصلائق (قال) والصلاة الشواء والصاب الخردل والصلائق الخبز الرقاق ولكن سمعت الله
تعالى عبر أقواما من فعلوه فقال أذهب طيباتكم في حياتكم الدنيا واستعظم بها فكلنا أبو
موسى فقال لو كنتم أمير المؤمنين لقرض لكم من بيت المال طعاما فاكفوه فكلنا فقال
يا معشر الامراء هل ترضون لاتسكنكم ما أرضا لنفسى فقلنا يا أمير المؤمنين ان المدينة ارض
العيش بها شديد ولا ترى طعامك يغنينا ولا يؤكل طعامك وانا بارض ذات ريف وان أميرنا
يغنينا وان طعامه يؤكل قال فتنظر ساعة ثم رفع رأسه فقال قد فرضت لكم من بيت المال
سنتين وجرمين فإذا كان بالغداة فضع احدي الساتين على احدي الجريين وكل أنت
وأصحابك ثم ادع بشراب ثم اسق الذي عن عنك ثم اسق الذي عن شمالك ثم قم لحاجتك وإذا
كان العشاء فضع الشاة الغابرة على الحرب الا تخو فكل أنت وأصحابك الا ووسعوا الناس
في بيوتهم وأطعموا عيالهم واقموا أظن رستا فلو خفتم كل يوم ساتان وجرميان الا يسرعان
في خرابه (وكان عمر) قد أطعم جريين بالخل والزيت لثلاثين رجلا فكفاهم فأجروا على كل
رجل في كل شهر عن كان في الديوان مكان ما كانت فارس بحريه على خيولهم وأساورهم
(وقال) سجين المسيب وأبوسلة كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا العيال يسلم على
أبوابهم ويقول لكن حاجة وأيسكن تريد ان تشتري شيئا فيرسلن معه بجوابي ومن ليس
عند هاشم لا يشتري لها من عنده وإذا قدم الرسول من بعض الثغور يتبعهن بنفسه في منازلهن
يكتب أزواجهن ويقول أزواجكن في سبيل الله واقفن في بلاد رسول الله ان كان عند كن من
يقرأ والا فاقربن من الابواب حتى أقرأ لكن ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتبين
حتى تبحث بكن بكن ثم يدور عليهن بالقراطين والدواة يقول هذه دواة وقرطاس فاذن من
الابواب حتى أكتب لكن ويمر الى المغيبات فيأخذ كتبهن فيبعث بها الى أزواجهن (وقال)
الرياح بن زياد الحارثي كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن
الخطاب يامهم بالقدوم عليه هو وعمله وان يستخلفوا جميعا فلما قدمت المدينة اتيت برافقتك
يارافقاسترشد وابن سبيل أي الهيات احب الي أمير المؤمنين أن يري فيها عاهة فأومأ الى
الخشوة فالتفت خفي عطارين ولبست جببة تصوف ولبست عمامة على رأسي فدخلنا على
عمر فصفنا بين يديه فصفنا وصوب فلم تأخذ عنده فخرى فدعاني فقال من انت قلت الريح
ابن زياد الحارثي (قال) وماتولى من أعمالنا قلت البحرين قال وكتم تزويقت القفال كثيرا

تصنع بها قلت انتقوت منها شأباً أو أعود على آثاري في ما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس أرجع الى موضعك فربعت الى موضعى من الصف فبعدنا وصوب فلم تقع عينه الا على فدعاني فقال كم سنك قلت خمس وأربعون سنة قال الا حين استكملتم (ثم دعا) بالطعام وأصحابي حديثو عهد بدين العيش وقد تجو عناه فاني بخير وأعضاء بعير لجل أصحابي يعاقبون ذلك وجعلت آكل وجعلت أنظر اليه بلطفي من بينهم ثم سبقت معنى كلمة عمدت الى صفت في الارض ولم أقلمها فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى سلامتك فلو عدت الى طعام اليمين هذا فزجرني ثم قال كيف قلت قلت يا أمير المؤمنين لو تنظر الى قوتك من الطحين ان يخبرك قبل ارادتك ايام يوم ويطبخ لك اللحم كذا فتقوى بالخزينة وبالجم غريضا فسكن غيظه ثم قال هاتراحت قلت نعم (قال) يا ربيع اننا لو شئنا الا نأخذ الرقاب من صلاتك وسألت يعني خيرا الحواري ولكي رأيت الله تعالى عاب على قوم شهواتهم فقال اذهب طيبة اكرم في حياتكم الدنيا واصنعتم بها ثم امر يا موسى باقرارى على علي وان يستبدل باصحابي (وقال) قبيصة بن ذؤيب دعا عمر بن الخطاب عبيدا لله بن سعد وكان على أهل حصن فقال علام صحبتك أهل الشام قال اني أحبهم فاجبرني قال مالك قلت عبيدي وفري وبعل وخذلي (قال) فاذنا تلبس في الشتاء قلت عصاة أشد بهم اراهمي وجبة وكساء قال في انلبس في الصيف قلت قصا وريطة فاعطاني عمر الف دينار (وقال) خذها واستنق منها واعط منها قلت لا اربى فيها وسجد من هو أحوج اليها معني قال خذها فان النبي عليه السلام دفع الى ما لا وهودون الذي أعطيتك فقلت له كاذب قلت فقال يا عمر ما آتاك القم من هذا المال عطا من غير ان تقرر له أو تشر له نفسك فاقبله فاخذه فانطلق به الى امرأته فقال أترين رجلا ههنا من فقراء المهاجرين هو ام من الاغنياء فقالت بل من الاغنياء فقسمها حتى بقيت منها عشرة أطنن فيها ثلاثين أو نحو ذلك فقالت له امرأته اليس لي أنا حق فاعطاها اياه (وقال) زياد بن جندب عينا فشن بختا صرة اذا بامرأة تسأل عن دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فارشدناها الى الدار وقرأت دارا متهممة فقالت لخطاط هناك استأذن لي على فاطمة امرأته عمر بن عبد العزيز قال فادخلي وصوتي بها فانها تأذن لك فدخلت فلما أبصرت ما هناك قالت بحث ارم فقرى من بيت الفقراء واذا رجل يعمل في الطين فسألتهم عن أمير المؤمنين فقالت هو ذلك يعمل في الطين فقالت له يا أمير المؤمنين ما تزوجى وترى عثمان بنات فبكي هربك شديد اثم قال لها ما تريد بن قالت تقرض لمن قال تقرض الكبرى ما سمعها قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله قال ما اسم الثانية قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فطرح القلم من يده وقال لها ما لك لو وليت الحمد أهله لا تمنها من لك مري السبع فليواسين هذه الثامنة

• (الباب الحادى والعشرون فى أحكام أهل الذمة) •

(روى) عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا انكم لم تقدمتم علينا سألناكم الامان لا تقسنا وذرائنا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا ان لا نخذل في مدائننا ولا في محاورها دبرا ولا كيسة ولا قلبه ولا صومعة

راهب ولا يجدد ما خرب منها ولما كان يحططانها في خطط المسلمين في ليل ولا نهار وان
 توسع أبوابها للمارة وابن السبيل وان تنزل من مريتنا من المسلمين ثلاث ليلال قطعهم ولا
 تؤوى في كائنا ولا في منازلنا بسوسا ولا تكتم غنا المسلمين ولا تعلم أولادنا القرآن ولا
 تظهر شرطا ولا تدعو اليه أحدا ولا تمنع أحدا من ذوى قرباتنا الدخول في الاسلام ان
 اراده وان نوفر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس ولا تشبههم في شيء من
 لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا فلقين ولا فرق شعر ولا تكلم بكلامهم ولا تسكني
 بكاهم ولا تركب بالسروج ولا تقلب بالسيوف ولا تتخذ شأنا من السلاح ولا تعلمه معنا
 ولا تنقش على خواتمنا بالعريسة ولا تنسج الثجور وان نجوز مقدم رؤسنا ونلزم زينا حيثما
 كنا وان نكسد الزناير على أوساطنا ولا تظهر صلباتنا وكتنبا في شيء من طرق المسلمين ولا
 أسواقهم ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا بالقراءة في
 كائنا في شيء من حضرة المسلمين ولا نخرج شعائنا ولا باعوشنا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا
 ولا تظهر النيران في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق
 ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نطلع على منازلهم (فلما أتيت) عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالكتاب زاد
 فيه ولا نظير أحدا من المسلمين شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الامان
 فان نحن علفنا في شيء مما نشرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل منا ما يحل من
 أهل المعاملة والشقاق فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان أمض ما سألوه وألحق فيه سرفين
 اشتراطهم ما عظيم مع ما شرطوا على أنفسهم ان لا يشتروا شيئا من سبائا المسلمين ومن ضرب
 مسلما عدا فقد خلع عهده (وروي) نافع عن سالم بن عبد الله بن الخطاب ان عمر كتب الى أهل
 الشام في النصارى أن يقطع ركبهم وان يركبوا على الاكف وان يركبوا في شق وان يلبسوا
 خلاف زي المسلمين ليعرفوا (وروي) ان بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا أمير
 المؤمنين اننا قوم من العرب افرض لنا قال انصاري قالوا انصاري قال ادعوا الى حجاجا ففعلوا
 فجزوا صيهم وشق من أرديتهم حرا يحميتمونها وأمرهم ان لا يركبوا السروج ويركبوا
 الاكف من شق واحد (وروي) ان أمير المؤمنين المتوكل أقضى اليه يهود والنصارى ولم يستعملهم
 واذلهم وأقصاهم وخالف بين زيهم وزى المسلمين وجعل على أبوابهم مثالا للشياطين لانهم
 أهل ذك وقرب منه أهل الحق وباعد عنه أهل الباطل والاهواء فأحيا الله به الحق
 وأمات به الباطل فهو يذكرك بذلك ويتبرحم عليه ما دامت الدنيا (وكان) عمر بن الخطاب رضي
 الله عنه يقول لثلاثة ملأوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا في دينهم ولا تحل في دين الله الرشا
 ولما استقدم عمر بن الخطاب بأمر موسى الأشعري من البصرة وكان عاملا عليها الحساب دخل
 على عرويه في المسجد فاستأذن لكتابه وكان نصرانيا فقال له عمر فأتاك الله وضرب يده على
 فخذه وليت ذميا على المسلمين أما سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تتخذوا
 والنصارى اولياء بعضهم هم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم ألا تتخذت حنيفا
 فقال يا أمير المؤمنين لي كتابه ودينه فقال لا أكرمهم اذا هانهم الله ولا أعزهم اذا ذلهم
 الله ولا دينهم اذا قصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر بن الخطاب ان العدد قد كثر

وان الجزية قد كثرت ففستعين بالاعاجيم فكتب اليه عمر انهم اعدوا الله واهم لنا غششة
فأترلوهم حيث أنزلهم الله ولا تردوا اليهم شيئا وقال عمران بن أسد أنا ما كتاب عمر بن
عبد العزيز الى محمد بن المنتشر أما بعد فإنه بلغني ان في علك رجلا يقال له حسان بن برزى
على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتخذوا الذين اتخذوا دياركم هزوا
ولعبا من الذين أولوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا
أناك كتابي هذا فادع حسان الى الاسلام فان أسلم فهو منا ونحن منه وان أبى فلا تستعين
به ولا تأخذ من غير أهل الاسلام على شيء من أعمال المسلمين فقرأ الكتاب عليه فاسلم (ولما) خرج
النبي عليه السلام الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال اني أريد أن أتبعك
وأصيب منك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن أستعين بمشرك ثم لحقه عند
الشجرة فصرح به أصحاب النبي عليه السلام وكانت له قوة وجلد فقال جئتكم لاتبعكم وأصيب
منكم قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن أستعين بمشرك ثم لحقه على ظهر اليلدا
فقال له مثل ذلك قال تؤمن بالله ورسوله قال نعم فخرج به وهذا أصل عظيم في ان لا يستعان
بكافر هذا وقد خرج ليقا بل بن يدى النبي عليه السلام ويراقدمه فكيف استعملهم
على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا قولوا على أعالنا الا أهل القرآن
فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيافة فكتب اليهم ان لم يكن في أهل القرآن خير فأجدوا ان لا يكون
في غيرهم خير

• (فصل) • ومتى نقض الذي العهد بمخالفته لشي من الشروط الماخوذة عليه لم يرد الى
مانته والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق وقال أصحاب الشافعي ويلزتهم ان يتجزوا
عن المسلمين في النباس وان لبسوا قلانس ميزوها عن قلانس المسلمين بالخرق ويشدون الزنابير
في أوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من رصاص أو نحاس أو جرس يدخل معهم الحمام
وليس لهم ان يلبسوا العمام والطبلسان وأما المرأة فتشدد الزنا رقت الا زاروقه ل فوق
الازار وهو الادنى ويكون في عنقه خاتم يدخل معها الحمام ويكون أحد خفيها أسود
والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ويركبون البغال والحير بالاكف عرضا ولا يركبون
بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدون بالسلام ويلبسون الى أضييق الطريق
ويعنون ان يسلوا على المسلمين في البناء ويجوز المساواة وقيل لا تجوز بل يمنعون وان
تخلكو اذ اعالية أقرواعليها ويمنعون من اظهار المنكر كالحر والخنزير والناقوس
والبهز بالتوراة والانييل ويمنعون من المقام في الحجاز وهي مكة والمدينة والجمامة
ويجعل الامام على كل طائفة منهم رجلا يكتب أسماءهم وحلهم ويستوفي جميع ما يؤخذون
به من جميع الشروط وان امتنعوا من اداء الجزية والتزام أحكام الملة انتقض عهدهم
وان زنى أحدهم عسلة أو أصابها بشكاح أو أوى عينه للكذار أو دل على عورة للمسلمين أو فتن
مسلمين دينه أو قسله أو قطع عليه الطريق أو ذكر الله ورسوله بما لا يجوز قيل ينتقض
وان فعل ما يمنع منه مما لا ضر فيه كركب الفيل واطهار الخمر وما أشبههم ما عزو عليه ومتى
فعل ما يوجب نقض العهد رد الى مأمته في أحد القولين وقتل في الحير في القول الآخر

• (فصل) في تقدير الجزية باختلاف بين العمل انما مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب
 به عمر الى عثمان بن حنيف الكوفة فوقع على القتي غلبته وأربعون درهما وعلى من دونه
 أربعة وعشرون درهما وعلى من دونه اثنا عشر درهما وهذا مذهب أبي حنيفة وابن
 حنبل واحمد قولي السلفي وجعلوه كاه حكم امام فلا يتقص وقيل انها مردودة الى
 الامام في الزيادة والنقصان وهو الاقرب وقيل انها لمقدرة الاقل دون الاكثر فيصرف للامام
 ان ينزله على ما قدره عمر ولا يجوز ان ينقص عنه وقال بعضهم يجوز ان يساوي بينهم من كل
 واحد دينار وقال مالك بن نويرة المومنين المومنين أربعين درهما ومن القتي دينار وعشرة دراهم
 ويقترح على مذهب مالك في وجوب تقدير طرفيها قولان بناء على العشر المأخوذ منهم هل هو
 تقدير شرعي لا يجوز زيادته والنقصان وعن مالك نفسه روايتان ولا جزيه على النساء
 والمالكة واليهانين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن سلام
 عليك أما بعد فإن أهل الكوفة قد أساء بهم بالأعرشة وجورهم العمال وسق سبعة منها
 عليهم على السوء فأحرز عليهم أرضهم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب
 ولا تأخذ من الخراب الا ما يطبقون ولأمن العامر الا وظيفة الخراج الا وزن سبعة قلس
 لها أس ولا اجور الضرابين ولا اداة القضة ولا هدية الثوروز والمهرجان ولا من المصنف
 ولا اجور البيوت ولا دراهم التكاكح ولا خراج على من أسلم من أهل الارض والواجب
 أن يؤخذ ما ضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من كل جريب كرم عشرة دراهم ومن كل
 جريب شغل ثمانية دراهم ومن كل جريب حنطة أربعة دراهم ومن كل جريب شعير دراهم
 • (فصل) وأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تهدم كل كنيسة لم تكن
 قبل الاسلام ومنع أن تبنى كنيسة وأمر أن لا تقهر عليه خارجة من كنيسة ولا يظهروا صليب
 خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عمرو بن محمد يهدمها بفسادها وهذا مذهب
 علي بن الحسين أبوعين وثبت في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الاسلام بيعة
 ولا كنيسة بمال قديمة ولا حديثة وهكذا قال الحسن البصري قال من السنة أن تهدم
 الكنائس التي في الامصار القديمة والحديثة ويمنع أهل النعمة من بناء ما خرب قال
 الاصطخري ان طينو اظاهر الحائط منعوا وان طينوا داخله الذي يلهم لم يمنعوا ويمنعون ان
 يعلوا على المسلمين في البناء ويجوز المساواة قبل لا تجوز

قوله الا وزن الخ كذا بالاصل
 اه

• (الباب الثاني والخمسون في بيان الصفات المستبعدة في الولاة) •

اعلم أرسلك الله تعالى ان منزلة العمال من الولاة منزلة السلاح من المقاتل فاجتهد جهده
 في ابتغاء صالح العمال واذ انقاد الولاة لعمال الصدق كان كقتل المقاتل السلاح يوم الحرب
 ويحتاج الى طبقات الرجال كما يحتاج الحرب الى اصناف الصدة فمنها الدرق للاستبصار
 والسيف للمناجزة والرمح للمطاعنة والسهم للصاعدة والمدرع للخصم ولكل منها موضع
 ليس الاخر والرجال المملكت كالاداة الصانع لا يصد بعضها مد بعض كذلك طبقات الرجال
 المملكت منهم الراي والمشورة ومنهم لادارة الحرب ومنهم لمباشرة الحرب ومنهم لجمع الاموال
 ومنهم لمغالطتها ومنهم للصاية ومنهم للكتابة ومنهم للجمال والفخر ومنهم للمباهاة والذكر

ومنه سم لدعاهم الوفا ومنهم العلم والفتيا وحفظ أساس الملة فلا يكمل الملك ملكا لم يجمع
هذه الطبقات وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما مات كسري بلغ موته رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال من استخلفوا قالوا ابنته بوران قال لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة
وقال ابن عباس لما كانت فتنة الحرقة قيل من استعمل القوم قالوا عبد الله بن مطيع على
قريش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الأنصار قال أميران هلك والله القوم وليس يشترط إلا
في الإمامة العظمى دون سائر الولايات (ولما) استخضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين
وكان من الخطباء قال له هشام بلغني أنك تخطب للخلافة ولا تصلح لها إلا ابن أمة قال زيد
فقد كان اسمي بن إبراهيم بن أمة واسمي بن حوة ومحمد عليه السلام من ولد اسميل ثم اتهمه
في أمر فقال له زيد أنا أحلف لك قال هشام ومن يصدقك قال زيد انه ليس أحد فوق أن يأمر
بتقوى الله ولا أحد دون أن يؤمر بتقوى الله وقال بعض الخلفاء دولي على رجل أسأله
على أمر قد أهدمتي قالوا وكيف تريد قال إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كائنه أميرهم
وإذا كان في القوم وهو أميرهم كان كائنه رجل منهم قالوا ما فعله إلا الرضيع بن زياد الخولاني
قال صدقتم هولاء ويروي أن عمر بن عبد العزيز استشار في قوم يستعملهم فقال له بعض
أصحابه عليك بأهل العدل قال ومن هم قال الذين انعدوا فوهم ما رجوت وأن قصروا قال
الناس اجتمع عمر (ولما) قُبِضَ البريد من بشر بن مروان على عبد الملك بن مروان سألته عن
بشر قال يا أمير المؤمنين هو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف فقال عبد الملك ذلك الأعسر
الاجود الذي كان يأمن عنده البريء ويخاف لديه السقيم ويعاقب على قدر الذنب ويعرف
موضع العفو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال
الحكيم اعتبر الرجال بأفعالهم لا بعظم أجسادهم فإن التسميع عظمه لا يأكل إلا المبتا
وطير الماء مع ضفده يتصاحى ميت السمك ويأكل الحي منها (وفي) حكم الهند السلطان الحازم
ربما أحب الرجل فأقصا وأطرحه مخافة ضره كالسوسعة تطلع أصبعه ثلاثين مرة السم في
جسمه وربما يفض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغناه يجده عنده كسائر المرء
على الدواء البشع لنفعه إلا أن الإسلام شرط فلا تقسم هذه السيرة عليها ألا ترى أن علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه لما افقت الخلافة إليه كانه ما وية واليا على الشام من قبل عمر
عثمان فاستشار في أمره فقال له بعضهم اقره على أمرته وأرسل إليه بعده فاذا دخل
في بيتك فاعزله فقال له وحك الله أنأمرني أن أطلب العدل بالجور ثم عزله فكان سبب
عصيانته وهكذا أشاروا عليه فقالوا يا أمير المؤمنين لو فضلت هؤلاء الأشراف ومن تتخوف منهم
وانما الناس أصحاب دنيا حتى إذا استوتق الأمر عدت إلى التسوية فقال أنأمرني أن أطلب
العدل بالجور فيمن وليت عليه والله لولا كان مالي لسويت بينهم ولم أفضل بعضهم على بعض
فكيف والمال لهم واعطاء المال في غير حقه تبذير وسرف وهو يرفع ذكر صاحبه في الدنيا
ويضعه عند الله في الآخرة ولن يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير الله إلا حرمه الله تعالى
شكرهم ويصير لغيره ودهم فأنبى معهم منهم من يظهر له الود والشكر فذلك ملق وخديعة
لبنال منه فانزلت به النعل يوما فاحتاج إلى معوته وبكافاته ما سلف من مبرته فسر خليل

والام خدين وابالك أيها الوالي وحسب المدح فان من أحب المدح عد كمن مدح نفسه وإذا علم ذلك مثل يجهل الناس على القضاة حواشيهم منك فحينئذ يكون قضاء الحوائج لنفسك لالهم وقال النبي عليه السلام احتشوا في وجوه المداحين التراب ومعهم المقداد رجل لا يدع عثمان ابن عفان فأخذ كفاه من تراب فالتقاء في وجهه ومعهم النبي عليه السلام ورجلا يدع رجلا فقال قطعت ظهر أخيك لوسعهما ما أفزع بهما ووصف اعرابي أميرا فقال كان إذا ولي لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم شاهد معهم فالحسن راج والمسي مخاطب وقال عبد الله بن الزبير وما لا يدع ابن هند ان كانت فيه لخارج ما لم يجدها في أحد بعده أبدا والله ان كنا لنعرفه وما الليث الحرب على برائه باجر أمه فمتقارق لنا وان كنا نخدعه وما ابن ليل من الأرض بأدهي منه والله لو ددت أنامته ناهي مادام في هذا حجر وأشار إلى أبي قيس لا يتخون له عقل ولا ينته له قوة وقال الصنابحي كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة كتابا في مثل اذن القارة أما بعد فانه لا يقيم امر الله في الناس الا حسب العدة بعد الغرة لا يطلع الناس منه على عورة ولا يحق في الحق على الجرة ولا يخاف في الله لومه لائم (وقال) مالك جابر رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسأله ان يكتبه كتابا في أمر فقال اذهب إلى منزلنا فأتني بدواة وقرطاس فذهب فلم يجد فقال اطلب عندهم شيئا فذهب فلم يجد عندهم الا اذن مزود فكتبه في تلك الاذن (ولما) ولي المأمون يحيى بن أكنم قضاء البصرة بعد ان استمع من عقله وعلمه واتممه بمائل فوجدته فوق ما يريد فالتقاء وجوه البصرة قرأوا شابا صيا ما بقلت لحبته فتعجبوا ونظر بعضهم إلى بعض يقبلون الا كفت ويغزون الحواجب فقال بعضهم كم سن القاضي أصله الله قال مثل سن عتاب ابن أسيد لما ولاه النبي عليه السلام مكة فها هو لحد جوابه وعرفوا فضله وكان لعتاب بن أسيد احدي وعشرون نسخة لما ولي مكة وكان عمر يقول لا يصلح ان يلى أمور الناس الا صيف العقل وأقر العلم قليل الغرة بعد الهمة شديد غير عفيف لين في غير ضعف جواد في غير سرف لا يخاف في الله لومه لائم وقال أيضا ينبغي ان يكون في الوالي من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده في الحق كقتل عصفور ويكون فيه من الرقة والحنو والرافة والرحمة ما يجوز من قتل عصفور وبغير حق (ويروى) ان الرشيد أحضر رجلا ليويله القضاء فقال له اني لأحسن القضاء ولا نأفقه فقال له الرشيد فيك ثلاث خلال الشرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم يمنعك من الجلبة ومن لم يجعل قل خطوه وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثير صوابه وأما التفقه فظم اليك من تنقحه به فولى فاجودا وفيه مطعنا وقال اياك بن معاوية استخضرتني عمر بن هبيرة فحضرت فساكتي فساكتي فلما طلت قال ايه قلت سل عما يدالك قال أنقر القرآن قلت نعم قال فهل تقرص المقرض قلت نعم قال فهل تعرف من أيام العرب شيئا قلت انما أعلم قال فهل تعرف من أيام الجهم شيئا قلت انما أعلم قال اني أريد أن أستعين بك قلت ان في ثلاثا لا أصلح معهن للعمل قال ما هن تلك أنا دميت كاتري وأنا حديد وأنا نعي قال أما الدمامة فاني لا أريد ان أحسن بك وأما النعي فاني أرا لك تعرب عن نفسك وأما سوء الخلق فيقومك السوط فولاني وأعطاني ألف درهم فهو أول ما عوته وقال سليمان بن داود

عليها السلام ما لا قوة له بولس أنتالها باصعب من لقما بجل راض عن نفسه

• (الباب الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهود التي تؤخذ على العمال) •

اعلم أرسدك الله انه يجب أن يولي على الاعمال اهل الحزم والكفاية والصدق والامانة وتكون التوبة لغناء اللهوى وملاك الولايات وأساسها أن لا يولي الاعمال طالب لها ولا راغب فيها روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الاشعري قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو رجل قل سلنا عليه قال حاجي يا رسول الله استعملني فقال عليه السلام انا لا نستعمل على علمنا من أراد فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما عرفت الذي في نفسه (وقد روى) عن بزرجهرو قد قيل له ما بال ملك أكل ساسان ما رآه الى ما صار اليه قال لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال وقدر عرو بن العاصي حيث قال موف أقم من العيلة أقل ضررا من ارتضاع واحد من السفلة • وقال العلامة بن أيوب غضب المأمون على بعض أصحابه غضبا شديدا ثم قال له لا أملك الله وأبيلك دولة السفلى وقال رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لرجل قد آذاه أدركت امرأة الصبيان وقال المستوغر الأكبر وكان قد عمر في الجاهلية ثلثمائة سنة

وما سقطت يوما من الدهر أمة • الى الذل الآن يسود ذمها

إذا ساد فنبأ بعد ذل لثمتنا • تصدى لنا ذل وقد أديتها

وما قادها للغير الا بحزب • علم باقبال الامور كرمها

وما كل ذي لب يعاش بضله • ولكن لتدبير الامور حكمها

واعلموا ان معظم ما يدخل على الدول من الفساد من تقليد الاعمال اهل الحزم عليها لانه لا يخطبها الا لص في ثوب ناسك وذئب في سلاح عابد حريص على جمع الدنيا فابذله بيه وصروته دليل على الخيانة يتخذون عباد الله خولا وأموالهم دولا واذا اهتمت حقوق المسلمين وكات أموالهم فسدت نياتهم وقلت طاعتهم فانتقضت الامور ودب الفساد الى المال وقد ذكرنا في أول الكتاب الا تاري كراهية الولايات (وقال المأمون) ما فتى على قط فتى في ملكتي الا وجدت عليه جورا للعمال (فان قيل) قلناه في قول يوسف عليه السلام للملك اجعلني على خزائن الارض اني خفيظ عليم (قلنا) يوسف كان نبيا من أنبياء الله تعالى وثقامن نفسه بالكساية والامانة بين يدي من لا يتحقق بواطن أسراره ولا يعلم خصائصه ونفائله ويرى الامور والاعمال والولايات في أيدي من ليسوا أهلها ويجوز مثل هذا اليوم لمن حصل بين يدي جبار لا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والقضائل أن يذ كر بعض ما يعلم من نفسه ليه لم قدره فيسلم بذلك من شره وعن هذا قال بعض أصحاب الشافعي اذا كان القضاء في يد من لا يصلح له وجب أن يخاطبه من يصلح له وكان ذلك قرضا عليه وفقها الاما صاع على خلاف هذا الرأي ويحتمل أن يكون يوسف عليه السلام قد أوحى اليه بما يصير أمره اليه من الملك والعدل وشركه الاسلام قل هذا نبه على نفسه • ومن عجيب ما يروى في هذا الباب ان لقمان الحكيم كان عبدا أسود حبسا على الشقيق مصفع القدمين لاهر أتمن بن الحسن وكان جليسا لاداد وعليه السلام نأناه جبريل عليه السلام بالثبوت من عند الله الذي يصافي لتبونه من يشاء فقال لقمان

يا جبريل ان امر في ربي فسمع وطاعة وان خيرتي اخترت الحكمة فرضي الله تعالى قوله فأعطاه
 الحكمة وصرف عنه الرسالة الى داود عليه السلام فكان داود يقول طوبى لك يا لقمان
 أوتيت الحكمة وأوتى داود البلية • وروى أنه جالس داود عليه السلام وداود يعمل المدرع
 فأقام حولاً يصرف عنه المدرع ولا يعلم ما يصلح له ولا يسأله عن ذلك فلما تم حول لبس داود المدرع
 وقال درع حصينة ليوم حرب فقال لقمان الصمت - حكمة وقليل فاءله • وكان عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه اذا بعث عاملاً اشتراط عليه أن لا يركب البراذير ولا يلبس الرقيق ولا يأكل
 النقي ولا يتخذ حاجباً ولا يفتق بئاع حوائج الناس وما يصلحهم ويقول له اني لا أستعملك
 على أبتارهم ولا أعراضهم ولا أعمالهم وانما استعملك لتعلمي بهم وتقضي بينهم بالعدل
 (ووروى) عباية بن رفاعه قال بلغ عمر بن الخطاب ان سعد بن أبي وقاص اتخذ قصراً وجعل عليه
 باباً وقال انقطع الصوت فأرسل عمر محمد بن مسلمة وكان عازاً أحب أن يوقى بالامر كما هو
 عليه بعنه فقال له انت بعد افارق عليه بابه فقدم الكوفة فلما أتى الباب اخرج زنده واستورى
 نادى ثم اسرق الباب فأتى سعد الخبر ووصف له بصفته فغمره فخرج اليه • فقال له محمد بن
 قديس أمير المؤمنين انك قلت انقطع الصوت فقلت سعد بالله ما قال ذلك فقال له محمد بن قديس
 الذي أمر نابه وفودى عندك ما تقول ثم ركب رحلته فلما كان يطير البرية أصابه من الخوص
 والجروح مما الله به أعلم فابصر غم • فأرسل غلامه بعمامته فقال اذهب فاذبح منهم ثاة فجاء الغلام
 بالشاة وهو يصرى فأراد ذبحها فاشار اليه أن كف فلما قضى صلاته قال انظر فان كانت مملوكة
 مسيماً لا ترد الشاة وخذ العمامة وان كانت حرة فاذبح الشاة فذهب فاذا هي • لم لوكة فرد
 الشاة وأخذ العمامة فاخذ بضمها ما نطقه فجعل لا يمر بقة الا خطفها حتى آواه الليل الى قوم
 فأتوه بجنزولين وقالوا لو كان عندنا شيء غير هذا أتيناه اليه فقال بسم الله كل - لال أذهب
 السغب خير من ما كل السوء حتى قدم المدينة فنزل بها له قابض من الماء ثم راح فلما أبصر عمر
 رضي الله عنه قال له لولا حسن الظن بك ما رأينا أنك أدبت وذكروا أنه أسرع السير فقال
 قد فعلت وهو يعتذر ويخف بالله ما قال فقال عمر هل أمر لك بشيء قال ما رأيت مكاناً أن
 نأمر لي فقال عمران أرض العراق أرض رفيقة وان أهل المدينة يموتون حولي من الجوع
 فخشيت أن أمر لك بشيء يكون لك بارده ولى الحار • وروى زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي
 الله عنه استعمل مولاه يدعى هنياء على الحى فقال لهنى اضم جناحك عن المسلمين واتق دعوة
 المظالم فان دعوة المظالم مستجابة وأدخل رب الصرية والخنجة وأياك ونعم ابن عوف ونعم بن
 عخان فلم - ما ان تم لك ما يتم ما يرجع ان الى زرع وفحل وان رب الصرية والغنية ان تم لك
 ما شيت ما ياتيني فينبه فيقول يا أمير المؤمنين اقتاركمهم انالاً بالاك فالما • والكلأ أبصر على من
 الذهب والورق وراى الله انهم ليعرون انى قد ظلمتهم ام التلادهم فانالوا عليها فى الجاهلية وأسألوا
 عليها فى الاسلام • والذى نفسى يده لولا المال الذى أحل عليه فى سبيل الله ما حيت عليهم من
 بلادهم شبرا (ومر) يوماً بينا وبينى ببجارية وجص فقال لى هذا أفذكروا أنه لعامل من عماله
 على البحر من فقال أبت الدراهم أن لا تخرج اعناقها واسمها • (وكان) يقول لى على كل
 خائن أبتان الماء والطين • وكان أفوشروان يكتب على عهد العمال من خبايا الناس بالحبسة

وامرئح العامة الرغبة بالرهبة وسس مسطلة الناس بالخافة (وقال) سليمان بن داود عليه السلام كما يصلح المؤمن للقرس والرس للعمار كذلك يصلح القضيبة لظهور الجهال وفي الامثال من لم يصلح بالدين اُصلح بالتلين • وقال هلال بن سيار استعمل النبي صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية فلما رجع قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف رأيت الامارة بامغيرة قال خرجت يا رسول الله وماء • رى اننى فضل اهل على أحد من القوم فارجعت الا وكأنيهم عبيدى قال وكذلك الامارة بامغيرة الامن وقام اقدسرها قال والنبي بعثك بالحق لا اعمل على عمل أبدا (وقيل) لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يمنعك ان تقضى العمل فى الافاضل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال هم اهل من أن أنفسهم بالعمل • وقال ابراهيم النخعي كان عمر اذا قدم عليه الوفدا لاهم عن حالهم وأسعارهم وعن يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا كتب اليه ان اقبل • ومثل السلطان اذا ولي العمال الظالمين مثل من يسترى غنمه الذئاب ومثل من يربط الكلب العقور يبايه وان العامة تشتم الجراح بن يوسف والخامسة تلوم عبيد الملك بن مروان لانه الذى استرعاه الرعية وقد قبل

ومن يربط الكلب العقور يبايه • تقع جميع الناس من رباط الكلب وكان العلاء بن ابي بلالولى فارس من قبل المأمون يكتب عهد العمال فيقرؤه على من يحضره من أهل ذلك العمل ويقول انتم عيوني عليه فاستوفوه منه ومن قظم الى منه فعلى انصافه ونفقه جاتيا وراجعا يأمر العمال ان يقرؤا عهد على أهل عملهم فى كل جمعة ويقول لهم هل استوفيت

• (الباب الرابع والخمسون فى هدايا العمال والرشا على الشفاعات) •

روى أبو داود فى السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من شفع لآخره مشقة فاهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا والسرفية أنك اذا قدرت على قضاء حاجة من عند السلطان الظالم أو اليد القاهرة ما رذلك واجبا عليك • وروى البخارى فى صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا يقال له ابن التينة فلما جاء قال يا رسول الله هذا لكم وهذا لى قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما بال الرجل نستعمله على عمل من أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا لى أفلا تعد فى بيت ابيه وامه فينظر هل يهتدى له • قال مالك وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشاطر العمال فى أخذ نصف أموالهم وشاطر ابا هريرة وقال له من ابن لك هذا المال فقال ابو هريرة دواب تنابج وتجاران تداولت فقال اذا الشطر وانما شاطرهم • حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم • وروى مالك عن ابن عمر انه اشترى هو وعبيد الله أخوه بلا فبعناهما الى الخي فرعت فقال عمر عيمتا فى الخي فشاطرهما وشاطر سعد بن ابى وقاص حين قدم من الكوفة كاه رأى أن ما أصاب العامل من غير رشوة وان كان حلالا فلا يستحق ذلك لان هيا الامرة قوة على أن ينال من الحلال ما لا يبالغ فيه فجعله كالضارب للمسلمين وما دفع ابو موسى الاشعري ما لا من بيت المال لعبيد الله وعبيد الله ابى عمر بن الخطاب بالبصرة

اشترى منهم بضاعة فربحت بالمدينة فأراد عمران يأخذ جميع الربح فراجعهم عبد الله فحكم بينهم
بنصف الربح فأخذ الجميع نصف الربح وأخذ عمر النصف أبيت المال (وكتب) عمر بن
عبد العزيز إلى عماله أما بعد فاتموا ذلك من كان قبلكم عنهم الحق حتى يشتري ويبتاعهم
الماتل حتى يشتري الملك بالدين يقوى والدين بالملك يبق (وكان) عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بأمر إذا قدم عليه العمال أن يدخلوا نهارا ولا يدخلوا ليلا كي لا يجنبوا شباً أمن الأموال
• وقال عتاب بن أسيد والله ما أصبت في علي الذي ولاي النبي صلى الله عليه وسلم الأخوين
معهدين كسوتهم مامولاي كيسان • وروى أن علياً رضي الله عنه استعمل أبا موهود الأنصاري
على السواد فخرج إلى داره وقد امتلأت فقال ما هؤلاء قالوا كذلك يصنعون بالرجل إذا
استعمل قال كل هؤلاء يريدون أن يأكلوا في أمانتي وروى في أمانتي فرجع إلى علي وقال
لا حاجة لي في العسل وقد ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن مرة ليستعمله
فقال يا رسول الله اختر لي قال الله في بيتك • وفي الأمثال إن الهدية تعمى وتعمى وقال بعض
الحكماء الرثوة رشا الحاجة وأنشد بعضهم

إذا أتت الهدية دار قوم • تطايرت الأمانة من كواها

(ولبعضهم)

إن الهدية حلاقة • كالسحر تجلب القلوبا
تدني البعيد من الهوى • حتى تصيره قريبا
وترد مضطرب العدا • وتبعده بجفوة حبيبا

(ومما قلته في الرثوة)

وأكرم من يدق الباب شخص • ثقب الجمل مشغول البدين
بنو • إذا مشى نقسا ونحنا • وينطح بابه بالركبتين
وأكرم شافع يمشي عليها • أبو المنقوش فوق الصفحتين

(وقلت أيضا)

إذا كنت في حاجة مر سلا • وأنت بالنجارها مغرم
فأرسل يا كمي خلافة • به صم أغطش ابكم
ودع عنك كل رسول سوى • رسول يقال له درهم
(وكتب) عبد الملك بن مروان إلى قاضي الحارث بن عامر وقد ارتشى بكرمه
إذا رشوة من باب بيت تقمعت • تسكن فيه والامانة فيه
سعت هرمانه وولت كأنها • حلیم تولى عن جواب سفيه

• (الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق)

اعلموا أرشدكم الله تعالى أن هذا الباب مما غلط الخلق فيه وقبلوا القوس ركوة وعمدوا إلى
اختلاق العامة وخلأ في القوفا والأديان وما يجري بينهم إذا تلاقوا وتعاشر وامن
الأفراد مدح بعضهم بعضا وتعاظمهم الكذب والتصنع والمقاة والمراة والمعارضة

عن الامور المكنونة التي يسوء اظهارها والاختراف في سلك المزاج والمهاترة فهذا وما
اشبهه عندهم من حسن الخلق وهو عندنا نقض مانصر الله عليه ورده ولهم من حسن الخلق
قائل ذلك ان تعلم انه لم يمتصوا الارض على بشر احسن خلقا من محمد صلى الله عليه وسلم فكل من
يخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم او قاربها او بعضها كان احسن الناس خلقا
وكل خلق ليس بعد من اخلاقه صلى الله عليه وسلم فليس من حسن الخلق وهذا فضل الخطاب
في هذا الباب لمن عقل وانما ارقى الناس في هذا الباب لانهم استحسنوا الاخلاق العلية
واستحسنوا الاخلاق النبوية بلهلمهم باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم وهاتان اثنان عليك
من اخلاق الانبياء والمرسلين والاوليا والاصفياء والعلماء والصالحين ما ترجوان يقتضا
الله واياك به قال الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم
الله نبيه من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهدي عالم
بؤنة غيره ثم ما اتى الله تعالى عليه شي من فضائله بمنزل ما اتى عليه بحسن الخلق فقال وانك
لعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ ان الله سبحانه دعا الخلق الى حسن الخلق ودعا نبيه
عليه السلام من حسن الخلق (قال عبيد الله بن عمر) قلت لعائشة أم المؤمنين صف لي خلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لي اما قرأ القرآن كان خلقه القرآن وحسبك بهذا
القول منقبة للرسول صلى الله عليه وسلم وتعرف بالبحسن الخلق فاذا كان خلق النبي صلى الله
عليه وسلم القرآن فالقرآن يجمع كل فضيلة ويحتسبها وينهى عن كل نقيصة ورذيلة
ويوضحها ويبينها ولذلك لما نزل الله تعالى خذ العقوبة والاعرف واعرض عن الجاهلين
قال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال ان الله تعالى يأمرك أن تفصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عن ظلمك فهذا من حسن الخلق كما ترى فالخلق ابن اخلاق
العامية من هذا الخط وان احدهم يقطع من وصله ويحرم من اعطاه ويظلم من ساله
ويغضب على من اتهمه وانما اقتصر على هذه الكلمات لانها اصول الفضائل وينبوع
المنافع لان في اخذ العقوبة الناطع والصفح عن الظالم واعطاء المنافع وفي الامر بالمعروف
نقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان وفض الطرف عن المحرمات وفي تقوى الله خيل
جميع آداب الشرع فرضها ونفلها وفي الاعراض عن الجاهلين الصفح والحلم وقوة
النفس عن مكاراة السفه ومجاراته الجوع فلهذا الاصول الثلاث تتضمن محاسن الشرع
نصا وتاميا وضمنا واعتبارا (وروى) انس قبل يا رسول الله اي المؤمنين افضل قال احسنهم
خلقا (وروى) ابوداود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يبعث لائهم مكارم الاخلاق
اقتضى الحديث ان كل نبي مبعوث الى امة انما يبعث ليعلم الخلق حسن الخلق وان يتبينوا محمدا
صلى الله عليه وسلم يبعث ليعلم مكارم الاخلاق فاذا حسن الخلق امتثال الشرائع باسرها
(وروى) البخاري عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قاحشا ولا متعشرا قال وان من
أحبكم الي احسنكم اخلاقا وكان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وعليه رداء
فجراني غليظ الحاشية فبذره اعرابي حذيفة شديدة حتى أثرت حاشية الرداء في عنقه وقال يا محمد
مر لي من الله الذي آتاك فقلت تأمر لي بمالك ولا جمال أريد فالتفت اليه النبي صلى الله

عليه وسلم وقال مرواه ولم يكلمه بشئ (وروى) معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
 في حسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل * واعلموا ان الخلق الحسن أفضل مناقب الصديق يظهر
 حواجر الرجال والائمة ان مستور بخلقهم مشهور بخلقهم ألا ترى ان الله تعالى خص نبيه صلى
 الله عليه وسلم بما خص به من الفضائل ثم لم يثن عليه بشئ من خصاله بمنزل ما نثني عليه بخلقهم
 * وقال بعض المفسرين في قوله تعالى والذ لك لعل خلق عظيم قال لا تخصم ولا تخصم من شدة
 معرفتك بالله تعالى وقيل لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد معرفتك بالخلق وقال المحاسبى كظم
 الغيظ وانظر الطلاقة والبشر المبتدع أو قاجر الآن يكون قاجرا اذا انبسط استغيا
 والعفوع عن الزاين الابواب أو قاطم كذب الذي عن كل مسلم ومعاهد الالتغير
 منكرا وأخذ مظلة الظلوم فهذا حسن الخلق وقيل حسن الخلق ان لا تتغير عن يقيني
 الصفا بجنبك (وقيل) فلا حيف عن ثعلب حسن الخلق قال من قيس بن عاصم المتقري قال
 بينما هو ذات يوم جالس في داره اذ جاءه خادمه يسوقه عليه شواء فسقط من يده ما وقع على ابن
 له فغضب فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى * وكان ابن عمر اذا رأى
 واحدا من عبيده يحسن الصلاة يعتمقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يعتسبون الصلاة مع الله
 فكان يعتقهم فقل في ذلك فقال من خدعتنا في الله اخذنا الله * وقال الفضل لو ان امرأ
 أحسن الاحسان كله وكانت له حاجة واساء اليها لم يكن من الحسنين (وكان المحاسبى) يقول
 فقد نال الله أشياء محسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الامانة وحسن الاخامع الوفاء
 وقال الحسن بن علي رضوان الله عليه عنوان الشرف حسن الخلق * وكان عبد الله بن محمد
 الرازي يقول حسن الخلق استغفار ما منك واستعطف ما اليك (وقال سهل) حسن الخلق ان
 لا تطمع فيما ليس به هذه الصفة أحد الا الله تعالى * وقيل حسن الخلق تحمل افعال
 الخلق * وقال شاه الكرماني علامة حسن الخلق كف الاذى واحتمال المؤن وقيل حسن
 الخلق ان تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقيل حسن الخلق قبول ما يرد عليك من
 جفاء الخلق وقضاء الحق بلا خسر ولا تقى وقيل الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن الإدارة
 (وقالت امرأة) لمالك بن دينار يا امرأتى فقال يا هذه وجدت اسمي الذي أضله اهل البصرة
 * وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان تسعوا الناس باموالكم ولكن سعواهم
 بسيط الوجه وحسن الخلق (وروى) ان ابا عثمان اجتاز بركة وقت الهجيرة قال في عليه من
 فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا السنتهم في الملق فقال ابو عثمان لا تقولوا شيئا من
 استحقاق ان يصب عليه النار فحول على الرماد لم يجز ان يصبه وقيل لابراهيم بن ادهم هل
 فرحت في الدنيا قط فأنعم مرتين احدهما كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال على والثانية
 كنت بالسا فجاء انسان فصعني (وكان أبو بكر القرني) اذا راه الصبيان رموه بالحجارة وكان
 يقول ان كان لا بد فارموني بالحجارة الصغار كي لا تدموا على ساقى فتعزوني الصلاة (وروى) ان
 عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعا ثانيا فلم يجبه فدعا ثالثا فلم يجبه فقام اليه فقرأ مضطجعا فقال
 اما سمع يا غلام قال نعم قال فما حلك على ترك جوابي قال امتعت عقوبتك فتكاسلت قال امض
 فانت حر لوجه الله وهذا كما ترى قوة الهبة يفرغها الله على المصطفين من عباده واهل الصفوة

من أولياته ألا ترى الى قوله تعالى فيارجحة من الله لتلهم ولو كنت فظا غليظ القلب
لاقتضوا من حولك فجرد مع حقائق البشرية وألبسه من نعوت الربوبية حتى قواء على
صحبته وصبره على تبليغ الرسالة اليهم مع الذي كان يقاسمه من أخلاقهم مع كونه مستغرقا
باستيلاء الحق تعالى عليه بمقتضى رحمة من يشاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن الق
ما لوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف واغماص بالآدمي لانه ناه من الجواهر والالوان وقال
عليه السلام (رجلين متباغضين آدم الله بينكما أي ألف بينكما ومنه هي الإدم الما كبر لانه
يؤلف الطعام ويحسنه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم رجل أراد أن يتزوج امرأة
انظر اليها فانه أخرى أن يؤدم بينكما أي يؤلف بينكما وروى أن عمر وفا الكرخي نزل الهبة
يتوضأ ووضع مصفاه وملطفه فخامت امرأة فآخذتهم ما قبعهما معروف وقال يا أخى أنا
معروف لا بأس عليك ألك ابن يقرأ قال لا قال فزوج قالت لا قال فهات المحف وخذا الثوب
(وروى) أن أباذركان على حوض يسقى الله فاسرع بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس
ثم اضطجع فقبل له في ذلك فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا اذا غضب الرجل أن يجلس
فان ذهب عنه والان فيضطجع (وقال على بن ابي طالب) رضى الله عنه ان الناصم ا كفا ترى
قطعها وقال ابو ذر انكشرفى وجوه قوم وان فلو بساتلهم وقال الحرث بن قيس يهيجني
من القراء كل طليق مضطرب فاما الذى تلقاه بشر و يلقاك يعوس من عليك بعمله فلا كثر
الله في المسلمين مثله وقال عروة بن الزبير مكتوب في الحكمة في تمكن كلك طيبة وليكن
وجهك طلقا وليكن احب الى الناس ممن يعطيهم العطاء ومن يعصب صاحب السوء لا يسلم
ومن يعصب صاحب السوء لا ينجى (وروى) ان ابراهيم بن ادهم خرج الى بعض العبادى فاستقبله
بجندى فقال له ابن العسر انك انا الى المقبر فضر برأسه فافوضه فلما ياوز قيل له هذا
ابراهيم بن ادهم فاهد خراسان فجاءه يعتذر اليه فقال انك لما ضربتني سألت الله الجنة فقال
لم فقال قد علمت الى اذ جوع على ذلك فلم ارد ان يكون نفسي منك الخير وفيلك حتى الشر (وحكى)
ان ابا عثمان الحري دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى باب الدار قال يا استاذ ليس لي وجه في
دخولك وقد نمت فانصرف رجلك الله فرجع ابو عثمان فلما وافى منزله عاد اليه الرجل وقال
يا استاذ نمت واخذ يعتذر وقال احضر الساعة فقام ابو عثمان ومضى معه فلما وافى داره قال
مثل ما قال في الاولى واخذ يعتذر ثم كذلك في الثالثة والرابعة وابو عثمان يصرف ويحضر
ثم قال يا استاذ انما اردت اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويعدده فقال
ابو عثمان لا غد حتى على خلق تجد مثله مع الكلاب قال الكلب اذا دعى حضر واذا زجر اترجر
(وروى) ان بعض القراء نزل على جعفر بن خنظلة وكان جعفر يخدمه واللقير يقول نعم
الرجل انت لو لم تكن يهوديا فقال له جعفر عفيدي لا تقدر فيما تحتاج اليه من الخدمة مثل
لنفسك الشفاء الى الهداية (وروى) ان ابا جعفر القمودى المتعبد لقيه بعض الاجناد ومعه
كلب الصبيد فقال له خذ هذا الكلب وقد خلقني فاني فضر برأسه بالسوط حتى أوجه
فقال له بعض المارين ويحك هذا أبو جعفر القمودى العابد فتزل عن فرسه وجعل يقبل يديه
ويعتذر اليه فقال أنت في حل قال ابراهيم بن الحسن سمعت ابراهيم القمودى ليالى عديدة

اذا فرغ من حربه في جوف الليل يدعو ويقول اللهم اغفر لصاحب الكلب وارحمه (وقيل)
 مكتوب في الانجيل عبيد اذ كرتي حين نقضت اذ كرتي حين اغضب • وقال بعض المفسرين
 في قوله تعالى وقولوا لنا من حسنا أي كل من نصيته فقل له حسنا من القول • وقال لقمان لابنه
 ثلاثة لا يبرقون الا في ثلاثة الحلم عند الغضب والشجاع في الحرب والاخ عند الحاجة اليه
 وروى أن عبدا لله الخياط كان له مجوس يخط عنده الثياب ويدفع له دراهم زبوا وكان
 عبدا لله أخذها فجاء المجوس يوما بالدراهم فلم يجد فاعطاها لبلده فلم يقبلها فدفع له صاعا فلما
 رجع عبدا لله قال لبلده وهذه دراهم المجوس وذكر قصته فقال عبدا لله يتسامحت الله
 معاملة مع المعاملة منذ اعوام وانا اصبر عليا والقبها في البرك لا يقر بها غيري (وروى) أن
 معاوية نظر الى ابنه بن يزيد بضرب امة له فقال أنضرب من لا تمتنع منك لقد سالت القدرة بيني
 وبين أولي الترات • وقال بعضهم أصل سوء الخلق ضيق القلب وضيقه على قسرين اذا نه
 واهونه ان لا يتسع لمراد الخلق واقصاه وشده ان لا يتسع لمراد الحق • وقال المحاسبي أصل سوء
 الخلق الاغصاب وهل يوم مخلق الرجل الامن به وبكبره وانه لا يرى فوقه احدا ولا يعرف
 قدر نفسه فتد اخذه العزة • وقال الحسن في قوله تعالى وتيا بك فظهر أي وخلقك نفس • وكان
 لبعض السالك شاة قرأها على ثلاث قوائم فقال من فعل هذا يا فقال غلامه فاقبلته قال ولم
 قال لا تخجل منها فقال لا تخن من أمرك بهذا اذهب فاقتر • (وروى) البخاري عن ابي هريرة
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له أنسرق فقال كلا
 والذي لا اله الا هو فقال عيسى عليه السلام آمنت بالله وكذبت عني • وقال علي بن ابي طالب
 رضي الله عنه فساد الاخلاق معاشره السفهاء (وقيل) الخلق السي يضييق قلب صاحبه لانه
 لا يسع فيه غير مراده كالمكان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه • ويقال من سوء مخلقك ان يقع
 بصرك على سوء خلق غيرك (وسئل النبي) صلى الله عليه وسلم عن الشوم فقال سوء الخلق وروى
 ابو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل له ادع الله على المشركين فقال اغماضت رجلا ولم
 أبعت هذا • ولما وصي يعقوب عليه السلام أولاده قال احفظوا مني خصلتين ما انتصفت
 من ظالم قط قولاه لا • وما رأيت حسنة الاوافيتها وما رأيت سيئة الا وسرتها كذلك
 فافعلوا • وقال ابن عمر اذا سمعتموني أقول لما أولئك اخذوا الله فاشهدوا انه سر • ويقال السيئ
 الخلق هو الذي لا يملك نفسه عند الغضب • وقيل اصل سوء الخلق مطالبة غيرك ان يوافئك دون
 أن تطلب نفسك بوافقة غيرك وعلاوة حسن الخلق ان تتحمل معاملة سيئ الخلق لتسربه
 سوء الخلق وقيل العارف بعاتب نفسه ولا يعاتب خلقه وعلامة من يئنه وبين نفسه عتاب ان
 لا يكون بينه وبين خلقه عتاب (وروى) ان عبدا لله بن عمر كان في حجره يقيم سيئ الخلق فمات
 فخرن عليه فقيل له انك تجد غيره قال نعم في بسوء خلقه وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء
 فقيل له لم تسلك هذا الغلام قال لا تعلم عليه الحلم وقيل في قوله تعالى واسبع عليكم نعمه فظاهرة
 وباطنة الظاهرة تسوية الخلق والباطنة حسن الخلق وقال الفضيل لان يصحبني فاجر
 حسن الخلق احب الي من أن يصحبني عابدي الخلق (ان قيل) اليمر قد روى ان عيسى
 ويحيى بن زكريا عليه السلام التقيا فقال يحيى لعيسى تلقاني ضاحكا كما تك أمّن فقال

عيسى وأنت تلقاني عابسا كأنك آيس فأوحى الله اليهما ان احبكما الى ابنكما صاحب
قلنا كذلك يستحب أن يكون المؤمن وليس اطلاق الوجه والتبسم في وجه أخيك منها
عنه وانما المكر وممانعة ونافعي أول الباب من التلق والتضع وفصل الخطاب في هذا
الباب ما روى هذ بن أبي هالة في مئة مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان أصحابه كأنهم
على رؤسهم الطير ومعلوم ان من كان على رأسه طائر لا يسبح فانه لا يقترن ولا يتكلم
ولا يطرف بعينه حذرا أن يقر الطائر وقال ابن المقفع كان في صديق من أعظم الناس في عيوني
وكان رأس ما عظمه في عيني مسغرا الدنيا في عينه كان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعو اليه
مؤنة ولا يستخف رأيا ولا يدناو كان خارجا من سلطان الدنيا فلا يقدم أبدا الا على قصة بمنفعة
كان أكثرهم مصامنا فانا حال بدأ القاتلين وكان متضاعفا مستضعفا فاذا جاء الجدة والبيت
عاديا كان لا يدخل في دعوى ولا يشر في امر او لا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا عسلا وشهودا
عدولا وكان لا يلوم أحدا على ما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما عذره كان لا يتكبر وجعا
الا الى من يرجو عنده البر ولا صاحبا الا لمن يرجو عنده النصيحة لهما جميعا وكان لا يتبرم
ولا يتسخط ولا يشتكي ولا ينتقم من الولي على العدو ولا يغفل عن الولي ولا يخص نفسه دون
أخواته بشئ من اهتمامه وسيلته وقوته فاقب هذه الاخلاق فان لم تطق فخذ القليل خير من ترك
الجميع وروى أن حكيميا سمع رجلا يذم الزمان وأهله وأنه قد فسد الناس ولم يبق أحد يصعب
فقال لها هذا أنت طلبت صاحباً تؤذيه فلا تنصر وتنال منه فلا تنصف وتؤكل كل واحد ولا
يرزقك بشئ وتجتو عليه فيعلم فلم تنصف في الطلب فلم تجد صاحباً ولكن ان اردت صاحباً
بؤذيك فلا تنصر وبجفوك فلا تنتقم وبأكل كل واحد فلا تنال منه شيئاً وجدت اصحاباً واخواناً
وخلافاً وأول من يصعبك (فصل في الفرق بين المداينة والمدارة) من دأري سلم ومن
داهن أثم وهذا باب اختلط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون أنهم يدارون فالمدانة
منهي عنهم والمدارة ما مروجها قال الله تعالى في المداينة ودوا لوتدن فيدتهون وقال النبي
صلى الله عليه وسلم في المدارة اراس العقل بعد الايمان بالله التردد الى الناس وامرت بمدارة
الناس كما امرت بإداء القرائض (واعلم) أنه اذا سقطت المدارة صارت مداينة فالمدانة ان
تدأري الناس على وجه يذهب فيه دينك والمدارة محال فيهم على وجه يسلو دينك وذلك ان
هذه الآية تزل على النبي صلى الله عليه وسلم وقد طالت له قريش يا محمد اعبدا آلهم سنة ونزوم
بك فاني قالوا انفسهم را فاني قالوا انفسهم ما فاني قالوا الساءة ما فاني قالوا فاستلها يسلك ونزوم بك
فوق النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وطبع ان جعل ان يؤمنوا فانزل الله تعالى ودوا لوتدن
فيدتهون وقيل هو لولا ان نبتلك لقد كنت تركز الهم شيئا قلب لا اذا ذلك نصف الحياة
وضعف الممات ومثاله ان تقول للظالم أبغضك الله ومن دعا الظالم بالباقة فقد أحب أن يعصى
الله سبحانه وهذا باب ينبغي لأولي الدين حفظه وقد رأى بعض الفقهاء الخروج من هذه
العهدا بالتعريض وكان الفقيه ابن الحصار بقرطبة له جاور نصراني قضى حوائجه وبنقه
وكان الفقيه يكثر أن يقول أبغضك الله وقولك أقر الله عينك يسرني والله ما يسرك جعل الله
بوي قبل يومك لا يزيد على هذه الكلمات فينتهي النصراني بها وتصره فترقب الفقيه في ذلك

فقال انما ادعوا بغير حق قد علم الله ذلك من نبي اما قولي ابقاك الله وولاك فاريد ان يبقيه الله لنعم الجزية ويتولا بالعذاب واما قولي اقر الله عينك فاريد ان تقر حركتها بستر يعرض اهاق لا تقرك جفونهم واما قولي يسرى والله ما يسرك فان العاقبة تسرى كما تسره واما قولي جعل الله يومك فاريد ان يجعل الله تعالى اليوم الذي ادخل فيه الجنة برجته قبل اليوم الذي يدخل فيه النار بكفره

(الباب السادس والخمسون في الظلم وشؤمه وسوء عاقبته)

قال الله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الناسقون فكل من لم يحكم بما جاء من عند الله ورسوله كملت فيه هذه الاوصاف الثلاثة الكفر والظلم والنسق وقال سبحانه وتعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون (وقال) أحد بن خضرويه لو اذن لي في الشقاق عما بدأت الا بالظالمين لاني تثبت لتعزية الله تعالى في قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال ولا أغشم سفر الا يكون فيه من لا يؤذي ويظلمني شوقا مني لتعزية الله تعالى للظالمين وقال ميمون بن مهران كفى بهذه الآية وعيد الظالم وتعزية المظلوم وقال كعب لابي هريرة في التوراة من يظلم بغير حق ابره وذاك في كتاب الله تعالى قتلت سيوتهم خاوية بما ظلموا فالظلم ادعى شي الى سلب النعم وحلول النقم (وروى) مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه قال يا عبادي افي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديت فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي انكم تخطون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي انكم لن تبغوا ضري قسصري واني تبغوا نفعي قسفعوني يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنسكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنسكم كانوا على أجفر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنسكم قاموا في ميدان واحد ففسأوا لوني فاعطيت كل انسان مسئلة ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص الخيط اذا دخل في البحر يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيا لكم ثم أوفيكما ياها فاني وجد خيرا فليصداقهم من وجد غير ذلك فلا يلومن الانفسه يرويه أبو ادريس انشولوا في عن أبي ذر ومستمدا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو ادريس اذا حدثه جنى على ركبته وروى عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال انظروا ظلمات يوم القيامة وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت لاشيه عنده مظلمة من عرض أو شيء فليصلها منه قبل أن لا يكون درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنة ذات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه وروى سعد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الارض شبرا طرقة من سبع أرضين قال أبو جعفر الطحاوي معناه انه يقلب شجاعا أقرع فيطرقه كما قال النبي

صلى الله عليه وسلم في مانع الزكايحي ما له يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه ويقول أنا مالكا أنا
 كزك ففكان هذا خلا في قوة تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وروى أبو هريرة أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال عطل الغني ظلم وروى أبو موسى الأشعري قال قال النبي صلى الله
 عليه وسلم إن الله يملئ للظالم حتى إذا أخذ لم يفلته وقرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي
 ظالمة إن أخذهم شديد وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنصر أخاك ظالما أو
 مظلوما قالوا يا رسول الله كيف هذا أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تأخذ فوق يده
 وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صفان من أهل النار هما من معهم سباط
 كاذبان البقر يضربونهم الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات على رؤسهن مثل
 اسفة البخت لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها وقال الله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا
 مترفقا ففقسوا فيها حتى ظنوا أن القول قد مر مننا ثم أمرناهم أن يستقيموا فلما اتبعوا
 بالطاعة ففسقوا أي خرجوا عن الطاعة والثاني على قراءة المدنى أي كثرنا عددهم واسبقنا
 النسم عليهم ففسقوا وتباغوا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خسر المال مكة ما ورة ومهرة
 ما مورة أي كثيرة النتائج (واعلموا) أن حشرات الأرض وهو اسمها تلحق العصاة وقال سبحانه إذا
 أشعفت الأرض تقول اليها من هذا من أجل عصاة بني آدم فذلك قوله تعالى أولئك يلعنهم الله
 ويلعنهم اللاعنون وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الحسل لقوت يذب ابن
 آدم يعني أن بذوب الخلق يمنع القطر فلا تنبت الأرض فتتها لك الدواب والحشرات ومع أبو
 هريرة رجلا يقول إن الظالم لا يضمر الا نفسه فقال لي والله إن الجبارى لقوت هزلاني وكربا بظلم
 الظالم وقال ابن مسعود خطبته في آدم قتل الحسل (وروى) مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه قال من قطع حق امر مسلم بيمينه فقد أوجب الله النار وحرم عليه الجنة
 فقال الرجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله قال وإن كان قضيانا إراك وقال ابن عباس
 ما ظهر الفلوس في قوم قط إلا قسافهم الموت ولا تقص قوم الميكال والميزان إلا قطع عنهم
 الرزق ولا حكم قوم بغير حق إلا قسافهم الدم ولا خير قوم بالعهد إلا سلب عليهم العدو وقال
 بعض الحكماء إذا كعد الظلم عدل الله عليك وعند القدر قدرة الله عليك لا يجهنك رجب
 الذراعين بسلك السماء فإن له قاتلا لا يموت (وروى) ابن بعض المولود رقم على بساطه

لا تظن إذا ما كنت مقتدرا • فالظلم مصدره يقضى إلى التدم

تمام عينك والمظالم متصّب • يدعوك عليك وعين الله لم تنم

انشدنا قاضي القضاء أبو عبد الله الدامغانى رحمه الله ببغداد

إذا ما هممت بظلم العباد • فكن ذا كراهول يوم المعاد

فإن الظالم يوم القصاص • لمن قد تزودها شر زاد

وقال مضمون بن سعيد كان يزيد بن حاتم لحكيم يقول ما هبت شيئا قط هبت رجلا ظلمته وأنا أعلم
 أن لا ناصر له إلا الله فيقول لي حسيك الله الله يني وينك وقال بلال بن سعيد اتقوا الله فبين
 لا ناصر له إلا الله وقال أبو سليمان الدراوى لما دخل أخوه يوسف عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه
 وكان على وجهه برقع فخلا بكبيرهم وكان ابن خاتمه فقال لهم اوصلكم أبوكم قال بأربع قال

قال وما هن قال يابن لا تقبح هو الفتقارق ايمانك فان الايمان يدعو الى الجفّة والهوى يدعو الى
التأويل لا تكثر منطقك بما لا يعينك فتسقط من عينه ولا تسمى بربك الظن فلا يستجيب لك ولا
تكن ظالمًا فان الجنة لم تخلق للظالمين (ويكي) على ابن الفضيل يوم اقبل له ما ييكفك فقال ايكي
على من ظلمتي اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى ولم يكن له حجة ولهمود الوراق

اني وهبت لظالمى ظلمى • وتركت ذلك له على علمي
ورايته اسدى الى يدا • لما امان به به على
رجعت اسامته عليه واحسناني فابعضاف الحرم
وغدوت ذا البر ومجدة • وغدا بكسب الذم والانم
ما زال يظلمني وارجه • حتى ريثت له من العلم
وكانما الاحسان كان له • وانا المسى اليه في الحكم

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجده ناصر
غيري (وقال) ابن مسعود لما كشف الله العذاب عن قوم يونس تراءوا المظالم حتى ان كان
الرجل ليقطع الحجر من أساسه فيرده الى صاحبه وقال ثور بن زيد الجرجي البنيان من غير حله
عربون على خرابه وقال غيره لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم لا وشك أن
تخرب وقال الحكيم العدل حرمه والظلم ظلماته قال العدل يجر اليك الحوائج والجور يهجم
عليك الحوائج فاحذر من لاجنة الا الثقة بزل الغير ولا سلاح له الا الابتال الى مقلب
الدول قال مالك بن دينار قرآن في بعض الكتب يا معشر الظلمة لا تقبالوا أهل الذكرك فانهم اذا
ذكروني ذكركم برحمتي واذا ذكروني ذكركم بلغني وقال أبو امامة يحيى الظالم يوم القيمة
حتى اذا كان على جسرجهم لقيه المظلوم وعرف مظلومه فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى
يزدهوا ما يلبدهم من الحسنات فان لم يجدوا حسنات حل عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى
يردوا الدرك الاسفل من النار ومن صحح مسلم ان هشام بن حكيم مر بالشام على اناس وقد
قيموا في الشمس وصب على رؤسهم الزيت قال ما هذا قال يعذبون في انراج قال أما اني سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا وأخبرني رجل عن
كان يقرأ العلم بالاسكندرية قال كان ههنا شيخ يكون عينا للمكاسين يدور حواهم فرأيت في
النوم بعد وفاته فقلت له من أين تجي فقال لي لا تسأل فاعلت عليه فصال لا تسأل فسالته فقال
من الجحيم فقلت له على أين تذهب قال الى مثل الدار التي خرجت منها قلت فكيف لقيت قال
وماذا لقيت كان لحي قديم على في هاوون ودق حتى صاوم مثل المني (وأخبرني) رجل من أهل
العلم والدين قال راب فلانا لبيع في النوم بعد وفاته فقلت ما فعل الله بك قال أنا محبوس عن
الجنة قلت فيمذا قال كنت أسير في الدكان فيزدحم الناس علي فأخذوا همهم فاضه ما في بي
وكما تفرغت وزنتها وأعطيت كل انسان حقه فاختلطت في بي الفضلات فجاء اثنان فدفعوا
لاحدهما فاضة الآخرة وكانت أنقص من فضته بحجة ثم حوسبت فبقي على حبة فقلت فادفع له
الحبة وتخلص بفعل يقبله وفيه ويقول من أين ادفع له من أين ادفع له ففكرها مرات

(وروى) أن يونس عليه السلام لما ببني العراء أتت الله عليه شجرة من يقطر كان يأوى إلى ظلها قبست فبكى عليها فأوحى الله تعالى إليه تبكى على شجرة فقدتها ولا تبكى على ما أتىك أو يزيدون أردت أن أهلكهم • وقيل لابن السكيت الأسدي أيام معاوية كفت ركت الناس قال بين مظلوم لا يتصف وظالم لا ينهى • وقال بعض الحكماء أفقر الناس أكثرهم كسبا من سرام لأنه استندان بالظلم ما لا بد له من رده • وقال رجل كتب إليه العزم بن عبد العزيز فذكر الخراج فسبته ووقع فيه فقال عمران الرجل لظلم بالظلمة فلا يزال المظلوم يثم الظالم ويسبه حتى يستوفى حقه فيكون للظالم حق عليه • وقال عمرو بن دينار نادى رجلا في بني إسرائيل من رآني فلا يظلم أحدا وإذا رجل قد ذهب ذراع من عضده وهو يسكى ويقول من رآني فلا يظلم أحدا فقتل عن حاله فقال بينما أنا أسير على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام إذ مررت بنبطي قدام طاد تسعة أنوان فأخذت منه فؤنا وهو كرم بعد أن ضربت رأسه فعض النون ابهاى عضم يسيرة ثم أكلناه فوقت الأكلة في أمي فأثقت الأطباء على قطعه فقطعته فوقت في كتي ثم أعادى ثم عضدى فن رآني فلا يظلم أحدا فخرجت أسير في البلاد وأريد قطع عضدى الذوقت لي شجرة فأريت إلى ظلها فتمعت فقبيل لي في الشام لاى شئ تقطع أعضاؤه وذالحق إلى أهله فحقت الصياد فقلت يا عبد الله أنا مملوك فاعتقني فقال ما أمرك فأخبرته فبكى وتضرع وقال أنت في حل قلنا فالتناز الدويم عضدى وسكن الوجع فقلت له بماذا دعوت على قال لما ضربت رأسي وأخذت السمكة تقطرت إلى السماء وبكيت فقلت يا رب أشهد أنك عدل تحب العدل وهذا منك عدل وأنت الحق تحب الحق وخلقتني وخلقتهم وجعلته قويا وجعلني ضعيفا فأما أنا يا من خلقتني وخلقتهم أن تجعلهم عبرة لخلقك (وقال معاوية) إن أولى الناس بالعقوبة ذرهم على الانتقام وإن أنقص الناس عسلا من ظلم من دونه • وقال بعض الحكماء الظلم على ثلاثة أوجه ظلم لا يقره الله وظلم لا يتركه الله ولا يعبأ الله به شيئا فأما الظلم الذى لا يقره الله فهو الشرك بالله وأما الظلم الذى لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد لماله • بين الله تعالى وقال سمعون بن مهران من ظلم رجلا مظلمة ففاته أن يخرج منها فاستغفر الله دبر كل صلاة وجوت أن يخرج من مظلمته (وقال يوسف بن اسباط) توفي رجل من الخواريين فوجدوا عليه وجدا شديدا وذكروا ذلك إلى المسيح صلى الله عليه وسلم فوقف على قبره ودعا فأحياء الله تعالى وفي رجل به فمعالن من نار فسأل عيسى عن ذلك فقال والله ما عصيت قط إلا أني مررت بمظلوم فلم أقصره فسنعت هاتين التعلين وأما أنا فموسيك إذا فعلت باحدا مكرها فادع الله تعالى له واستغفر له كما فعل موسى عليه السلام لما أدى هرون وأخذ بطيته ورأسه ثم تبين له براءته وأن بني إسرائيل غلبوه عليه وعلى عبادة العجل فقال رب اغفر لي ولا تخ وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين (وروى) أن قوم لوط كانت فيهم عشرة خصال فاهلكهم الله بها كانوا يتغيطون في الطرقات وتحت الأشجار المثمرة وفي المياه الجارية وفي شطوط الأنهار وكانوا يخدقون الناس بالمصبي فيدمونهم وإذا اجتمعوا في المجالس أظهروا المنكر باخراج الرمح منهم والطمع على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى

وهي الواطة قال الله تعالى أُنْكِمَ تَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّيْلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ
 الْمُسْكَرَ وَالتَّأْدِي الْجُلُسَ وَيَلْبَسُونَ بِالْحِمَامِ وَيُرْمُونَ بِالْجُلَاحِقِ وَضَرْبَ الدِّقِّ وَشَرْبَ الْخَمْرِ
 وَفَسْخَ الْعَبِيَّةِ وَتَطْوِيلَ الشَّارِبِ وَالتَّصْفِيقِ وَلِبْسَ الْحِجْرِ وَتَزْيِدَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأُمُورَ بَاتِيَانِ
 النِّسَاءُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا وَأَعْلَاهُمُ عَلَى آثَانِ الرِّجَالِ أَنْهُمْ كَانَتْ لَهُمْ غَارُكَ كَثِيرَةً فِي غَنَازِلِهِمْ
 وَحَوَائِطِهِمْ فَأَصَابَهُمْ سَهْقٌ وَقَلَّةٌ مِنَ الثَّارِفَةِ لَوَابِي شَيْءٍ مَنَعَ غَارُكَ حَاقِي لَا يَطْرُقُهَا أَحَدٌ مِنَ
 النَّاسِ فَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يَنْجِدُوهُ فِيهَا نَكْبَهُ وَغَرَمُوهُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ فَعَلُوا وَمَا سَبَقَهُمْ بِهَا
 أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَكَانَ بَدْءُ الْفَاحِشَةِ فَنَهَمَ أَنْ يَسْمُوهَا بِذَلِكَ فَجَاهَهُمْ إِبْلِيسُ
 فِي هَيْئَةِ صَبِيٍّ أَجَلَ شَيْءٍ رَأَى النَّاسَ فَسَكَبُوا وَتَجَرَّأَ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ
 أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لَوَمٌ • وَلَكِنَّ الْمَسِيَّ هُوَ الظُّلْمُ
 إِلَى دِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ نَحْنُ • وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْمَعُ الْخُصُومُ
 مِلَّ الْأَيَّامِ عَنِ امِّ تَقْصُتْ • فَتُصْبِرُكَ الْعَالَمُ وَالرُّسُومُ
 (وروي) أن أنوشروان كان لمعلم حسن التاديب فعلمه حتى قاف في العلوم فصر به المعلم يوما من
 غير ذنب فأوجعه فمقد أنوشروان عليه فلما ولي الملك قال له ما جئت على ما صنعت من ضربتي
 يوم كذا وكذا اظلم قال لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أيسر لك فاحببت أن أذيقك
 ظم القلم ثلاثا قلم فقال أنوشروان زه

• (الباب السابع والخمسون) •

في تهريم السعاية والتمية وقصصهما وما يؤول إليه أمرهما
 من الافعال الرديئة والعواقب الذميمة

قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين • هما زمراء بهيم • مناع الخير • عند آئيم • عتل بعد ذلك
 زعيم • فذكر الله تعالى في القرآن أصناف أهل الكفر والالحاد والتلث وأهل الدهر
 والقلم والفسوق وأشباههم ولم يسبق الله سبحانه أحدا منهم إلا التلثم في هذه الآية
 وحسبك بها خسة وذيلة وسقوطا وضعة وهذه الآية تزنت في الوليد بن المغيرة في أصح
 الأحوال والهماز المقتاب الذي يا كل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري هو
 الذي يغمر بأخيه في المجلس وهو الهمة المزة والعتل في اللغة الغليظ وأصله من العتل
 وهو الدفع بالقوة والعنف وقال علي رضي الله عنه والحسن البصري العتل القاحش السيئ
 النفاق وقال ابن عباس العتل القاتك الشديد المتناق وقال عبيد بن عمير العتل الاكول
 الشروب القوى الشديد موضع في الميزان فلا ين شعية وقال يمان هو الجافي القاسي اللثيم
 العسر وقال مقاتل العتل الضخم وقال الكلبي الشديد في كرهه عند العرب عتل وقيل العتل
 الشديد المنصرمة بالباطل والزيم هو الذي لا يعرف من أبوه قال حسان بن ثابت
 وأنت ذئب يقط في آل هاشم • كما يقط خلف الراكب القدح الفرد
 (وقال غيره)

زئيم ليس يعرف من أبوه • بنى الام ذو حسب لثيم

وقال أكثر الثغلة هذا رجل انما ادعاه أبوه بعد غنى عشرة سنة وعن هذا قال القدماء لا يكون

غاما الا وفي نسبتي هوسى رجل الى بلال بن أبي بردة رجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف
 حتى اكشف عنك فكشف عنه فاذا هو اغير رشدة يعني ولد زنا فقال أبو موسى الاشعري
 لا يبقى على الناس الا لابلقي وقيل الزنيم التي لم تزع في عنقه يعرف بها كما تعرف الشاة قال
 ابن عباس لما وصفه الله تعالى بذلك الحال المنمومة لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف لانه كانت له
 زنة يعرف بها كما تعرف الشاة بزنتها (ومن ذلك) قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق
 بنبأ فتبينوا ان تصيروا قوما بجهالة نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه النبي صلى الله
 عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الواقعة وكان يئنه وبينهم عداوة في الجاهلية فخرجوا لينلقونه
 فعظي الامر النبي صلى الله عليه وسلم ففرع ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال منعوني
 صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثم كشف أمرهم فوجد ما قاله
 كذبا فنزلت هذه الآية وسماه الله تعالى فاسقا (ومن ذلك) قول الله سبحانه سمعون الكذب
 أكلون السمحت فشر الله تعالى بين السامع والقائل في القبح وسأوى بينهم في الذم فكان فيه
 تنبيه على ان السامع غلام في الحكم (وأما ما روى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم) فروى مسلم
 في الصحيح قال همام كأمع حذيفة فقيل له ان رجلا رفع الحديث الى عثمان بن عفان رضى الله
 عنه فقال حذيفة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات وفي انقط آخر غلام
 ه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من
 شراركم المشاؤون بالنميمة المقسدون بين الاحبة الباغون العيوب ه وروى أبو هريرة ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو السانين ملعون كل مفار ملعون
 كل قتات ملعون كل منان فالسفا والهرش بين الناس يلقى بينهم العداوة والقتات الفام
 والمنان الذي يعمل الظير ويعين به ه وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين
 فقال انهما الجعنان وما يعذنان في كثير مما احدهما كان لا يستبرئ من البول وما الاخر
 فكان يسمى بالنميمة فاخذ جريدة رطبة فشقه فانه فيه قبر في كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله لم
 فعلت هذا قال لطيف يخفف عنهم ما لم يبسا وذلك لبركة يده صلى الله عليه وسلم ه (وأما السعاية) ه
 الى السلطان والى كل ذي قدرة ومكنة فهي المهلكة والحالقة تجمع الى الخصال المنمومة
 القيسة ولؤم النميمة والتغريب بالنفوس والاموال والقذح في المنازل والاحوال وتسلب
 العزيز عزه وتخط المكين عن مكانته والسديد عن مرتبته فكم من دم أراقه سعي ساع وكم
 حرم استنجم بنميمة باغ وكم من مفين تقاطعا ومن متواصلين تباعدا ومن محبين قباغضا
 ومن الفين تم اجرا ومن زوجين افترقا فليقل الله دية رجل ساعده الايام وتراخت عنه
 الاقدار ان يصح لساع أو يسمع لخم ه وروى ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة
 لا يدخلها ديوث ولا قلاع فالديوث الذي يجمع بين القساء والرجال سمى بذلك لانه يث بينهم
 والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند الامراء لانه يقصد الرجل المتكبر عند السلطان
 فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه (وقال كعب) أصاب الناس قط شديد على عهد موسى صلى الله
 عليه وسلم فخرج موسى يستسقي بيني اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج ثانية فلم يسقوا ثم خرج الثالثة
 فاوحى الله تعالى اليه اني لا استحيب للولا لمن معك فان فيكم غاما فقال يا رب من هو حتى

فخر من بيننا فاحسب الله تعالى اليه يا موسى انما كنتم عن النعمة وآتينا كتابا فاخرس الله سبحانه
 عليهم الغيث • ولما لقي اسقف قجر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له يا امير المؤمنين احذر
 قاتل الثلاثة قال ومن قاتل الثلاثة قال الرجل يا في الامام بالحديث الكذب فيقبله الامام
 فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وامامه فقال عمر ما اراك ابعثت • ووجدنا في حكم القدماء
 ابغض الناس الى الله المثلث قال الاصمعي هو الرجل يسعى بالنعمة باخيه الى الامام فيم لك نفسه
 واخو وامامه (وذكرت السعاية) عند المأمون فقال لو لم يكن من عبيد الانهم اصدق ما يكونون
 ابغض ما يكون عند الله تعالى • وقال حكيم القوس المذق زين كل أحد الا السعاية فان
 الساعي اذم وآثم ما يكون اذا صدق (ويزي) أن رجلا سعى بجماله عند الوليد بن عبد الملك فقال
 له الوليد اما أنت تخبرنا انك جارسو ان شئت ارسنا معك فان كنت صادقا ابغضنا وان كنت
 كاذبا عاقبنا وان شئت ناركك قال ناركني يا امير المؤمنين قال قد ناركك • وقد در الاسكندر
 حين رضى اليه واش برجل فقال له الاسكندر ان شئت قبلناك على صاحبك بشرط ان تقبله عليك
 وان شئت اقلناك قال اقلني قال قد اقلناك كف عن الشريك كف عنك الشر (ومن العجب)
 النجاشي لعجب بعد ما ان الرجل يشهد عندك في باقة بقل فلا تقبله حتى تسأل الناس عنه هل هو من
 أهل الثقة والعدالة والامانة والصيانة ثم يسم عندك بحديث فيه الهلاك وفساد الاحوال
 فتقبله • وقال يحيى بن زبد قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما ما سقى السم اخبرني من سقاك
 فدعفت عيناه وقال انا في آخر قدم من الدنيا واول قدم من الآخرة تاهمني ان اعجز • قال
 رجل للمهدي عندي نصيحة يا امير المؤمنين قال لمن نصيحتك هذه انا ام لعامة المسلمين ام
 لنفسك قال لك يا امير المؤمنين قال المهدي ليس الساعي باعظم عورة ولا اقبح حال من قبل
 صاحبك ولا تخشون ان تكون حاسدا نعمة فلان شقي لك غظا أو عدا وانا لعاقب لك عدوك
 ثم اقبل على الناس وقال ايها الناس لا ينصحن لنا ناصح الا بما لله فيه رضا والمسلمين فيه صلاح
 (ويزي) ان ما عيسى برجل الى الفضل بن سهل فوقع على ظهر كاهه فحين نرى قبول السعاية
 أشرب من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز لا
 من فعل أشرب من قال (ويزي) ان رجلا رفع الى المنصور نصيحة فوقع على ظهرها هذه نصيحة
 لم يرد بها وجه الله تعالى ولا جواب عندنا لن آثرنا على الله تعالى (ويزي) ان رجلا قال للمأمون
 يا امير المؤمنين الله الله في أصحاب الاخبار فانهم قوم ان أعطوا كذبوا وان حرموا كذبوا
 فان أعطوا مدحوا وهم كاذبون وان حرموا ذموا وهم كاذبون فقال المأمون لله دهر ما من كلمة
 ما أحسد ها وأبين فضلا وأمران ثبت في أمور أصحاب الاخبار (وقال مروان بن زنباع)
 العبد لي يا بني عيس احفظوا عني ثلاثا من تقل اليكم فضل عنكم واياكم والتزويج في
 البيوتات السوء واستكثروا من الصديق ما استطعتم واستقلوا من العدو ما استطعتم فان
 استكثروا يمكن • وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم
 السعاة والتمسوا اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا المودات • وقال حكيم العرب اياك
 والسعاة فانهم اعداء عقلك ولصوص عدك ففرقون بين قولك وفعلك (وفي المثل السائر)
 من اطاع الواسي ضيع الصديق وقد يقطع الشجر فينبت ويقطع العلم بالسيف فيندمل

واللسان لا يشمل جرحه وأحق الناس برعاية مرامته من هذه الخلال وقتله من هذه الحكم واستودعته من هذه السر من آفاته تطلعا ومكن في الأرض قدما قدوة القدرة إذا أطاع الواشي هلك العالم (وكان) بعض الحكماء يقول من أراد أن يسلم من الأثم وينقذ الآخرين فيجعل نفسه بينهم فاضرب عدلا ويحكم بالعدل ولا يقبل أحدا في أحد ولا في نفس الأبرياء وتعديل فاما قد أحينا يقول أقوام وابضنا يقول آخرون فابضنا نادمين ومن لطيف حكمة الله تعالى في التميمية علم من شؤمها واستطاع نشر وروها وعموم مضرتها في الوري حكمه يفسق الفلم حتى لا يقبل له قول فيستخرج الخلق من شره (وقال) ابن جرير وقد الله الحاج ووفد الشيطان قوم يرسلهم السلطان إلى الناس ويسألهم عن حالهم فيخبرونه أن الناس راضون وليسوا براضين واعلموا أن الله تعالى خلق الإنسان على الشاقي لسانا ذكرها إلا أن لكثرتها وطول تتبعها خلق الله الحواس الشريرة والأعضاء النافعة النفسية في أفضل ما ركب فيه اللسان التي هو آلة التلق والبيان وبه فصل بينه وبين البهائم ثم فضله على سائر الحيوان وامتن عليه في أول سورة الرحمن فقال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان وخلق فيه أعضاء تدلل وتنهان وجعلها يجري لفصول الطعام والشراب فمن يتبع سقطات الكلام ويروي عثرات الأنام التي هي كالعورات الواجب سترها ودفنها كان قد استعمل أشرف الآلات في أخس المستعملات فصار كمن لمس سوء أخيه وجعل أكرم جوارحه لأخس أجناس المستعرضين ورضى أن يقع من الناس موقع النباب من الطير يتبع ثقل الجسد ويتصاوى بحبسه وقد كان في نشر الحاس شغل ولكن أهل كل ذي حال أولى بها وفي هذا سبق المثل أن لم تكن مطاعن فلا تكن ذبايا فسد ومن لم يقدر على جميع الفضائل فلنكن همته ترك الرذائل وإذا تبخخ الإمام عورات الناس أقسدهم (وروي) أن النبي صلى الله عليه وسلم هو بمنزلة الخروج يوم أسمع قوما من أصحابه يتبعون فامتنع من الخروج إليهم حذر أن لا يفسد قلبه عليهم ولوعم الذي يسمع أخبار الناس ما جنى على نفسه لعلم أن الصمم كان أهنأ بعينه وأتم لبها من سماع الأخبار يا واحد ما ذاعل نغمة الأخبار جلاو اليك الصدق أو الكذب فتكون في سماع الكذب بمن قال الله تعالى فيه سماعون للكذب كأولون للسمع ويكون في سماع الصدق جلاوهم خرج الصدق على الخلق معاديا لهم متبع العثرات الخلق وخراف السقطاتهم قد وعيت منهم ما يجب ستره وحفظت ما يجب نسيانه ثم لا تستطيع التصفين قائل لأنك إن كنت ذا قدرة أهلكت الرعية ثم لا تستطيع أن تهلك جميع الرعية وإن كنت سوقة لم يشف غيظك ثم أقسدت أخوانك وأقضت من يجب أن تحبه وأحييت من يجب أن تبغضه ثم لا تزال تحصل النساب وتزيد الاحقاد والضغائن وترمد لكل قائل يوما شقي صدره ليقه فأعنى العاقل عن هذه البلية ولله در جرير بن العاص روى أنه لاه رجل وما قتال الرجل اما والله ان عشت لا تفرغ من ذلك فقال له جرير بن العاص الآن وقعت في الشغل يا ابن أخي

(الباب الثامن والتمسون في القصص وحكمته)

قال الله تعالى ولستم في القصص حياة يا أولى الألباب يعني إذا علم القاتل والقاطع أنه

يقتل منه اجتمع ولم يقدم على الفعل فيكون في ذلك حياته وحياته الذي هم به (روى) ابن
 مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول ما يقضى بين الناس في الدماء وروى أبو هريرة أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده لائحة مظلة فليصلها منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم
 من قبل ان يؤخذ لائحه من حسنة فان لم يكن له حسنة اخذ من سيئات اخيه فطرح
 عليه وهذا حديث صحيح رواه البخاري فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تردوا زورا وزرا اخرى
 فكيف يؤخذ الظالم بدين ركه المظالم قلنا معنى الآية لا يعاقب احببنا أحد ابتداء واما
 في مسئلتنا فقلت بقيت عنده وليس له وقام به فهو الذي اكسب هذا الوزر وهو المعنى بقوله
 تعالى وليحمل اثقالهم واثقالهم وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم
 قال يخلص المؤمنون من النار فيجسسون على قطرة بين الجنة والنار ليقصص بعضهم من بعض
 مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وقفوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده
 لا اجد لهم اهدى لثقله في الجنة منه بغيره في الدنيا وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل
 موته من كانت له عندي مظلة فليأتني حتى اقصه من نفسي فقام سوار بن غزيرة فقال يا رسول الله
 انك خيرتني على بطي ليله العشة فارجعت فقال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فاقص فقال
 يا رسول الله انك خيرتني وانا مكشوف البطن فكشف النبي صلى الله عليه وسلم بطنه فاذا هو
 كالقباطي يعني ثياب مصرقا كب عليه يقبله فقال يا سوار ما جئت على هذا فقال يا رسول الله
 دنائكم هو لا المشركين ولا تدري فارتدت ان يكون آخر العهد بك ان اقبل بطنك فهذا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه مع ان الله تعالى قد غفر لها تقدم من ذنبه وما تأخر لعله
 ان الله تعالى لا يدع القصص في المظالم بين العباد لان الله تعالى اعدل من ان يدع مظلة لا يد
 عندني ولا غيره وفي الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة انا ظالم ان فاتني ظلم ظالم وروى ان
 داود عليه السلام يقدمه خصمه الى الله يوم القيامة فيقضى له عليه فيدفعه الى اوريا سلا
 ثم يستوجه الله تعالى من اوريا ثم يعرض اوريا على ذلك الجنة وقال حبيب دخل عثمان
 ابن عفان رضى الله عنه فوجد غلامه يعلف فاقه له واذا في علقها شيئا فاخذ بانه فعركها ثم ند
 فقال للغلام قم فاقص مني فابي الغلام فلم يزل به حتى قام فاخذ بانه ثم قال يعرك وهو يقول
 عندك حتى عرف عثمان انه قد بلغ منه ثم قال واهل القصص الدنيا قبل قصاص الآخرة
 (روى) عون بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا خادما له فلم يجبه أو كان نائما فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم ولا القصص لا وجعتك ضربا وروى ابن وهب في موطنه عن ابن شهاب
 قال وقد أفاض النبي صلى الله عليه وسلم والخليفتان من أنفسهم ليستن بهم ولم يعتمدوا حيفا
 وكانوا سلاطين ومن صحيح مسلم روى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقدرون
 من المظلم قالوا المظلم فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المظلم من أمي يأتي يوم القيامة
 بسلاوة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا أو كل مال هذا أو سفلت دم هذا وضرب
 هذا فيعطى هذا من حسنة وهذا من حسنة فاذا قنيت حسنة قبل ان يقضى ما عليه أخذ
 من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار قال مالك وبلغني ان أبابكر الصديق رضى الله عنه
 لما ولي الخلافة ضرب رجلا ثمهم وقال مالي ولهذا لا أردتها عليهم فجمعتها عائشة فأرسلت الى

عمر بن الخطاب فقال له اني قد ضرت رجلا وقد كنت معافي من هذا ان اضر بقتال عمر كذلك
 الامام فقال فما الخرج قال ان نافي الرجل قسأه ان يجعل في حل فاقباه فاستحلاه ذلك
 الا تارعي ان الامير والمأمور في القصاص سواء اذا جنى أحدهما على الآخر وان الامير
 اذا ظلم المأمور زال تأمره عليه في ذلك المعنى وكان الامير في ذلك المعنى كبعض المأمور عليهم
 حتى يخاصوا الى السلطان الاعظم وكان عمر يقول انما بعثت أمراء ليعلموا الناس دينهم
 ويقصون بينهم فيهم ويعزلون فيهم ولم يبعثهم ليضربوا بأبصارهم ويحلقوا أشعارهم غن
 ظلمه أمير فلا امره عليه مدوني حتى آخذله بحقه قال عمرو بن العاص الله اكبر أمير المؤمنين
 ان أدب رجل رجلا من وعينه انك لتقصه منه فقال عمر كيف لا أقصه منه وقد رأيت النبي صلى
 الله عليه وسلم يقص من نفسه (فاما القصاص بين البهائم) فاختلف الناس في حشرها وفي جريان
 القصاص بينها فكان ابن عباس يقول حشرها موتها قال وحشر كل شيء الموت الا الجن
 والانس فانهم اوفيان يوم القيامة وقال معظم المفسرين انهم تحشرون ويقتص منها قال ابن
 حبيب تحشر البهائم وقال قتادة تحشر كل شيء حتى الذباب وقال ابو الحسن الأشعري لا تقطع
 بإعادة البهائم والجانين ومن لم يلقه الدعوة ويجوز ان يعادوا ويدخلوا الجنة ويجوز ان لا يعادوا
 والدليل على ثبوت الاعادة في الجملة قوله تعالى واذا الوحوش حشرت وقال تعالى وما من دابة
 في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم الى ان قال ثم الى ربهم يحشرون (وروي)
 مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم
 القيامة حتى يقاد لشاة الجاهل من الشاة القرناء وقال أبو ذر انتطعت شاة ن عند النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال أئذرون فيها انتطعت لا أدري قال لكن الله يدري وسيقتضى بينهما
 قال أبو ذر لقد تر كذا النبي صلى الله عليه وسلم وما يقبل طائر بجناحيه في السماء الا ذكرنا منه
 علما وقال أبو ذر ان الجبريل سئل عن ~~نكبه~~ اصبع الرجل وفي الحديث الصحيح في مسلم
 والبصاري وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياتيني أحدكم على رقبته بعيرة رغاء على
 رقبته بقرة لها اخوار على رقبته شاة تبع ثم يسط لها بقاع فترقرق فتطو باظلافها وتقطع
 بقرونها كلما مرت عليه أولاها عادت آخرها والحديث واودى في مانع الزكاة وقال ابو الحسن
 لا يجوز المقاصة بين البهائم لانها غير مكلفة ولا يجري عليها القتل قال وما روي في ذلك من
 الاخبار بخلاف قوله صلى الله عليه وسلم يقتص للجماع من القرنا ويقتل العود لم يحدش العود
 فعلى سبيل المثل والاخبار عن شدة التقص في الحساب وانه لا بد ان يقتص المظلوم من الظالم
 واني ذلك الاستاذ ابو اسحق الاقراني قال في الجامع الجلي يجري القصاص بينها قال ويحتمل
 انها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا فلهذا جرى فيه القصاص وكلام الاستاذ له وجه
 في الصحة لان الهيمة تعرف النفع والضرر تنقرض من العصا وتقبل الى العلف وينزير الكلب
 اذا جبر ويستأسد اذا شلى والطير والوحش يفر من الجوارح استدفاعا لشرها ثم ان لم يجز
 عليه القتل في الدنيا فاعرف القتل عم في الاحكام فان قيل القصاص انتقام وهو جرم على
 جناية وقعت من مخالفة الامر والبهائم ليست بمكلفة ولا لها عقول ولا اجزاء رسول والعقول
 عندكم لا يجب بها شيء على العقلاء فضلا عن البهائم وفي هذا انفصال عن قول الاستاذ انها

كانت تعقل هذا القدر اذ لا يجب العقل شيء وبشبهة قوله تعالى وما تكلم معذرين حتى نبعث رسلا فالجواب انها ليست مكلفة لان من ضرورة التكليف ان يعلم الرسول والمرسل وذلك من خصائص العقلاء وهم الثقلان واذا لم تكن مكلفة كانت في المشيئة يفعل الله بها ما اراد كما ملأ عليها في الدنيا الاستسغار والذبح فلا اعتراض عليه وقوله تعالى ان يفعل في ملكه ما اراد من جميع وتعذيب واذا جاز ان يؤلم البهيمة ابتداء جاز ان يؤلمها بعد دحياتها والاية مجمولة على من يعلم الرسول والمرسل ثم ان لم يجز عليهم القلم في الدنيا فاعلم ان القلم عنها في الاحكام ولكن فيما بينها فواخذ وقدر وروى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقلوا الوزغ فانه كان ينفع على ابراهيم عليه السلام فهذه عموما عوقبت على سوء مفعيل جنسها وقوله دليل على ان الله تعالى ان يعذب بملكه لا بالمعصية وقد ضرب موسى عليه السلام الحجر الذي امر بشيبه وبني اسرائيل يطردون عورته رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضر به بعصاه واخرجهم موسى يقول نوبى حجر نوبى حجر قال ابو هريرة فوالذي نفسي بيده انه لتدب بالحجر ستة اوسبعة وروى في تفسير قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انها الحجارة التي تكسر الناس في الدنيا وروى ان المسيح عليه السلام مر بجبل فسمع اياته فسأله عن ذلك فقال سمعت الله يقول وقودها الناس والحجارة فلا ادري اكون من تلك الحجارة ام لا وقد تناول بعضهم قول ابن عباس حشرها موتها فحشر لضرب من القصاص بينها ثم تصير ربايا قلت وتاويل ابن عباس بعيد لان الحشر الجمع وليس في موتها جمعها بل فيه تفرقتها وتفرقة اجزائها ثم قد قال والحر بهم يحشرون وانما يكون الحشر الى الرب تعالى باعادة الحياة اليها وجمعها الى ربا

• (الباب التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدة) •

قال الله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقال سبحانه من يجب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال تعالى ان مع العسر يسرا وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فاجاءكم اليسر ان يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود والذي نفسي بيده لو كان العسر في بحر لطلبه اليسر ان يغلب عسر يسرين ومعنى هذا انه عرف العسر ونكر اليسر ومن عادة العرب اذا ذكر اسم لمعرفته اعادته كذلك فهو هو فاذا ذكرته ثم كونه كذلك فهما اثنان وقال بعضهم

ان يكن نالك الزمان يلاوى • عظمت عندها الخطوب ويلات
وتلتها اقوارع ناكيات • سئمت دونها الحمية وملت
فاصطبروا سطر ياوغم دأها • فالرزايا اذا تواتت تولت
واذا وهنت قواله وجلت • كسفت عنك جله فجلت

وقال ابن عباس اول ما اتخذ النساء النطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطلقا لتعني اثرها على سائر ثم جاءها ابراهيم وابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعتها هناك ووضع عندها جراب فيه تمر وسقا فيه ماء ثم قال ابراهيم منطلقا قبضته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي ليس فيه أيس ولا شيء فقالت ذلك مما راو جعل لا يلتفت اليها فقالت

له آله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا الاضيعة ان رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند
النبية حيث لا يروى استقبل البيت بوجهه ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال رب اني
أسكنت من ذريتي بوادي غربي زرع عند بيتك المحرم حتى يبلغ بشكروني وجعلت أم اسمعيل
ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا تقدم في السقا مسطنت وعطش ابنها وجعلت
تنظر اليه يتأوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجنت الصفا أقرب جبل في الارض يليها
فقامت عليه ثم استقبلت الوادي هل ترى أحدا فلم تر أحدا ثم سعت سعي الانسان الجهود حتى
جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليه فانظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع
مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على
المروة سمعت صوتا قالت من يدعني فسمعتها فأتتها فقالت قد سمعت ان كان عندك غنوان
فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فيبيت بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فخلت تحوضه
وقول يدها هكذا وجعلت تعرف من الماء في سقاها وهو يغور بعد ما تنقر فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تنقر فلما كانت عينا معينا قال
فسربت وأرذعت ولها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان هبات الله تعالى بينه هذاه
الغلام وأبوه وان الله لايضيع أهل (ومنها قصة الثلاثة الذين خفلوا) وذلك ان كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية تخلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
كلام الثلاثة قال كعب فاجتنبنا الناس ونغير والنا حتى تنكروا لنا الارض بما رحبت فها هي
التي أعرف وكنت أطوف في الاسواق وأشهد الصلوات مع المسلمين ولا يكلمني أحد واتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأعلم عليه وأقول في نفسي هل حوكت فيه برد السلام ام لا حتى اذا طال
ذلك على من جفوة الناس تسورت جد ارحامنا ابي قحافة وهو ابن عبي وجاب الناس الى فسلط
عليه فواقه ما رد على السلام فلما غابت الشمس ليلة من يوم نهي رسول الله عن كلامنا صليت
صلاة الفجر واما على ظهر بيت من بيوتنا فينا انا جالس على الحالة التي ذكرها الله تعالى قد ضاقت
على نفسي وضافت على الارض بما رحبت وما كان من شيء أهم على من ان أموت فلا يبلى على
النبي او يموت النبي صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس في تلك المدة لا يكلمني أحد ولا يبلى
على فانزل الله فوقنا سمعت صوت صارخ من اعلى الجبل يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا
لله تعالى وعرفت ان قلبه الفرج فجعلت نوبي على الصارخ بشراء وواقه ما املك غيرهما ثم
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وهو يرف ويجه من السرور فقال ابشر بخير يوم مر
عليك منذ ولدك أمك فقلت يا رسول الله ان من نوبي ان أتخضع من مالي صدقة الى الله تعالى
واتي رسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك (وروى) ان
ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما شب ودرج في موضع ربي فيه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا يقال
انه رأى الزهرة فقال هذا ربي فلما أقل قال لا أحب الاقلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي
فلما أقل بعد طلوع الفجر قال لن لم يدني ربي لا كون من القوم الضالين فلما أصبح ورأى الشمس
بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أقلت قال يا قوم اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتجأ جوني في الله

وقد هذان يعني الى الاسلام ولا تخاف ما تشركون به الا ان يشامر بي شيا وسع ربي كل شيء معلما
 اذ لا تذكرون قالوا يا ابراهيم اما تخاف من آلهتنا ان تصيبك بربوان انت تصيبنها وعيبتها قال
 وكنت اخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما ينزل به عليكم سلطانا فأي القرابين
 أحسن بالان ان كنتم تعلمون وكان آذر يصنع أصناما يعبدونها قومه ثم يعطيها ابراهيم يبيعها
 فيكسرها ويذهب بها الى نمرود فبصها فيه على رؤسها ويقول لها اشرى استترعها بها واظهارا
 لقومه فساد ما هم عليه فقذا ذلك عندهم من غير ان يبلغ ذلك غرود فاول ما بدأ قومه ان ينظر
 نظرا في الصوم فقال اني سقيم يعني من القبط عليهم وعلى أصنامهم فظنوا انه مطعون وكانوا
 يقررون من الطاعون اذا سمعوا به قتلوا واعب مدبر بن فراخ الى آلهتهم فدخل عليها وهم قد
 وضعوا لها طعاما وشرا فقال الانا كلون ما لكم لا تنطقون فاقبل عليهم ضربا باليمين وكسرها
 وقطع ايديها وارجلها حتى جعلها جذاذا وارقا طعاما وشرا بها وعاد الى الناس من قطعته
 يسلوهم العظم ثم خرج عنها وتر كما فلما رجع قومه من معبدهم دخلو بيت أصنامهم فلما
 رأوا ما صنع بها اداهم ذلك واعظاموه وقالوا لمن فعل هذا آلهتنا اننا لمن الظالمين فقال
 بعضهم بعضا فتي يذكرهم يقال له ابراهيم سمعنا يسهو يستزي بها فقال غرود فأتوا به على
 أعين الناس لعلمهم يشهدون فلما أتى ابراهيم صلى الله عليه وسلم قالوا أنت فعلت هذا آلهتنا
 يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعو الى أنفسهم فقالوا
 انكم أنتم الظالمون قالوا اننا قد ظلمنا بما نسبنا اليه ثم قالوا قد دعونا انما الهاتضر ولا تنفع
 اعتدلت ما دؤلا ينطقون قال آتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم
 ولم تعبدون من دون الله فلا تعقلون فقال له نمرود حين سمع ذلك منه صف لنا الهك الذي
 تعبدون وتدعو الى عبادته قال ابراهيم ان ربي الذي يحيي ويميت قال غرود وانا حي وأميت قال
 كيف ذلك قال آخذ بجان قد استوجبا القتل في حكمي فاقتل أحدهما ما كوت قد آمنه
 وانحرف عن الآخر فاكون قدأ حيث به فقال ابراهيم ان كنت صادقا فاحي الذي قتلت بربك
 وأخرج روحا من جسدي من غير ان تقطعه ان كنت صادقا وان الله ياتي بالشمس من المشرق فأت
 بها من المغرب فبهت عند ذلك غرود ولم يرد الى ابراهيم شيئا وأمر به الى السجن فلبث فيه سبع
 سنين وجعل يدعو أهل السجن الى الله تعالى والى الاسلام حتى ناهى أمره وفشا واتبعه
 قوم كثير على دينه فلما ارادوا ان يحرقوا ابراهيم واجتمع أمرهم على ذلك بنوا حرا طول
 جلد له ستون ذراعا ووضعوا الى سفح جبل منيف لا يرام ولا يرفا وبلطوا الجسد ارفلا عشي
 فيه أحد الا نزل عنه وأذن وذن غرود أيها الناس احتطبوا النار ابراهيم ولا ينقلقن عنها
 ذكروا لا أتني ولا حر ولا عبيد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك أتني في تلك النار
 فعدوا في ذلك اربع لسله حتى ان المرأة منهم قد ذر ذلك على نفسها لئن رجعنا اليها وأفاق
 عليها حتى اذا كمل ذلك فذفوا فيه النار حتى انه كان يسمع وهج النار على المسافة البعيدة فلما
 بلغ ذلك وضع ابراهيم في كفة المتجنيق قال وهب بن منبه فبلغني ان السماء والارض والبعار
 وما فيها صجروا الى الله تعالى صجبة واحدة قالوا يا ربنا ليس في أرضك أحد يعبدك غيرنا نحن
 في نصرته فأوحى الله تعالى اليهم ان استغاث بشي منكم فأنصروه وأغيثوه وان دعاني فانا

وابسه وناصره فلما وضعوه في كفة المتخني وقذفوه قال حسبي الله ونعم الوكيل اللهم انك
 تعلم ايمانك وعداوتهم فيك فانصرني عليهم ونجني من النار فاحسب الله تعالى الى النار
 ان كوني بردا وسلاما على ابراهيم فاطاعت الناور بها ولولم يقل سلاما لكانت من شدة البرد
 ولبت ابراهيم في النار سبعة أيام وظن قومه انه قد احترق ثم قال غرؤذا قتلوا ماذا فعل ابراهيم
 فاني رأيت الليلة في نومي ان جدار هذا الحيز قد تهدم وخرج ابراهيم عشي قال وذاب النحاس
 الذي سديه باب الحيز واحترق الجدار فصار وماذا فاعلموا على ابراهيم فراوه صهيها سليما
 وخرج الى الناس يفترون الله على تلك الحال فلما راهاهم خرج يمشي حتى قعد الى أمه وهي
 في الجمع وأقبلت ساوة وكانت أول من آمن به حتى جلست اليه فقالت يا ابراهيم اني آمنت
 بالذي جعل النار بردا وسلاما قالت لها أم ابراهيم احذري القتل على نفسك فقالت اليك
 عني فاني لا أخاف شيئا وقد آمنت بالله ابراهيم وحول ابراهيم جمع من الناس لا يحصى عددهم
 يا غرورون ليجددوا له عذابا فارسل الله تعالى ربهما عاصفا فسفت رما ذلك النار في وجوههم
 وعيونهم ففروا عنه وقام ابراهيم داعيا الى الله تعالى ومذكرا به وقال بجاهد وقادة وغيرهما
 ان نبي الله سليمان بن داود عليهم السلام انطلق الى الحمام ومعه جني يقال له صغور ولم يكن سليمان
 عليه السلام يدخل الحمام الا بالخطام فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فالتقاه في البعرة فالتقمته
 سمكة ونزع ملك سليمان منه وأتى على الشيطان شبه سليمان فجاء فجلس على كرسيه ووسلط على
 جميع ملك سليمان غير ثيابه فجعل يقضي بين الناس والناس يشكرون قضاياه حتى قالوا لقد قتن
 نبي الله سليمان ومكث على ذلك أربعين يوما ثم أقبل في حالته تلك وهو بائع فائع حتى انتهى الى
 صيادين في البحر فاستطعم أحدهم من صيده وقال له يا سليمان فقام اليه بعضهم فضر به بعضا
 فنزع وجهه فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم على ضرب به اياه ثم أعطوا
 سليمان سمكتين مما قد تغير عندهم وتفن ولم يشغله ما كان فيه من الضرب عن أن يقوم الى شاطئ
 البحر فنشق بطونهما وعلمهما فوق جنتهما في بطن أحدهما فاخذ قلبه فردا الله عليه بهامه
 وملكه وجاءت الطير فقامت عليه فعرف القوم انه سليمان فجاءوا يستذكرون اليه (وروي)
 وهب بن منبه ان الله تعالى وهب لابراهيم الحق فلما كان ابن سبع سنين أوحى الله تعالى الى
 ابراهيم ان يذبحه وان يجعله قربانا فآفكتم ابراهيم ذلك عن امه وجبى الناس وأسره
 الى خليله يقال له العازر وكان أول من آمن به من قومه يوم أحرق فقال له ان الله سبحانه
 رفع اسمك في الملا الاعلى على جميع أهل البلا حتى كنت أرفعهم بيلة ليرنعك الله بعد ذلك
 في المنازل والقضائل وقد علمت أن الله تعالى لم يبتلك بهذا ليعفك ولا يهلك فلا يسوأن بالله
 ظنك وأعوذ بالله ان يكون ذلك حتم لي على الله تعالى أو مضطحا يحكمه الذي يحكم على عباده
 ولكن هذا حسن الظن بالله فان عزم ربك على ذلك فكن عند احسن علمك ولا حول
 ولا قوة الا بالله العلي العظيم فتمزي ابراهيم عليه السلام بقوله واستند له رأيه وبصيرته وانطق
 باسمه فلما بعد الجبل ومعه السكين والجبل وأداة القربان فناله استحق يا رب ابراهيم
 أداة القربان ولا أرى قربانا قال ابراهيم يا بني القربان بعين ربك بقرار اليه وان شاء رحمك الله
 فلم يقطن اسمعق فلما وافي رأس الجبل قال ابراهيم يا بني ان الله تعالى أمرني ان اذبحك وأجعلك

قرياً ثم رفعك اليه ويتقبله فانظر ماذا ترى فقال الحق واستبشر فقال له والله لقد فجعك يا بني
 بأمر ما فجع به والدوده وانى لارى من سرورك بذلك وشكرك لربك أمر الأرجوه العافية
 والفرح فقال يا بني لم يكن شئ من الدنيا أحب الى من البر بك وبأبي وقد حرمته وبى فإذا
 أردت مذبحي فاشدد وثاقى فاقى اخاف حين يقارقتى عقلى واجدالم الحديدان يصركم معى عتو
 فيؤذيك وأناأ كره أن أختم بك على فاذا فرغت من أمرى فأقرئ أئى السلام وقل لها
 لا تجزى فقد أكرم الله لك ابنك فى جناحه فطارغ من وميته عبد ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه
 فمصيه بماتته ما بين منكبيه الى الكعيعين ثم كبه لوجهه وكره ان يستقبل وجهه كى لا تدركه له
 رجلاً اذا هو نسط فادخل يده من تحت حلقه فلما أراد ان يحزن انقلب السكين فاجس ابراهيم
 فى نفسه ثم عاد الثانية فلما أراد ان يحزن انقلب السكين وودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا أنا
 كذلك تجزى المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وفدياً مذبذب عظيم هذا فداء ابنك قد فداء
 الله لك به ففطر ابراهيم خلقه فاذا بك يش قد لوى قرنه الايمن على ساق شجرة فوجه ابراهيم الى
 القبلة وقبلته يومئذ مكة فنجسه ابراهيم وقصبه اسحق فلما فرغ منه وضعا قرباناً فرفع الله اليه
 وقصبه (قال أبو هريرة) ولما صار يوسف عليه السلام الى مصر واسترق بعد الحيرة بنوع جرمها
 شديداً وجعل يسكى الليل والنهار على أبويه واخوته ووطنه وما ابتلى به من الرق فاحيا اليه من
 اليبالى يدعوه به تعالى وكان من دعائه ان قال يا رب اخبرتنى من أسب البلاد الى وفقرت
 بينى وبين اخوتي وأبوى ووطنى فاجعل لى فى ذلك خيراً وفرجاً وخيراً من حيث أحسب
 ومن حيث لا أحسب وجبب الى البلاد الى انافها وحياها الى كل من يدخلها وحيث
 الى أهلها وحيثهم الى ولا تمنى حتى تجمع بينى وبين أبوى واخوتى فى سر منكم وقعة وسرور
 تجمع لنا به خيراً الدنيا والاخرة انك سميع الدعاء فاقى يوسف فى يومه فقبيل له ان الله تعالى قد
 استجاب لك دعائك وأعطاك منك وورثك هذه البلاد وسلطانها وجمع اليك أبوك واخوتك
 وأهل بيتك قطب نقسا واعلم ان الله تعالى لن يخلف وعده وبدعاء يوسف صارت مصر محبوبة
 يحبها من دخلها فلا يكاد يخرج منها قال قتادة ما سكنها بنى قبله ولما جمع الله شمله وتكاملت
 النعمة عليه اشتاق الى لقاء ربه فقال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتى من تأويل الاحاديث
 فاطر السموات والارض أنت ولي فى الدنيا والاخرة فوفى مسلماً والحقى بالصالحين ولما وجه
 سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على
 يزيد بن أبي مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم افرقية فاستغنى محمد بن
 يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم فاقى به فى شهر رمضان عند المغرب وفيه ابن أبي مسلم عتود عنب
 فقال له يزيد حين دأمنه محمد قال نعم قال اما والله لطماسات الله تعالى ان يمكنى منك بغير
 عهد ولا عقد فقال محمد وانا والله لطماسات الله ان يجيرنى منك ويعيدنى فقال يزيد
 فواقها أجارك ولا عاذلك وان ساجتنى ملك الموت الى قبض روحك لسبقته والله لا كنت هذه
 الحبة حتى أقتلك فأقام المؤذن الصلاة فوضع يزيد العتود وتقدم ليصلى وكان أهل افرقية قد
 اجتمعوا على قتله فلما ركع ضربه رجل على رأسه بعمود فقتله وقبل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت
 فسيحان من قتل الامير وأحبنا الاسير سنة الله التى قد دخلت فى عبادته طلوع الحياة من شفاو

الموت وحضور الموتى من معدن الحياة (وبروي) ان سلطان حقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم
فارس إلى قائد البحر وقال اتقذ الآن مراكبا إلى افرقيصة يا أوتى يا خاير هافعمر القائد المركب
وأرسله لحينه فلما أصبحوا إذا بالمركب في موضعه لم يبرح فقال له الملك أليس قد فعلت ما أمرتك
به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت المركب فخرج بعد ساعة وسجدت مقدمة المركب فخامومه
رجل فقال الملك ما صنعتك إذا أتت حيث أمرتك قال ذهب بالمركب فينا أنا في جوف الليل
والبحارون يقذفون إذا أنا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين بكر وهما راغلا استقر
صوته في اسمعنا نأديناه مرارا بالسك باليسك وهو ينادى يا الله يا غياث المستغيثين ونحن نجيبه
باليسك باليسك وقد هنا المركب نحو الصوت فالتقينا هذا الرجل غريبا في آخر رمق من الحياة
فأخذت أمان البحر وسألنا عن حاله فقال كأنما قطع من افرقيصة فغرقت حقيقتنا منذ أيام
وما زالت أسبح حتى وجدت الموت فلم أشعر إلا بالعث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا
وأرق جبارا في قصره لغريق في البحر حتى استخرج من تلك الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة
الوحشة لا اله الا أنت سبحانك (وأخبرني) رجل كان امام المسجد الجامع بالاسكندرية قال كنت
بمقلية أيام فتح الصدر فزحف البناءي البحر من تقارب ثلما أضيقته وأرست في الساحل
فأرأيت أمرا مهولا وفينا الشيخ الصالح العابد ابن المستطاري فلما الناس اليه واستجمعوا حوله
يتبركون به ويتقربون القريج على يديه قال فنظر إلى السماء حينما وجد وعمر خديه بالأرض
يقلم ما عينا وشمالا قال فوالله ما ذهبا حتى هبت ريح مرقها كل عرق فلم يجمع منها اثنان
(وأخبرني) أبو القاسم بن فائق رحمه الله قال كنت في طريق طابا فطعن الناس في مفازة تبوك
ففقده الماء ولم يوجد الا عند صاحب لي جمال فجعل يديه بالذناير بارفع الاثمان فجاء رجل كان
موسوما بالصلاح عليه مقطعة يحمل ركوة ومعه مشي من دقيق فتشفع لي إلى الجمال ليبيعه الماء
بذلك الدقيق فكلمته فاني على ثم عاودته فاني قال فبسط الرجل النطع في الأرض ونثر عليه الدقيق
ثم رمى السماء وقال الهي اعبدك وهذا دقيقك ولا أمك غيره وقد أتى ان يقبله ثم ضرب يده
في النطع وقال وعزتك لا برحت حتى أشرب فوالله ما فترت حتى نشأ السحاب فامطر العين
فشرب الماء ولم يبرح فكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤذيه
له لو أقسم على الله لأبره (وأخبرني) شيخ حسن عن كان يعصب العلماء القبروان يقال له حوز قال
أخبرني عبد الكافي الديباني قال رأيت بالقبروان آية عظيمة وذلك ان رجلا جاء بصبي له وقد
أسكت فلا يشكم فدخل به إلى القصة أبي بكر بن عبد الرحمن وقال له ان اخي هذا قد أسكت منذ
أيام فلا يشكم فادع الله ان يخرج ما نزل به قال فدعا الشيخ ساعة ثم مسح وجه الصبي فاستفاق
الصبي فقال له قل لا اله الا الله فقال الصبي أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم
التفت إلى الرجل وقال اكتبها على إلى الموت ثم التفت إلى جاريته فقال اكني على هذا إلى
الموت وأنت حرة فلما كل يوم توفي الشيخ أبو بكر واجتمع الناس جنازته وتكاثر الامم قام
الرجل فاستنعت الناس فسكتوا فقال يا أهل القبروان اسمعوا قصتي مع هذا الشيخ وذكر
الحديث كما سقناه (وحدثني) هذا الشيخ قال نزل عندنا بالقبروان قصة لم يسمع في السابق مثلها
وذلك ان بعض الجزايرين اصبح كتب اليه فخطب بين يديه فقلت منه وذهب فقام الجزاير يطلبه

وجعل يمشي الى أن دخل خربة فاذا فيها رجل مذبح يضبط في دمه قنزع ويخرج هارباً وإذا
 صاحب الشرطة والرجال عندهم خبر القتل وجعلوا يطلبون خبر القاتل والمقتول فأصابوا يده
 السكين وهو ملوث بالدم والرجل مقتول بالخربة فقبضوه وجاؤوه الى السلطان فقال له أنت قتلت
 الرجل قال نعم قال فلماذا لم تستطع قتله وهو يدعي اعترافاً لا اشكال فيه فأمر به السلطان
 يقتل فأخرج للقتل واجتمع الامم ليصروا قتله فلما هموا بقتله اندفع وجعل من الحلقة المجتبعين
 فقال لهم لا تقتلوه أنا قاتل القتل قبض وجعل الى السلطان فأعترف وقال أنا قتله فقال له
 السلطان قد كنت معافى من هذا فما جعلك على الاعتراف قال رأيت هذا الرجل يقتل ظلماً فكرت
 ان الله تعالى يدم وجهي فأمر به السلطان فقتل ثم قال للرجل يا أيها الرجل ما دعاك الى
 الاعتراف بالقتل وأنت بريء قال الرجل لما حلقني رجل مقتول بالخربة وأخذوني وأنا خارج
 من الخربة ويدي السكين ملطخة بالدم فان أنكرت من قبلي وان اعتذرت من بعد فنفخني
 سيلاً وانصرف مكرماً (ولم يورث نحر الملك) نظام الدين لسنجار الملك وكان نحر الملك ابن عم يقال
 له شهاب الملك وكان يخاف منه على منزلته فقال للملك سنجار لا حياة لي معك الآن تقتل ابن عمي
 شهاب الملك فاني سنجار فإزاله يرجعه الى أن أمر به فحبس في بلدي يقال لها ميقي وكان والي ذلك
 البلاد يكرمه بجلالته وجلالة أهل بيته وأخلى له داراً في القلعة مشرفة ثم جعل نحر الملك يقصد
 قلب سنجار ويحمله على قتل شهاب الملك الى أن أرسل سنجار الى واليه بقتل شهاب الملك
 فاستعظم الوالي قتله وأخبره أياماً ثم لم يجد بداً من قتله فعزم على قتله في يوم الجمعة فيمنه شهاب الملك
 يطلع من طاقات الدار اذا بنارس يركض فأوجس في نفسه خيفة منه وقال هذا يريد أن يقتلني
 فوصل القارص وقال مات نحر الملك فغضب سبل شهاب الملك ثم وزر سنجار فسبحان القاتل لما
 يريد (أخبرني) أبو الفضل المبرمج قال كان بمصر مولود في حدان وكان الرقيس فاصر الدولة
 وكان يشكو وجع القولنج فأعيى الأطباء ولم يوجد شفاؤه ان السلطان دس على قتله فأرسله
 رجل معه خنزير فلما جاء في بعض دهاليز القصر وثب عليه الرجل وضربه بالخنجر فقامت الضربة
 في أسفل خصره فأصاب طرف الخنزير المعى الذي هو القولنج فخرج ما فيه من الخلل ثم عافاه
 الله تعالى فصح وبرئ كالحسن ما كان (ولما كنت بالاسكندرية) نزلت سفن العدو وبساحل
 مدينة برقا أخذوا قوماً من المسلمين وقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم فأخذ رجل منهم وشد كانه
 من خلقه فلما نبوا السفينة عمد اليه بعض الاعلاج فرفسه وألقاه في البحر ثم طعنه برمح كان
 معه فمخطئ نصل الرمح جبل الكاف فطعته واشتد به الرجل فسمع حتى لحق بالشاطئ سليماً
 ووصل الى الاسكندرية في عافية (وحديثي) بعض الشاميين ان رجلاً اخبأ زانية بها هو مخبئ في
 تنور بجدي ثم دس في عير عليه رجل يبيع الشمس قال فاشترى منه وجعل يأكل بالخبز الحار
 فلما فرغ سقط مغشياً عليه فظفروا فاذا هو ميت فخلوا يترصون به ويحملون له الأطباء فيلبسون
 دلائق ومواضع الحياة منه فتصروا بأنه ميت ففصل وكفن وجعل الى الجبانة فبينما هم خارجون به
 من باب المدينة استقبلهم رجل طيب يقال له البيروني وكان طيباً ما هراخلاً فبالطبيب فسجع
 الثامن يلهسون بقصته فقال لهم حلوه حتى أراه قال فخلوه وجعل يقلبه ويستر في أمارات
 الحياة التي يعرفها ثم فتحه وسقته شيئاً وقال حقته فاندفع ما هنالك يسيل وإذا الرجل قد دفع

عنه وتكلم وعاد كما كان الى دكانه (وكان رجلا) عشي يغدا فيعاهو في الطريق اذا برقد
وقعت عليه ففرت كالجليل العظيم واذا في الحائط طاققا اخطأت رأسه فصارت الدار كوما
وخرج الرجل من الطاعة سليما (وسدني) أبو القاسم الحضرمي قال كنت باليمن في أرض
الصليبي فوثي بي الى السلطان فأمر بقتلي فاخرجت وقد كنت للقتل وتركتي السيف ثم قال
لي مد رقبتي فمدت عنق لقضاء الله تعالى ثم قال لي السيف اشتد فقلت دونك يا هذا فيمنا نحن
كذلك اذا صاح من داخل القصر لا تقتلوا لا تقتلوا فخلوا سبي (وجرت بقرطبة قصة غريبة)
في أيام المنصور بن أبي عامر وذلك ان رجلا يعرف بقاسم بن محمد السبسي شهد عليه بالزندقة
فحبسه المنصور مدة فمعه جماعة من الاديان من وجود قرطبة من موقوف بالانجال والزندقة وكان
ينادي عليهم في كل جمعة فيقولون ان رسالة الجمعة باب الجامع الاعظم من كانت عنده شهادة فيهم
فليؤدها فثبت على قاسم عند القاضي سجل شهادات الشهود بانواع منكرة تتضمن الزندقة
والكفر فظلموا الى القصر وعقدوا مجلسا عظيما واستشيرا فقها فيه فاجابوا قلة فاستحضر
قاسم الحضرمي وحضر أبو وحضر بيان مغيران لقاسم ولبسوا ثياب الحداد وجلس أبو معه
نعتا وجالين وجعل أبو والصبيان يكون على باب القصر واحد يضرب عنقه ساف يعرف
باب الجندی ودفع اليه امياف من القصر فجعل يروى وهاهنا وهاهنا وأبوه وابناه
يتطران وحضر القبة أبو عمرو والمكودي الاشيلي على كره منه وكان يأتي الحضور فاستقوه
فقال يا هؤلاء ان الدماء لا تفسد الا بالحق الواضح دون الشبهة احسبوا ان السبسي فروجا
بما اذا بجرته فقال القاضي ابن الشرفي بما ثبت عندي وأمعنت النظر فيه قال القاضي
عليه فاخذ السجل ونظر فيه فقال أخبرني عن قتلتهم هؤلاء الشهود قال بهذا وهذا حق
عند خمسة قال القاضي فيمضهم فقتله قال نعم قال فلو شهد منهم اثنان خاصة كنت تقتله قال لا
انما لوي بعضهم بعضا وزكي أكثرهم عندي فالتفت القاضي الى الفقهاء المشاورين فقال يا هؤلاء
بالدعائم يقتل المسلمون عندهم ويسلك دماؤهم فليست أرى قتله ولا اسير به فرجع الفقهاء الى
قوله ولم يروا عليه شيئا بعدما اقتوا بقتله منذ ستة أشهر فاقض الجمع وشيم السيف وطار البشير
الى ابن أبي عامر فآخبره بالمجلس فقال ابن أبي عامر مضيت فقتلوا ابن السبسي فدفعتم القاضي
قد اجتهدنا الدين ولا نائل لموجيل فحبس أياما ثم أطلق فكان ابن ذكوان القاضي يقول للقاضي في
مثل هذا قال القائل اذا سئل لم عرف الله قال ينقضه عزائي ومعنى الدعائم على لسان الفقيه
هم الشهود الذين لا يقردهم منهم اثنان لم يثبت الحكم ولا قبلا فيه فاذا كثروا قوي بعضهم بعضا
فلا يثبت الحكم بهم (وفي قضيتهم هذا ما حدثني القاضي) أبو مروان الداني بطرطوشة وقد دوى
قضاة اقدارنا ما قال نزلت قافله بقرية فخرية من أعمال دانية فآووا الى دار خراب هناك
ليست كنوا من الرياح والامطار واستوقدوا نارهم وسوروا معيتهم وقرب تلك الخربة حائط
مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم لاهل القافلة يا هؤلاء لا تقعوا وانتم هذا الحائط
ولا تدخلوا هذه البقعة فانوا الادخلوها وبات الرجل منتبها خارجا عنهم لم يقرب ذلك
المكان ثم أصبحوا في عاقبة وجالوا بهم فيمناهم كذلك اذ دخل الرجل الخربة ليستوقد
بقية النار فخر عليه الحائط فمات مكاه (ويبلغني) عن بعض الفقهاء ان جيشا من الجيوش كان

بجملته ناهضاً من مكان إلى مكان ففعلوا ساعة لبعض شأنهم فإذا عثر يديب فضر به بعض
 الجناد بقرعة كانت معه ثم رفع القرعة إلى نحو عنقه فإذا بالعرب قد تشبث بأهداب المقرعة
 وهو لا يتحرك فلدغته في عنقه فقتل مكانه (واخبرني القاضي) أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال
 كنت أقرأ على الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين بغدادياً من الحديث في سائت رجل
 يبيع الطرخاء رجل طواف بطبق يحمله في يده وأعطاه عشر قدراهم وقال له ادفع إلى أشياء
 سماها من الطواف أخذها في طبقه ومشى فسقط الطبق من يده وتفرق جميع ما كان فيه فبكي
 الطواف وجزع حتى رحناه فقال أبو حفص لصاحب الخافوت لعلك تجبره بعض هذه الأسباب
 قال نعم فنزل وجمع ما تجمع منها وجبره ما نقص وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له
 لا تجزع فامر الدنيا أسير من ذلك فقال الطواف أظن أبا الشيخ أن جرحي لضباع ماضع لقد
 علم الله تعالى متى كنت في القافلة القلائد فضع لي هيمان فيه أربعة أقدار أو أربعة
 آلاف دينار الشك من أبي ذر ومعهان فصرص فيهما مثل ذلك فاجبرعت لضباعها ولكن ولدي
 في هذه الليلة مولود فاحتفت في البيت إلى ما تحتاج إليه النساء ولم يكن عندي غير هذه
 الفسردراهم فاشتقت أن أشتري بها حوائج النساء فأتيت بقدر رأس مال ولا اقدر على
 التكسب فقلت اشتري بها أشياء وأطوف صدورهم أرى فعمى استقبل شيئاً أسد به رمي
 وبقى رأس المال انصرف فيه فلما قدر الله تعالى بضاعه بوجعت فقلت لا عندي مال أرجع
 به إليهم ولا ما أكسبه وعلمت أنه لم يبق لي إلا القرا ومنهم وتركهم على هذا الحال
 به لم يكون بعدى فهذا الذي أوجب جرحي قال الشيخ أودر وكان رجل من الجناد جالساً
 على باب دار مبستوعب الحديث فقال للشيخ أبي حفص أنا أودع إذا انتمت أمره أن تدخل
 معه عندي وقام فظننا أنه يريد أن يعطيه شيئاً قال قد خلنا عليه فاذن لنا فقال الجندي للطواف
 عجبت من جرحك فأعاد عليه القصة فقال الجندي وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان بهامن
 علام الناس فلان وفلان فعلم الجندي صحة قوله فقال له وما علامة الهيمان وفي أي موضع
 سلط منك فوصف المكان والعلامة فقال له الجندي لو رأيت ~~كنت~~ تعرفه قال نعم فأخرج
 الجندي هيماناً ووضع بين يديه فقال هذا هيمانى وعلامة صحة قولي أن فيه من الأجرار
 ما صفته كذا وكذا ففتح الهيمان فوجد الأجرار على ما ذكر فقال الجندي خذ مالك يا رب الله
 لك فيه فقال الطواف هذه الأجرار قيمتها مثل الدنانير أو أكثر فخذ أنت الدنانير بنفسى طيبة
 بذلك فقال الجندي لا أخذ على أمانتي شيئاً فدخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من
 الأثنياء فبكي الجندي بكاء شديداً وانتحب فقال له أبو حفص علام تبكي وقد أدى الله ما نلتك
 وقد بذل لك ما لا كبير وإن شئت عرضنا عليه أن يعده عليك فقال ما أبكي لك وإنما أبكي لأنى
 أعلم أنه قد حان أجلي فإنه ما كان ببق أمل أو مله ولا أمانة أئتمها إلا أن يأتي الله بصاحب هذا
 المال فأخذه فلما قضى الله تعالى ذلك بفضل ولم يبق لي أمل علمت أنه قد حان أجلي قال الشيخ
 أبو ذر فأتى القاضى شهر حتى توفي وصلاً ناعليه (قال القاضي) وحديثي أبو القاسم بن الحسين
 بالموصل قال لقد جرت هيماني هذا المسجد وهذه الدار والخافوت وأشار إليها قصة عجبة كان
 يسكن هذه الدار رجل من التجار من يسافر إلى الكوفة في تجارة الخزفينا هو يعمل الخزف
 خرج على ساجره وهو جميع ما له من القافلة فأراد أن يذهب عن الجارية فقتل عليه فامر أنساها

هناك فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل لياً كل معه فأجابه وأكل معه ثم سأل عن أمره فأخبره أنه رجل خرج من الكوفة لأمر أربعه دون زاد فقال له الرجل تكبر معي وتعينني على سفري ويكون طعامك عندي فقال الرجل اني حريص على خدمتك ومحتاج الى طعامك فساومعه في طريقته فخدمه على أحسن حال قال فوصلاتك كبرت فقلت الرفقة خارج المدينة ودخل الناس لقضاء حوائجهم فقال الرجل للخدام احفظ رحلتا حتى ادخل واشتري حاجتنا ثم دخل وقضى حوائجه فأبطأ هناك ثم خرج فلم يجد الرفقة ولا وجد صاحبه فظن انه لما رحلت الرفقة رحل معها فلم يزل يسي حتى وصل الى الرفقة بعد الجهد فساء لهم عن صاحبه فقالوا ما جاء معنا ولا رأينا، ولكنه ارتحل الاسباب على الحمار ودخل على أترك وطننا لك أمر به ذلك ففكر الرجل راجعا الى تكريت ومأل عنه فلم يجد له أثرا ولا سمع له خيرا فبئس منه وما الى الموصل مسلوب المال فوافاها نهارا باعها عرايا با فقير اعجزه فاستصيا أن يدخل نهارا فيشمت العدو ويحزن الصديق فيبقى حتى أمسى ثم دخل فندق الباب الدار فقبل من هذا فقال فلان يعني نفسه فظهر واسرورا عظيميا واجبة اليه وقالوا الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة جعلت جميع مالك وطال سفرنا واحتاج أهلنا وقد ولدت اليوم ولدا واولادنا ما وجدنا ما نشتري به شيئا للتقضاء ولقد كانت هذه الليلة طارية على حالها فقصيل لنا في دقيق ودهن نسرج به فلا سراج عندنا فزاد ذلك غما وكرا ان يخبرهم بحاله فيعزهم وأخذوا ما نزلت ويرجوا بالدقيق وخرج الى هذا الحانوت وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحوه وقد أغلن دكانه واطفا مصباحه وقام فناداه فأجابه وعرفه وشكر الله على سلامته فقال التاجر لصاحب الحانوت اقدح زناذا ازن لك الدراهم في دقيق وزيت وعسل احتجت اليه الساعة وكره ان يخبره بتأخير التي فيمتنع منه فقدح البياع الزناد واستصيح فقال له التاجر نزلني من الدقيق كذا ومن الزيت كذا ومن العسل كذا ومن السم كذا ومن الملح كذا ويبلغها كذا ذلك اذ كانت منه الفتاة الى قعر الحانوت فرأى فيه حرجه الذي هرب به صاحبه فلم يملك ان وثب عليه والتمه وألقى يده في أطواق صاحب الحانوت وجذبه الى نفسه وقال يا عدو الله أين مالي قال له صاحب الحانوت مالي يا فلان فراقها علمك متعديا ولا علمني جئت عليك ولا هلي سواك فها هذا قال خرجي فزلي به خادم خدمني بجميع مالي وبجسمي قال مالي علم غيران رجلا ورد على بعد العشاء واشتري مني عشاء واستصافني فأغضه وجعلت هذا اخرج في حانوتي وهذا الحمار في دار جارا والرجل في المسجديات فقال له اجل معي اخرج واحض الى الرجل فرفع الخرج معه وأثناء على عاتقه ومشى معه الى المسجد فاذا الرجل قائم في المسجد فركمه برجله فقام الرجل مذعورا فقال له مالي فقال له أين مالي يا حائن قال هو ذا اعلى عنقك والله ما تقاتد ومنه ذرة قال فأين الحمار قال هو عنده هذا الجاني معك فنهض الى داره فوجد متاعه سليما واستخرج الحمار من الموضع الذي كان فيه ووسع على أهله وأخبرهم بقصته فزاد أهله فرحا وتبركا بذلك المولود ولما وفي موسى عليه السلام أمره وشعب عليه السلام الاجل الذي أجلا مري غم شبيب التي رعاها موسى هو ضاعن مهابته أخذ موسى عليه السلام زوجه وكر راجعا من مدين فلما وافي الوادي المقدس عند جائب الداور اجتمعهم الليل

بظلمته يا سوا باقين فيعاجهم كذلك اذ ضرب زوجه الطلق وكانت حاملا وليس عندهم
 ملتحج اليه النساء من الغذاء والدواء وما يصلح به شأنهم فبقوا في ضيق من الحال وقلة
 من الحيلة فخرج موسى عليه السلام يلتفت وينظر عينا وشماله عسى فرج لما أسوا فيه من
 الضرر اذ رأى نارا فقال لاهله امكنوا اني آنست نارا على آتكم منها يقبس أو أجد على النار
 هدى فلما أتاهم أضيق ما يكون ذرعا وأحرجه قلبا وآتاه عن رفيق نودى من شاطئ الوادى
 الايمن يا موسى اني انار بك وهكذا الطائف الحق سبحانه مع من سلم لامره ورجا فضله وتكلم
 بالهدى وبالبشرى بفتح الله فيه أهله ويعطيه فوق ماله هذا موسى عليه السلام خرج
 يقبس نارا نودى بالنوة وعن هذا قال علماء وليس في خصال الخيروان جنت ولا في انواع
 الاعمال وان عظمت أعلى من حسن الظن بالله تعالى وتطمع به ضر الشعراء فقال
 ايها العبد كن لما لت ترجو * من نجاح أرجى لما أنت راج
 ان موسى مضى ليقبس نارا * من ضياء رآه والليل داج
 فأتى أهله وقد كلم الله ونجاه وهو خير مناج
 وكذا الكرب كلما اشتد بالعبد * دنت منه راحة الاقتراب

(وروي) ان الله تزل بساحة افرقية في عدد كثير من المراكب ففتى ماؤهم وعطشوا فغفر
 المسلمين لهم في خلق عظيم من تلك السواحل والحصون فنعوهم التزول لاستماء الماء وارسلوا
 الى المسلمين ان يحالوهم واستقاء الماء فابوا فتضاعف عطشهم حتى أشرفوا على الهلاك فقصوا
 أبا جليلهم وأخذوا في الدعاء والاستسقاء الى الله تعالى والنضرع اليه فلم يك بأوشد من السماء
 ان القيت باروا فها هم أرحت ما كثيرا فبسط القوم انقطاعهم وجحانهم وآلاتهم فشرىوا واملوا
 أو انهم فضع المسلمون عند ذلك وقالوا هؤلاء كفاروا عدا الله ورسوله قد أخذوا الى ربهم
 وأبوا اليه وسالوا وما يبيحون به رفقهم فاعانهم فحن أحق بالدعاء والنضرع الى الله سبحانه
 وأولى بالاجابة منهم ثم جدد المسلمون في الدعاء والصلاة والابتهال الى الله تعالى في أن يرهم آية
 يقو عليها قالوا يا الله يا ربنا وبتنا يشكر أهل المعرفة والاولياء فيعاجهم كذلك اذ أرسل الله
 عليهم ريحا فبددتهم ومن قهم كل محرق وكسرت مراكبهم ولم يجتمع منهم ثنان * ومن عجائب صنع
 الله تعالى في هذا الباب ان رجلا من بيار بكر جاء الى بيت المقدس وزار قبر الخليل على الله عليه
 وسلم وأكل من ضافته فطارت حبة عذس من ذلك الطعام في خيشومه ورام خروجها بكل
 حسنة فاجتزته حتى تركته مضى ثم رجع الى بلاده فيبنيها هو جالس اذ عطس فطارت العدسة في
 الارض فاذا طارت لتهبطها الوقتها وبرئ الرجل فسبحان من جعل أنف هذا الرجل حوزا
 لقوت هذا الطائر على بعد النقة والمسافة * وأما ما نقلها همت بالرحيل من يلدى الى المشرق
 في طلب العلم كنت لا أعرف التجارة ولا الى حرفة ارجع اليها فجزعت من الخروج وكنت أقول ان
 ذهبت نفقتي ماذا أفعل وكان أقوى الآمال في نفسي ان أحفظ البساقير بالاجرة وأدرس العلم
 بالليل ثم استقرت الله تعالى فرحلت وكأنت معي نفقة وافرة في هيمان على وسطى وكنت أسمع
 المستقرين يقولون من نام بالليل في الصيا في له نفقة على وسطه فليكلها فان الله ووص اذا كبرت
 الخلق يتدرون أو ساطعهم فخرجت من بلاد السويدية الى انفا * وهي اذن البحر للروم

فسرى بالمتناوأصبحنا على باب انطاكية فأخذتني عيني وحالت الهمان وغمت ولم أتمكن من الا
 خوضه النهار فاستيقظت ومددت يدي الى الوهمان فلم أجده فجلت أنظر الى القافلة والتفت الى
 الناس وقد أسقط في يدي ولم يبق لي حيلة فاسترجعت ورفعت أمري الى الله سبحانه وإذا رجل
 من أهل القافلة ملتصقاً بي فوق وجهي في وجهه فاذا هو يضحك لما رأى ما بي فقال مالك أيها
 النقيبه قلت خبر فراجعني فقلت خبر فسلم الي وقال خذ ههنا لك عافاك الله فساته كيف ظفر
 به فقال رأيتك قد تدرجت ذراعين أو ثلاثة والتفت فرأيت سواداً في الموضع الذي كنت فيه
 فأعاسرت اليه وأخذته فاذا هو الهمان رحمة الله عليه ورضوانه لديه

الباب الستون في بيان انصلة التي هي ام الخصال وفروع الفضائل ومن فقد هالم يكمل
 فيه خصلة وهي الشجاعة ويبرع بها بالصبر ويصبر عنها بقوة النفس

قالت الحكماء أصل الخيرات كلها في ثبات القلب ومنه تستمد جميع الفضائل وهو الثبوت والقوة
 على ما يوجب العدل والعلم واللين غريزة يسمعهما سوا الفطن بالله تعالى والشجاعة غريزة
 يسمعهما حسن الفطن بالله تعالى سئل الاشمع عن الشجاعة فقال صبر ساعة وسئل أبو سهل
 عن الشجاعة فقال تصبرون على حر السيوف فواق ناقة وهو ما بين الحبطين واعلم ان القادم
 للقتال طريقه من طرائد الموت فاستقبال الموت خير من استنباره وقد قال الاول رب حياة سيها
 التعرض للوفاة ووفاء سيها طلب الحياة ومن حرص على الموت في الجهاد وهبت له الحياة
 وقالوا الهزيمة شقرة من شقار الموت والقار يمكن من نفسه والمقاتل يدفع عن نفسه وقالوا ثمرة
 الشجاعة الامن من العدو واعلم ان من قتل في الحرب حذراً أكثر ممن قتل مقبلاً وقالوا تأخير
 الاجل حصن المحارب وقبل لبعضهم في أي جنة يحب ان تلقى عدوه قال بادي بدولته وانقضاء
 مدته واعلم ان الشجاعة لمن كانت له الدولة واذا انقضت المدة تغن كثرة العدد وقال علي
 رضي الله عنه اذا انقضت المدة كانت الهلكة في الحيلة واعلم ان كل كربة ترفع أو مكربة
 تكتسب لا تتحقق الا بالشجاعة ألا ترى انك اذا هممت ان تمنح شيئاً من مالك خارطة منك ووهن
 قلبك وبجرت نفسك فشجعت به واذا حققت عزك وقويت نفسك وقهرت ذلك الهجز أخرجت
 المال المضنون به وعلى قدر قوة القلب وضعفه تكون طيبة النفس باخراجه أو كراهية النفس
 لآخراجه مع آخراجه وعلى هذا النمط جميع الفضائل مهمال بقاؤها قوة نفس لم تتحقق
 وكانت مخدوعة وروى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الشجاعة واللين غرائز يضعها الله
 تعالى فيمن يشاء من عباده فالجبان يفر عن امته وأبيه والشجاع يقاتل عن لا يؤب به الى رحله
 بقوة القلب يصاب امثال الاوامر والانتها عن الزواجر وبقوة القلب يصاب كتاب
 الفضائل وبقوة القلب يفتنى عن اتباع الهوى والتضييع بالذات قال الشاعر

جمع الشجاعة والخضوع له • ما أحسن المحراب في المحراب

وبقوة القلب يصبر المجلس على ايذاء المجلس وجفا الصاحب وبقوة القلب يكتم الاسرار
 ويدفع العار وبقوة القلب يقصم الامور والصعاب وبقوة القلب يتحمل أثقال المكافاة
 وبقوة القلب يصبر على اخلاق الرجال وبقوة القلب تنفذ كل عزيمة وروية أو جها الحزم
 والعدل وبقوة القلب يضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبهم مشحونة بالضعف والغش والاحقاد

كما قال أنذرنا لك كسرا في وجوده قوم وأن قلوبنا لتعلمهم وقال علي رضي الله عنه أنا لنصافح
أعدائنا قطعا وليس الصبر والشجاعة وقوة النفس أن يكون مصرافا في الحال بلوجبا
في الباطل ولأن تكون جلدًا عند الضرب صبورًا على التعب مصمما على التعزير والتهور
فإن هذه صفات الجبر والخنازير ولكن إن تكون صبورًا على أداء الحقوق عليك صبورًا على
سماعها وإلقائها إليك غالب الهواك مال كالتسهراتك ملتزم الفضايل يجهلك عاملًا في ذلك على
الحقيقة التي لا يجهلك عنها حياة ولا موت حتى يكون عندك موتك على الخير الذي أشار به العلم
وأوجه العدل خيرا من البقاء على ما أوجب رفض العلم والعدل كما قال علي بن الحسين رضوان
الله عليهما يابني وما لي بالي أولًا لو أن الخلق خالقوه إذا كان على الحق وهل الخير كله للصق إلا بعد
الموت فمن هذا طالت حكماء الهند إذا لم يكن للملك من نفسه معين كان في جميع أمورهم ضعيفا
مخذولا واعلم أن الجبن مقتلة والحرص محرمة والمجزئ والجلبن ضعف والجلبان يعين على
نفسه بقرع من أمه وأبيه وما حبه وتوبه واعلم أن كل كريمة ما بين الخبيثين والشجاع يحمي
عن لا يناسبه ويبقى مال الجار والرفيق يجهته والجلبان يخاف ما لا يحسن به والجلبان خنقه من
فرقه واعلم أن الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه رجل إذا اتقى الجمعان وتراجع الزحقان
واكتسب الاحداق بالاحداق برز من الصف إلى وسط المعركة يحمل ويكر ويتأذى هل من
مبارز والثاني إذا انضم القوم واختلطوا ولم يدرك أحد من أين يأتي الموت يكون رابط الجاش
ساكن القلب حاضر القلب لم يخافه الدهش ولا خالطه الحيرة فينقلب بقلب المالك لأمره
القائم على نفسه والثالث إذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجود القوم ويحول
بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه ويرجي ضعفهم ويتدهم بالكلام الجليل وينشجع
فقومهم من وقع أقامه ومن وقف حملة ومن كرم من فرسه كشف عنه حتى يئس العدو منهم
وهذا أجدهم شجاعة وعن هذا قالوا المقاتل وراء القادرين كلستقر من وراء الغافلين ومن
أكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وقالوا) لكل واحد منكم ما بين يديه أحدهما لا يجمل عليه
والثاني لا يغفل عنه فالجلبان والقراوة وكان شيوخ الجند يحكون في بلادنا قالوا دارت حرب
بين المسلمين والكفار ثم افرقوا فوجدوا في المعركة قطع من بيضة الحديد قدر ثلثها بما حوته
من الرأس فيقال أنه لم يرق قط ضربة أقوى منها به وكان شيوخ الجند في بلادنا طروشة يحكون أنهم
خرجوا في أيام سيف الله في سرية إلى بلاد العدو فبينما هم يسرون أذلق بينهم سرية للروم يريدون
مناماتريد منهم قال وعرف بعضهم بعضا وكان فينا عسكاري القربان وفيهم صناديد الروم
فتواقنا ساعة ثم شددنا وشدوا فالتقينا وتجاونا ساعة ثم نحننا الله تعالى أكانهم جعلناهم
حصيدا كأنهم جزر على الأوصام وكان هناك قريتهم قرية فيها شيء من الخمر فشربناه وسكرنا
ثم اسلمنا سائرنا ثم قطعنا قطع من لحومهم ونجعل على النار وأكلنا منها ففرغ من
كأأسرنا منهم وبلغ الحديث إلى الروم فقصت النصارى تعجبا منا وقذف الرعب في قلوبهم
(وروي) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي عمرو بن معدى كرب فقال له يا عمرو أي السلاح
أفضل في الحرب فقال عن أيها نسأل قال ما تقول في السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال فما
تقول في الرمح قال أخوك ورب ما خلفك قال فما تقول في السيف قال ذا الذال لا تأمن قال فما

تقول في القوس قال هو الدائرة وعلمه تدور الدوائر وكان عمر وهذا من شجاعتهم العرب وابطالها
 نزل يوم القادسية على النهر فقال لآصحابه اني عابر على الجسر فان أسرعتم مقدار جزر الجزر
 وجد دعوتي وسيفي يدي أقاتل به تلقاه وجهي وقد عقرني القوم وأنا قائم بينهم وان أبطأتم
 وجد دعوتي قبلا بينهم ثم انغمس في حمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بني زيد على ما تدعون
 صاحبكم والله ما أرى ان تدركوه حيا فقاموا فانتوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ رجل
 فرس من رجل من الجسم فامسكها وان القوس ليضرب فرسه فحياقتد والقوس ان يضرك فلما
 غشينا رمى الرجل بنفسه وخلا فرسه فركبه عرو وقال أنا أبو نور كدت والله تنقذوني قالوا أين
 فرسك قال رمى بفسحة فصار وشب فصرعني (ويروي) ان عمر ارجل يوم القادسية على رستم وهو
 الذي قتلوه يزجروا ذلك القوس على قتال المسلمين فاستقبل عرو وسقاه على قبل فقطع عرقه
 فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خروج كان عليه فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانتم
 الجسم ويروي ان قاتل رستم زعيم بن فلان وأما الضربة التي حكيناها التي حازت ثلاث البيضة
 بما حوته من الرأس فلم يسمع عنها في جاهلية ولا اسلام فحملت الروم وعلمت في كنيسة لهم
 وكانوا اذا عبروا بانهم زعمهم يقولون لقينا اقواما هذا ضربهم فبرحل ابطال الروم اليها يروها
 وانما كانت العرب تفخر في هذا الباب بقول الثورين قول يصف ضربة سيف
 أي الحوادث والايام من عمر • آثار سيف قديم أثره بادي
 تظل تحفر عنه ان ضربت به • بعد المذاعين والقيدين والهادي
 وينشد قول النابغة في السيف أيضا

بقذا الساقى المضاعف سحبه • ويوقد بالصقاح نار الجباب

وأي هذا من قذا الحديد بما حوا من الرأس وأين القريامن الثرى وأين الحسام من المنجل ولولا
 كراهة التطويل لذكرنا من أمثال هذا ما فيه العجب وقد قالوا السيف ظل الموت السيف لعاب
 المنية والريح رشاء المنية والسهم رسل لا توامر من أوسلها والريح أخوك ورميها خاتك والدروع
 مشقة للراجل ومتعبة للفراس وانها الحصن حصين والترس يحين وعليه تدور الدوائر

• (الباب الحادي والستون في ذكر الحروب وتدابيرها وحيلها وأحكامها) •

من حزم الملك أن لا يهقر عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيقا فكم من برغوث
 اسهر قبلا ومنع الرقاد ملكا جليلا وقال الشاعر

فلا تحقرن عدوًا رماك • وان كان في ساعديه قصر

فان السيف تحز الرقاب • وتنجز عما تنال الابر

وفي الامثال لا تحقرن الذليل فربما شرف بالذباب العزيز ومنسل العدو مثل النار ان تداركت
 اولها سهل اطفأوها وان تركت حتى استحكمت ضرامها صعب مرأها ونضاعت بلبتها ومثله
 أيضا مثل الجرح الردي ان تداركته سهل برؤه وان أغفلته حتى ثقل عظمته بلبته وأعيان
 الاطباء برؤه (واعلموا) ان الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتباً وتبوا فيها تزيها فلا ينسج أهل
 سائر الاقاليم حلما اذ لكل أمة في الغالب نوع من التدبير ومنسج من الحيلة وضرب من
 المكيدة وجنس من اللقاة والكروا القروا وتعبية المواكب وحمل بعضهم على بعض ولكن نصف

منه أشياء تجري مجرى المعاهد لا تكاد تختلف في انهاء أزمة الحروب وتبدأ أولاً بملازمة الله
 تعالى في القرآن • قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به
 عدو الله وعدوكم فقلوا تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما في مقدور البشر من العدة والآلة
 والخيالة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة قرة على أناس يرمون فقال الا ان القوة الرمي
 الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي • وكان بعض أصحابه اذا أراد الغزو لا يقصر أظفاره
 ويتركها عدة ويراه قوة فأول ذلك ان يقدم بين يدي الإقامه لصالح من صدقة وصيام وبرد
 مظلمة وصله ورحم ودعاء مخلص وأمر معروف وتغير منكر وأمثال ذلك فقد كان عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه يأمر بذلك ويقول انما اتقاتلون بأعمالكم وروى ان بريداً ورد عليه بفتح المسلمين
 فقال لا عمر أرى وقت لقتل العدو قال غدوه قال ومضى انهم قال عند الزوال فقال عمر اتالله
 والبراجعون وقام الشركاء لادمان من غدوة الى الزوال لقد أحدثتم بعدى حدثاً وأحدثت
 بعدكم حدثاً والشأن ككل الشأن في استجابة القواد وانتخاب الامراء وأصحاب الولايات
 فقد قالت حكاة العجم أسديت قوداً آف تغلب خير من تغلب يقود آف أسد فلا ينبغي ان يقدم على
 الجيش الا الرجل ذو البسالة والفسدة والشجاعة والجرأة ثبت الجنان صارم القلب جريئ
 رابطة الجاش صادق اليأس عن قدوس الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الاقوان
 وقارع الابطال عارفاً بمراضع القرص خبيراً بمواقع القلب والمخنة والمسيرة من الحروب وما
 التي يجب شحها بالمخنة والباطل من ذلك بصيراً بصنوف العدو ومواقع الغرمة ومواقع
 الشدة منه فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كان جميعهم كأنه مثله فان رأى لقراع
 الكتاب وجهها والارادة الفهم للزربة (واعلم) ان الحرب خدعة عند جميع العقلاء وآمر
 ما يجب ركوبه فرع الكتاب وحمل الجيوش بعضها على بعض فليبدأ بتصرف الحيلة في نيل
 الظفر (قال) نصر من سيار كنت أمير خواسان من قبل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية قال
 وكان عظماء الترك يقولون ينبغي لتقائد العظم القباد أن يكون فيه عشرة أخلاق من أخلاق
 البهائم شجاعة الديك وحمى الشجاعة وقلب الأسد وحيلة الخنزير وروغان النعل
 وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركي وغارة الذئب ومن تغير وحي دوية تكون
 بخراسان تمن على التعب والشقاء • وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد
 ينحت الجبال والناوتا كل الحديد والماء يطفى النار والسحاب تحمل الماء والريح تصرف
 العذاب والانسان يقضى الرمح حاجته والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر
 والهيم يزع النوم فاشد خلق ربك الهيم فأول ذلك ان يبتجوا سيده في عسكره ويستهلم
 اخبارهم مع الساعات ويسمعهم رؤساءهم وقادتهم وذوى الشجاعة منهم ويدس اليهم ويعددهم
 وعدا جيلا ويوجه اليهم بضرب الخدعة ويقوى اطماعهم في ان ينالوا ما عندهم من الهبات
 الفاخرة والولايات السنية وان رأى وجهها عاظمهم بالهدايا والصف وسألهم اما العذر بصحهم
 واما اعترافه وقت اللقاء وينشئ على أنفسهم كتباً مدلىة اليه ويتها في عسكره ويكتب على
 السهام اخباراً مزورة ويرى بها في جيوشهم ويضرب بينهم بما في اليسور من ذلك فان جميع
 ما ذكرنا تنطبق فيه الاموال والخيل واللقاء تنطبق فيه الاوضاع والروم ويوجوه الخلد اع فيه

لا تحصى والحاضر فتح أبصر من الغائب ولقد دراهم الملهام كتب اليه الحاج يستجبه في حرب
الازاوة وذو الجواب فقال ان من البلاء ان يكون انراى عند من يملكه لا عند من يصره وقال
الختار ليزيد بن أنس حين ولاه الخزي نوأمره فقال عبد الله بن زياد امص الى عدوك ليراى غير
مستبد ويجزم غير مشكل ولا تركز الى الدولة فرجما انقلب واستشر من لا يطمع في عهك
ولا تسر بقلبك واستخر الله تعالى قبل اقدامك فوقن وأوصت أم الذبال العباسية اينها القتال
وهو من أشد الحرب يا بني لا تشب في حرب ان وثقت شدةك حتى تعرف وجه المهرب منها فان
الفس اقوى شئ اذا وجدت سبيل الحيلة وأضعف شئ اذا لبست منها وأجد الشدة ما كانت
الحيلة مدبرة لها اذا لم يكن النصر من الله تعالى فابذلها واخلس من الحارب خاسة القلب
وطر منه طير ان القرب فان الحذر زمام الشجاعة والتهور عدو الشدة وقال أبو السرايا وكان
أحد القتلة لابنه يا بني كن بجهلك واثق منك بشدةك وبجذلك واثق منك بشجاعتك فان
الحرب حرب المهور وغنية الحذر واعلم ان الدول اذا زالت صارت حيلها وبالا عليها واذا
أذن الله تعالى الى حلول البلاء كانت الآفة في الحيلة وقالت الحكيمة اذا نزل انقضاء كان
العطب في الحيلة واذا انقضت مدة الدول أدبرت سنة الفقه عن سنة الحذر وبغلب
الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوى بقاء مذهة وقالوا سعور الدول وقصورها مشرونة
بسعود الملك ونقصه وقالوا بهي ذن على كل امرئ دولته فاذا انقضت بدت عورته وقالوا
رب حيلة أهلكت الخصال في الحزم المألوف عند سواس الحروب ان تكون جملة الرجال وكما
الابطال في القلب فانه مهم انكسر الجناحان فالعيون فاطرة الى القلب فاذا كانت رايته تتحقق
وطبولة تضرب كانت مصنا للبحا حين يأوى اليه كل من هزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان
مثال ذلك الطائر اذا انكسر احدى جناحيه يرجع عوده ولو بعد حين وان كسر الرأس ذهب
الجناحان ولا تحصى كثرة انكسر جناحي العسكر وثبات القلب ثم يرجع القارون الى القلب
ويكون الظفر لهم وقيل عسكر انكسر قلبه فأنلج او تراجع اللهم الا ان يكون مكيدة من
صاحب الجيش فيض القلب قصدا وتصمدا ولا يغادر به كبير أمر حتى اذا توسطه العدو
اشتعل بينهم وأطبقت عليه الجناحان ومن أعظم المكايدي الحرب الكسامة ولا يحصى كثرة كم
من عسكر استيحت بيضته وقيل عزمه بالكساء وذلك ان الفارس لا يزال على حمية في الدفاع
وحجى الدمار حتى يلتفت فيرى رداءه بدا مشورا أو يجمع ضرب الطبول فيبذعته خلاص
نفسه وتسكن همتهم وراء ذلك وعليه مدار الحروب في اصطباع الشجعان واختيار الابطال
فانه طمع ذوي البسالة والاقدام والجراة ولا عليك ان لا يكثر واو بعيد عليك ان يكثر ولا
تقنيت الشاعر

والناس انفسهم كواحد وواحد كالاتق ان امرئ

بل لا تجزب ذلك فوجد الواحد منهم خمسين عشرة آلاف وما حكي لك من ذلك ما تغنى منه
العجب مهم في الجيش وان فلوا كاه فنتج في اللبن في ذلك ما اتقى المستعين بن هود مع الطاغية
ابن دهميل انصراى على مدينة وشقة في نغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالسكاكين
كل واحد منهما يراهق عشرين ألف مقاتل بن خيل ورجل يفتنى رجلا عن حضرة الواقعة

من الاتحاد قال لما نادى اللقاء قال الطاغية بن ربيعة بن يثيق بقله وعما رسته للعروب من رجاله
استعمل في عسكر المسلمين من الشجعان الذين يعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر
نذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان حتى عدت سبعه رجال قال انظر الآن من في عسكري من
رجال الهروفيين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدوهم فوجدوهم غلبت رجال لا يزيدون قسام
الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول يا يا ضلك من يوم تم فاش بالحرب بينهم فلم تزل المدابرة بين
الفرقيين لم يول أحد منهم دبره ولا تخرج عن مقامه حتى أتى كثر العسكرين ولم يهر واحد
منهم فلما كان وقت العصر قطروا البنا ساعه ثم جالوا علينا حلة ودا خلونا مداخله ففروا بيننا
وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا وصاروا بيننا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم نتم
الحربه الا ساعه ونقص في خسائره معهم فاشارة قدموا العسكر على السلطان أن يغير بنفسه
وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبروا بالحزم والبصيرة من
جمع يحتوى على أربعة آلاف مقاتل ولا يحضره من الشجعان المدودين الا خمسة عشر رجلا
وليعتبر بضمان العلي بالقفر واستبشاره بالفتنة لما زاد في ابطاله رجل واحد (وسمعت) أساذنا
المصطفى أبا الوليد الباسي وجهه الله يحكي قال بيننا المتصور بن أبي عامر في بعض غزواته
اذ وقف على ثغر من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه
ويساره قدموا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصطفى فقال
كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال ابن المصطفى أرى جمعا كثيرا وجيشا واسعا فقال له
المتصور لا يهجن أن يكون في هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والبسالة فسكت ابن
المصطفى فقال المتصور وما سكونك أليس في هذه الجيوش ألف مقاتل قال لا قال فتعجب المتصور
ثم انعطف عليه فقال أفهم خمسة رجل من الابطال المدودين قال لا فخلق المتصور ثم انعطف
عليه فقال أفهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفهم خمسون من الابطال قال لا فسبه
المتصور واستخفبه وأمر به فأخرج على أقبح حفة فلما توسطوا بلاد المشركين اجتمعت الروم
وتصاف الجعان فبرز علي من الروم بين الصفين ثالث في سلاحه بكر ويقر وهو ينادى هل من
مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلي ففرح المشركون وصاحوا واضطرب
لها المسلمون ثم جعل العلي يروح بين الصفين ويتحدى هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل
من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلي وجعل يكر ويحمل ويتحدى هل من مبارز ثلاثة لواحد
فبرز اليه رجل فقتله العلي فصاح المشركون وذلل المسلمون وكادت تكون كسرة فقبل المتصور
مالها غير ابن المصطفى فبعث اليه فحضر فقال له المتصور ألا ترى ما يصنع هذا العلي الكلب
منذ اليوم قال يعينني جميع ماجرى قال فما الحيلة فيه قال وما الفتى تريد قال ان تكفي المسلمين
شره قال نعم الآن ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبلوه من أهل الثغور على فرس قد نشزت
أورا كهما زالا وهو يحمل قربة ماء بين يديه على القرس والرجل في نفسه وحليته غير متصنع
فقال له ابن المصطفى ألا ترى ما يصنع هذا العلي منذ اليوم قال قد رأيته فإذ ترى فيه قال أريد
رأسه الآن قال نعم فحمل القربة الى وحده وليس لامة حربة وبرز اليه فتجاولا ساعة فلم ير
الناص الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هنالك واذا الرجل يحمل رأس العلي فالتقى

الرأس بين يدي المنصور فقال له ابن المصطفى عن هؤلاء الرجال أخبرتك أنه ليس في عسكرك منهم
ألف ولا خمسة مائة ولا مائة ولا خمسون ولا عشرون ولا عشرة فرد ابن المصطفى إلى منزله وأكرمه
(واعلم) أن أول الحرب شكوى وأوسطها مجبور وآخرها بلوى الحرب شعثة عابسة شوها
كالحة حور في حياض الموت شموس في الوطيس تغذي بالنفوس الحرب أولها الكلام
وأخرها الجلم الحرب مرة المذاق إذا قلصت عن ساق من صبرها عرف ومن ضعف عنها
تلف جسم الحرب الشجاعة وقلها التذير وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة
وقائدنا الفرق وسائقها النصر وقال الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقالوا الحرب
غشوم سميت بذلك لأنها تغطي إلى غير الحاني قال الشاعر

لم أكن من جناتها علم الله واني بهرها اليوم صالى

وقال آخر رأيت الحرب يحبها الناس • وبصلى حوها قوم برا •

وقال آخر الحرب أول ما تكون قنينة • تدعى بيزتها لكل جهول

حتى إذا اضطربت وشب ضرامها • عادت هجوزا غير ذات خليل

شمله يشكر لو نها وتغيرت • مكروهة لشتم والتقصيل

(قال بعض الحكماء) قد جمع الله تعالى آداب الحرب في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة
فانبشروا وأذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله واطيعوا رسوله ولا تنازعوا فتشعروا وتذهب
ريحتكم وأطيعوا الله مع الصابرين • واستوصى قوم أكنتم من صبي في حرب أرادوا قتال
أقلوا الخلاف على أمرائكم وأعلموا أن كثرة المباح نسل ولا جماعة على اختلاف وتبشروا فان
أحرم الفريقين الركين (وقال) عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه الاترون أصحاب محمد حشبا
على الركب كأنهم خرم تظفون قلعة الحيات (ورأيت) غير واحد ممن ألف في الحروب يكره رفع
الصوت بالتكبير ويقولون يذكر الله في نفسه • وأعلم أن الله تعالى أن الله تعالى قد أوضح
لناني كتابه النصر وعلة الهزيمة والقرار فقال يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت أقدامكم يعني ان تنصروا رسوله ودينه وأما القرار فقلته المعاصي قال الله تعالى ان
الذين تولوا منكم يوم التي الجمعان انما استلهم الشيطان بعض ما كتبوا أي بشوم ذنوبهم
وتركهم المركز الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم يرب
الرماة يوم أحد على تلة الجبل لينعوا قريشا أن يخرجوا عليهم كتبنا من ذلك الموضع ثم التقى
المسلمون فانهزم الكفار فقال الرماة لا تقوت الفئانم فأقبلوا على الفئانم وتركوا المركز الأول
فخرجت خيل المشركين من هناك وأقبلوا على المسلمين فكانت مقتلة أحد • ولخلف قائد الجيش
العلامة التي هو مشهور بها فان عدوه قد بدت علم حياضه والوان خيله ورأيت ولا يرمي خيمته
ليلا ونهارا وليبدل زيه ويغير خيمته ويعمى مكانه كي لا يلتصق عدوه بخيمته وإذا سكنت الحرب
تلايمش في النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه قد انكبت عليه وعلى هذا
الوجه كسر المسلمون جبوش افرية عند فتحها وذلك ان الحرب كانت في وسط النهار فخرج
مقدم العدو ويمضي خارج العسكر فيخرج اكر المسلمين فجاء النبل إلى عبد الله بن أبي السرح
وهو نائم في خيمته فخرج فبين وثق به من رجاله وحمل على العدو وقتل الملك وكان الفتح • ولما عبر

طارق بن موسى بن نصير الى بلاد الاندلس لينضمها وموسى اذ ذاك باقر ببيعة خرجوا
في الجزيرة الخضراء ونقصوا في الجبل الذي يسمى اليوم جبل طارق وهم في ألف وتسعمائة
رجل قطعوا الروم فيهم فاقتتلوا ثلاثة أيام وكان على الروم تدمير استخلفه ادريق ملك الروم
وكان قد كتب الى ادريق يعله ان قوما لا ندري أمن الارض أم من السماء قد وصلوا الى بلادنا
وقد هبهم فانض الى بنفسك فأتاه ادريق في تسعين ألف عنان ولقيهم طارق وعلى خيله مضيت
الروم مولى للوليد بن عبد الملك فاقتتلوا ثلاثة أيام أشد قتال فرأى طارق ما الناس فيه من
الشدة فقام فخطبهم على الصبر ورغبهم في الشهادة وبسط في آمالهم ثم قال أين المقر الصبر من
وراءكم والده وأمامكم فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم وأنا فاعمل شأ فافعلوا كفعلى
فوقه لا تحسدن طاعتهم فاما أن أقتله وأما أن أقتل دونه فاستوثق طارق من خيله وعرف
حيلة ادريق وعلامته وخيمته ثم حل مع أصحابه عليه حلة رجل واحد فقتل الله تعالى ادريق
بعد قتل ذريع في العدو وحى الله تعالى المسلمين فلم يقتل منهم كثير وانهم زعم الروم فأقام
المسلمون يقتلونهم ثلاثة أيام واستقر طارق رأس ادريق وبعث بها الى موسى وبعث بها موسى
الى الوليد بن عبد الملك وسار مضيت الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة ولم يكن همه غير
المائدة التي تذكر أهل الكتاب انها مائدة سليمان بن داود عليه السلام فذفع اليه ابن أخته
ادريق المائدة والتاج ففوت المائدة بما تقي ألف لما فيها من الجواهر التي لم يراها وبهذه
الحيلة قهر الباسلار ملك الروم وقعه وقتل رجلاه وأباد جمعه وكانت الروم قد جعلت
جيوها يبل أن يجمع لمن بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كاتب متواصلة
وعسا كرمترادفة وكردايس يتلو بعضها بعضا لا يدركهم العارف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا
من السكران والسلاح والجهانيق والآلات المعدة لفتح الحصون في الحرب بما لا يحصى وكانوا قد
قسموا بلاد المسلمين الشام ومصر والعراق وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة قد دارت
أهم وأن فجوم السعد قد خد منهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين
واضطربت لها أعمال الاسلام فاحتشد للقائهم الباسلار التركي وهو الذي يسمى الملك
العادل وجميع جموعه مدينة اصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يومهم فلم يزل العسكران
يتدليان الى أن عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا للباسلار غدا يقرأى الجمعان فبات
المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد لا يحصيهم الا الذي خلقهم وما المسلمون فيهم الا كل جافع
فبقى المسلمون واجبن لمادهاهم فلما أصبحوا صاح يوم الجمعة نظرو بعضهم الى بعض فقال
المسلمين مارأوا من كثرة العدو وقوتهم وآلاتهم فأمر الباسلار أن يعد المسلمون فبلغوا
اثني عشر ألف تركي واذا هم منهم كالرقة في ذراع الحمار فجمع ذوى الرأي من أهل الحرب
والكبير والافعة على المسلمين والنظر في العواقب واستأثرهم في استخلاص صواب الرأي
فتشاوروا برهة ثم أجمع رأيهم على اللقاء فتوابع القوم وتحالفوا وانصموا الاسلام وأهلهم ثم
تأهبوا أحبة اللقاء وقالوا للباسلار سمي الله وتعمل على القوم فقال الباسلار يا معشر
أهل الاسلام أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا في شرق
البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وقامت الافياء وعلمنا ان المسلمين قد وصلوا ودعوا لنا وصلينا

نحن علمنا أمرنا فصرنا إلى أن زالت الشمس ثم صلوا ودعوا الله تعالى أن ينصر دينه وأن يربط
 على قلوبهم بالصبر وأن يؤمن عدوهم وأن يلقى في قلوبهم الرعب وكان البارسلان قد استوثق
 من خيعة ملك الروم وعلا منته وفرسه وزيه ثم قال لرجاله لا يقتلوا أحداكم أن يفعل ككفلي
 وبضرب بسيفه ويرمي بسهمه حيث أضرب بسيفي وأرمي بسهمي ثم حمل جميعهم حمله رجل
 واحد إلى خيعة ملك الروم فقتلوا من كان دونها فخلصوا إليه وقتل من حوله وأسر ملك الروم
 وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فنبذوا وغزقوا كل
 ممزق وحمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم واستحضروا ملك الروم بين يدي
 البارسلان يجعل في عنقه فقال له البارسلان ما كنت تصنع لي لو أخذتني قال فهل تشك أني
 كنت أهلك فقال له البارسلان أنت أقل في عيني من أن أهلك أذهبوا به ويعهوه فيمن يزيد
 فكان يقاد بالحبل في عنقه وينادي عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على
 الخيام ومنازل المسلمين وينادي عليه بالدرهم والفضة فلم يدفع فيه أحدا شيئا حتى باعوه من
 إنسان بكلب ما أخذ الذي كان يولى ذلك من أمره الكلب والملك وجعلوا إلى البارسلان وقال
 قد طقت جميع العسكر وناديت عليه فلم يذل فيه أحدا شيئا إلا رجع واحدا دفع لي فيه كلبا قال
 قد أنصف لأن الكلب خير منه فقبض الكلب ودفع إليه هذا الكلب ثم انه أمر بعد ذلك
 باطلاقه فذهب إلى قسطنطينية ففرزته الروم وخطته بالنار فاطمر ما ذابا في علي الملوك إذ اعرفوا
 في الحروب من الجيلة والقصد في المكيدة (واعلم) أن القدماء قالوا الكثرة للرعب والقلة للنصر
 وقد قال تعالى ويوم نحين إذا جهيتكم كثرتمكم فلم تكن عنكم شيئا وضافت عليكم الأرض
 بما رحبت ثم وليتم مدبرين فالكثرة أبدأ بحصنها الإحباب ومع الإحباب الهلاك وخيرا لأصحاب
 أربعة وخيرا للسر يا أربعة ما وخيرا للجيش أربعة آلاف ولين يغلب جيش يبلغ اثني عشر ألفا
 من قلة إذا اجتمعت كلمتهم فأما صفة اللقاء وهو أحسن ترتيب رأينا في بلادنا وهو أرى تدبير
 نضعه في لقاء عدونا أن تقدم الرجال بالدرك الكاملة والرمح الطوال والمزاريق المستنونة
 النافذة فيهم فواقصوهم ويركزوا من أكرهم ورمحهم خلف ظهرهم في الأرض وصدورهم
 شاردة إلى عدوهم وهم جاثقون في الأرض وكل رجل منهم قد ألتم الأرض ركبته ليسرى
 وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التي تغرق سهامهم من الدروع والخيل خلف الرماة
 فإذا حلت الروم على المسابر لم يتزحزح الرجال عن هياتها ولا يقرم رجل منهم على قدميه فإذا
 قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجال بالمزاريق وصدور الرماح قلقاتهم فأخذوا يمنة ويسرة
 فيضربون خيل المسلمين بين الرماة والرجال قتال منهم ما شاء الله ولقد حدثني من حضر مثل هذه
 الواقعة في بلدى طرطوشة قال صاقت الروم على هذا الترتيب فحملوا علينا فينا وجعل منا كان
 في آخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه عجم من العدو فاصاب غرته فقتله وبابرا فالتفت إليه
 ابن هود ملك الاندلس من مرقسطة في ثغور بلاد الاندلس للقاء الطاغية ودميل عظيم الروم
 وكان كل واحد منهم قد احتشد على مسوره فالتقى المسلمون والكناف ثم تنازوا للقتال
 وتصافوا ودام القتال بينهم صدرا كبيرا من النهار وكان المسلمون في خسران فأنزعوا مقتدرو
 ذلك وفرق المسلمون من شدة ذلك اليوم فدعا مقتدروا من المسلمين لم يكن في الثغور أعرف

بالمسلم منه يسعي سعادته فقال له المقدر كيف ترى في هذا اليوم فقتل سعادته هذا يوم أسود
 ولكل قديقت لي - بله فذهب سعادته زى الروم وكلامه كلامهم لجاورتهم وكثرة محالهم
 فانفجر في عسكر الكفار ثم معه الى الطاغية ردميل فألقاهما كافي السلاح مكنتا في الحديد
 لا يظهر منه الاعيان فجعل يقضيه ويرصد غزته الى أن أمكنته القرصة فحمل عليه فطعنه
 في عينه فخر من رعا الدين والقسم ثم جعل ينادى بلسان الروم قتل السلطان بامعثر الروم فشاخ
 قتله في العسكر ففعلوا ولوا منهم زهير وكان الفتح باذن الله تعالى * ولما انضعت الروم صقلية
 وضرروا عليهم الخراج فكانوا يحملون اليهم الخراج ويحملون الاموال الى العرب باثر يقية
 ويستفيدون بهم على الروم فقال لهم ملك الروم انتم على مثلكم يا اهل صقلية مثل رجله
 زوجان بجور ووصية فكان اذا بات عند الصبية تلتقط الشيب من لحته لتصبه فيزده في الجوز
 واذا بات عند الجوز تلتقط الشعر الا ودم من لحته لتشفيه فتزهد الصبية فيه فيوشك ان دام
 هذا به ان يصبح اطلس كذلك حالكم هي ومع العرب اذا ذئب المال الى ولهم يوشك ان تنفد
 أموالكم فتبقوا فقر اضعفاء فأتسلكم واتسلم البلاد * ويروى انه لما هم بجصار صقلية أمر
 أن يذهب بساط في الارض ثم جعل في وسطه ديناراً ثم قال لوجوه رجاله من أخذ منكم هذا
 الدينار ولم يطا البساط علمنا انه يصلح لملك فوقعوا حوله ولم يصل أحد اليه فلما أعياهم ذلك
 طوفوا ناحية من البساط من عنده وأمر كل واحد أن يطوى عياليه حتى طوى البساط
 فذروا أيديهم فطفوا الدينار فحينئذ قال لهم اذا أردتم مدينة صقلية خذوا ما حوّلها من
 الحصون والمدن الصغار والاضباع والقرى حتى اذا ضعفت أخذتوها * وكان بسر قسطة
 فارس يقال له ابن قصون وكان يناسبني فيقع خال والدي وكان أشجع العرب والعجم وكان
 المستعين أبو المظفر يري له ذلك ويعظمه وكان يجري عليه في كل عطية فحسبانه دينار وكانت
 النصرانية بأمرها قد عرفت مكانه وهايت لقاء فيحيي أن الروي اذا سقى فرسه فلم يشرب
 يقول اشرب هل ابن قصون وأيت في الماء فحده فطرأوه على ثمة العطاء ومنزلة
 من السلطان فأوغروا به مدرا المستعين فذمه أياماً ثم ان المستعين أنشأ غزوة الى بلاد الروم
 فتوافقت المسلمون والمشركون صفوا قائم برز على الى وسط الميدان ينادى هل من مبارز فخرج
 اليه فارس من المسلمين فتجاووا ساعة فقتله الروي وصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس
 المسلمين وجعل الروي يكرين الصفيين وينادي هل من اثنين لواحد فخرج اليه فارس من المسلمين
 فقتله الروي فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل يجول بين الصفيين وينادي
 ويقول ثلاثة لواحد فلم يستجري أحد من المسلمين ان يخرج الا به وبقي الناس في حيرة فقبيل
 للسلطان مالها الا أبو الوليد بن قصون فدعاه وتلقاه وقال له أما ترى ما يصنع هذا العجم فقال
 هو يعني قال فما حيلة فيه فقال أبو الوليد فما تريد فقال اكف المسلمين شره فقال الساعة
 يكون ذلك ان شاء الله تعالى فلبس فيهم كان واستوى على سرجه بلا سلاح وأخذ يده سوطا
 طويل الطرف وفي طرفه عقدة مفردة ثم برز اليه فحجب منه النصراني ثم جعل كل واحد منهما
 على صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن قصون واذا ابن قصون متعلق برقبة الفرس
 ونزل الى الارض لاشئ منه في السرج ثم طفر على سرجه وجعل عليه وضربه بالسوط في عنقه
 فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتله من سرجه وجامه بجذبه فألقاه بين يدي

المستعين فعمل المستعين انه كان قد اخطأ في صنعه معه فأكرمه وورثه الى أحسن أحواله أيها
الاجساد أفلوا الخلفاء على الامراء فلا ظفر مع اختلاف ولا جاعلن اختلاف عليه قال الله
تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وأول الظفر الاجتماع وأول الخلد لان الاقتراع
وعباد الجماعة السمع والطاعة وانما اتى على بن ابي طالب رضي الله عنه يوم صفين من العصبان
وكان قد ظهر أهل العراق على أهل الشام وتضعضعت صفوف معاوية فأحس بالشروانه
مغلوب فقال لعمر بن العاص اذهب فخذلوا الامان من ابن عمك يعني عليا فادار عمر والحيلة
فأمرهم أن يرفعوا المصاحف في أطراف الرماح وينادون نذوكم الى كتاب الله تعالى فلما رأى
ذلك اصحاب على كفوا عن الحرب فقال لهم على رضي الله عنه أي قوم هذه مكيدة منهم ولم يبق
في القوم دفاع فنصوه وتركوا القتال وكان ذلك سبب الحكيم واعلموا ان من أحزم مكاييد
الحرب ~~بذ~~ مكاء العيون واستطلاع الاخبار وانشاء الغلبة واظهار السرور ورواية الخذر
والاحتراس من العدو وأن لا تخرج هاربا الى قتال ولا تضيق أمانا على مستامن وقال بعض
المصنفين كثرة التكبير عند المقاتل غشوا الاصوات وتجبيلوا السكينة وأكلوا الوثام
واحقوا الجبن وادعوا الليل فانه أخفى الويل الليل يكفي الجبان ويصف الشجاع الليل
المدد الا عظم الحازم يخذل عدوه على كل حال المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والسكين
ان انكشف والامطر اذا دأبى الجهل قوة الجرمه من اعتبر قوته فقد وهن ليس من
القره التورط في الهوه لكن أشد ما كنت حذرا ما كنت عند نفسك أكثر قوة وعددا من
استضعف عدوه اغتر ومن اغتر ظفريه عدوه أشعر واقلوبكم في الحرب الجرمه قائم سبب الظفر
واذ كروا الضغائن فانها تبث على الاقدام والتمروا الطاعة فانها حسن المحارب اذا وقع
اللقاء برز القضاء اذا التقى السيف السيف زال الخبار رب مكيدة ابلغ من تجدة رب كلمة
هزمت عسكرا الصوب سبب النصر الظفر مع الصبر اجعل قتال عدوك أرحبك النصر مع
التدبير لا ظفر مع بغي ولا تقرب الاقوياء فضل قوتهم على الضعفاء لا يجبنوا عند اللقاء لا يتلوا
عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تغلوا عند الغنائم زهوا الجهاد عن عرس الدنيا

• (الباب الثاني والستون في القضاء والقدر والتوكل والطلب) •

اعلم وسم الله تعالى ان مذاهب الخلق في القضاء والقدر وخلق الافعال وارادة الكائنات
منتشرة ولا يخرج عن علمه وقضائه وقدره وحكمه حادث فمن خالفنا في القضاء والقدر واقتنا في
العلم وقد تبين الخلق فيه ونشئت مذاهبهم ونقاط هوائيه وتدبروا وكل حزب بما لديهم فرحون
ولم تضع هذه الترجمة لاستيفاء ما قالوا والاحتجاج لكل فريق لان ذلك يستدعي مجلدات
واسفار وانما نذكر في هذا الكتاب أحكاما ظاهرة قرينة من العقول لتقرب الفائدة على الناظر
فيه فاعلم أولا ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر وضع وضروايمان وكفر
وطاعة ومعصية بقضاء وقدره كذلك لا يطير طائر بمجنأ حبه ولا يذب حيوان على بطنه ويرجله
ولا تطير بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك
الا وقد سبق علمه ثم اعلم ان القدر والطلب لا يتناقضان والتوكل والكسب لا يتضادان وذلك
ان تعلم ان كل ما قضى الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كان ما علم الله تعالى انه يكون

فهو كائن ومن خالقنا في القضاء والقدر وافتنا في العلم قريب أمر قدر الله تعالى وبسوء اليك
 بغير طلب فهو واصل وورب أمر قدر وصوله اليك بعد الطلب فلا يصل الا بالطلب والطلب ايضا
 من القدر ولا فرق بين الامر المطلوب وبين الطلب في انه ما مقدور ان فن ههنا قلنا انه ما
 لا يتقيا بل وكذلك التوكل مع الكسب لان التوكل محل القلب والكسب محل الجوارح
 ولا يتضا حسيان في محليهما بعدما يتحقق العبدان المقدور من قبل الله تعالى فان تعسر شيء
 فتقدره وان اتفق فتيسره قال أنس جابر جل على ناقة له فقال يا رسول الله أدها أو توكل
 فقال اعدها أو توكل والتوكل والاعتماد بالقدر يستندان من العقل والطلب والكسب
 يستندان من الامر فالتوكل على الله تعالى هو الثقة بما ضمنه والقطع بكون ما حكمه فن رام
 أمر من الامور ليس الطريق في تحصيله أن يعلق يابه عليه ويقوض أمره الى ربه ويتظاهر
 بهول ذلك الامر بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله فيه وقد ظاهر
 النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة يد تظهر به ويحتمس من العدو
 وأنهم الزامة يوم أحد لخصه ظوه من خالد بن الوليد وكان بلبس لامة الحرب وبعي الجيوش
 وبأمرهم ونهاهم بحافيه مع الحظم واسترقى وأمر بالاسترقاء وتداوى وأمر بالداواة وقال
 أنزل الله الذي أنزل الدواء (فان قيل) قدروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استغنى أو
 اكوى فقد برئ من التوكل (قلنا) أليس قد قال اعقلها وتوكل وظاهر بين دوعين وسائرهما
 ذكرناه (فان قيل) فما الجمع بين ذلك (قلنا) معناه من استرقى واكوى مشكلا على الرقبة
 والسكى وان البرء من قبله ما خاصة فهذا يخرج من التوكل وانما يفيده كافر يضيف الحوادث
 الى غير الله تعالى فاما من يشرع الاسباب والادوية وتعالى تدبير الامور بنفسه وأعوانه وماله
 على ما جرت به سيرة الله تعالى في أرضه وعادته في خلقه غير معتد على شيء من ذلك بل هو وائق
 القلب أن ما حصل فتقديره وما تعسر فتقديره معتد في ذلك على المسبب لاعلى الاسباب
 فهذا هو التوكل لكن شرطه ان يعنى في ذلك كله مع الاثر ولا يسلك طريقا فيه معصية قديم
 يستدريج ما عند الله بجماعه وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه من ابتغى أمر اجمعية الله
 كان أبدا لم ياربوا أقرب لحي ما اتقى ومن ظن ان الطلب والاكتساب يناقض التوكل فقد
 في بيته وخلق يابه مشكلا على الله تعالى في زعمه كان عن العقل خارجا وفي تبه الجهل والجبا
 ويقال فيجب با هذا الذبح وحضر الطعام فهو الى الطعام أحوج منه الى المعرفة وينبغى
 لاهله أن يداووه ألا ترى أن الله تعالى قال ليرحم وهزى اليك يجذع الغلة فهلا أمرها بالسكون
 ثم جعل الرطب الى فيها وهكذا القول فليس قدابة أو بستان يؤمر بسقى البستان وحفره
 واصلاح شأنه ويؤمر بأن يعاف الدابة ويسقيها وأنشدوا

ألم تر أن الله قال لمسريم • اليك فهزى الجذع تساقط الرطب
 ولو شاء أبغى الجذع من غير هزها • اليها ولكن كل شيء له سبب

وهكذا حال الرسول صلى الله عليه وسلم لو توكل على الله حتى توكل لركة لكم كما يرزق المطير تغدو
 خاصا وتروح بطا فلما جعل أرزاقها اليها في أو كارهابل الهمها طلبه بالعدو والرواح وقد كان
 بهيل ريس القندهار ص يرى من تصديق القدر وتكذيب الطلب دون أهل زعماته من

[illegible]

يأتي أهل رأيت ثقل عقلا من هذا نصب هذا الفخ ليصيده في فيه وأما انظر اليه قال فذهب عنه ثم رجع فاذا الطائر في الفخ فقال له عيال أولست القاتل ألقا كذا وكذا فقال يائي الله اذا جاءك لم يبق اذن ولا عين وقال رجل من الخوارج له لي رضي الله عنه رأيت من جنبي سبل الهدى وسبل في سبل الردى أحسن الى أم أسا فقال له على ان كنت استوجبت عليه حقا فهد أساء وان كنت استوجبت عليه شيئا فهو يفعل ما يشاء (وقال) سمون بن مهران غيلان القدرى سل فاقوى ما تكونون اذا سألتم فقال غيلان أشاء الله أن يهني فقال سمون أبعني كلوها فاقطع غيلان وروى ان رجلا قال لبرز جهر تعال تنظر في القدر فقال وما تصنع بالمناظر في القدر رأيت ظاهرا استدلت به على الباطن ورأيت أحسن من رؤيا وعاقلا محروما فقلت ان التدبير ليس الى العباد وقال بعضهم

يخيب القى من حيث يرزق صاحبه * ويعطي الخى من حيث يحرم طالبه
ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك فقال له يزيد بن المهلب أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك في يدى سليمان فقال موسى ان الهدى هدى من الماء في الارض الضبابى ويصر القريب عنه والبعيد على بعده في الخوم ثم نصب له العصى الفخ بالودعة والحبة فلا يصير حتى يقع فيه وفي الاسرائيليات ان الهداهد كانت رائدة سليمان ابن داود عليهم ما السلام الى الماء فتقدم معسكره ثم تنظر الارض فتقول الماء ههنا على ألف فاسة أو أقل أو أكثر فتساردا الجن تحفره فلا يلحق سليمان الا وقد استعد الماء واعلموا ان الهارب محاروم مقضى مقدرا كالقلب في كف الطالب وأنشد بعضهم

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفرت منه فهو تتوجه
وابشار طبع على مافي غير مخير * هو اى ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى وأعطى فلم أرد * وقصر عاى أن يشال المغيبا
وأصرف عن قصدى وعلى مقصر * وأعطى وما أعطيت الاتهيبا
ولما وقع الطاعون بالكوفة فترابن ابي بللى على حماره يطلب النجا فسمع منشدًا يشد
لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى منعة طيار
أوبأى الخفق على مقدار * قد يصح الله امام السارى
فكثروا بها الى الكوفة وقال اذا كان الله امام السارى فلات حين مهرى وأنشد بعضهم
أقام على المسير وقد أتيحت * مطايا وغرد حادياها
وقل أخاف عادية البالي * على نفسى وأن ألقى رداها
ومن كتبت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها

ولما قتل كسرى بزر جهر وجد وافي من طقته كآفاته اذا كان القدر حقا فالخرص باطل واذا كان القدر في الناس طبعا فالثقة بكل أحد جهز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمانينة الى الله باحق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن البصرى في قوله تعالى وكان تحته كثر لها انما كان الكثر لو ما من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر وكيف يجهز ويجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب ويجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح

وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ويعجب لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلهما كيف يطمئن اليها
 لا اله الا الله محمد رسول الله وقال يحيى بن معاذ عجبت من ثلاث رجل يريد تناول رزقه بتدبيره
 وهو يرى تناقض تدبيره ورجل شغلهم غده وعالم مقتون يعيب على زاهد مضبوط ومن عجيب
 ما نزل بالاسكندرية ان رجلا من خدمة السلطان غاب عن خدمته أياما فقبضه الشرط وجأوه
 الى دار السلطان فأنساب منهم في بعض الطريق وتراعى في بئر والمدينة مسربة تحت الارض
 بأسراب عيشى الماشى فيها فأثما يهزقها ويدورها لان في دورها آثارا على تلك السروب فأنزل
 الرجل عيشى الى ان لاح له بئر مضينة فطلع فيها واذا البئر دار السلطان فطلع الرجل في دار
 السلطان فادبه السلطان فكان فيه المثل السائر القار من القضاء الغالب كلنظفت في يد
 الطالب وقال ابن مسعود ان الرجل يشرف على الامر من الامارة والتجارة أو غير هاذ كره
 الله تعالى فوق سمواته فيقول له انك اصرف عن عبيدى هذا الامر فاق ان أبسر له أدخله
 جهنم فيظلم فيغفل على جبرانه فيقول سبقنى فلان وحسدنى فلان وما صرفه عنه الا الله تعالى
 وأندوا

قالوا قسم وقد احب طابك العدو ولا تقتر

فاجبتهم والشجما لم تنفع بالعلم غير

لانت خسرا ما بقيت ولا عدائى الدهر شر

ان كنت أعلم ان غيبا راقه ينفع أو يضر

استأذن العقل على الجسد فقال اذهب لا حاجة لى بك فقال العقل لم فقال انك تحتاج الى ولا
 أحتاج اليك (وأوصى) حكيم ابنه فقال يا بني رزقك الله جذا يحضرك به ذور العقول ولا رزقك
 عقلا تتقدم به ذوى الجودود وكان يقال افراط العقل مضر بالجسد وروى ان رجلا خرف في أمر
 فاني أن يضار وقال أنا يجتدى أو توفى بعقل فافرغوا وفي الامثال اسع بجسدك لا بسع
 بجسدك لا بكلك الجدل الجدل الجدل أعنى من الكد واعلم ان زمام الامور التوفيق
 ولم ينزل من السماء الى الارض أقل من التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين
 جاهدوا فينا تهديهم سبلنا وقد كنت جعت فيه كذابا من جلة كاذبي في الاسرار هل التوفيق
 مكتسب أو موهبة بلا سبب فلا من يدعاه ومن لطيف ما وفت عليه في مجارى القضاء والقدر
 وان الهارب من المقدور كلنظفت في يد الطالب ما نزل في مدينة الاسكندرية في قضية الرجل
 الذي تقدم ذكره

الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك الجعم

وحكاياتهم وهو يشتمل على خمسة فصول

(الاول) يشتمل على أخبار رفعت البنابعد الفراغ من الكتاب فالحقناها (والثاني) يشتمل على
 حكم الحكيم القرم خاصة (والثالث) يشتمل على حكم الحكيم السند خاصة (والرابع) يشتمل
 على حكم الحكيم العرب خاصة (والخامس) يشتمل على حكم مجموعة متخبة ومن هذا ذلك لتتطرق في
 عقول القوم واغراضهم ومنتهى هراهم من كآب جاويدان خرد القارصى قال ثلاثة لا يصلح
 فسادهم بشئ من الحيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الاكفاء والركاكة في العقول
 وثلاثة لا يستمسك سلاحهم بنوع من المكر والحيل العداوة في العلماء والتفوق في

المستبشرين والسخطاء في ذوى الاخطار وثلاث لا يشبع منهم الحياة والعافية والمال وقال
ابن ابيان لايه يا أبت ما الداء العيا قال رعونة مولودة قال فما الجرح الدوى قال المرأة السوء
قال فما الجمل الثقيل قال الغضب ولما قرأ هذه الحكاية أبو عباد الكاتب وكان ظريفاً في
أخباره قال والله الغضب أخف على من ربته وكان أسرع الناس غضباً فقبله انما عني
انما ان احتمال الغضب ثقل فقال لا والله لا يقوى على احتمال الغضب الا الجمل وغضب
يوماً على بعض أصحابه فرماه بدواة فشجه فجعل الدم يسيل فقال أبو عباد صدق الله العظيم حيث
قال والذين اذا ما غضبوا هم يفتقرون فاستدعاه المأمون وقال ويحك لا تحسن ان تقرأ آية من
كتاب الله تعالى قال بلى والله يا أمير المؤمنين اني لا قرأ من سورة واحدة آية ففضل المأمون
وأمر بإخراجه وقيل لا توشروا ن ما العقل قال القصد في كل الأمور قيل فما المروءة قال ترك
الريبة قيل فما السخطاء قال ان تنصف من نفسك قيل فما الحق قال الا فراق في الدم والجود وقيل
لبعض الحكماء ما الحزم قال سوء الظن وقال بعضهم في قوله الحزم سوء الظن قال انما أراد سوء
الظن بنفسه لا بغيره قيل فما الصواب قال المشورة قيل فما الذي يجمع القلوب على المودة قال
كعب ذول وبشر جميل قيل فما الاحتياط قال الاقتصاد في الحب والبغض وقال معاوية لزيد
حين ولاد العراق يا زباد ليكن حبك وبغضك قصداً فان الغيرة كلمة واجعل الرجوع والتزوع
بقية من قلبك واحذر صولة الانهمالك فانها تؤتى الى الممالك وهو مثل قول علي بن أبي
طالب رضي الله عنه اسبب حبيبك هو انما عسى أن يكون بغضك يوماً ما وبغض بغضك
هو انما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما ومن ذلك قول الاول

وأحب حبيبك حياريداً * فليس يعسوك أن نصراً

وقال آخر ولا تبأس الدهر من حب كاشع * ولا تأمن الدهر من حبيب

وسئل بزرجه عن العقل فقال ترك ما لا يعنى قيل فما الحزم قال استهاذا فرصة قيل فما الحلم قال
العفو عند المقدرة قيل فما النسقة قال ملك الغضب قيل فما الترفق قال حب مفرق وبغض
مفرط وقيل لبعض الملوك وبلغ في المنة والقدر ما لم يبلغه أحسن ملوك زمانه ما الذي بلغ
بك هذه المنة قال عفوى عند قدرتي وإيتي بعشقتي وبني الانصاف ولوى نفسي وبقاى
في الحب والبغض مكاناً لموضع الاستبدال وقال الاسكندر لبعض الحكماء وأراد سقراً
أرشدني لا حرم أمرى قال لا تملك قلبك محبة الشيء ولا يستولين عليك بغضه واجعله ما قصداً
فان القلب كاسمه يتقلب وله خاصية في القلب تنزع وترجع واجعل وزيك التثبت وبميرك
التيقظ ولا تقدم الابعس المشورة فانهم الدليل واذا فعلت ذلك ملكك قلوب رعييتك ملك
استعباد قال الشاعر

وما حيي الانسان الا لانه * ولا القلب الا انه يتقلب

وقيل لبعض الحكماء ما الدليل الناصح قال غررت العقل مع الطبع قيل فما القائد المشفق قال
حسن المنطق قيل فما العناء المعنى قال تطبيعك من لا طبع له وقال الفضل بن مروان سألت
رسول ملك الروم عن ميرة ملكهم قال بذل عرقه ويرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب ورغبة
ورهبه لا يتقص جسده ولا يخرج رعيته سهل الزوال حزن الشكال الرجاء والخوف

معهودان في يده قلت فكيف حكمه قال يرد الظلم ويردع الظالم ويعطي كل ذي حق حقه
فالرعية اثنان راض وعقبت قلت فكيف هيئتهم له قال يتصور في القلوب فتعطي له العيون
قال فنظر رسول ملك الحبشة الى اصغافى اليه واقبال عيني عليه وكانت الرسل تنزل عندى
فقال لترجمته ما الذى يقول الروى قال يصف له ملكهم ويذكر سيرته فكلم الترجمان بنى
فقال لى الترجمان يقول ان ملكهم ذو اناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند
المغالبة وذو عقوبة عند الاجترام قد كسار عيته جميع نعمته وقصرهم تعنيف عقوبته
فهم يقرأونه ترائى الهلال حبالا ويخافونه مخافة الموت تنكالا وقد وسعهم عدله وردعهم
سطوته عقله فلا تفتنهم هزجة ولا توبسه عقله اذا اعطى اوسع واذا عاقب اوجع قالنا
اشان امراة وخائف فلا الراى خائب الامل ولا الخائف بعيد الاجل قلت فكيف هو هيئتهم له
قال لا ترفع اليه العيون اجفانها ولا تتبعه الابصار اناسا كان رعيته تظافرت عليها
صوة وروائد قال فحدثت المامون بهذين الحديثين فقال لى كم قيمت ما عندك قلت القاديرهم
قال يا فضل ان قيمتها اكثر من الخلافة اما علمت حديث امير المؤمنين على بن ابي طالب رضى
الله عنه قال قيمة كل امرئ ما يحسن افعرف اخدام من الخطباء البلقاء يحسن ان يصف احدا
من خلقه الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة قلت لا قال فقد اشرت لهما بعشر بن الف
دينار مجمل لهما واجعل العدة مائة مئة وبينهم على العود فلولا حقوق الاسلام واهل ايت
اعطاء ما في بيت المال الخاصة والعامة دون ما يستحقه وقال الفضل بن سهل كان عندى
رسول ملك الروم وكان يحدثنى عن أخت للملك يقال لها خاتون قال اصابتنا سنة احتدم
شواظها علينا بجمرة المصائب وصنوف الآفات ففزع الناس الى الملك فلم يدروا ما يجيبهم به
فقال له خاتون ايها الملك ان الحزم على لا يخلق جديده ولا يمتن عزيزه وهو دليل الملك على
استصلاح رعيته وزاجر له عن استفسادها وقد فزع رعيته اليك لفضل الجزع عن الاتجا
الى من لا تزيد الاسماء الى خلقه عزا ولا ينقصه العود بالاحسان اليهم ملكا وما احد اولى
بحفظ الوصية من الموصى ولا بركوب الدلالة من الدال ولا بحسن الرعاية من الراى ولم تزل فى
نعمه لم تغيرها تقم وفي رضالم يكدره حظ الى ان جرى القدر بما عصى منه البصر وذهل عنه
الحذر فسلب الموهوب والسالب هو الواهب فعاد اليه بشكر النعم وعذبه من قطيع
النعم ففى نفسه ينسك ولا تجعل الحيا من التذلل للصعز المذل شركا ينسك وبين رعيته
فتستحق مذموم العاقبة ولكن مرهم ونسك بصرف القلوب الى الاقرار بكنه القدرة
وتذليل الاسن فى الدعاء بحض الشكر فان الملك بما عاقب عبده ليرجعه عن شئ نعل الى
صالح على وليعنه على دؤب شكر يحوز به فضل اجر فامرها الملك ان تقوم فيهم فتذره
بهذا الكلام ففعلت فرجع القوم عن بابه وقد علم الله تعالى منهم الوعد فى الامر والنهى
فحال عليهم الحول وما ينهم مقتد نعمه كان سلبها ونوازت عليهم الزيادات يجمل الصنع
فاعترف الملك لهما بالفضل فقلدها الملك بعده وجمع الرعية على الطاعة لها فى المحبوب والمكروه
فهذا فعل اقمه بعده وضر اثر نعمته لما شكروه اعاد لهم من نعمه ما كان قد استرجع وزادهم
من فضله ما تنوه فكيف بمن يوحده ويزعمون به لو صدقت نياتنا وصحت ضمارنا وقال

الواقفي توفي رسول بعض الملوك بدمشق في خلافة هشام فوجد في جيبه لوح من ذهب
 مكتوب فيه اذا ذهب الوفاة نزل البلاء واذا مات الاعتصام عاش الانتقام واذا ظهرت
 الحيات انتصحت البركات وقال الوضاح وجه أنوشروان رسوله الى ملك قد اجتمع على
 محاربتة وأمره ان يعرف سيرته في نفسه ورجيته فرجع اليه فقال وجدت عنده الهزل
 أقوى من الجلد والكذب أكثر من الصدق والجور أرفع من العدل فقال أنوشروان رزقت
 الظفر به سرايه وليكن عملك في محاربتة بما هو عنده أضعف وأقل وأضع فأنك منصور وهو
 مخذول فصار اليه فقتله واستولى على ملكته وقال بزرجمهر المزح آفة الجلد والكذب صدق
 الصدق والجور مفسدة الملك فاذا استعمل الملك الهزل ذهبت هيئته واذا استعصب الكذب
 استغلبه واذا بسط الجور فسد سلطانه وكان نقش خاتم رسمه وهو أحد ملوك القصر الهزل
 صبغته والكذب منقصه والجور مفسده وقتل بعض أصحاب اسفنديار رجلا من الترك
 وأصيب في عنقه لوح ذهب مكتوب فيه آفة الشدة التهمب وآفة النطق الحياء وآفة كل شيء
 الكذب وقيل لبعض الحكام فاقية الصدق قال الخلدني الدنيا قبل فاقية الكذب قال
 موت عاجل قيل فاقية العدل قال ملك الابد قيل فاقية الجور قال ذل الحياة قال وسأل
 ملك الهند الاسكندر وقد دخل بلاده معلما الملك ودولته قاله الخلدني كل الامور قال
 فاعلمة زواله قال الهزل فيه قال خاسروا الدنيا قال الرضا بما رزقت قال فاعلمها قال الحرص
 على ما ملكك لانه قال الهزل فيه قال خاسروا الدنيا قال الرضا بما رزقت قال فاعلمها قال الحرص
 بالقسم والرضا بالطاعة في النعم وفي الاهتمام بالرزق لغد وأما النعم فحرص مسرف وسؤال مجحف
 ونعم ما يلهو ومر بعض الملوك بغلام يسوق جارا غير متبعث وقد عنف عليه في السوق فقال
 يا غلام ارفق به فقال الغلام يا أيها الملك في الرق به مضرة عليه قال وما مضرة قال تطول
 طريقه ويستجوعه وفي العنف احسان اليه قال وما الاحسان اليه قال يتصف حله ويطول
 أكاه فاجبب الملك بكلامه وقال لقد أمرت لك بألف درهم قال رزقي مقدور ويا هب ما جور
 قال وقد أمرت بآيات اسمك في حشمتي قال كفيت مؤنه ورزقت بهامونه قال لولا انك حديث
 السن لاستوزيتك قال ان يعدم الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال انما يكون
 الحمد والحمد بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يساوها قال فاستوزره فوجده ذارأي
 صليب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق قال وكتب الاسكندر الى ارسطاطاليس
 وقد نفذ في الشرق والغرب وبلغ منهما ما لم يبلغه أحد قبله اكتب الى لفظا موحدا
 يقع ويردع فكتب اليه اذا استولت بك السلامة فجدد ذكر العطب واذا هتكت العاقبة
 فحدث نفسك بالبلاء واذا اطمانت بك الامن فاستشعر الخوف واذا بلغت نهاية الامل فاذا كر
 الموت فان احببت نفسك فلا تنجس لها في الاسماء البها نصيبا قال ووعظ بعض الحكماء ملكا
 فقال له أيها الملك ان الفناء دار عمل والاخرة دار فواب ومن لا يقدم لا يجد فمن نفسك
 حلالة عيشها بترك الاسماء البها واعلم ان زمام العاقبة بيد البلاء وأمن السلامة تحت جناح
 العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكون في سال من هذه الثلاثة غير متوقع لا ضدادها
 ولا تحمل نفسك عرض السهام الهلكة فان الدهر عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بغاية

الاستعداد اذا فكرت في نفسك وعدوها استغيت عن الوعد (قال) وكتب الاسكندر على باب
 الاسكندرية أجل قريب في يد غيرك وسوق سنيت من الليل والنهار واذا انتهت المدة حيل
 بينك وبين العدة فاحمل قبل المنع وأكرم أجلك بحسن مصيبتك السابقة واذا آمنتك السلامة
 فاستوحش بالعطب فانه الغاية واذا فرحت للعافية فاحزن للبلاء فاليه تكون الرجعة واذا
 بسطك الامل فاقبض نفسك عنه بذكر الاجل قهر الموعد واليه المودع (وقال) ابن الاعرابي
 حدثني من رأى بين اصهبان وفارس حجر مكنو با عليه العافية ومقرونة بالبلاء والسلامة مقرونة
 بالعطب والامن مقرون بالخوف ولمضرب افوشروان هنيئ بزجهر لما رغب عن دين
 الجوسية واتقل الى دين المسيح عليه السلام وجد في منطقته كتابا فيه ثلاث كلمات اذا كان
 القدر حقا فالحرص باطل واذا كان القدر في الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت
 بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى النجاسات ولما تاب الله تعالى على النبي سليمان عليه السلام
 ورد عليه ملكه كتب على كرسيه اذا صحت العافية نزل البلاء واذا تمت السلامة فقيم العطب
 واذا تم الامن على الخوف (وغيره) حقير بفارس فوجد فيه لوح رخام فيه أربعة أسطر محفورة
 أولها أيها المعافي بأشهر بالبلاء والثاني أيها السالم توقع العطب والثالث أيها الامن خذ أهبة
 الخوف والرابع أيها المورس لن بعد عنك العسر ولما نزل أبو مسلم مدينة معرق قد آتاه اسبندها
 فقال أيها الملك ان بالقنطرة حجر امدفوا فيه ثلاثة أسطر وجدت في الكتب ان سليمان بن
 داود عليه ما السلام بعث به ودفن في هذا الموضع ووجدناك أنت الذي تشفر به وتعدل بما
 فيه فأمر به فأخرج فاذا أول أسطر منه الحزم اتهام الزور وتترك الوفا فيما يخاف عليه القوت
 والسطر الثاني الرئاسة لا تتم الا بحسن السياسة والسطر الثالث لم يقتل الا بك من ترك الانباء
 ولم يصب من لم يصب فكان أبو مسلم يقول علم جليل به تتم هذه الدرة ان لم ينزل القدر بما يصول
 بيننا وبين الحد ف لم ينزل يستعمل هذا الكلام الى ان قدم العراق فاعاد القدر من الاستعانة
 بالحدز فقتله أبو جعفر المنصور ولما سمع أبو مسلم قبل ان بالخيرة قصر انما قد آتت عليه ما تناسه
 وعنده علم من العلم الاول فوجه اليه فاني به فلما نظر الشيخ الى أبي مسلم قال قد تمت بالكفاية
 ولم تأل في العناية وقد بلغت النهاية أحرقت نفسك لمن سيسكت حسك وكان قد عاينت رسمك
 فبكى أبو مسلم فقال لا تملك فاك لم توت من حزم وثيق ولامن رأى رقيق ولا تدير نافع ولا
 من سيف فاطع ولكن ما استجمع أحد لامله الا أمر ع في تقرب بأجله قال فني تراه يكون
 قال اذا توأما الخليفة ثمان على أمر كان والتقدير في يدي من سئل معه التدبير وان رجعت
 الى خراسان سلت وهيات فاراد الرجوع فكتب اليه السلطان بالخصي ووجه اليه من يحسن
 فلولا ان البصر يعمى اذا نزل القدر لكنت هذه دلالة تقع موقع العيان وتبعث على
 التيقظ في الحدز والاحتيال في الهرب على ان لكل قصص غاية ولكل أمر نهاية (وقيل)
 بلطائينوس وهو حكيم الطب وفيلسوفه وقد نكته الصلة الاتعالم فقال اذا كان الداء
 من السماء بطل الدواء واذا قدر الرب بطل حدز المربوب وتم الدواء الاجل وبش الداء
 الامل وقال بعض الغزاة قصصا حسانا من بلاد الروم فرأى فيه صورة الاسد من حجر مكتوب
 عليه الحيلة خير من الشدة والثاني أفضل من الجيلة والجهل في الحرب احزم من العقل

والسكر في العاقبة مائة الجزع (وقال) أحد بن سهل وجه ملك الروم الى هارون الرشيد بثلاثة
أسواق مع هدايا كثيرة وعلى سيف منها مكتوب أيها المختار اجل نعم ولا تصكر في العاقبة
فهمهم وعلى الثاني منها مكتوب اذا لم تصل ضربة سيفك فصلها بالقامخوفك وعلى الثالث
مكتوب اتاني فيما لا يخاف عليه القوات أفضل من الهجعة الى ادراك الامل وقال الحسن
ابن سهل قرأت في كتاب جاوريدان خرد ثلاث تبطل مع ثلاث الشدة مع الحيلة والهجعة مع
التأني والاسراف مع القصد (وقال) الخضر بن علي رأيت بعدد حجر عليه مكتوب بالجبرية
أي الشدة احذر الحيلة أيها الجول احذر التأني أيها المحارب تأيس من القصر
في العاقبة أي الطالب موجود الا تقطع أمالك من بلوغه (وكتب) قيصر الى كسرى أخبرني
بأربعة أشياء لم أجعل من يعرفها واخاها عندك أخبرني ما عدو الشدة وصديق القفر ومدرك
الامل ومفتاح القفر فكتب اليه الحيلة عدو الشدة والصبر صديق القفر والتأني مدرك
الامل والجود مفتاح القفر (وقال) بعض الملوكة الحكيم وأراد سفرأ أوقفني على أشياء من
حكمتك اعمل بها في سري فقال اجعل تأنيك زمام جهلك وحيلتك رسول شدتك وعقولك
ملك قدورتك وأناض من لك قلوب رعيته ان لم تخرجهم بالشدة أو تطرحهم بالاحسان اليهم
وقال الخضر بن علي قرأت في كتاب جاوريدان خرد وهو أجل كتاب لقصر الحيلة أنفع من أقوى
الشدة وأقل الثاني أجل من أكثر الهجعة والدولة رسول القضاء المبرم واذا استبد الانسان
برأيه عمت عليه المرشد وكان البصير كان أبو رزجه رحل القدر وضيع الحال مفهمه
المطلق فلما أتت لبرزجه خمس عشرة سنة وحضر في مجلس الملك وقد جلست الوزراء على
كراسيها والمراتب في مجالسها وقف بجبال الملك ثم قال الحمد لله المأمول نعمه المهروب
نعمه الحال عليه بالرغبة اليه المؤيد الملك بسعده في القلح حتى رفع ثأنه وعظم سلطانه
وأثار به البلاد وأعاش به العباد وقسم له في التقدير وجوه التدبير فرعى رعيته بفضل
نعمته وسماها المؤيدات وأوردها المعشيت وذادها عن الآكبين وأقها بالرفق واللين
انما ما من الله تعالى عليه وتبيننا ما في يديه واسأله ان يارك له فيما آتاه ويخيره فيما استرعاه
ويرفع قدره في السماء وينشر ذكره تحت الماء حتى لا يبقى له بينهم ما مناوى ولا يجده فيما
مدانى واستوهبه حياة لا تنغيص فيها وقدره لا شاذ عنها وملكها لا يؤمن فيه وعاقبة تديم
له البقاء وتكثر له النعماء وعزايؤنه من انقلاب رعيته او هجوم عليه فانه مولى الخبير
ودافع الشر فامر الملك غشي فيه بئين الجواهر ورفعه ولم يدفع حدائة سنة مع قبيل كلامه
ان استوزره وقلده شير وشيره فكان أول داخل وآخر خارج (وقال) عمر بن عبد العزيز ماله
على العاقل نعمة بعد الاسلام أفضل من مباينة هذه السقاة بالفهم والعقل ولولم يكن هذا
ما عرف الله تعالى الا بالجهل ألا ترى ان الله تعالى خاطب أولى النبی وذوی الالباب وذوی
الضائر ويجب على العلية ان يحمدوا الله تعالى على ما ينتم هذه السفلة بالقول والافهام
كما يحمدونه على جميع النعم (وقيل) لروان بن محمد وهو آخر ملوك بني أمية ما الذي أصارك الى
هذا قال الاستبداد برأى لما كرت على كتب نصر بن سيار ان أمده بالاموال والرجال قلت في
نفسى هذا رجل يريد الاستكنا ومن الاموال والجندي بما يظهره من فساد الدولة قبله وهيأت

أن يقتض على خراسان فاستفت دولته من خراسان وقال الواقدي قال الفضل بن سهل لما
دعى للمأمون في كور خراسان بالخلافة تهاذبا بالمولسور وراحمكاه من الخلافة ووجهه ملك
كابليستان شيخا يقال له ذوبان وكتب بذلك كراهة قدوجه بهدية ليس في الأرض أسقى منها ولا
ارفع ولا تابل ولا انخرمها فحبب المأمون وقال سل الشيخ فامعه فسأته فقال ما معي شيء أكثر
من على قلت وأي شيء عليك قال رأي يتقع وتدبيره قطع ودلالة فتجمع قال فخر المأمون
بذلك فأمر بانزاله واكرامه وكنان أمره فلما اجتمع على التوجه الى العراق لقتال أخيه
قال ذوبان ما ترى في التوجه الى العراق قال رأي وثيق وعزم مصيب وذلك قريب فأنسب
ماض فاقض ما أنت قاض قال له فن توجه قال القى الأهوار الطاهر الاطهر يسير ولا يعثر
قوى مر محبوب مقاتل غير مغلوب قال فكلم توجه من الجند قال أربعة آلاف صوارم
الاسياف لا يتقصون العدد ولا يحتاجون الى المدد فسر المأمون بذلك ووجه بطاهر
ابن الحسين قال وفي أي وقت يخرج قال مع طلوع القمر بجميع لك الأمر وبصر الى النصر
فسر سريع وقتل ذريع وتفرق تلك الجوع والنصرة لاعليه ثم يرجع الأمر اليك واليه
فقطر طاهر وكان له النصر وقتل على ابن عيسى وزير الامين واستولى على مسكوه وساز
أمواله فأمر الملك لذوبان بمائة ألف درهم فلم يقبلها وقال أيها الملك ان ملكي لم يوجهني اليك
لانتقصك مالك فلا تقبل ردي نعمتك تسخطا وساقبل ما بيني هذا المال ويزيد عليه قال
المأمون وما هو قال كليب يوجد بالعراق فيه مكادم الاخلاق وعلوم الآفاق من كتب
عظيم القرم فيه شفاء النفس من صنوف الآداب بما ليس في كتاب عندنا قل
ليب ولا فلان أريب يوجد في ايوان بالمدائن فيقاس بالذرعان في وسط الايوان لازيادة
ولا نقصان فاحفر المدر واقطع الحجر فاذا وصلت الى الساجه فاقطعها لتجد الحاجة ولا تزم
لقبرها فيلزمك غيب ضررها فأرسل المأمون الى ايوان كسرى فحفر وافي وسطه فوجدوا
صندوقا صغيرا من زجاج عليه قفل منه فحمل الى المأمون فقال لذوبان هذا بفتك قال
نعم أيها الملك قال خذها وانصرف فتكلم بالاسان ونغم في القفل فانفتح فخرج منه خرقة
دياج فنشرها فسقط منها أوراق فعددها مائة ورقة ولم يكن في الصندوق شيء غيرها فأنخذ
الاوراق وانصرف الى منزله قال الفضل بن سهل فحنته فسأله فقال هذا كتاب جاويدان
نرد تأليف كعبور وزيرك ابراد شهر فاطلبت منه شيئا فندفع الى ورفات منه وترجمها الى
الخط بن علي ثم اخبرن المأمون فقال اجعل الى الورقات فحملتها اليه فقرأها فقال واقه هذا
الكلام لا ما نحن فيه من الى الدنيا

• (فعل) • من نوادر زجره رحيم القرم نصفي النعماء ووعاقي الوعطاء شفقة ونصيحة
وتأديا فلم يعاقي احد مثل شي ولا نصفي مثل فكري ولقد استأضت بنور الشمس وضوء
القمر فلم استضي بشيء أضوأ من نور قلبي وكنت عند الاحرار والعبيد فلم يطقني أحدا ولا
قهري في غير هواي وعاداني الاعداء فلم أرا على من نفسي اذا جهلت واحتزرت لنفسي
بنفسي من الخلق كلهم حذرا عليا وشفقة فوجدتها أشرف الاقتص لنفسي ورايت انه لا ياتها
الفساد الا من قبلها وزجني المضائق فلم يزعجني مثل الخلق السوء ووقعت من أهدم البعد

وأطول الطول فلم أفع في شيء أضرت على من لسانى وصيبت على الجمر ووطئت على الرضاء فلم
أزاد أذى من غضبي إذا تمكن منى وطالبني الطلاب فلم يدركنى مدركى مثل انساني ونظرت
في الداء القاتل ومن أين نالني فوجدته من معصية ربي سبحانه والتفت الراحة لنفسى فلم أجد
شيئاً أروح لها من تركها ما لا يفيها وركبت البصار ورايت الأحوال فلم أروها مثل الوقوف
على سلطان جائر وتوحشت في البرية والجبال فلم أرمش القرين السوء وعالجت السباع
والضباع والثعالب وعاشرتهم وعاشرتني وغلظت فقلبي صاحب الخلق السوء وأكلت العليب
وشربت المسكر وعاشت الحسنان فلم أجد شيئاً ألتصم العافية والأمن وتوسلت الشياطين
والجبال والسباع فلم أفرج الأمن إلا من السوء وكنت الصبر وشربت المر فلم أرسياً أمتز
من الفقر وشهدت الحروب وقبعية الجيوش وبشرت السيوف وصارعت الأقران فلم أقرنا
أغلب من المرأة السوء وعالجت الحديد وقلت الصخر فلم أرحل أثقل من الدين وتظرت فيما
يذل العزيز وبكسر القوى ويضع الشريف فلم أراذل من ذي خافعة وساجدة ورشقت بالثعالب
ورجبت بالبخارة فلم أرتد من الكلام السوء ويخرج من قم مطالب بحق وعمرت السجن وشددت
في الوثاق وضربت بعمد الحديد فلم يهمني مثل ما هدمني الغم والهزم والحزن واضطعت
الأخوان وانتخب الأقسام للعدو والشدة والنائية فلم أرسياً أخير من التسكريم عندهم وطابت
الغنى من وجوهه فلم أراغنى من القنوع وتصدقت بالذخائر فلم أرصدقة أرفع من رذوي ضلالة
إلى هدى ورايت الوحدة والقربة والمذلة فلم أراذل من مقاساة الجمار السوء وشددت البقيان
لأعزيه وأذكر فلم أرسراً أرفع من اصطناع المعروف ولبست الكساء الفاخرة فلم ألبس شيئاً
مثل الصلاح وطلبت أحسن الأشياء عند الناس فلم أجد شيئاً أحسن من حسن الخلق ومرت
بهايا الملوك وجباةهم فلم أسربني أكثر من اللطاف منهم

• (فصل) • ومن حكم شباباق السندي من كتابه الذي عمله متحل الجواهر الملك بن قباير
الهندي يأبها الملك اتق عثرات الزمان وتحش تسلط الايام ولوم عليه الدهر واعلم أن للأعمال
هزاء فاتق العواقب وللأيام عثرات فكن على حذر وللأقدار غيبات فاستعد لها وللزمان
مقلب فاحذر دولته لتيم الكرة تخف سطوته سريع الغرة فلا تamen دولته واعلم ان من
يذاوت نفسه من مقام الآثام في أيام حياته فما أبعد من الشقاء في دار لا دوا له بها ومن اذل
حواسه واستعبد لها فيما يقدم من خير لنفسه بان فضله وتظهر له ومن لم يضبط نفسه وهي
واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس وإذا لم يضبط حواسه مع قلمها واذلتها صعب عليه ضبط
الأعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية في قواصي البلاد وأطراف الممالك
أبعد من الضبط فليبدأ المثلث لطاقه على نفسه فليس من يدوا حق أن يدها بالقهر من نفسه
لم يشرع في قهر حواسه الخمس لان قوة الواحد منهن دون صواحبا قد تأتي على النفس
القوية الحذرة فكيف إذا اجتمعت خمس أنفس على واحدة واعلم ان لكل واحدة منهن
شدة ليست للأخرى فخيرها تسلم من شرها وانما هي لك الحيوان بالشهوات ألا ترى أن
القراش يكره الشمس فيسكن من حرها ويحببه ضياء النار فيدفعونها فحقوقه والظبي على تقار
قلبه وشدة حرصه يفت للسباع الموتى الملهى فيمكن القاص من نفسه وذباب الورد

المتبع لطيب الارواح يطلب ما يقتر من اذن القليل لطيب رائحته فانه في طيب رائحة المسك
 فيلهب طيب الرائحة عن الاحتراس من تحريك القليل اذنه فيتويع في اصل اذنه فتقع عليه
 ضربة الاذن فتقتله والسمك في البحر فلهذا الطعم ان يتلعه قصص السمكة في خوفه
 فيكون فيه حقيقه (وذكر الحليم) ان خصا لا معروفة قتلت بالافراط في املو كما معروفين
 فالصدمات فيه قتل الملك والافراط في العهار مات منه سيب الملك والافراط في السكر مات
 فيه حازق الملك وشدة الحرص مات منه مهران الملك والغضب آخر سخطي الملك والطمع
 وآكل والفرح واطبات والافتة وليس والتواني زمير بهر واشتق بخصال اهلكت ملوكا
 ان يجتنبها الملوك واعلم ان الرعية تستطلي الى الملك العادل استقطاه اهل الجذب الى الغيث
 ويتعشون بطبعه عليهم كاتعاش النبات بما يشاء من القطر بل الرعية بالملك العادل آتم
 نعماتها بالغيث لان المنفعة الغيث وقلماعا وما وعد الملك على الدوام لا يتعين له وقت
 ويحسن بالملك ان يشبه نصارى تدبيره بطباع غانية أشياء وهي الغيث والشمس والقمر
 والريح والتار والارض والماء والموت فاما شبه الغيث فتواتره في أربعة أشهر من السنة
 ومنفعته لجميع السنة كذلك ينبغي للملك ان يعطي جنده وأعوانه في الاربعة أشهر تقديرا
 لتحة السنة فيجعل رعيهم وروضعهم في الحق الذي يستوجبونه بمنزلة كبا سوي المطربين كل
 أ كتمشقة وغناط مستقل ويعمر كلامه مائة بقدر حبه ثم يستجيى الملك في النهاية الا شهر
 حقوقه من غلاتهم وخراجهم كاتنض الشمس بجرها وشدة فعلها نفاذ الغيث والامطار
 في الاربعة الأشهر وأما شبه الريح فان الريح لطيفة المدا خل تسرح في جميع المنافذ حتى
 لا يشق لها مكان كذلك الملك ينبغي أن يتويع قلوب الناس بجوا سيبه وعبونه لا يتحقق منه بشئ
 حتى يعرف ما يأترون به في يومهم وأسواقهم وكالقمر اذا استمل أيامه فأشام واعتدل نوره
 على الخلق وسر الناس بضوئه ينبغي أن يكون الملك بهجته وزينته وشرافه في مجلته واما سبه
 رعيته يشره فلا يخلص شريفادون وضيع بعدله وكالارض في كتمان السر والاحتفال
 والصبر والامانة وكلتار على أهل الذمارة والفساد وكعاقبة الموت في الثواب والعقاب
 يكون ثوابه لا يتصر عن اقامة حد ولا يتجاوز وكلمه في لينة لمن لا ينة وهدمه واقلاعه عظيم
 الشجر لمن حاربه واعلم أنه قد يكشف السلطان من شرار الناس والاعوان على الحاجة اليهم
 من يستبشع ويستكره كالحيات تكشف بالسندل فيقتلها السندل بطيب رائحته ويرده
 وييه ويقنع السندل اذ لا يقرب منه من يريد أن يقطعه ولكن فيك مع تطلقك تشديد البلاء
 فلا يصرا عليك فان القمر يستاربض وهو يظهره لكن الثمر يستظل من حرها ويسكن لها
 وقد قالت العرب في مثل هذا لا تكن حلو اقم رط ولا مر اقلظ اجعل لكل طبقة من
 أعدائك اشباههم من أعوانك يسوسونهم فانهم كلماء في الاذن لاحيله في اخراجه الابارقي
 من الماء الذي هو من جنسه اذا عادت رجلا فلا تعاد جنسه واستبق من دونه أحدا قمسى
 تتقم به فان السيف المقاتل من جنس الدرع الواقى ولا تطعم في الكذب والطبوع على
 الشر أن تعطفهما بالاحسان فانهما كالقرد كلماء باطعام الحلاوة والدم ازداد وجهه
 قبحا قد يرد الواحد كيد الجميع اذا كان عاقلا كما يرد الظل حر شعاع الشمس اذا كان واقيا غاية

أبى الناس أن يقتل بسهمه واحدا ~~لصن~~ رمية عاقل ذهن تقتل الجيش بأسره والملك
الشريف العاقل لا يقدف به قدح أهل البغي من انقطع اليه ولزمه كان كالجوهرة الخفية بنور
لا يطفئها عصف الرياح من كان قابلا لما يورده عليه في اصطافه الى كل قول يسجعه كان كالسراج
يعلل به كل من يئس لئنه ثم لا يلبث أن عصفت الرياح أن يطفأ * تدبير الملك الحازم في سلطانه
كتمه صاحب البستان بستانه يخرج ناضحا عبداه وشول شجره فيحيط به على غره وزوجه
لحميه من الشر والفساد كما ينتخب الملك أهل الشكوة والشوكة فيعلمهم في أفاضله وحدوده
ردا للمملكة * وليكن الملك احذرا ما يكون آمن ما يكون (قلت) وقد صدق الشاعر

أمنت ريب القنون فغتم * ريب خوف سمكن في أمان

قال ألا ترى أن بهر شان الملك أمانت المرات على فراشه رجلا فلما رام فراشه وثب عليه فقتله
وبأسراج الملك قتله بخلخال مسموم ودروف الملك قتله امرأته بعدة خبائنها في عقاصها واعلم
أن العدو قد علم منك مواضع الحذر ومالات الامن وانما ترصد لك في حالات الامن والمراضع
التي تظن العدو ولا يمكن فيها فكن أحذرا ما يكون فيها وما تحركم هذا الباب قد قدمنا
في تراجم كتابنا

(فصل) * قال غيره لا ينبغي للملك أن يكون له أيام معلومة يظهر فيها فان في ذلك خصا لا
مذمومة منها انه قد يعوق عن ذلك اليوم عسك يهجم أو بعض كسل أو لفة مغتمة فلا يزمه
الخروج على كره ومنها انه اذا انقضى عن الظهور في ذلك اليوم لامرأته تطاولت الاعناق من
الرعية وكثر كلامها وقالوا مرض أومات أو ماتت آفة فيكسب العدو جراته وسروا
ويكسب الولي حزنا وجبا ومنها انه قد يواعد عدوه ليوم يلتقيان فيه فلا يئنه ذلك ولا ينبغي
أن يكون الملك كثير التصرف عند فساد الزمان وخبت الرعية وعن هذا قالت الحكماء اذا
كان الجمل كثير الفقر كان نصيب القتب

(فصل) * من نادر كلام العرب من حكم أكرم من صيغ وهذا رجل كان له عقل وعلم ومعرفة
وتجربة وقد عاق الناس عنه حكا لطيفة والقوافيها تصانيف فمن حكمه قال من فسدت
بطاقته كان كمن غص بالماء أفضل من السؤال وكوب الاحوال من حسد الناس بدا
بضرة نفسه العديد من احتاج الى التيم من لم يعتبر فقد خس ما كل عثرة قتال ولا كل
فرصة تنال لا وفاء لمن ليس له حياء قد يشتر السلاح في بعض المزاح من وفي بالعهد فاز
بالحد الموت يدنو والمرء يلهو طول الغضب يورث الوصب ريب عتق شر من رق من
امطع قوما احتاج اليهم يوما ما الكذب بهت والخلف مقت من لم يكف اذا له لقي ماساه
الحري يقاضى لك من نفسه والتيم يستحسن تسوية وجبسه ليس بانسان من ليس له اخوان
تفترق بنفسك ان صحبت من هو دونك عليك بالجمامة لمن لا تدوم له مواصلة في الاسفار
يبدوا الاختيار أفسد كل حسب من ليس له أدب أفضل القفال صيانة العرض بالمال
ليس من حادث الجهول بنى معقول ليس الملقط مثل الرذ من جالس الجهول فليستعد
لقتل وقال ماجلا عنك النسيان مثل البيان ولا نفي عنك البهتان مثل البرهان لم ينج من
الموت غنى له ولا تقبر لا قتله اذا أردت طرد الحرف فسهل الهوان كفرة العلل آية البخل

كفر النعمة لئوم وصحبة الاحق شؤم ان من الكرم ليزال شيم اياما والحمد لله فانها خلق
 لثيم امض اخل النصيحة حسنة كانت أو قبيحة رب سباب قد هابه العتاب الصدود آفة
 المقت سبب الحرمان التواني من سأل فوق قدره استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب
 ولا كل غائب يوفى ان من الفساد اضعاف الزاد من حلم ساد ومن تفهم ازداد لا ترغب
 فيمن يزهد فيك رب بعد أقرب من قريب المزاح يورث الضغائن سئل عن الرفيق قبل
 الطريق وعن الجار قبل الدار غشك خير من معين غيرك من أجدا المسير ادرك المقييل
 استعوزة أخيك لما يعلم فيك لا تكلم من المزاح بقذهب هيتك ولا من الضحك فيستخف
 بك من أكرم من شئ عرف به كفى بالحلم ناصرا المنة تهديم الصنعة نعم الشئ الهدية يزي
 يدى الحاجة وبما فصع غير الناصح وبما غش المنصع الكلام فيما يقبلك خير من السكوت
 والسكوت عما يضرك خير من الكلام لا يفرك من جاهل قرابة ولا جوار ولا لاف فان
 أقرب ما تكون من النار قريبا أقرب ما تكون منها تلها ارفض أهل الدناءة تلزمك المهابة
 دع مجاملة أهل الرب على كل حال فانك ان يسلم دينك لم تسلم من سوء المقاتل الكرم شكر
 البلاء واللوم كفر النعمة أكرم الصنائع سلامة الصدود لان تسلم من الناس حتى يسلموا منك
 من عدم الايمان ليزده الرواية فقها الحزن مقسدة للعقل ومقطعة للصلة كثرة النوم اماتة
 للقلب شقة الحذر تدل على ضعف اليقين محادثة الحق والسفها موقر سوء الخلق الدليل
 على الحق اعجاب المرء بمقله من لم يسمع الحديث فارفع عنه موته من حدث من لا يقفه كن
 قدم مائدة لاهل القبور من قطع عليك الحديث فلا تحده فليس بما أحب أدب من عرف
 بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يقبل صدقه من وصل من يصدقه قوى عدوه وقصر
 بنفسه اعتقره قاصديقك من غضب من غير شئ رضى من لا شئ من غضب على من لا يقدر
 عليه طال حزنه الرجل عبده هواه لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل من خاف دبه
 كلف ظله كسل الفقير هلاكه شخ الغنى فضيخته من لم يتورع عن كلامه اظهر بخوره كل شئ
 لا يوافق الاحق فاعلم انه صواب اذا غلبت اصرأتك فجاهدها فانها عدوك من لم يعرف الخير
 من الشر فاحسبه بالهائم من طلب ما عند البضيل مات جوعا جار الرجل الجواد كجوار
 البحر لا يضاف العطش وجار البضيل في الغارة هالك اذا لم تتقع بمصادقة الاحياء مات أهل
 القبور من عادى من فوقه اقص من تحته الرزق مقسوم والحرص محروم من كثرة كلامه
 على المائدة غش بطنه وابغضه أصحابه العلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة الجاهل
 يستلهم الشر والعاقل يمنع نفسه من الشر من لم يرحم الناس فليس له نصيب في المروءة اذا كان
 لا جارا وصديق لا تتقع به قصور منه في الحائط فانه ازين الحائط وأخف للموثة العاقل
 يرقى في الادب والجاهل يهرى بمنه العاقل اذا فاته الادب لزم الصحة لا تستنطق من
 تنكبه العاقل بهم رأيه في نفسه والجاهل يقيم على جهله من لم يملك عقله لم يملك نفسه
 من اظهر محاسنه ودفن مساويه كمل عقله من غلب هواه عقله اقتض من استشاره عدوه في
 صديقه أمره بقلبه مصادقة الكرام غيبة ومصادقة اللئام ندامة لا تدخل على صديقك
 التهمة فيرجع لك عن النصيحة اذا انتقطع رجائك عن صديقك فاحسبه بعدوك من طلب

مرطبا إذا اخوان بغرضي فليصادق أهل القبور العاقل ليس في صداقته مخادعة رأس مال
الاحق الخديعة وفائدتها الغضب والحليم رأس ماله الصمت وفائدته الحلم إذا جهل عليك
الاحق فالبس في سلاح الرفق واللف صدق كل امرئ عقله وعدو كل امرئ حقه من أنزل
نفسه عاقلا أنزل الناس جاهلا من قنع بكذب النفاق أظهر للناس رقايسه السكوت عن
الاحق جوابه السكوت يزين الاحق والكلام يشينه من استطال عليك بعبسه وتحلي بفضله
فلا كراهة في الناس مثله الجواد محبوب والبخل مبغض إذا جلت البخل مودة أدي لك
الحريمان والعداوة البخل يمنع ماعنده ويحذر على الجواد وجوده من طلب من البخل حاجة
فهو شر منه من بذل لبخل ملته ورفع عنه مودته دامت مودته ضيف البخل آمن من
الغلبة من طلب من لقيم حاجة كمن طلب السلطان في المفاضة عدة الكرم نقد وعدة التيم
تسريف الكرم يواسي اخوانه في دولته والتيم قطعهم لا تنفع التيم فانه لا يعطيك انما
الصدق الذي يذل للجماعة عند الحاجة ونفسه عند البلية ويحفظك عند الخيب ويتعك
عند الرجاء إذا صادقت الوزير فلا تنقض الامر من لا يتعك في الصداقة فعاده من غشك
في العداوة فلا تله من كان الناس عنده سواء لم يكن له أصدقاء من صادق الاخوان بالمكر
كافوه بالغدر من لم يواسي الاخوان في دولته خذل عندما منه اياك أن تبقى مودة من يحصلك
فانه لا يقبل الخاطئ من حصلك على علمك لم يسقم حديثك الحاسد يفرح برثك ويحيب
صوابك اذا رأيت من يحصلك ويسرك ان تسلم منه فم عليه امورك من صبر على مودة الكاذب
فهو مثله وكل شيء في مودة الكاذب لا شيء من يدلك بجهله فسكاته يحلك تقمه أول المرواة
طلاقة الوجه والثانية التورود والثالثة القصاحة القابض لا يالي ما قال والورع تعاهد
كلامه من شغل مشغولا فقد أظهر نقطه من صبر على شغل سوء فليقتطرا الى مضنة عينه من لم
يقلب الحزن بالصبر طال غمه من استطال على الناس بغير سلطان فليصبر على الذل والهوان
لا تحضر الضعيف السري ولا ترغب في الغنى الذي من تشبه بالسرقة وغلبت عليه الدناءة فلا
تكرمه من أغضبت أنكرته من أغضبت أعطفته من تعرض لصاحب الدولة أقلب بهزيمة
من صانع عمله لم يحسنهم من طلب حاجته من صاحب الكتاب ملوه ومن عاداهم أنكره من
شجع عليك بأفقه وطمع يصره ولم يدخل عليك فضله فلمن عليك سلبيه السفه يقطع مودة
لم تزال ويكتسب عداوة لم تكن حمل المرأة ثقيل من عالم الناس غم خذلان الجار لوم
وبالبلاء قليل احفظ اخوانك نذل اعدائك ما أجل الصبر على ما لا بد منه المحروم
من طال نصبه وكان لغره شبه لا قوى أقوى عن قوى على نفسه ولا عاجز اعجز عن عجز عنها
الخوف في أهل غريب ما أضف قوت من يغالب من لا يغلب

• (الباب الرابع والستون مشغل على حكم منشورة) •

اعلم أيها المريد ان الله تعالى يحسن أيامه وأصفياء باعدائه ويضطر أوليائه واجابه الى أعدائه
رفعة ونقره بالآتيانه وتحيصا له قوائ أوليائه وذخرا لهم عنده وزلفى لديه تعظيما لاقدارهم
وتشريفنا لمازلهم وترفعنا لدرجاتهم قال الله سبحانه وتعالى تعز به لتبني محمد صلى الله عليه وسلم
لعظيم ما كان ببقائه من سخاوات أعدائه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وشياطين الانس والجن

يوشى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من
 الجرمين يا محمد لا تستوحش منا ولا تتهمنا في سبرتنا فمن نحبه ونحبنا قال بل على وجهين
 أحدهما الذنب والآخر رفع درجة وتوقير أجر ولذلك كان أشد الناس بلاء الانبياء الصالحون
 ثم الامثل فالامثل قال بلاء بل أن بلاء درجة لتضعف درجة وتضعس سبته وبلوغ فضيلة وعالم
 منزلة وبلاء صغوبة لانهاله حومة واقتراف مصيبة لن تتجاوز المكافاة أن تكون طلائع درجة
 فلا رغبة عما أتم الله بهنما أو لسيئة عن اضعاف فلا غنى عن زاجر عنها فلا شئ ذلك مكان
 حاولها عظمت به الحق ووجبت له التهمة (وكان جعفر بن محمد) رضي الله عنه اذا وقع في شئ
 يكرهه يقول اللهم اجعل أديا ولا تجعله غضبا وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان
 المؤمن في رأس جبل لقبض الله من يوزنيه يامن ضاق صدره ورح قلبه وما غشقه من عدو
 ألقاه وخاض حسده طبع نضاور عينا وانعم عيشا ثم اذلة الرسول إلى الإيمان وعدو له اتفاق
 يخرج ان هتلتها أمالك في الامياء اسوة أمالك في الصالحين قدوة فلو لم تلق الله عز وجل من
 الحسنات الايمان اقترناه اختيار القين الله تعالى فقر من الحسنات ثقل من السيئات
 قال الشاعر قديع الله بالباوى وان عظمت ويتلى الله بعض القوم بالنعم
 قال بعض الحكماء الذي رأى ناعما غضب فيما كره أكثر مما رأى ناعما غضب فيما غضب وقال علي بن
 أي طالب رضي الله عنه ما أهنى ذنب امهات بعد حق أصلي ركعتين السجون قبور الاجياء
 وشماتة الاعداء وخبرة الاصداء وأبعد الناس من كان التضام ساعدا وكان لمساعدة
 أهلا طلب على الكريم من بداليه الشماعة لوم عوام الناس عقدتواصهم عجي القدر
 يسبق المذنب من مضوم من شئ حاقبه من غير شئ إلى به الخلق نهب المصائب مذاكرة
 الرجال تلقح لالباها أقل ما في طلب الحيلة الخرو من الاستكافة جاني العقوبة على نفسه
 أعظم بما عليها من العقاب عليها قرابة بغير منفعة بيلة عظيمة التهمة متعة كمال أديا
 لنفسك ما كرهتم من غيرك الحمة شؤوب الجهول الآفة قوام الله قل أنت لم يسبق ذلا
 الغادر كين لا يؤمن من ازدحام الكلام ضلها الصواب جلاوا القرى قبل موالتن والحق
 السبة أعجب ما في هذا الانسان قلبه وهو ادم من الحكمة واضد ادم من خلافتها فان منع الرجاء
 انه الطمع وان حاجبه الطمع أهلكه الحرص وان ملكه اليأس قلبه الاسف وان عرض له
 الغضب اشتد به الغبط وان استعدنا الرضا نسي التعطف وان ناله الخوف شغل الحذر وان اتسع
 له الامن استلبته القوة وان حدثت له نعمة أخذته العزة وان امتحن بحسبة فضعه الجزع
 وان أقاد ما لا أعفاه النفس وان غشته فاقة أشغله البلاء وان اجتهد الجوع تعبه الضعف
 وان أترط في الشجع كلته البطنة فكل قصير به مضر وكل اقراط لمفسد أفضل القول
 بديه امرئ يودى في مقام خروف أشد الناس غما الذي يرى غيرة في الموضع الذي هو فيه أولا
 ما أخذ القطة أحد الرفع عنه طاعة من الغيب ان لا ترض عن اجتنى رضاك وأوجب من
 ذلك ان تسخط عليه زئير الاسد يشبه مولته علامة العلم العمل بالأعراض عند المناذرة
 لاتعدوا حتى تزوا لا تخفروا حتى تقفوا لاتأفخوا حتى تغفلوا أوجه الشفاعة برامة الساحة
 من لزم العفة والاستقامة لزمته القبطة والسلامة قصص الاولين مواضع الاسر من البحث

قوله بالأعراض عند
 المناذرة هكذا في
 النسخة التي بأيدينا
 ولم يظهر معناه فليحذر

يجمع الحق كما يورى النار القدح ليس مع الخسد مرور ولا مع الحرص راحة ولا مع السخط
 غناه (قال جعفر بن محمد الصادق) عجب لمن يلى بأربع كيف يغفل عن أربع لمن ابتلى بالضر
 كيف يذهب عنه أن يقول مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين والله تعالى يقول فاستجبنا له
 فكشفنا ما به من ضر وعجب لمن يلى بالغ كيف يذهب عنه أن يقول لا إله إلا أنت سبحانك انى
 كنت من الظالمين والله تعالى يقول فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تتجى المؤمنين وعجب
 لمن خاف شيأ كيف يذهب عنه أن يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فاقبلوا
 بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء وعجب لمن مكر به كيف يذهب عنه أن يقول وأقرب
 أمرى الى الله أن الله بصير بالعباد والله تعالى يقول فوفاء الله سبأ ما مكرها وعجب لمن أنعم
 عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهب عنه أن يقول ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة
 الا بالله كذا سنة الله سبحانه فين صدق في الباطن اليه ولم يتوكل في مهماته الا عليه * العيين
 مائة ومائة أذا ما اورد مضاعفة من متلفة أو قدم غائب بعد أن جاءت بالياس منه الركايب
 وأثر المصادرة على قنوط الطبيعة مخالفة للبرهان صبر خلق وجب عليك وان خالف هو الذ
 به المجلس الشريف بالرجل الفاضل البقير راحة ودوح العمل النافذ بالرجل المدبر كهاء
 الباقوت والؤلؤ في تيجان الملوك ما أنور الهدى ما أعظم المعنى ما أكرم التقى ما أخدع
 الهوى ما أسرع البلاء ما أجلد الصبا الجود أن يضم الروح خط الجسد والامراف ان
 يضم الجسد الروح والعدل ان يعطى كل واحد منهم ما حظه والشمع أن تكف خطوطهما
 عنهما عدو يخاف الله فيما تذكره خير من صديق لا يخافه فيما تحب من الحب أن نطلب في
 صحة كل علم ما ينفعنا ونسلك العلم الى الله تعالى من غير بحث عن صحة لا يرعى الباطل عما ترى
 به ولكن احذر ان يصدع عليك بالحق فيشمد عليك عيناك ووجهك من بطل رشوة بطل متعه
 الراغب فقير بقدر رغبته الحق صطفى ويمنع تجاوز عن ذنوب الناس لتج عليهم واجتنب
 الذنوب لتقل بهم عليك الفراغ الفاضل عن الحمام مفسدة الحجة احدى العليين الفرق
 ينهى الحجة حاي العلية في كلامك وموئيدهم وبين السفة في أحكامك موت في عز خير من
 حياة في ذل الا كفاه من كل غم متباغضون ما ضاع امر وعرف قدر نفسه الدعة الهنية
 تكون بعد انقضاء العمل لن يفارق انظر صاحبه حتى يفارقه خير الناس من تواضع عن رفعة
 وصفا عن قدرة الحاسد يظهر وده في كلامه ويقضه في افعاله قاسم الصديق ومعنى العدو
 الرياء يقصد العلانية والحب يقصد السريرة اذا كثرت القدرة قلت الشهوة من عرف
 قدره كفالتحس كفى بالتفكر شيئا للمذهب الى الخليم لسان الجاهل دليل حقيقته لا تفر مع
 بيتي ولا صحة مع نهم ولا شامع كبر ولا صداقة مع خب من لم يعرف قدره ما كفه تفكك أحق
 ما زد ما خالف شهادة العقل قطع ظهري واقصد الدين رجلان جاهل ناسك وعالم فاجر هذا هو
 الناس الى جهله فسكه وهذا يقر الناس عن علمه بشقه من قوى هواه ضعف سؤمه من ظهر
 غيظه قل كيد كفى بالقلم طاردا المنفعة وداعيا للنقمة من قبل صلتك فقد باعك مروته
 الهدية تفقأ عين الحكيم عتوا رأى خير من استكراه الفكر من لم يؤمن بالقدر فقد كفر ومن
 حذاه فقد نخر ما اكتسب بجمل الكبر من استغنى بالله افتقر الناس اليه التفسير يحفل

عن الصواب الاخر اطمعك في الخطا ثلاث خصال ما يستحسن الا في كرم حسن المحضر
واحتمال الرقة وقلة الملاة كني مخبرا عما يقى ماضى وكفى عبرا لذوى الالباب ما جربوا التعاون
بالمطوب اول اسباب حرماته الشبه غلة لن يضيع امره وصواب القول حتى يضيع صواب
العمل خيرا لا مورا سرعاجه وحسن عاقبته لا شرف مع سوء آداب ولا برمع نفع ولا اجتناب
محرم مع حرص ولا محبة مع زهو باجالة الضكر يستخرج الرأى المصيب ويحسن التأني تدرك
المطالب بالنصفة بكثرة المتواصون القاحشة عار الابد وعقوبة غدا الشهامة تعقب التدامة
من محضر ابتلى قال الله تعالى ان تسخر وانا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اقتضوا المتفضلون عليك
التجملون رب ميانة غرست من لينة وحر بجنيت من لينة ماشاهد على غائبه بدل من
طرف على قلب شر المال ما لا يتق منه أفضل المال ما صين به العرض وبالا فضل تشرف
الاقدار الفنى يكون سببا لفساد نفسه اذل من يفسده عدوه أودهره لا تعتق وديعة مالا
الشهوة ورق الحريص كلب يعو على الانسان اللسان وعلى المودة العينان لا شرف أعلى من
الاسلام ولا كرم أعلى من التقوى ولا شجيع أعنى من التوبة أولى الناس باهر من حافظ عليه
الخبر موضوع ابن أواده موفور بل على الله الرغبة مفتاح الطلب ومطية الحسرة الحرص دافع
الى الحرمان التقل بالحسنة بنى السينة المكافاة بالسيرة دخول فيها البنى سائق الى الخين
اصلاح الرعية انفع من كثرة الجنود حق المذموم التأنيب وحق المرحوم المعونة من الجهل
والخفاء اظهار القرح عند المحزون المحزون يصعد على القرح ويشكر للمكتب من ظل
السلامة تدب أفاق الآفات أعظم الناس قدرا من لم يجعل الدنيا لنفسه قدرا ما أحدث
محدث بدعة الا تزل به سنة عزائم الامور خباياها ومحدثا شرارها الملك يكسب من اتفاقه
والعامة تنفق من تكسبها من أفنى عمره في جمع المال محافة الصدم فقد أسلم نفسه للعدم
(قال الشاعر) ومن ينفق الساعات في جمع ماله محافة فقر فالى فعل القفر
من لم يقدر على جمع القضايل فليكن فضائله ترك الرذائل اذا لم تكن لمحا تلحق فلا تكن ذبايا
تفسد اسلح بعض العدو وأفضل من اهلاكه من معاداة المرء ان يطول عمره ويرى في عدوه
ما يسره خيرا يكتب ما اذا عاذا فانه النظر فيه زاد حسنه أو وقف على خيره أنقل الاجال
من اتسعت مروءته وقلت مقدرته استضى من الله بقدر قربه من عقله وأطعمه بقدر حاجتك
اليه وخففه بقدر قدرته عليك واعصه بقدر صبرك على النار واعمل لادنيا بقدر بقائك فيها
واعمل للآخرة بقدر مقامك فيها الملك يتقى ليكسب والعامة تكسب لتنفق الطاعة بقدر
القاقة فيمن زوال النعم اذا زال معها التجميل أولى الامور بك او جبا عليك الدنيا العافية
والشباب العصة اذا قبل الامر أمر به واذا أدبر صرح اذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية
واذا جار لم يملك منهم الا الرأى والتصنع الصدقة من سعة وايدأ عن تعول اذا أضرت النواقل
بالقراض تركت النواقل وقدمت القراض قدر الرجل على قدر همته وصدقته على قدر
مروءته وشجاعته على قدر أفته وبعثته على قدر غيرته من أطاع الواشى ضيع المديق ومن
جعل لنفسه خطا من حسن الظن روح قلبه شر مالك ما لمك اثم مكسبه وحرمت منفعة
اتفاقه رب مقبوط ببلية قامت بوا كبه في آخرها لا ترج خير من لا يرجو خيرك ولا تأمن جائب

من يأمن جانبك تاركك الطلب فخير الرجى للعود من تاركه خوفا ثمات الشهوات الخفازى
الخطومة ترض القلب أهم الأشياء فمعا فقد الاشرار من استكنى الكفاة كفى الاعداء خير
ما للثما اعتناك وخير منه ما وراك صولة الكريم سليمة ذنب أسد خير من راس كلب بجمهة العير
يقصدى سافر القرم من استتبرأ يهتفت وطأته على اعدائه انما لك من دينك ما أصلت به
مشرك من أمن الزمان خاتمه ومن تعزز عليه اهانته كايحب ان تكون المرأة ضوا من الناظر فيها
فكذلك يجب ان يكون المؤدب أفضل ممن يؤدب من ترك العمل بما ينبغي عومل بما لا ينبغي
ليس في الشراسة ولا في الخطا قدوة لن تكون لله ناهضا حتى تحب عدوك اذا أطاع اقفى
عداوتك على عداوته وتقطع عما عاد عليه وتغض وليك اذا عصى الله في موالاتك وتترفع
عما والا لك عليه لا تمكن على الاساة أقوى منك على الاحسان الشئ من جمع لغيره وضيق على
نفسه شر أخلاق الكريم أن يمنع خبره من كانت الاخرة رأس ماله كانت الدنيا وجهه ومن
كانت الدنيا رأس ماله كانت الاخرة خسارته أفضل العلم وقوف الرجل عند علمه أفضل المال
ما خفيت به الحقوق البدع فخاخ مخبوءة قد علقت عليها ألقاظ ظاهرة رجا العامة أمنية على
ضلالة ورجاء الخاصة يقين على ثقة القليل من الملك كال كثير من غيره عطاء الملوك زينة وسوالة
شرف وفي الامثال جاور بحر أو ملكا اذا كذب السفير بطل التدبير اخبت الزمنة زمن
لا يميز فيه الصواب لا تعطوا في الفضول ما خضم العجز عن الحقوق الاذان انما تعوذى
والقلوب قوايل تقي من أحب أن يسمى داهيا لم يظهر دهاه لادليل اهدى من التوفيق الجلاء
البلاء من عرض نفسه للهم فلا يلوم من أسأبه القطن الحفظ قيد العلم المدايسة اذ كاهلهم
الحفاية احياه القطن استدم النعمة بالشكر والقدرة بالعفو والطاعة بالتألف والنصر
بالواصل لله والرحمة للظن استقلال الكثير تعرض للتغيير ثلاثة اشياء تدل على عقول
أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهبة تدل على عقل
مهديها لم يحكم على العقول حاكم كالعبر ولم يحكمها محكم كالخبرة من عاب سفله فقد رفعه
ومن عاب سيدا فقد وضع نفسه أحق الناس أن يؤمن على النبيا أهل الاخرة صم من سمعت
سرايره وسقم من سمعت علواه به بالكلام يعرف فضل العقل كمال الرسول يعرف قدر المرسل
ملاك أموركم الدين وعصمتكم التقوى ورفقتكم الادب وحسن أعراضكم ما
أعطيت ما لا ترضى فارض بما أعطيت كلما ازداد الخير كثرة كان الخارج منه أشد مرة
وبقدر السهو في الرخصة تكون وجبة الوقعة الإبقاء على العمل أشد من العمل من التوفيق
ترك الاقراط في التوفيق وتوريت الحرمة والنعامة سنة في المروءة كان وراثة التركة مريضة
في النباية لا تلحقن امرأيا كثر من قدره فتكون مهينا لنفسك كذا ما على غيرك لا تفرحن
بمقطعة عدوك فانك لا تدري متى يحدتها الزمان بك من الجفاء الكلام في الامر الجسيم من غير
مشاورة أكر الناس مخادعة لنفسه في أمر جسده عند الحاجة وفي أمر مروه عند الشهوة
وفي أمر دينه عند الشبهة المصائب بغتات العاقل المدبر أرعى من الاحق المقبل أشرف
الصنائع ما لم يكن مكافأ لما ض ولا رجا لما بق أرض النظير ثم كافته وآس الملهى ثم استمع
منه لم تكن غواية ولا هداية الا واليهما سابق وعنه ما كص احسانك الى الحر يحرضه على

المكافأة واحسانك الى الخسيس يرضه على معاودة المسئلة ليس يخفى الاديب بأن يكون
فاعلا للخير انما يخفى بأن يكون تارك للشر من صنع معك خيرا فاضعه والاذلا تعجز ان تكون
مشله الاشرار يتبعون مساوى الناس ويغفلون عن محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع
النفثة من الجسد ويدع صحبه الطرف فطنة ما زجتها عبادته مع حذو توق فاذ اخلت الفطنة
من التوق فصاحبها لا يستقبح به أهل الرواة واذا اخلت الفطنة من العبادة وقارنتها فصاحبه
فصاحبها غير طيب الطرف الا لفاظ التي يرتفع عنها أهل الجلالة من المخلصين في باطن الدنيا
والمترفين في ظاهر الحال (وسمعت القاضي) ابا العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة يقول أول
من نطق بهذه الكلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك انه أتى بسارق فقال له اسرق قل لا
فقال الرجل لا فقال عمر انك لطريف جاهد البلاء الاقلال والعيال بنى للعالم ان يتعلم
للباحل بقدر ما رفعه الله عليه العقل أفقر الى الحكمة والاديب من الجسد الى الطعام
والشراب أعظم الناس غملا من زالت نعمته وبهت شهرته وضاعت مقدرته فله العيال
احد اليسارين معالجة الموجود خير من انتظار المفقود من عدم الحياء عند الضيعة
والصبر عند النصيحة سهل عليه المعاصي كلها العالم مثل السراج من مزبه اقتبس منه
من تقدم بحسن النية قصره التوفيق لن تكون لله ناصحا حتى تصب أن يكون عدوك مطيعا
من اذى الناس بلا سلطان كان مصيره الى الهوان مادحك بما ليس فيك مخاطب لغيرك
لجوابه وثوابه ساقطان عندك المكروا للبيعة في النار الاحداث تأتي من على ما نهى يوقى
الحذر المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمحفوظ للعدو ومن غضب على من لا يقدر على
غمه عذب نفسه واشتد غظه اطلب ما يعينك واترك ما لا يعينك فان ترك ما لا يعينك
درلك ما يعينك من انك الاشياء لعدوك انك تتركه انك لاتعديه كل آت قريب الاستغناء
عن الشيء خير من الاستقناعه ومن خير خبر ان تسمع بالمطر لا تغرب لمزول ولا غنى فيما
لا يبقى شر العيوب ما كان معينا على العيوب شر الذنوب ما كان علة للذنوب أبلغ الرسل
الكتب حاول الامور بالنصفة وانزعجك بالتفكر من أراد جالا لاتهمه الايام فليصعب
المروءة والصيانة فهما ذورة الشرف رب امره ما بعده من سبق اليك كانه صفوه من شروط
المروءة التغافل للضعيف المروءة ترك الريبة يكاد استقصاء القوى على الضعيف أن يكون
ظلمة يكاد استقصاء القوى من الضعيف أن يكون جورا القرآن ظاهره أبقى وباطنه عبق
أوله حكم وآخره علم الهادئة على الطعام تزيد في الشهوة وتذهب الحشمة وتزيل الاضياض
لن تنال ما تصب حتى تصبر على كثير مما تكره ولن تصوم ما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب
ذهاب البصر خير من كثير من النظر لاتعد العزم عزا اذا ساق غما مع الرأي الأول الوهم
النظرة بعد النظرة تعقب لما قبلها وتزيد لما بعدها ليس مدح الرجل بما فيه تركية انعم
الناس من كفى أمر دينه ولم يهمله دينه الغريب من فقد اخوانه وقطر امه وان كان في وطنه
الغريب من لا صدق له الغريب الفقير الغريب الاحق الغريب من لا ناصر له شيان
لا يستحي العاقل منهما المرض وذو القرابة الفقير من كات الدنيا سبب صلتها فانها سبب
فطيعته فاحذر ان تجعلها وسيلتك وبين أحد علامة الاشرار أن من خالطهم لا يسلم منهم

وحزن تركهم لا يصرفوا شرهم عنه وأما الاختيار فمن خالطهم ربح عليهم ومن خالطهم ترك شره
 الز ثلاثة الصدوق في الغضب والجود في العصر والعفو عند القدرة من عتب على الزمان
 طقت معتبه سناق الى كل ما أتت لاق اذا ذهب الا زباد الرشا وبجد المراد ما اعتق
 من الذم من ملكه الجهل ولا تغفر بالعزم احقل ما في المعصية من الخذل ولا يخرج من الذماعة
 من صرف جميع عقله الى الدنيا اخو الظالم صريب المسئلة آخر المكسبة ما من أهل
 اعلى من كان من أهل الهوى ولا كان من أهل التقى من حاد عن سبيل الهدى من ذم أدنى
 الاحسان لا تمناع أقصاه لم يحمده شيأ منه من دواهي الهلكة اضاعة المعرفة واعجب لمن يني
 داره وجسمه يهدم ولن يبرم أمور الدنيا واموره في نفسه فتمتل (قال علي رضي الله عنه) من
 لم يكن معنا كان علينا والساكت أخو الراضي الكامل لعلم يكن لاعلم له أو هو غير رائق فيه
 بالهواب المرء مخبوء تحت لسانه قيمة كل امرئ ما يحسن العلم على الحسنة من الثواب
 ينسى الحسنة شر من الحسنة سوء الخلق منها الخساسة مريخ القلوب انحصورة تكشف
 العورة وقرت العورة بلاء المؤمن من عاقبته كالنار حريقه ما من نورها قد يكون اليأس
 امعا كا اذا كان الطبع هلاكا من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل رفع الجاهل قدره عليه الخلة
 مع القلة تجوع الحرة ولأنا كل بتديها موت عاجل خير من ضنى أجل الغضب عند
 المناظرة من ساة للجمعة الاختصار أثبت المتكلم وأقهم السامع الكلب في الحاضرة ينم الضيف
 ويدفع الزائر ويرد السائل والكلب في البادية يعين صاحب وينذر بالضيف ويدفع
 المارق لا تغتر بقول الجاهل لك ان في طيلة لؤلؤة وأنت تعلم انها بكرة مثل الصلابة مع سائر
 العبادات مثل السخينة مع جميع من فيها ان سلت علم الكل وان أصعبت أصعب الكل الحب
 والبغض قسنة طلب المطمع حزم وطلب المؤيس عجز قد ينظر المنطق من يعنيه اذا فسد
 الزمان كسدت الفضائل وضرت ونققت الرذائل ونقضت وصار خوف المومر أكثر من
 خوف المهر لقا أهل الخير عارة القلوب لا يصيد الكثير من لا يصيد لنفسه الواحدة بالعمل
 يحسن المنطق وباقوة يتم العمل الفكرة مرأة من أعظم الناس من قل ماله وكثر مجده
 الادب مع العقل كك الشجرة المثمرة والعقل بلا أدب كالرجل العقيم الماء ألين من القول
 والقلب أقسى من الحجر وقد ينلم الماء الحجر اذا كثر انحداره عليه اشد الاشياء اخفاء الفاقة
 أولى الناس بالرجة عالم يجري عليه حكم جاهل لم يغب من شهد رأيه ولم يغن من بقى أثره ولم يعت
 من خلد عليه وقد سبق المثل ليس بهالك من ترك مثل مالك كانه قبيح اذا وكبنا الخليل أن
 تجري بنا حيث أرادت دون أن نذيرها ككذلك قبيح أن يجري البدن والنفس بالعقل حيث
 أرادت من الشهوات أشق الامور معرفة المرء بنفسه عائب المجتمع عليه محجوج ليس شيء
 من البر الا ودونه عقبة من الصبر ضرب الانسان عارياق ووتر مطلوب (قيل الحكيم) هل للغضب
 مائة قصبة قال نعم أن يعلم الانسان انه ليس يجب أن يكون مطاع أبدا ولا يجب أن يخدم أبدا
 ولا يجب أن يحقل خطوه أبدا ولا يجب أن يصبر عليه أبدا بل قد يطبع ويخدم ويصنع الخطا
 ويصبر على التوايب فاذا عقل ذلك لم يغضب وان غضب فقليل السجدة من وعظ بغيره والشقي
 من وعظ بنفسه لا تنفع كثرة العلم لمن لا يهمل كالا يغنى ضوء الشمس عن لا يصبر رضي بالذل

من كشف ضره برك التورع وأزرى فيه سم من استشر الطمع البدع فخور يسر تهرأ وخرمة
 الكلام وخدع المال الناس في الدنيا بالاخوان وفي الآخرة بالاهمال صديق الرجل عقده
 وعدو حقه من اجتمعت اليه النعمة أدبت له الرغبة يحفظ الاحق من كل شيء الا من نفسه
 لا جود الابدال ولا صداقة الاوفاء ولا فقه الا بورع العليل الذي يشتهي أربحى من الصحيح
 الذي لا يشتهي قلوب الجار وحشية فن تألفها أقبلت عليه اجهلوا ينصركم وبين الحرام ستره
 من الحلال لقاء الرجل احلامه - ملاة اللهم من لم يصلح على تدبير الله لم يصلح على تدبير نفسه
 والاحلام فرح وهم كاذب والعامل بها كالمعتدل على الظل الزائل الدنيا دول فاما كان منها لك
 أتاك وما كان عليك لم تنص على دفعه العافية خير من الواقعة الكرم لا يتقى من اعطاء القليل
 العنافة نية التقير الكرم حسن القسطة والوهم سوء التغافل اختلاف كلام المرء دليل على
 ميل الهوى به من حق النعمة أن يرى أثرها من كان شبعه في الطعام لم يزل جائعا ومن كان
 غناه في المال لم يزل فقيرا ومن كان قصده بجوارحه الخلق لم يزل محروما ومن استعان في أمره
 بغير الله لم يزل محذولا من خاف من فوقه خافه من تحته ومن لم يخف من فوقه لم يخف من دونه
 ما تحسنه وما تعمل به لغيرك نور وعليك بوره واجهبا لمن يختار المذلة في طلب ما يقى على العز
 في طلب ما يقى من حذر ككن بشرك التجميع جناح الطالب اذا أقبلت الدنيا عليك فاتفق
 منها قائم الاتقى واذا أدبرت عنك فاتفق منها قائم الاتقى قال الشاعر
 فاتفق اذا أبسرت غير مقتر • واتفق على ما خلت حين تعسر
 فلا الجود يقى المال والمظلم مقبل • ولا البخل يقى المال والمظلم مدبر
 (ولغيره)

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة • فلن يضر بها التبذير والسرف

وان تولت فأحرقى ان تجود بها • فالشكر مدام اذا أدبرت خلف

الغريب في كل مكان مظلوم من سلك الخذار أمن العنار لم يحرقا كسب القصد يجبا الثيم
 يستجمل الفقرا الذي منه هرب ويغفوه الكرم الذي آناه يطلبه فيعيش في الدنيا يعيش الفقراء
 ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء من يطل ذيله يكرهه (وقال على رضي الله عنه) ما ينظر
 فعل الله ينطق به عنك خير من معين غيرك ان احببت ان لا يقولك ما تنهت فاشته ما يملكك
 من قصد اسهل ومن أسرف او عر القصد اخو الجاهم شر السيرة الحقيقة بؤى لنفسك في
 المجالس مجلسا لا يقصر بك ولا تقام عنه اقطع الشر من صدر غيرك يقطع من صدرك وازجر
 المني باثابة الحسن لكي يرغب في الاحسان لن يملك من مال الله ما وعظك الخلف يهدم
 الرأي خيرا الناس لغيره خيرهم لنفسه احسان الله مكفر وعند من أصبح مصرا على ذنب
 مستور يصير الخلق خلفا بالاجتهاد والاعتقاد انجر الغصب في البنين رهن على الخراب ربما
 شرف شارب الماء قبل ربه وبداى اتقع من مال وجزم أوفى من رجال من استوعب الحلال
 تاق نفسه الى الحرام من ذم الزمان لم يحمد الاخوان بقلب الاحوال تعلم جواهر الرجال
 من عرف الزمان لم يمتحج الى ترجان من عرف الايام لم يفقل عن الاستعداد رسول ترجان
 عقلك الطاعة غنية الاكاس عند قنوط العاجز كلما اشتد الظلام حسن ضوء السراج

التماسا كثيرا من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد أولى الناس بالرحمة من
 احتاج اليها فخرجها من ليدرد قدر البلية لم يرحم أهلها كقالت أد بالنفس ما صكرهته لغيرها
 بحيلة الآتي غرور والقيام عنه نظرا لتسأل عما لم يكن فان في الذي كان شغل البذل جامع
 لمساوى الصوب وهو زعم يقاذه الى كل سوء اذا صبح القلب وصح العمل كان التوفيق
 احراز العواقب بالاجتهاد والاجتهاد اربح بضاعة التوفيق خيرا فاند كمال العمل التوفيق
 من ترفق في استقام الحظ من البقية أدرك وبلغ مقاربه الناس في اخلاقهم امن من غوائلهم
 لا ينظر الى أحد بالموضع الذي رتب فيه زمانه ولكن انظر اليه بقيته في الحقيقة فانها مكانه
 الطبيعي أبعد الناس سفرا من سافر في طلب أخ صالح ليست البركة من الكثرة لكن الكثرة
 من البركة (وقال داود عليه السلام) ان كان ماترى من الجهل يغض اذن يكثر الجهل ويطول
 غمك (قيل ليزيد جهر) مالككم لا تعاتبون الجهل قال لا ما ترى من العيان ان يصيروا
 العشق مرض نفس فارغة لاهم لها اجلة الفكرة واستخراج القطنة تتبع الاسماء بالنم
 وتبع السند بالافلاح الامن بالبراة وكثرة الصديق بالتواضع وأعم الاشياء تعقا فقد
 الشرائع من بذرة داوة حسنة دامة السمنة للنساء غلة وللرجال غلة (قال المسيح) عليه
 السلام ما علم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب
 سبحانه عبادة التوكل الجهي في غير وقت والجلوس فوق القدر اذا وقعت الضرورة ارتفعت
 المشورة (قيل للحكيم) أخرج الهم من قلبك قال ليس باذي دخل من اعترجهاله قصر في
 اجتنابه اياكم وطلب الامور من غير وجهها فيعينكم طلبها ولا تدركوا حفاظها هبة الرتل
 وورث الحصر (قيل للحكيم) اى شئ تزوجت امرأة دميمة وأنت وسيم قال اخترت من الشراقة
 (وقيل للحكيم) ما تقول في الزواج قال لنفسي وهم دهر فتنة عالم الى ابليس خير من غواية ألف
 جهل فحق المعاتب ولا تخفى المعاذير المواقف في الاسلام بمنزلة الخلق في الجاهلية سب الجاهل
 الحكمة تنصرف لهم عند أهل الفضل لان الجاهل منسوب الى فعله وكان الحكيم يتألم بحدوث
 الجاهل كذلك الجاهل يتألم بسماع الحكمة اغنى الناس عن الحق من عظم قدره من المحاذاة
 الكبيرة الهمة من الرجال من كان عطف الناصح عنده الطفو وقع من ملق السكاك ان كانت
 الجود وهى الحظوظ غيابة الحرس وان كانت الامور ليست بدائمة فبال السرور وان
 كانت الدار غيرة فبال العلم أمانة (وقال النبي) ما رأيت الله سبحانه وتعالى أعطى عباده
 أجلا من العلم (وقال عمر بن الخطاب) رضى الله عنه خمس من لم تكن فيه فلا ترجه لشيئ
 من أمر الدنيا والآخرة من لم تعرف الوثيقة في أرومته والعامة في خلقه والكرم في طبعه
 والتبذل في نفسه والتعاقب عند ربه (قال أبو عبد الله بن جردون) كنت مع المتوكل لما خرج
 الى دمشق فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فرأى ديرا قديما
 هناك حسن البناء بين مزارع وانهار وأشجار فدخله فيناهو يطوف اذ تبصر برقعة قد
 الصقت في صدره فامر بقلعها فاذا فاعلها هذه الايات

أيام لا بالدير أصبح خاليا • تلاعب فيه شمال ودبور
 كأنك لم يسكنك يضر أو انس • ولم يتجشع في فناءك حور

وأبناء أسلاك غواشم سادة • صغيرهم وعند الآله كبير
إذا لبسوا ادراعهم فعباس • وإن لبسوا ألبانهم فبدور
على أنهم يوم اللقاء ضراغم • وأنهم يوم النوال يحور
ليلى هسلم بالرصقة قاطن • وفيك ابنه يادير وهو أمير
أذ العيش غص والخلافة لذة • وأنت طريب والزمان غريب
وروضك مر ناد وفورلة مزهر • وعيش بني مروان فيك فنيبر
بلى فسقالة الغيت صوب صحائب • عليك لها بعد الرواح بكور
تذكرت قوى فيك كفتيهم • بشجو ومثلى بالبكاء جدير
فعزيزت نفسي وهي نفس إذا جرى • لها ذكر قوى انه لرغير
لعل زمانا جاريوما عليهم • لهم بالنى تهوى النفوس بدور
فيفرح محزون وينم بأنس • ويطلق من ضيق الوفاق أسير
رويدك ان الدهر يبقعه غمد • وإن صروف الدائرات تدور

فلما قرأها المتوكل ارتاع وتغير وقال أعوذ بالله من شر أقداره ثم دعا صاحب الديرفأله
عن كتبها فقال لا علم لي به وأما الكتب وصفاتهم فتقبل عن الوصف ولقد أحسن ابن الجهم
في قوله

سجرا إذا جالسته كان مسلما • فؤادك بمماقبه من ألم الوجد
يخيلك علما أو ينيلك حكمة • وغير حسود أو مصر على الخقد
ويحفظ ما استودعته غير غافل • ولا تأن عهدها على قدم العهد
زمان ربيع في الزمان بأسره • يبيحك روضا غير ذاو ولا جعد
يتور أحيانا بورد بدائع • أخص وأولى بالنفوس من الورود
وأنت تدب بعض العجم

إذا ما خلا الناس في دورهم • بخمر سلاف ونخود كصاب
وأنهم في غلام الليال • لعب التداوى ورور هو السحاب
خلوت ومحيي كتب العلوم • وبيت العروس بيت الكتاب
ودرس العلوم شراب العقول • فدوروا على بذل الشراب
وما يجمع المرء في دهره • سوى العلم يجمعه للتراب
ومن ملج ما ينشد في الكتب

إذا ما خلوت من المؤنسني • جعلت المؤانس لي دفتري
فلم أخل من شاعر محسن • ومن علم صالح منذر
ومن حكم بين أشائها • فؤادك لخطر المفسر
وان ضائق صدري بأسراره • وأودعته السر لم يظهر
وان صرح الشعر بأمم الحبيب لم أحسنه • ولم أحمر
وان عدت من ضجيرة الهيجا • وسب الخليفة لم أحذر

واندمت فيه كرم المغيب * لندمائه طيب الخبير
فلمست أرى مؤثما محيت * عليه نديما الى المحشر
وأشد ابن حزم لبعض الادباء

ان حبنا الملوك تاهواطينا * واستبدوا برأى دون الجليس
أو حبنا التجار عدنا الى التقصير وصرا الى حساب القلوس
فلزمتنا البيوت تخذ الحبر وغلا به وحره الطروس
لو تركنا وذاك كآلظفنا * من أمانينا بعلق نفيس
غير ان الزمان أضنى بنيه * حقدونا على حياة النفوس
وأشد غيره

أنت الى التفرد طول عمري * فغالى في البرية من أئيس
جعلت محادثي وتديم نفسي * وانسى دفتري بدل العروس
قد استغنيت عن قربي برجلي * اذا ما نزلت أو فصل كبوس
ولي عرس جديد كل يوم * بطرح الهم في أمر العروس
فبطنى بفرق والخرج جسمي * وهما لي في أبدأ وكيس
ويبقى حيث يدركني مسائي * وأهل كل ذى عقل نفيس

ولئن كان الناطقون قد وصروا الجودوا وقالوا فابلقوا قد قصروا وأجل عدو ح من
استقصى في مدحه المنتهى واستزوف في قفري طه المقتل وكيف لا والكاتب نعم الايس في ساعة
الوحدة ونم المعرفة يلاذ الغربة ونم القرب والدخيل ونم الوزير والتزليل وعالم على علما
وظرف حشى ظرفا وانه على مزاج وجذابا يستأن يحمل في يدك وروضة تتقلب في حجر حل
سمعت بشجرة تنوي كلها كل ساعة بالوان مختلفة وطعوم متباينة حل سمعت بشجرة لا تذوي
وزهر لا يتوى وغر لا يفي ومن لك يجلس فيك التي وخلافه والجفيس ومنه ينطق عن
الموقى ويترجم عن الاحيا ان غضبت عليه لم يغضب وان غضبت عليه لم يجب اكتم من
الارض وانم من الريح والهوى من الهوى واخذع من المني وامتع من الضنى وانطق
من صبيان وائل واعبي من باقل حل سمعت بعلم واحد تعلو بحلل كثيره وجمع أو صافا غزيره
عربي فارسي هندي سندی رومي يوناني ان وعظ أسمع وان الهوى أسمع وان ابني أسمع
وان ضرب أسمع بغيرك ولا يستفيد منك ويزيدك ويستزيدك ان جديس وان مخرج قتره
فبر الامه روروز الودائع قيد العلوم ويبيع الحكم ومعدن المكالم ومزئس لا ينال بغيرك
علم الاولين ويحبرك عن كثير من انباء الآخرين حل سمعت في الاولين أو بلفك عن أحد
من السالفين جمع هذه الاوصاف مع قلة مؤثته وخفة محله لا يبرز ان شيئا من دينك ثم الذخر
والعقده والمستغل والحرقه جلوس لا يضربك ورفيق لا يملك يطيعك بالليل طاعته بالانهار
وطيعك في السفر طاعته في الحضر ان أدمت النظر اليه أطال امتاعك وشهد طبا عاك
وبسط لسانك وجودنا بك ونغم الفاظك ان القته خلد على الايام ذكرك وان درسته رفع في
الخلق قدرك وان حلت قومه عندك هميا حاك يبعد العبد في مقامه السادة ويجلس السوقة

في مجالس الملوك اكرمهم من صاحب واعزهم من مرافق وقد قال فيه الاول
 لنا جساما مثل حديثهم * البامأسفون غيبا وشهدا
 بقيد وتام علم ماضى * ورواياتا وعقلا مسددا
 بلاقنة فخشى ولا موه بحيرة * ولا تسقى منهم لسانا ولايدا
 فان قلت أموات فأنك كاذب * وان قلت احياء قلت مقتدا
 فهذا ما أردنا أن نغلبه في هذا الكتاب فكتبوا ان شئتم انفاسه ان كانت الانفاس مما يكتب

*) قال المتوصل الى الله سبحانه بخيرين وطى البساط طه محمود قطربة
 المتسوب نشأ الى دمياط المصحح بدار الطبع ادم الله بجال
 ساوكة بدوام السماوات الرجوع والارض ذات الصدع*)

النهاية الخائن ويا نفاذ الحكم وغالب الامر وقوى السلطان بسلطان محمدا اعتزت كلمة
 أولياتك وتقدأمرك في اهل أرضك وسماكت سبائك وبمجدك أدلت الكون على ما رضيت
 ان يكون العباد ووليت الامر من تحقق عزيد الصلاحية والقيام بحق السداد وانطت
 اقام الدين ونظام الدنيا بمن أصبح به لواء العزة بك منشورا وجعلت تقود الكلمة ميسورا
 ما كان الامر بين أهل شورى واقت أساس المنعة والبأس على عماد الاستصار بقبوم
 أمرك وديوم ملكك القائم على كل نفس واث الشكر حتى ترف لنا به من عنايتك غرف
 الاقدار على طاعة أهل حكمك ولولايتك والبرامة اليك من شرة النفس الالية والعابذك
 من ذل الهوى وظلم الطبع الذي يشترط الجبهة الجاهلية ثم الصلاة على سيد خلقك في
 الارض وامام أولياتك القائم بأمرك في الأبرام والنقض محمد سراج ملوك الهدى الحاضر
 عليك وتلج ملاك السبر الى رضاك والداهي باذك اليك وعلى الله رؤساء دولة الفخ المين
 وأصحابه الزائدين بآء والهزم وأرواحهم عن كلمة الحق مخلصين له الدين وسلم اللهم تسليما
 واهدنا بهم صراطا مستقيما هذا وان الكتاب الجليل الفنى بوضوح فضله عن الاجال في
 مدحه والتفصيل المسمى سراج الملوك كتاب لم يقادر من آداب الاخلاق وبذائع الناصح
 والامثال الرفاق من مفعول ولا متروك وكيف لا وهو لواحد العصر من له في تناف المعارف
 الجمع والقصر من الى ضرب امثاله البديوى وجوشوشى الامام العلامة محمد بن الوليد
 أبي بكر القهرى المالكي الطرطوشى فلقد جادت يده بأجل كتاب جادت به يد تصنيف واوفر
 سفر قات الحكمة تحت ظل نيباته الوريث واجمع مؤلف آتى شغل الاتباع بعد ان صداعها
 وأودع خزانة الافكار ودائع الناصح الرشاق آتم ابداعها اشغل بشمال الالباقه عن دقات
 الحكم حيث اشغل على رفاق مواعظ وأحسن أخلاق من ملوك العرب والعجم
 فتبايت في مضمار تنزيه الله كم فرسان الزواجر والعبر وسارت الى رقة الفاظه رموز
 روادع العظة فكان من احدى الكبر لعمرا قلها واجدر ان يكون لطموح الصدر سراجا
 مشعلا ولو فرد احسان السبابة ورفق درج الرامة محلا لأهل محلى من ثم عنى بطبعه
 الابهى وتميله الارغند الاثنى من له في أى المكاد المفاخرة والخائفة حضرة القاضل
 الشيخ صالح محمد باعيسى رقيب التجار الحاضرة جزاء الله مزيد الاجر وبينه الخياط الايض

من لحيطة الاسود من القبر وكان اجراء الطمع والتقبل المصنوع به التهديب الاتيق والصبط
والثور الرقيق المنفرد بالاصالة ما أزدبت أمواج بحر النيل بطبيعة بولا قمصر التي حطت
عن اعتاق الاقلام وهام البنان **ك** كل عب مواصر وغردت عليها بلايل الافادة والانتفاع
وسطعت من سماء ارضها نائموس الجبال على صمعات الابصار والاسماع كيف لا وقد أوبت
بها نعال مر احمر ولى كل نعمة رب المآثر المنثورة والحمد الجمة عزير الدنيا ومطمح
أبصار العلما المخصوص بالهمة السامية والعزم الى أفندينا اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على
أيد الله الصولة والمنعة دولته وبهيج يعميل الذكر والكرامة طلعته وحرس اشباله وانجباله
الذين هم النجزلوعده وأفضى له سبل الشبل الاسمي ومزنة نوءه الله الاهمى من به ثوب العدل
صفيق سعادة المشير الانغم محمد باشا توفيق حفظه الله واناله من الخير مناه منوعة تلك
الدار بنظر صاحب المساعي المشكورة والمكارم الغزار من به صادق الرأي يستغنى سعادة
ناظر المطبعة والكاغذاته حسين بك حسنى موصولة النظر بوكالة وكيله المهتدى بدلالته
الى سواميله من اذا اشارت المعارف قاياه تمنى حضرة محمد أفندى حسنى ملحوظة بعهد
ذى السعي الجميل والمقصود الاحد جناب أبي العيين أفندى أحمد موصولة التصحيح
المستطاب والتهديب والتتقيع الذى ملا الوطاب الى رياسة ذى الفكر الثاقب والفهم
المدوار حضرة المولى الفاضل الشيخ ابراهيم الدسوقي عبد الغفار ولما غرد طير الاكمال على
غصون طبع صالح هذه الاعمال رحمت مادح مؤثرنا حسن هذا الصنيع على لسان كل بصير
بقتدارها جميع قاتلا

يد المجد قد دبت طرزا * فهل من سعيد حسا كرزها
فكم قد در المجد قد در امرئ * تراه حفاف النهى برزها
وكم للسان العلالهجة * تنادى ان استخرجوا كرزها
وما التام الامر وان يذل * بدنيا ساق له عزها
والقت اليه مقاليدها * وأدت الى سعيه حوزها
وآخر يابى على نفسه * مما الضم حق يرى ونوزها
بجمله الرأى ما لا يطبق * كما جلت الف همزها
وآخر أربى عليه هواه * وأمضى لفرسته نهزها
أقام يشيب بالخصى * ويض الدى بالحشالزها
يقوت بنصكر ما قوت نقر * بمنعة احزرت حوزها
اذا مارنت عانت القلب منه * فهل تحسد القلب او غمزها
وان هى ماست فيادوحة الحسن * بهاعبت الدل أن هزها
يروعه بالفضا حصرها الشذى علته به لغزها
وبحجزه باللام العذول * يرى نفس من صابرت عجزها
وبات له ناظر قد أجاد * لا يرى شهب الدجى فرزها
يقول لتجسم السما راغا * به عوزي يجتدى عوزها

لهمسك من حشا وعزا * لنقر بها ما غدا كرها
 اذا تقصد الصبر يا زيفها * وان بذل الوصل يا فوزها
 انما الولع أربع وجى رأى من * عن الولع القلب قد نزعها
 وهات اجل لى من سراج الملوكة * سناغرة أوضعت فخرها
 كتاب أنا بحق اليقين * فأتى النهى ما به ابتزها
 يكاد سنا برق انبائه * بحب القلوب يرى ازها
 ابان لتأزبر الاقلين * وأبرز من طيها رمزها
 فكف قيس من عبدة البصير * ومن عظه تقضى فخرها
 ومن حظة تستطير النفوس * لما قد دعى باغز بغزها
 يورث علم بذات الصدور * ويجو بلين الهدى ترزها
 لذا كان بالطبع من باب أولى * لتشق منه النهى تأزها
 فله در امرئ صالح * وصالحه في السهى رزها
 فجاء فجاء طبع جيسل * به للاماني قضى فجزها
 فلا رب يميز جزاء وفاقا * ومن جاء شاكلة يميزها
 ومذا فرغوا حلة الاتهام * على طبعه المغتدى انزها
 اشترت على الحال ارخاضاء * سراج الملوكة بطبع زها

٨٠٢ ٢٦٤ ١٢٧ ٨٣ ١٣

سنة ١٢٨٩

ووافق كمال طبعه المنير أواخر رمضان المحرم سنة التسارخ
 المنظوم من هجرة البشير النذير صلى الله عليه وسلم وعلى
 آله وصحبه ومن تبعهم على التي هي أقوم
 ما حن مشتاق الى البكاء واشتاق
 مهجور الى ابن ذكاء
 والمجد لله رب
 العالمين

5187

~~51A~~

